مكتبة الأسرة
2000

مهرجان القراءة للجميع 2000

الأعمال الخاصة

رشاد كامل

لغز ٢٣ يوليو



الهيئة المصرية العامة للكتاب

لغز ٢٣ يوليـو

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى :الميثاق التقنيه : زيت على سلوتكس

مقاس العمل : ١٢٤×١٩٠سم رقم السجل : ١١١٢٥

عبدالهادى الجزار (١٩٢٥ - ١٩٦٦)

فنان بارز فى طليعة المجموعة التى شكلت جماعة الفن المعاصر تحت رعاية حسين يوسف أمين فى النصف الثانى من الأربعينات . وهو مصور ورسام وشاعر ذو حس سياسى واجتماعى سوريالى الطابع وضعه فى مصاف الرواد فى حركة الفن المصرى الحديث، إذ جعل موضوعات الصورة كاشفة لتلك القوى الروحية الكامنة فى الغيبيات السردية بين العوام وفى قصص البطولات الشعبية، والملاحم الريفية مما أكسب لوحاته حضورا لاينسى لدى المتلقى . وإننا لنشاهد لوحته العملاقة «السد العالى» أو «الميثاق» فنجدهما خليقتين بصورتين فذتين كونهما استطاعا اجتياز السياسى والاجتماعى إلى فضاء الفن الخالص . وأما لوحته الشهيرة التى تعرض فئرانا تدخل فى الدماغ الآدمية لهو تعبير مروِّع للتوحش والهيمنه استطاع الجزار أن يجعله بارزا فى رسالته كلوحات جويا الشهيرة.

أحمد فؤاد سليم

لغز ٢٣ يوليو

رشاد كامل



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(أعمال خاصة)

لغز ٢٣ يوليو
رشاد كامل

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :
د . سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشـبـاب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذى فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً فى حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

لغز ٢٣ يوليو

■ مذكرات اللواء جمال القاضى

الرجل الذى قبض على الرئيس

■ مذكرات د. محسن عبد الخالق

المتهم بانقلاب المدفعية

رشاد كامل

المقدمة

لم تكن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى حياة مصر وشعبها مجرد نزهة خلوية قام بها ذات مساء مجموعة من الشبان يتزعمهم شاب كان اسمه «جمال عبد الناصر حسين» !

ولم تكن هذه الثورة مجرد دبابة حاصرت الاذاعة ، وبيان تم إلقاؤه ، وجنود حاصرت قصر الملك . . و . . و

كانت مصر الوطن والناس على موعد مع هذه الثورة ، ولو لم يقم بهذه الثورة تنظيم الضباط الأحرار لقام بها أى تنظيم آخر ! .

كان النظام السياسى حتى ليلة ٢٢ يوليو ٥٢ قد فسد وكبر وشاخ وأصابة العفن والعطن والفساد .

وفى كل الأحوال كانت مصر مستعدة للثورة والتغيير ولبدء صفحة جديدة تماماً من عمرها السياسى . فقد كانت هذه الثورة ضرورة شعبية قبل أن تكون ضرورة سياسية ، وكانت ضرورة اجتماعية قبل أن تكون ضرورة ثورية ! ! .

وكما تستحيل مصر بغير النيل ، وتستحيل الوردة بغير العطر يستحيل الكتابة عن ثورة يوليو «بغير . . جمال عبد الناصر» ! !

✪✪✪

. . وكان لا بد أن تقوم الثورة ! !

وكانت مصر كلها – ومنذ شهور – فى انتظار حدوث هذه الثورة التى تحققت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وحسب شهادة «جيفرى أرونسن» الكاتب الأمريكى» قوله :

ومنذ الساعة الثامنة صباح يوم الانقلاب ظل القصر على اتصال مستمر مع كافرى على أمل أن يكون من الممكن إقناع «كافرى» بتأييد تدخل بريطانى لانقاذ عرش فاروق .

وتجاهل كافرى تماما طلب فروق تحت حجة أنه ليست لديه تعليمات صريحة من حكومته فى هذا الصدد وأنه يحاول استطلاع رأيها» .

وفى نفس الوقت تعهد كافرى لفاروق بأن يحافظ على حياته هو وأسرته من وقوع أى ضرر .

ومما يلفت النظر والدهشة كما تكشف الوثائق البريطانية أن الضباط الأحرار ومحمد نجيب نجحوا في التصنت . على الأتصالات التليفونية التي دارت بين الملك وكافري في الإسكندرية ! !

وفي الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بعث السفير الأمريكي بأول برقية إلى واشنطن يقول فيها :

«لقد أبلغت مراراً وتكراراً أن اتجاه الأحداث يسير حتماً نحو حركة من النوع الذي وقع . وأن الانقلاب هو نتيجة للوضع العام المتدهور» .

وفي محاولة يائسة اتصل الملك فاروق من الإسكندرية بكافري لحث الولايات المتحدة على التدخل ، كانت نصيحة كافري ، للملك بالا يرتكب عملاً طائشا ! ! .

وكتب كافري لواشنطن يقول : إن الموقف في القاهرة قد خرج تماماً عن سيطرة الملك وأصبح في يد (اللواء) نجيب بلا منازع !

وراح الكاتب الصحفي الامريكي الشهير «س . ل . سولزبرجر» يشجع صورة نجيب باعتبارة «جورج واشنطن النيل» وهي صورة كان الضباط الشبان يروجون لها» .

وجاء في تقرير تال لكافري تقييم لحركة الضباط الشبان (الضباط الأحرار) بأنهم المجموعة الوحيدة التي لها قوة حقيقة وتهتم بمصلحة مصر ، وأنهم الأمل الوحيد لشعب مصر» .

✪✪✪

لقد كان حريق القاهر في ٢٦ يناير ١٩٥٢ هو بداية تآكل شرعية النظام الملكي بكل رموزه ودلالاته ! !

ابتداء من هذا الحادث كانت عين السفارة الأمريكية يقظة لا تعرف النوم ، وتتابع بكل دقة كل ما يمكن متابعته من أحداث ومواقف لها دلالتها ! ! .

وأرسل السفير الأمريكي في القاهرة «كافري» بتقرير طويل وشامل إلى حكومته في واشنطن ، وكان أهم ما في هذا التقرير أن الملك فاروق عاجز لا يدرك ماذا يفعل ، وأن الجماهير ناضجة ومستعدة وجاهزة لأي شيء . إن الوقت يجري في مصر ، وإن الثورة قد تكون أمراً مبالغاً فيه ولكنني أراها على الاوراق»« .

لم تكن هذه أول مرة يتم فيها استخدام «لفظ الثورة» ، بل قبل ذلك بعامين فقط كتب القائم بالأعمال الأمريكي في لندن تقريراً هاماً بعنوان «الثورة في مصر» وكان مما جاء فيه وقتها (١٩٤٩) قوله :

«يبدو من تطور الأمور في مصر من سيء إلى أسوأ فإن الثورة قد أصبحت أمراً محتوماً، وأن زعماء مصر بدلا من محاولة اتخاذ خطوات عملية لعلاج الموقف إنما يتصارعون من أجل السلطة، وسط بحر متصاعد من السخط والجوع واليأس».

وفي غضون شهور قليلة شهدت مصر أكبر اضطراب وخلل سياسي وحزبي فقد توالى تشكيل وسقوط الوزارات بسرعة كبيرة، ويتوقف السفير الأمريكي «كافرى» بالتحليل والتقييم لوزارة. «سرى باشا» (من ٢ يوليو إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢) وجاء في تحليل كافرى أن «سرى باشا» هو رجل الملك، لكن اخطر المظاهر هو تعيين كريم ثابت كوزير دولة فهو «مقامر سيء السمعة» يمارس نفوذاً كبيراً وسيئاً على الملك».

وترصد السفارة الأمريكية في تقرير عاجل لها أرسلت به إلى واشنطن «يسود مصر شعور عام بالغموض والإبهام في هدوء مصطنع، وتدهور الوضع المالي مما يثبط الهمم ويخيب الآمال، ومن اخطر العبارات التي يشير إليها التقرير قوله: إن أولئك الذين يسعون للثورة أو الإطاحة بالحكومة لا يمكن أن يتجاهلوا الفلاحين».

باختصار شديد كان النظام الملكي قد مات وشبع موتاً، وينتظر فقط موعد دفنه!!

وعن يوليو وجمال عبد الناصر «جاءت هذه الصفحات التي طالت حتى أستقرت على شكل كتاب.

حواران طويلان ضمتهما صفحات هذا الكتاب، الحواران مع اثنين من ألمع الضباط الأحرار، الأول هو الدكتور محسن عبد الخالق والثاني هو اللواء جمال القاضي، ولكل منهما قصة، ولكل قصة خبايا وتفاصيل.

كنا في صيف عام ١٩٨٥ حين كان «الدكتور محسن عبد الخالق» في زيارة للصديق الكبير الأستاذ «لويس جريس» رئيس تحرير مجلة صباح الخير وقتها.

كان صيف عام ٨٥ يشهد خناقات سياسية وصحفية حول ثورة يوليو وزعامة عبد الناصر، وبسرعة جاء اقتراح الأستاذ «لويس جريس» بتحويل الخناقة إلى حوار صحفي طويل يناقش كل ما يدور في أذهان جيلي من أسئلة تغلفها الحيرة ويكسوها الضباب!!.

من هو مؤسس تنظيم الضباط الأحرار: عبد الناصر أم السادات؟، وما علاقة السادات بالحرس الحديدي؟ وحوارات الثورة مع الاحزاب المختلفة؟!

حكاية المنشورات السرية للتنظيم!! ومن كان يكتبها ويوزعها؟!
لماذا اعتقل عبد الناصر ضباط المدفعية رغم مساندتهم له؟! وعاد ليفرج عنهم في عز أزمة مارس ١٩٥٤.
بداية ونهاية اللواء محمد نجيب أول رئيس لمصر؟! ولماذا اختير ليكون واجهة للثورة؟! ثم لماذا كان الإبعاد بعدها؟
سر غرام جمال عبد الناصر بالصحافة والكتابة؟! ولغز اقتراب «هيكل» منه بينما ابتعد الآخرون؟!
وهكذا بدأ الحوار لساعات مع الدكتور محسن عبد الخالق طوال شهور الصيف، وابتداء من ٢٣ يوليو ١٩٨٦ وجدت الحلقات طريقها للنشر الصحفي على صفحات مجلة صباح الخير.

✪✪✪

ثم جاء صيف عام ١٩٨٩ وكان الكاتب الكبير الصديق الاستاذ «مفيد فوزي» قد تولى رئاسة تحرير مجلة «صباح الخير»، الذي تحمس حماساً لا حدود له لنشر مذكرات اللواء «جمال القاضي» عضو تنظيم الضباط الأحرار.
كانت المذكرات عبارة عن بضعة شرائط كاسيت سجلها الرجل بصوته وروى فيها بعض ذكرياته عن الثورة، وبعد سماعي للشرائط كان لابد من استكمال ذكريات جمال القاضي، وتم تسجيل أكثر من ستة ساعات أخرى لما سبق أن رواه الرجل بصوته.
ونشرت الحلقات على صفحات «صباح الخير» ابتداء من ٢٠ يوليو ٨٩ وطوال أربعة أشهر نشرت الحلقات وكان لوقائعها وطرائفها صدى لم أتوقعه!!
ومضت سنوات وسنوات وانشغلت وطويت ما كتبته ونشرته!
وبعد عشرة سنوات أعيد قراءة مذكرات جمال القاضي ومحسن عبد الخالق، ووجدت أن ما نشر كان بمثابة محاولة للاقتراب من ثورة يوليو ١٩٥٢: ماذا جرى، وكيف جرى؟ ولماذا جرى؟! تلك الثورة التي تحولت بمرور السنوات إلى «لغز» غامض!!
ولا أزعم أن هذه الصفحات نجحت في حل هذا اللغز، لكنها على الأقل أضاءت جوانب كانت خافية ومجهولة ومحيرة بالنسبة لهذا الحدث الكبير.
لكن هل ذلك كله يكفي ليكون مبرراً كافياً لأن تتحول هذه الحكايات والقصص إلى كتاب مستقل أملك شجاعة نشره على قارئ كريم، الحق أقول أنني كنت

متردداً ومتهيباً حتى قرأت مقال ممتع للكاتب الكبير «محمد حسنين هيكل» عنوانه «بطرس غالى بين الوساوس والحظوظ»، وتوقفت بالتأمل أمام سطور قليلة قال هيكل فيها : «مازلت أعتقد أن كل إنسان لديه كتاب نائم فى موضع ما من ذكراته، ولو أنه فكر وراجع بطريقة جدية لعثر على موضوعه، ولو أنه عرف كيف يقترب منه لوجد عنده بالفعل شيئاً يستحق أن ينشر، ويستحق أن يقبل الناس على قراءاته، إن كل تجربة إنسانية قصة كاملة تستطيع أن تقدم نفسها فى شكل كتاب.

هذه السطور البالغة الدلالة من التى جعلتنى أحسم الأمر وأقول لنفسى قبل غيرى، أن د. محسن عبد الخالق واللواء جمال القاضى أتاحت لهما الظروف الإنسانية والسياسية والوطنية أن يعيشا ويعايشا تجربة سياسية مثيرة، تمتلئ بالدراما والإنسانية فى نفس الوقت. وهى بالتالى قصة كاملة تستطيع أن تقدم نفسها فى شكل كتاب !

وهذا ما جرى بالضبط، لا أكثر ولا أقل فى تجربة كتابة هذا الكتاب الذى اتشرف وأعتز بتقديمه للقارئ الكريم.

ويبقى أيضاً الشكر والامتنان للكاتب الفنان المبدع الدكتور «سمير سرحان» الذى يرأس الهيئة المصرية العامة للكتاب قلعة النشر الجاد، العالى القيمة ليس فى مصر وحدها بل فى الوطن العربى.

والآن أتركك عزيزى القارئ مع صفحات الكتاب.

رشاد كامل

شتاء عام ٢٠٠٠

- مذكرات اللواء جمال القاضى

الرجل الذى قبض على الرئيس !

- الثلاجة التى أزعجت جمال عبد الناصر !
- فى بيت عمى تقرر خبر إعلان قيام الجمهورية !
- فى أخر لحظة رفض عبد الناصر الاغتيالات السياسية !
- بعد خروج الملك.. أم كلثوم تغنى فى حما الفاروق !
- السادات فى وداع أم كلثوم عند سفرها للعلاج !
- سر صفعة صلاح سالم للفنانة نعيمة عاكف !
- موسى صبرى يدافع عن متهم شيوعى !
- أزمة غريبة تثيرها بدلة فؤاد سراج الدين !
- ليلة القبض على على زينب الوكيل زوجة النحاس باشا !
- شكوى بنت رئيس الوزراء لجمال عبد الناصر !

حكاية جمال القاضى !

من بعيد لبعيد كنت أسمع اسم اللواء «جمال القاضى» عضو تنظيم الضباط الأحرار، عندما كانت تأتى سيرة شقيقه الكاتب الصحفى الكبير «فاروق القاضى» الذى يعرفه أغلب نجوم الصحافة المصرية.

ومن حين لآخر، كان اسم «جمال القاضى» يتردد عبر صفحات الكتب والمذكرات والذكريات التى تروى وتسجل بعض فصول ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وعندما كان يأتى الحديث عن قصة الاستيلاء على الإذاعة المصرية كان يقفز اسم «جمال القاضى» الذى لعب الدور الأكبر فى هذه المهمة!

وفى صيف ١٩٨٨ بدأت فى صفحات «صباح الخير» فى نشر سلسلة تحقيقات تاريخية حملت عنوان «عن التاريخ المعاصر شاب يسأل أين الحقيقة؟» وبدأت السلسلة الصحفية بمقدمة كتبها الاستاذ الكبير «لويس جريس».

وفى الحلقة الثالثة وكان عنوانها «قصة البيان الأول لـ٢٣ يوليو من السادات إلى جمال حماد والمشير عامر» وشرحت فيها ملابسات كتابة البيان ومن كتبه والغموض الذى اكتنف قصة هذا البيان.

وعقب النشر مباشرة تلقيت ثلاثة ردود مهمة أضافت وأضاءت وأوضحت جوانب مهمة وخفية، كتب الردود كل من اللواء «جمال حماد» واللواء «جمال القاضى» والإذاعى «جلال معوض».

وعلى صفحات «صباح الخير» (١١ أغسطس ١٩٨٨) وجدت الردود الثلاثة مكانها بالنشر وسط التقدير والترحيب.

وتحت عنوان «كلفت جلال معوض» بإلقاء بيان خروج الملك كتب اللواء «جمال القاضى» يقول بالحرف الواحد:

قرأت ما ورد بمقالكم الأخير بمجلتكم الغراء «صباح الخير» والخاص بالاستيلاء على الإذاعة فجر يوم ٢٣ يوليو المجيد.. وأريد أن أوضح الآتى:

١- كنت أنا قائد القوة التي احتلت الإذاعة صباح ٢٣ يوليو بناء على التكليف الذى ورد بأمر العمليات الذى قرئ علينا بواسطة السيد زكريا محيى الدين وبحضور الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر - رحمة الله عليهما - في منزل صلاح سعده بالمنيل في هذا الوقت. وكان التكليف كالآتي: وبحضور صلاح نصر قائد ثان ك ١٣ وأحمد شوقى قائد الكتيبة.. مبنى الإذاعة/ سرية من الكتيبة ١٣ وعربتان شياب هاوند مدرعتان بقيادة اليوزباشي جمال القاضي.

وقد استلمت العربتين من الصاغ ثروت عكاشة بقيادة الملازم أحمد المصرى والسرية من ك ١٣ بقيادة الملازم الشناوى رحمة الله عليه ولورى من سلاح خدمة الجيش من الصاغ حمزة البسيونى رحمه الله.

٢- كنت مسئولاً عن السيطرة على الإذاعة من الألف إلى الياء.. وقد وفقنا الله بالذكاء والحيلة كما قال السيد/ ثروت عكاشة أن تتم العملية بنجاح ودون إطلاق طلقة واحدة بالرغم من أن الإذاعة كانت محروسة بقوات كبيرة من بلوكات نظام الأقاليم (الأمن المركزى الآن).

٣- التوقيتات في مقالكم غير دقيقة وتصحيحها كالآتي من واقع مذكراتي.

(أ) حضر فهمى عمر أول شخص للإذاعة وأحضره الكردون المحيط بها من الحرس لى أنا شخصياً فسألته عن هويته فأخبرنى أنه مذيع الفجر، فسألته عن برنامجه فأخبرنى أنه ألعاب رياضية ثم قرآن كريم ثم بعد ذلك الأخبار، فأمرته أن يذيع القرآن الكريم ثم مارشات عسكرية حتى يصل بيان هام سيذاع على الشعب، وعندما سألنى عن السبب صارحته بأن هناك انقلاباً.

(ب) حضر السيد/ الرئيس أنور السادات بعد فهمى عمر بنصف ساعة تقريباً معه البيان وكانت الإذاعة معطلة وقت وصوله فجلس ينتظر استئناف الإرسال، وقيل إن الذى أمر بقطع الإرسال هو على خليل مدير الإذاعة وقتها وقد قبض عليه صباح الثورة.

(ج) البيان أنا في الحقيقة لم أر من الذى كتبه لغيابى عن القيادة وقت كتابته إذ كنت أقوم بعملي في الإذاعة، ولكن علمت بعد ذلك كما علم جميع الضباط الأحرار أن الذى كتب البيان هو الزميل العزيز جمال حماد، ونقحه ووقعه

الرئيس محمد نجيب ثم كلف بإذاعته الرئيس أنور السادات لأنه كان مسئولاً عن الاتصالات السلكية واللاسلكية بصفته كان ضابط إشارة. وكان الرئيس السادات هو أول من أذاع البيان بصوته ولكن لم يسجل فى حينه لغياب مسئولى التسجيل فى هذا الوقت الباكر.

البيان سجل فى نفس صباح ٢٣ يوليو فى الساعة العاشرة تقريباً بصوت الرئيس محمد نجيب عندما حضر لمبنى الإذاعة لزيارته فى جولته الصباحية التى حدثت فى مدينة القاهرة واستقبل فيها من الشعب استقبالاً لم يكن له نظير.

(د) لم يكن المرحوم الصاغ محيى الدين عبد الرحمن خلف الله ضمن القوة المكلفة باحتلال الإذاعة، ولكن حضر صباح يوم ٢٣ يوليو فى الفجر لتعزيز القوة التى كانت معى على رأس تروب دبابات شيرمان (ثلاث دبابات) وسرية أخرى من اللواء الثالث مشاه وقد أرسله عبد الحكيم عامر عندما علم بأن الإذاعة تحت حراسة مشددة من بلوكات نظام الأقاليم (الأمن المركزى الآن) وعندما تأخرت أنا فى إعطاء إشارة النجاح بتمام السيطرة على الإذاعة، وقد كلفته أنا بإذاعة البيان بعد إذاعته بواسطة السيد الرئيس السادات حتى لا أحرج المذيعين لأن الأمور لم تكن قد استقرت نهائياً ولم أكن أريد أن أحمل أحداً المسئولية فى أى شىء أو أعرض أحداً للمساءلة فى حالة الفشل والعياذ بالله، وعندما وجدت أنه يلحن كثيراً فى الشكل كلفت أحمد المصرى بإذاعته فأذاعه مرة واحدة وكذا الشناوى مرة هو الآخر حتى سجل بصوت الرئيس نجيب.

٤- بخصوص الأخ العزيز والزميل الكريم مجدى حسنين فقد كان مكلفاً بالاستيلاء على مبنى الإذاعة فى أبى زعبل لأنه كان ضابطاً بسلاح خدمة الجيش وكانت له قوات بالجبل الأصفر بجوار أبى زعبل - وقد حضر الأخ مجدى لمبنى الإذاعة فى الفجر وعندما أخبرناه بتعطلها غاب حوالى نصف ساعة ثم حضر مرة أخرى وقام ببعض الاتصالات التليفونية وانتظم بعد ذلك الإرسال.

٥- الأخ جلال معوض هو الذى أذاع بيان تنحى الملك فاروق وتنازله عن العرش يوم ٢٦ يوليو الساعة ٦ مساء وقد سلمته البيان بيدى فى مكتبى الإذاعة وكنت قد استملته من الرئيس عبد الناصر شخصياً صباح نفس اليوم الذى أمرنى ألا يعرف أحد كلمة منه - من البيان - قبل إذاعته فى تمام السادسة مساء.

انتهى خطاب ورد جمال القاضى.

✪✪✪

أما رد وخطاب «جلال معوض» فقد بدأ على النحو التالي:

بعد أن قرأ الرئيس أنور السادات البيان بصوته غادر الاستوديوهات وتناوب بعض الضباط الذين كانوا مكلفين باحتلال مبنى الإذاعة بقراءة البيان طوال الفترة الصباحية للإرسال الإذاعي.

وأذكر على وجه التحديد أنه في ظهر يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عقد السيد «علي خليل» وكيل الإذاعة في ذلك الوقت اجتماعاً للمذيعين وربما كان أهم جملة قالها ومازلت أذكرها - وتلخص الموقف لحظتها - هي قوله:

- إننا بين سلطتين سلطة شرعية تملك ولا تحكم، وسلطة غير شرعية تحكم ولا تملك!! وعلينا أن نمسك العصا من منتصفها.

وفي هذا اليوم - الأربعاء ٢٣ يوليو - كانت نوبة عملي تبدأ من الثامنة والنصف مساء. وتوجهت الى استوديوهات مبنى ماركوني بشارع علوي وعندما رآني الضباط المكلفون باحتلال الإذاعة طلب مني أحدهم وهو اليوزباشي «جمال القاضي» أن أقوم بقراءة هذه البيانات الصادرة عن الحركة أو الثورة، وكان عدد هذه البيانات حتى تلك اللحظة (الثامنة والنصف) ثلاثة بيانات، وكان الأول منها هو الذي ألقاه السادات.

وأذكر جيداً أن جمال القاضي قال لي: أنا فاكرك كويس قوي لأنك كنت مع «أخويا» فاروق القاضي في معتقل «الهايكستب».

المهم أنني رحبت بقراءة البيانات، وقد حذرني زميلي «عزمي إبراهيم» مشرف غرفة المراقبة وقتها (ومدير عام التشغيل حالياً في التليفزيون) بل أخذ يرجوني ألا أقرأ شيئاً بصوتي، كما شاركه في هذا الرجاء والتحذير زملاؤه المهندسون، ولكني كنت قد اتخذت قراري بقراءة البيانات.

وفعلاً أذيعت البيانات بصوتي، وكنت أول مذيع يعمل في الإذاعة، يقرأ البيانات بصوته، وصدر البيان رقم ٤ في حوالي الساعة التاسعة والنصف وأذعته أيضاً، كما أنه مسجل بصوتي. وأحب أن أشير هنا إلى أن وسيلة التسجيل في ذلك الوقت هي الأسطوانة وليس الشريط كما هو معروف الآن، وللتاريخ فقد قام المهندس «حلمي رسمي» بتسجيل كل هذه الاسطوانات وما زال الرجل

موجوداً حتى الآن، وفي الوقت نفسه أحب أن أشير إلى أن كل البيانات المسجلة بصوتي أذيعت يوم الخميس ٢٤ يوليو ١٩٥٢.

وفي هذا اليوم أيضاً (الخميس) وقبل أن أتوجه لتنفيذ عملي وكان يبدأ في الساعة ٢ ظهراً استدعاني المرحوم «حسني الحديدي» وكان كبير المذيعين وقتها، وجرت مناقشة حادة تضمنت أن «كريم ثابت باشا» المستشار الصحفي للملك يستمع للإذاعة، وأن السراي نفسها تقوم بتسجيل برنامج الإذاعة ومستاءة مما يذاع، وانتهت المناقشة بأن أصدر حسني الحديدي قراراً بإيقافي عن العمل، وبعدها مباشرة استدعاني علي خليل وكيل الإذاعة الذي يبدو أنه قدر خطورة الموقف بشكل عام، ووجدته يستدعي الاستاذ «حافظ عبد الوهاب» (الذي منح اسمه فيما بعد للفنان عبد الحليم حافظ)، وكان وقتها مراقباً للتنفيذ وطلب منه أن يصحبني للاستديو وكأن شيئاً لم يكن، وبالفعل قمت بقراءة نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف وكانت تتضمن أول بيان تأييد للثورة، وكان صادراً من جامعة الإسكندرية (فاروق وقتها)، وموقعاً باسم مديرها د. سليمان حزين.

أما في اليوم الثالث «الجمعة ٢٥ يوليو» فقد كنت مكلفاً بتنفيذ فترة الصباح الباكر، ولم أجد وسيلة مواصلات تنقلني للإذاعة، وكان السادة الضباط الموجودون بالمبنى يريدون إذاعة بيان خاص بإلقاء القبض على «إبراهيم إمام - وأحمد طلعت» وكانا من أخطر الشخصيات، وتطوع بعض الأخوة فأخبروا الضباط بأنني تم إيقافي عن العمل بسبب قراءاتي لبيانات الثورة.

المهم أنني أخذت «تاكسي» ووصلت الإذاعة فوجدت «علي خليل» و«حسني الحديدي» في غرفة المراقبة، وسألني الضباط أمامهما عن حكاية إيقافي فنفيت هذا الموضوع لأني أدركت في لحظتها أن أية كلمة قد أتفوه بها ستلحق الأذى بهما وانتهى الأمر وباشرت مهمة إلقاء البيانات.

وأصل إلى يوم السبت «٢٦ يوليو ٥٢» وكان قد طلب مني منذ الصباح الباكر ألا أغادر مبنى الإذاعة لأن هناك بياناً مهماً سوف يذاع ولم يحدد موعده بعد. وحوالي الساعة الرابعة بعد الظهر «وكان الإرسال متوقفاً»، قيل لي عندما أبدأ إرسال فترة الساعة الخامسة أن أبدأه بالتنويه كل بضع دقائق عن وجود بيان

هام سيذاع فى تمام الساعة السادسة، كان معى الزميل يوسف الحطاب المخرج الإذاعى المعروف وهو الذى اختار لى بعض المقطوعات الموسيقية التى تلائم هذا البيان المهم والخطير، فقد أدركنا أن البيان على جانب كبير من الخطورة. وكان زميلى يوسف موفقاً فى القطعة الموسيقية التى صاحبت إذاعة البيان وأشاد بها فيما بعد د. حسين فوزى «السندباد المصرى».

وكان البيان الذى أذيع الساعة السادسة هو بيان خروج الملك فاروق من الإسكندرية، وسجل البيان بصوتى وما زال تسجيله موجوداً.

وتبقى لدى بعض الملاحظات الأخرى أوجزها فيما يلى:

١- إننى المذيع الوحيد الذى أوقف عن العمل بسبب قراءته هذه البيانات وذلك يعنى أننى كنت أول مذيع يقوم بهذا العمل!

٢- إن الرئيس السورى أديب الشيشكلى حينما جاء لزيارة مصر لأول مرة وكنت مكلفاً بإذاعة استقبال اللواء محمد نجيب له أننى سمعته شخصياً وهو يقول لنجيب:

«إنه لم يفهم مضمون بيانات الثورة إلا بعد أن قرأها فلان» (وذكر اسمى لنجيب) وكان اللواء نجيب قد تفضل بتقديمى للضيف.

٣- أما عن بيان مغادرة الملك فاروق لمصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والذى قال محمد نجيب فى مذكراته إنه هو الذى قرأه بصوته فإن الواقع يؤكد أنه لا يوجد بأرشيف الإذاعة تسجيل له إلا بصوتى.

٤- أما تسجيل البيان الأول بصوت الرئيس أنور السادات فلم يحدث كما قيل بعد ستة شهور.. بل بعد عدة سنوات، فقد جرت العادة أن يتم كل عام فى ٢٣ يوليو إعداد برنامج خاص عن إنجازات الثورة يتولى تقديمه كل من الزميلة «همت مصطفى» وأنا، وكان من ضمن مواد هذا البرنامج إذاعة البيان بصوتى.. وقد مللت هذه المسألة، فاتصلت بالسيد الرئيس السادات اقترح عليه تسجيل البيان بصوته ورحب بالفكرة ترحيباً شديداً، ودعانى إلى لقائه. ووجدته فى انتظارى على رأس السلم المؤدى إلى مكتبه بمجلس الأمة، وكان موجوداً بجواره سكرتيره فوزى عبد الحافظ.

وتم تسجيل البيان وحفظ فى أرشيف الإذاعة، وأذكر أن السادات أثناء حديثى له فى التليفون أنه سألنى إذا كان يوجد لدى نسخة من البيان حتى يستطيع قراءته فلا تحدث أخطاء. وبالفعل كانت لدى نسخة وهى التى قرأ منها السادات البيان!

انتهى رد وتوضيح «جلال معوض».

✪✪✪

ووجدتنى بعد ذلك مشدوداً إلى مشوار «جمال القاضى» ووسط المذكرات وجدت بعض المعلومات والقصص حوله وعنه!

فى مذكرات الرئيس الراحل «أنور السادات» وعنوانها «صفحات مجهولة»، والتى صدرت فى نوفمبر ١٩٥٤ بمقدمة هامة كتبها «جمال عبد الناصر» وفى الفصول الأخيرة من الكتاب راح السادات يروى محاولات الضباط الأحرار لاستغلال الموقف السياسى والتهيئة لأوضاع ما بعد الثورة من الناحية السياسية والناحية الشعبية، وهنا نلمح دورا وقصة عن «جمال القاضى»!

كتب السادات يقول:

وقررنا أن نتصل بالوفد، وأن نترك أمر تدبير الاتصال به إلى جمال عبد الناصر. ولن أسبق هنا الحوادث، ولكنى سأحاول أن أذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشى جمال القاضى، وطلب منه أن يتصل بعمه «عبد اللطيف محمود باشا» الوزير الوفدى إذ ذاك، وللتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يحب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكرى فى سبيل إيقاف الملك عند حده، ومنع اعتداءاته على الدستور.

وكان السر فى اختيار جمال القاضى، هو هذه القرابة الوثيقة بينه وبين عبد اللطيف محمود، فقد كان اتصال أى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ، يعتبر فى نظر قادة الجيش، ورجال القصر، جريمة تستوجب الحساب والعقاب..

ولذلك كان علينا أن نغطى هذه الاتصالات باللجوء إلى صلات القربى، التى لا تثير الريب والشكوك..

وذهب جمال القاضى الى عمه.. ثم عاد ليقول إن عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لا يستطيع أن يتكلم شخصياً فى هذا الأمر، ولكنه مع ذلك على استعداد لتقديم جمال القاضى الى رجل الوفد المسئول، فؤاد سراج الدين، ليتم التفاهم بينهما مباشرة.

وفكر جمال عبد الناصر فى الأمر واستعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن أن يعتمد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين، ثم استقر على أن يكلف القائمقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لأنه أيضاً تربطه أواصر القربى بفؤاد سراج الدين.

وتقابل جمال مع رشاد مهنا، وطلب منه أن يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه، وإبلاغه أن الجيش اليوم لم يعد مستعداً للوقوف إلى جوار الملك ضد أى إجراء شعبى تتخذه حكومة الوفد، ويؤدى الى محاولة الملك البطش بها وإقالتها..

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد مهنا.

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية أقبل.. وإذا برشاد يعتذر عن مقابلة سراج الدين، بدعوى أنه قد جد ما يشغله فى قريته، وأنه مسافر إليها فى اليوم نفسه..

وبلغ هذا النبأ الى البكباشى أحمد أنور، مدير البوليس الحربى الآن فمضى بنفسه إلى البكباشى جمال عبد الناصر، وأبدى استعداده للقيام بهذا الاتصال، وقال إنه غير معروف بنشاط معين، وأنه مستعد للتضحية حتى إن كانت هناك تضحية، وأن اكتشاف صلته بالوفد لن يؤدى - على كل حال - الى أى عواقب تصيب تشكيل الضباط الأحرار.

وكلفه جمال بهذه المهمة، وإن كان قد أبدى له شكه فى أن يستجيب سراج الدين، وإحساسه بأن سراج الدين سيحاول استدراجه دون أن يبوح له بشىء.. ثم أوصاه إذا أراد سراج الدين أن يصل معه إلى أى قرار، بأن يفهمه أن له إخواناً وقيادة لابد أن يرجع إليها قبل التصريح بأى شىء..

وسأترك الآن البكباشى أحمد أنور يروى تفاصيل هذه المقابلة..

قال أحمد أنور: طلبت مقابلة سراج الدين، واتفقنا على موعد المقابلة.. الساعة الخامسة والنصف، في بيته بجاردن سيتي.

وأرسل إلى فؤاد سراج الدين الاستاذ فاروق القاضي المحرر بالجمهورية، وكان إذ ذاك يشغل منصب السكرتير البرلماني لفؤاد سراج الدين، بصفته وزيراً للمالية، أرسله إلى ليقابلني في ميدان الاسماعيلية، ويأخذني إلى داره.. وكان معي شقيقه جمال القاضي أركان حرب البوليس الحربي الحالي الذى جاء يصحبني ليعرفني بشقيقه.

والتقيت بفاروق القاضي، ثم ذهبنا، وإذا بفاروق يقودنا إلى الباب الخلفي للدار حسب التعليمات التي كان قد تلقاها من فؤاد سراج الدين. وجلسنا في أحد الصالونات الكبيرة.. ثم أقبل علينا فؤاد «باشا» وأمر الخدم بإغلاق الأبواب وعدم السماح لأى أحد بالدخول..

وجلس.. كنا أربعة.. فؤاد سراج الدين وجمال القاضي، وفاروق القاضي.. وأنا..

وأنتظرت في تحرز شديد وتحرج، أن ينسحب فاروق، ويدعنا وحدنا في هذه المقابلة البالغة الخطورة والأهمية.. ولكن فؤاد «باشا» لمح منى هذا التحرج والتحرز.. فابتسم لي مشجعاً.. وقال لي: تكلم.. فليس فاروق غريباً..

وبدأت أتكلم.. قلت له:

- لقد جاوز الملك كل حد، وخصوصاً بتعيينه حافظ عفيفي رئيساً لديوانه.. فلماذا لا تتخذون موقفاً حازماً تجاه هذا التحدى الصريح من الملك..

وابتسم فؤاد سراج الدين.. وقال في بساطة خبيثة..

- إحنا طبعاً.. خايفين..

- من إيه؟

- من الجيش.. هي دى عايزة تفسير؟

ثم استطرد: إحنا ناس «باطنا والريح»..وإحنا صحيح كنا بنحايله لغاية ما نقدر نلغي المعاهدة. إنما دلوقت إذا انزنقنا.. فمفيش مفر.. حانخرج.. ونقول للشعب كل حاجة.

وثار جمال القاضي، وهو في طبعه عصبي شديد الانفعال.. وقال:

- ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو «باشا» مستشاراً له، رغم سحبكم إياه من سفارة لندن!

وكان سؤالاً محرجاً.. ولكنه كان أيضاً سؤالاً في الصميم.. ومع ذلك.. فقد ابتسم فؤاد سراج الدين.. وقال أيضاً في بساطة:

- إحنا رفضنا هذا التعيين رفضاً حاسماً.. ولكن الملك أصر، وعينه بنفسه.. ثم وجدنا أن هذه المسألة مسألة صغيرة، لا تستحق أن نعطيها من الاهتمام ما ينسينا قضيتنا الكبرى..

وسألته: أليست في اعتباركم اعتداء على الدستور.

وضحك سراج الدين وهو يقول:

- الدستور.. هي البلد دى بتفهم في المسائل الدستورية..

وألقى برأسه الى الوراء كمن يتذكر أياماً ماضية ثم قال:

- عندما وقعت الأزمة بين الملك وبين النحاس في الوزارة الماضية بشأن حق إعطاء الألقاب.. كانت هذه أزمة دستورية لا شك فيها، فقد كان رأينا أن الملك لا يمنح ألقاباً إلا بناء على طلب حكومته.. ومع ذلك، مع كونها أزمة دستورية.. فقد استطاع الملك أن «يسرح» شيوخ الأزهر في البلاد، وأن يوعز إليهم بأن يخطبوا في المساجد ضد النحاس، ويوقعوا في روع الشعب أن النحاس يريد أن يصبح ملكاً يمنح الرتب والنياشين. وللأسف.. فهم الشعب هذا.. واضطررنا الى التراجع، لأن الشعب لا يفهم كثيراً في المسائل الدستورية..

والتفت فؤاد سراج الدين إلى فجأة.. ثم سألني مغيراً مجرى الحديث: فيه ضباط كثير معاكم؟

قلت: نعم.. من جميع الأسلحة..

فعاد يسألني محاولاً أن يخفي ما أدركته أنا من سؤاله، وهو أنه كان على علم بصورة ما بحركة الإحرار.

- أظن كان فيه سلاح.. تعبان!

وأجبته على الفور: لا.. غير صحيح.. فجميع الأسلحة الآن مستعدة لاتخاذ أى موقف نراه. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معك على إمكان الاستناد إلى الجيش.. فهذا الجيش هو جيش الشعب ولن يكون بأى حال جيشا للملك.. وعليكم أن تتخذوا أى موقف قوى.. وعلينا نحن أن نقف إلى جواركم..

ورأيت من فؤاد سراج الدين إنطواء شديداً، ونظرات لمحت فيها بعض الشك والارتياب.. ولم يكن أمامي إلا أن أندفع في حماس مبيناً أخطاء الملك، وجرائمه، حتى يطمئن إلينا.. ويتكلم.. وفعلاً شعرت أن نظراته قد تغيرت.. وبدأ يتكلم بصراحة أكثر كثيراً.. كان يحاول أن يعرف منى تفاصيل كاملة من عدد الضباط ومدى استعدادهم، وحقيقة الثورة الكاملة في داخل الجيش.

ثم ترك موضوع الضباط، وراح يتكلم في السياسة المصرية والأحزاب والوطنية والسياسيين.. وفجأة.. اعتدل في جلسته، وسألنى سؤالاً.. لم أكن قد أعددت نفسي للإجابة عليه بحال من الأحوال..

كان سؤالاً ماكراً في صيغته.. وفي طريقة المفاجأة التي وجهه بها إليّ، فؤاد سراج الدين.

- مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش؟

قال: قيادة الجيش.. ولم يقل قيادة الحركة.. وقالها في بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس..

ولم أفهم أنا مغزى سؤاله إلا بعد انصرافي من منزله.. عندما جلست أستعيد ما دار في الجلسة حرفاً حرفاً لكي أقدم به تقريري الى البكباشي جمال عبد الناصر.. فقد أدركت عندئذ من وضع اسئلته المتناثرة سؤالاً إلى جوار الآخر أنه لم يكن يسألني مجرد سؤال برئ عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش وإنما كان يقصد تماماً إلى معرفة رئيس حركة الضباط الأحرار.

أدركت هذا بعد خروجي من منزل سراج الدين.. وحمدت الله عند ذلك كثيرا.. فعلى الرغم من مفاجأته لي بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التي ألقى بها سؤاله فقد سيطر علي - دون أن أدرى لذلك سبباً - الحذر الطبيعي الذى كنا قد تعلمناه في الفترة السابقة من الإعداد للحركة وكنت بالطبع في مأزق.

فلابد لي أن أجيب.. وإلا فقدت ثقة الرجل التي أجهدت نفسي في اكتسابها.. ولم يكن ممكنا أن أجيب لأن شخص القائد كان لابد أن يظل سراً حبيساً لا يعلم به أحد.

ووجدت نفسى أختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقاً بالضبط الأحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن إذا ذكرت ألا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأى قدرٍ من الارتياب..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جداً من سؤاله:

- أعتقد أن اللواء سيف الدين هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش واللواء سيف هو سفير مصر اليوم فى عمان..

وهز سراج الدين رأسه وقال لى:

- اختيار موفق..

لم أفهم مغزى هذه الكلمة أيضاً، فقد كنت لا أزال مأخوذاً بالمأزق الذى وجدت فيه..

ويبدو أنه سراج الدين قد سره أن عرف منى اسم «قائد حركة الضباط الأحرار» وأراد أن يصل عن طريقى الى معلومات أخرى أعم وأشمل.. ولكنه كان فى كل كلمة حريصاً وكأن لا يسأل سؤاله إلا بعد أن يمهد له كثيراً..

هذا كله أدركته بعد انصرافى من منزله أما أثناء وجودى فقد كنت أحاول فقط أن أجيب على اسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليه..

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثانى بالحديث عن الفريق حيدر باشا، وكان طرق هذا الموضوع أمراً طبيعياً ما دمت قد حددت له اسم القائد الجديد..

فأخذ يتحدث عن انتخابات النادى الأولى، ثم قال:

- أنتم خذلتمونا فى مسألة حيدر..

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى أجريت فى قضية الأسلحة الفاسدة، ولكن الملك إعاده بعد ذلك رغم إرادة الحكومة.

وقال سراج الدين:

- لقد قلنا للملك إن إعادة حيدر ستؤدى إلى كارثة وأن الضباط جميعاً سيثورون.. ولكنه عندما أعاده. ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط، صفق له الضباط طويلاً فى حضور وزير الحربية الوفدى، مصطفى نصرت - مما أوجد الوزير فى حرج شديد، وشلنا فى موقفنا من الملك شللاً كاملاً.

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت إلى حكومة الوفد واضعفت موقفها.

وأردت أن اطمئن سراج الدين، بإفهامه إن ما حدث لا يعبر مطلقاً عن رأى الجيش.. وإن هذه المظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط.. ثم قلت له.

- إننا لو أتينا بطه حسين وعيناه قائداً عاماً لكان أحسن كثيراً فى منصبه من الفريق حيدر باشا..

ورأيت فؤاد سراج الدين يبتسم.. فاستطردت قائلاً:

- لأنه - على الأقل - يفهمُ فى السياسة..

وضحك سراج الدين ثم قال:

- على كل حال انتم صفقتم لحيدر.. وأحرجتمونا.

وفى الحال، قال لى:

- هل سمعتم عن اتجاه النية الى التخلص من بعض الضباط؟

وكنا على علم بذلك فعلاً فقد كانت هناك قائمة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا.

وقلت له: لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بغضب «إزاى تسيب ١٢ شيشكلى قاعدين فى الجيش؟».

وطرب سراج الدين لهذه الإجابة.. ثم سألنى: زى مين؟

- ولما وجدنى تلكأت فى الإجابة.. استطرد هو قائلاً:

- إنك تستطيع إذا عرفت الأسماء وكانت تهمكم أن تبلغنى شخصياً بما تعرف.. فقد استطيع أن أكون مفيداً.

وكنا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش.. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف ما لدى من معلومات لكى يشعر الملك بأنه على علم بكل شيء ثم يستغل هذا فى الوصول إلى هدفه الذى سعى إليه كثيراً.. وهو أن يكون وزير الحربية.. فقد كان همه فى تلك الأيام أن يقنع الملك بأنه إذا أصبح وزيراً للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة..

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيداً لنا إذا عرف منى أسماء من يهمنا أمرهم..

ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور:

- أرجو ألا تهتم معاليك كثيراً بالاسماء.. ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش.. وأنك أنت الذى تستطيع أن تعتمد علينا وأن تجدنا فى أى وقت إذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد أزركم تجاه الملك، فى أية خطوة دستورية أو وطنية تريدون اتخاذها وأطرق سراج الدين.. ثم قال:

- يعنى؟!

فأجبته:

- يعنى أننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفاً وطنياً شديداً من الملك.

فقال:

- وإذا أقالنا الملك؟!

قلت له:

- تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقي لنا.. فالجيش كله على استعداد للوقوف إلى جانبكم فى هذه الحالة وقوفاً قوياً فعالاً مؤازراً..

وابتسم سراج الدين.. وهو مطرق.. ثم قال:

- ربنا يسهل.. وإن كان رأيي الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة.

وانتهت المقابلة بذلك.. وتوجهت إلى البكباشى جمال عبد الناصر، فرويت له كل تفاصيلها».

انتهى ما كتبه أنور السادات!!

✪✪✪

وفى مذكرات «صلاح نصر» وعنوانها «ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير» سوف تقرأ فيها أيضاً هذه السطور عن «جمال القاضى» حيث يقول صلاح نصر:

«وتقرر أن يعقد اجتماع عصر يوم ٢٢ يوليو فى بيتى حضره عبد الناصر ومجموعة من ضباط المشاة.. ووضعت الخطة النهائية، ثم تقرر أن يعقد اجتماع

آخر في بيت الصاغ صلاح سعده في حي المنيل كي يبلغ باقي ضباط الكتيبة الخطة النهائية.

كان عبد الناصر قد بدأ يشرح الخطة والواجبات.. حينما رن جرس البيت فخرجت مسرعاً افتح الباب، وإذا بي أجد أمامي القائمقام أحمد شوقي قائد الكتيبة.. واصبت بنوع من الحرج والقلق، ووقفت أمامه مشدوهاً، فأحمد شوقي من الضباط الذين كان سيتم اعتقالهم كما أنني لا أريده أن يرى الضباط الأحرار الجالسين في الصالون.. وما كدت أدعوه للدخول وكنت قررت أن أدخله غرفة مكتبي وهي بعيدة عن غرفة الصالون.. حتى أخرجني من دهشتي.. قال لي: انت مش عاوزني أدخل يا حضرة الصاغ؟ مش عيب أنك متقوليش!

وفي تلك اللحظة رأيت الصاغ عبد الحكيم عامر يصعد الدرج الموصل إلى شقتي خلفه وقد بدت ابتسامة ذات معنى على شفتيه.. واستنتجت فوراً أن أحمد شوقي ضم للتنظيم.

وأخذ أحمد شوقي يعاتبني داخل غرفة الصالون، ثم علمت كيف ضم إلى التنظيم صباح هذا اليوم. كان أحمد شوقي ماراً برئاسة المشاة، وإذا به يقابل اليوزباشي جمال القاضي من الضباط الأحرار، وكانت تربطه بأحمد شوقي علاقة قديمة.

وتحدث جمال القاضي مع أحمد شوقي عن تنظيم الضباط الأحرار وأظهر الأخير حماساً للانضمام إلى التنظيم.. فأخذه الأول إلى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وبذلك أصبح أحمد شوقي عضواً في تنظيم الضباط الأحرار صباح ليلة الثورة.

وكان أحمد شوقي يمت بصلة قرابة إلى اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة، وخشي عبد الناصر أن يقوم أحمد شوقي بالتبليغ عن التنظيم، فعين معه الصاغ جمال حماد واليوزباشي جمال القاضي وأمرهما بألا يتركاه حتى ساعة الصفر المحددة لتحرك القوات.

وكان أحمد شوقي ذكياً فلم يدع أدنى شك يتطرق إليهما فاصطحبهما إلى منزله، وما كان يتحرك أنملة إلا برفقة أحدهما.

ووضعت اللمسات الأخيرة للخطة، وانصرف الجميع كي يتجمعوا فرادى في وحداتهم قبل الساعة التاسعة مساء قبل ساعة الصفر بثلاث ساعات.. لقد كانت ساعة الصفر منتصف ليل ٢٢/ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢».

وفي نفس المذكرات يقول «صلاح نصر»:

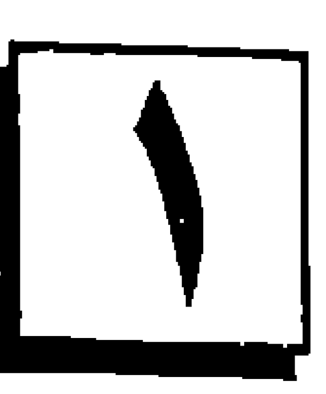
«وكان اليوزباشي «جمال القاضي» قد وصل إلى مبنى الإذاعة واستطاع أن يستولي عليها بسهولة وبسيطر عليها»!

ويقول د. ثروت عكاشة في مذكراته «مذكراتي في السياسة والثقافة»:

وفي الثالثة صباحاً صحب الملازم أحمد على المصرى ومعه فصيلة من السيارات المدرعة اليوزباشي «جمال القاضي» على رأس سرية من كتيبة المشاة الثالثة عشرة إلى مقر الإذاعة، واستطاع بالذكاء والحيلة أن يجلي قوات الشرطة عن مبنى الإذاعة إلى أن أذيع بيان الحركة في السابعة والدقيقة الخامسة عشر على لسان البكباشي «أنور السادات» - على ما أذكر - عقب تلاوة القرآن الكريم».

✪✪✪

والآن إلى ذكريات «جمال القاضي» نفسه !



في بيتنا جمال عبد الناصر !

لا أدرى كيف أبدأ هذه الذكريات التى عشتها !

وكثيراً ما كنت أسأل نفسى أي جديد ستضيفه هذه الذكريات إلى طوفان المذكرات والذكريات التي صدرت ونشرت عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكان حرصى شديداً على قراءة كل سطر وصفحة صدرت طوال السنوات الأخيرة تروى - طبقاً لموقع صاحبها - ذكرياته عما جرى !

وكان أكثر ما يلفت النظر فيما صدر من ذكريات هو ذلك التضارب الشديد والتناقض الكبير فى رواية الحدث الواحد أو الواقعة الواحدة ! مما أوقع القراء والناس فى الحيرة والبلبلة !

وطوال تسجيلى لهذه الذكريات كنت حريصاً على ألا أقع فى مطب التاريخ أو التفسير بأثر رجعى للكثير من الأحداث التى عايشتها ! ولم أدع الحكمة والرصانة بهذا الأثر الرجعى !

وما سوف أرويه الآن ليس محاولة لتبرير ما جرى أو الدفاع عن موقف ما . . فهذه مهمة المؤرخ ورجل التاريخ، ولا أدعى أننى أى منهما . . فلم أكن سوى شاب مصرى مهتم بما يجري في أمور بلده . . ساقته الأقدار والمصادفات ليصبح فى قلب الحدث الكبير الذي هز مصر والعالم العربى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولا تزال الحيرة تستولى على كيانى، ويتردد نفس السؤال فى داخلى : كيف أبدأ هذه الذكريات التي تمتد على مساحة ثلاثين عاماً . . عشرة منها قبل الثورة مباشرة والباقى بعدها ؟

هل أبدأ الذكريات بظروف التحاقي بالكلية الحربية فى صيف ١٩٤٢ وكان جمال عبد الناصر « ٢٤ سنة » مدرساً بالكلية واستاذاً لى لمدة ثلاث سنوات، وعندما لاحظ كثرة نومى فى حصصه أسمانى «النائم الدائم» ! وصارت علاقة نادرة بين تلميذ وأستاذه !

تلميذ لم يتردد لحظة واحدة في تنفيذ كل ما كان يطلبه منه ! ولم أرفض له تكليفاً واحداً كلفني به ! طوال سنوات اقترابي منه وحتى رحيله في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

ooo

ووسط طوفان الحيرة والتردد، لابد من العودة للوراء قليلاً !

في أوائل سنة ١٩٤٢ وجدت نفسي منقولاً من مدرسة «المنيا الثانوية» إلى مدرسة «الفيوم الثانوية» وبالطبع لم يكن هذا الانتقال برغبتي أو بمزاجي، فكل الذي حدث وقتها أنه صدر قرار بنقل والدي الضابط بالشرطة، وكان وقتها مأموراً لبندر المنيا إلى الفيوم مساعداً للحكمدار (مدير الأمن)، وهكذا انتقلت الأسرة كلها.

وفي يناير ١٩٤٢، أجريت لي جراحة لاستئصال الزائدة الدودية بالمستشفى الأميري بالفيوم وظللت بها حوالي ثلاثة أسابيع !

وأثناء ذلك كانت قد ظهرت نتيجة «البكالوريا» (الثانوية العامة الآن) وللأسف فقد كنت راسباً في اللغة الفرنسية، لكنني لم أحزن كثيراً فأمامي امتحان الدور الثاني، وكل الذي احتاجه للنجاح هو تسعة درجات فقط، وبعدها ألتحق بكلية الطب جامعة القاهرة !

والحقيقة أن الالتحاق بكلية الطب كان أمنية والدتي - رحمها الله - ولم يكن رغبتي الحقيقية، لكن هل كان أحد من ابناء جيل ذلك الزمن أن يخالف رغبة والديه حتى لو كان ذلك يتعلق بالمستقبل المهني نفسه !

ولازلت أذكر كيف كانت والدتي تدعو الله وتصلي له ليلاً ونهاراً لكي أصبح طبيباً ناجحاً وشاطراً حتى لا تحتاج هي في المستقبل إلى «حكما وأطباء»، فقد كانت أمي تعاني من أمراض كثيرة أهمها «البول السكري».

وذات يوم جاء أبي وأخبر أمي أنه قرر دعوة عدد من ضباط الجيش أصدقاءه لتناول الغداء في بيتنا.

كان هؤلاء الضيوف وعلى رأسهم اليوزباشي «محمد علي فؤاد» وزملاؤه من أعضاء مجلس عسكري قد وصلوا الفيوم لمحاكمة بعض جنود الجيش المرابطة التي تحرس المنشآت العامة.

كانوا خمسة بالضبط الذين حضروا إلى بيتنا، بالطبع «اليوزباشي محمد علي فؤاد» والسيدة حرمه، وكان والده «الاميرالاى» علي بك فؤاد وهبي قائد ثاني قوات منقباد وصديق العائلة الحميم.

دخلوا جميعاً إلى الصالون، وبعد لحظات استدعاني والدى لتحيتهم والترحيب بهم وصافحت «محمد علي فؤاد»، فقد كنت أعرفه بالطبع من خلال صداقته لوالدى، ثم قام بتقديمي إلى أحد رفقائه قائلاً:

- اليوزباشي «جمال عبد الناصر»!

صافحت اليوزباشي «جمال عبد الناصر»، وكذلك باقي الموجودين وظللت جالساً معهم في حجرة الصالون حتى استدعينا لحجرة الطعام لتناول الغداء!

ولم أكن أدرى أن هذا اليوزباشي «جمال عبد الناصر» الذي صافحته ذلك اليوم سأرتبط معه برباط مصيرى، وسأعمل تحت قيادته، بل أشارك في حدث عظيم غير وجه مصر بعد عشر سنوات بالضبط وهو ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

الطريق إلى الحربية!

وفجأة وقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، وكان لوقعه دهشة كبيرة ومثار مناقشات كثيرة بين والدى وأصدقائه!

وفي ٢٥ إبريل ١٩٤٢ بلغ عمرى ١٧ سنة، وكنت كما قلت أستعد لدخول امتحان اللغة الفرنسية، ثم الالتحاق بكلية الطب لأصبح طبيباً!

في ذلك الوقت كان الفريق «حمدي باشا سيف النصر» قد أصبح وزيراً للحربية في الوزارة النحاسية، وكان هناك اتصال عائلي وصداقة بين أبي وبين وزير الحربية، وقبلها كانت صلة قرابة بين العائلتين!

كانت البداية عندما صدر قرار باستدعاء «حمدي باشا سيف النصر» من الجيش ليعين حكمداراً (مدير الأمن) لأسيوط ومنحه رتبتين مرة واحدة! وكان وقتها برتبة صاغ (رائد)، وطلب الرجل من أبي وكان برتبة ملازم أن يعمل معه في أسيوط ياوراً عسكرياً وكان ذلك عام ١٩١٥.

وكان الفريق «حمدى باشا سيف النصر» يمتلك عزبة كبيرة بالقرب من مدينة «سنورس» بالفيوم، وكان يأتي اليها بصفة دائمة مساء الخميس ويغادرها

مساء الجمعة، وكان والدى وقتها يشغل منصب مساعد حكمدار الفيوم معتاداً على تمضية هذا الوقت مع «حمدى باشا سيف النصر»، صديقه الحميم وبلدياته أيضاً، فقد كان الرجل من زاوية «البقلي» بالمنوفية، وكان من «شبين الكوم».

وهكذا اعتاد الفيوم على زيارة وزير الحربية لها مساء كل يوم خميس حيث يقضى عطلته في عزبته بالقرب من سنورس وكان والدى دائماً معه في هذه العطلة!

وفجأة في أغسطس ١٩٤٢ قررت وزارة الحربية قبول دفعة ٢٠٠ طالب بالكلية الحربية، وكان هذا العدد ضخماً جداً، ومثار دهشة، فقد كانت أكبر دفعة تم قبولها حتى ذلك الوقت لم تتجاوز الخمسين أو الستين طالباً. وبدأت الطلبات تنهال على الكلية، وكثرت الوسايط من محاسيب وزارة الوفد!

وفي مساء أحد أيام الخميس وكان الفريق «حمدي باشا سيف النصر» قد وصل إلى عزبته، وكان والدى في زيارته كالمعتاد، فجأة قال الوزير لأبى:

- أنت مش عندك ابن يا أحمد هو سنه كام دلوقتى؟!

قال أبي له: أيوه يا معالى الباشا، أنا عندي ابن عنده ١٧ سنة، وفي التوجيهية لسه ما أخدهاش!

عاد وزير الحربية ليسأل أبى:

- طيب ابنك شكله إيه؟!

استغرب والدى السؤال، لكنه قال:

- ده بقى طولى يا باشا، ورياضى قوى وجسمه عال العال!

وقال الباشا الوزير لأبى:

- طيب المرة الجاية ابقى هاته معاك عشان أشوفه!

وعندما روى أبى لأمى ما جرى بينه وبين وزير الحربية من أسئلة، استنتجت أمى - والتى كانت على درجة كبيرة من الفطنة والذكاء أن الرجل يريد من أبى أن يلحقنى بالكلية الحربية، وقالت أمى على الفور لأبى:

- أنا مصممة أن ابنى يدخل كلية الطب، وهيطلع دكتور!

✪✪✪

وفى يوم الخميس التالى كان والدى يصطحبنى معه إلى عزبة «حمدى باشا سيف النصر»، وبمجرد أن رآني الوزير صاح في مدير مكتبه (وقتها) البكباشي «حافظ أبو الشهود»:

– هى دى النوعية التى أريدها فى هذه الدفعة من طلبة الكلية الحربية!

وفوجئ والدى، وربما تذكر كلام أمي له ووجد نفسه يقول لحمدى باشا سيف النصر:

– ولكن ابنى لم ينجح فى الحصول على شهادة التوجيهية حتى الآن!

وقال الباشا الوزير بحسم ووضوح:

– أنت نسيت أن لى بصفتى وزيراً للحربية أن أقبل ستة أشخاص فى أي دفعة بالكلية بدون أى مؤهلات!

ولم يعلق والدى بكلمة، واستمر وزير الحربية يقول:

– وعلى فكرة نحن نفكر جدياً فى أخذ دفعة من حملة الثقافة!

كانت الثقافة هى الشهادة التى تسبق التوجيهية، سنة رابعة ثانوى، وسكت والدى ولم يتكلم أو يتناقش مع وزير الحربية، بل فوجئ بمدير مكتب الوزير وهو يخرج من حقيبته أوراقا واستمارات التقدم للكلية وأعطاها لوالدى، الذى قام بكتابتها فى الحال.

وخرجنا من عند وزير الحربية، وفى الطريق أوصانى أبى بأن لا أبوح لأمي بشيء الآن وسوف يتولى إخبارها بكل شيء فى الوقت المناسب، ووعدته بذلك، وعن نفسي فقد كنت سعيداً جداً بكل هذه التطورات على الأقل لكى تخلصنى من قلق وتوتر امتحان اللغة الفرنسية!

مفاجأة غريبة!

وبعد عدة أيام وصلنى خطاب يحدد الموعد الذى سأذهب فيه إلى القومسيون العسكرى لتوقيع الكشف الطبى، وكان مقره المستشفى العام بمنشية البكرى بالقاهرة، وكانت الحجة التى سقتها لوالدتى حتى لا تلحظ شيئاً هى أننى ذاهب للقاهرة لشراء كتب احتاجها فى المذاكرة وغير متوفرة فى مكتبات الفيوم.

وذهبت وكشفت وعدت للفيوم، ووصلني بالبريد نتيجة الكشف بأننى راسب!

واندهشت جداً فقد كنت متأكداً تماماً من أنني اجتزت كل الاختبارات، ووجدت نفسي أحكي لأمي عن كل شيء جرى بدون علمها، وفرحت جداً لرسوبي، لأن هذا معناه أن أحقق امنيتها بأن أصبح طبيباً!

ولم تنس أمي أن تعاتب أبي أنه أخفى عنها كل هذه التطورات، لكن أبي كان مهموماً وحزيناً لرسوبي!

وبقدر دهشة والدي لرسوبي، فقد كانت دهشة وزير الحربية أكبر وأكثر، ولم يصدق ما قاله له والدي وأخذ يردد: كيف حدث هذا؟! بقى ده معقول؟!

كان ذلك مساء الخميس، وأمر حمدي باشا سيف النصر بأن أصطحبه إلى القاهرة في سيارته يوم الجمعة!

ومن عزبة الباشا وزير الحربية اتصل والدي وأخبرني أن هناك سيارة عسكرية ستأتي لي الساعة الثالثة بعد الظهر وعليّ أن أكون جاهزاً ومعي حقيبة بها ملابس تكفيني ليومين حيث سأتوجه للقاهرة مع الباشا.

وقد كان.. وجاءت السيارة في الموعد المحدد وأخذتني إلى العزبة، ثم ركبت سيارة وزير الحربية، حيث جلست بجوار السائق، وفي الخلف كان يجلس الفريق حمدي سيف النصر ومدير مكتبه «حافظ أبو الشهود»، وعندما وصلنا الجيزة استأذنت معالي الوزير بالنزول حيث لي أقارب هنا، فوافق وأعطاني أحد كروته قائلاً لي:

- عليك أن تحضر غداً (السبت) في الساعة العاشرة بالوزارة!

في ذلك الوقت كان مقر وزارة الحربية أمام ضريح سعد زغلول، في الشارع الذي يتفرع من شارع قصر العيني، وحينماوصلت حسب الموعد المتفق عليه، وجدت زحاماً لا حدود له من الطلبة المتقدمين للكلية، وعندما وصلت إلى مدخل الوزارة وجدته مغلقاً بالجنزير الحديد وخلفه حرس الوزارة العسكري!

وفجأة وسط هذا الزحام البشري لمحت أحد الصولات وأبرزت له الكارت الذي أعطاه لي وزير الحربية بالأمس، وبمجرد أن رآه وقرأ الاسم حتى أمر أحد الحرس بفتح الباب ودخولي، وقادني الصول إلى مكتب «حافظ أبو الشهود» مدير مكتب وزير الحربية والذي قال لي بمجرد أن رآني:

- اتفضل يا جمال، الباشا في انتظارك!

وفعلاً دخلت ووجدت اللواء ابراهيم باشا عطا الله رئيس الأركان يقف أمام مكتب الوزير (انتباه) ويتكلم معه، بينما وقفت أنا على الباب متهيباً الموقف برمته، وسرعان ما استدعانى الباشا وزير الحربية وقال:

- تعالى يا جمال، اتفضل يا ابنى!

وتقدمت وقمت بتأدية التحية العسكرية وكنت متمرناً عليها بحكم معايشتي لوالدى الضابط بالجيش، ثم صافحت الباشا الوزير وعدت لمكانى ولم أجرؤ على الجلوس، وهنا نظر وزير الحربية لرئيس الأركان اللواء ابراهيم عطا الله وقال له وهو يشير ناحيتى:

- تصور يا باشا إن ده يسقطوه فى الكشف الطبي؟

وقال رئيس الأركان مستغرباً:

- مش معقول يا معالى الوزير؟

رد وزير الحربية: أهه ده اللى حصل وحنشوف دلوقتى ليه ده حصل؟!

وضغط وزير الحربية على جرس، وانفتح باب الحجرة ليدخل «حافظ أبو الشهود» مدير مكتبه وبادره الوزير قائلاً:

- هل سوسو باشا وصل وأيضاً الاثنين الطلبة؟!

وقال حافظ أبو الشهود للوزير:

- أيوه يا معالى الباشا!

وأمره معالى الباشا وزير الحربية بإدخالهم جمعياً، كان المقصود بسوسو باشا هو «باسيلي سوسو» مدير الخدمات الطبية في هذا الوقت، وكان برتبة لواء، وكان رجلاً شامياً، والحقيقة أننى لم أمنع نفسي من الدهشة والحيرة بمجرد رؤيتي لهم جميعاً بمجرد دخولهم، يتقدمهم «سوسو» باشا حاملاً سماعة طبية.

كان أحد الطلبة قصير القامة، نحيف الجسم بشكل لافت للنظر واستدعاه وزير الحربية وقال له:

- يا ابنى أنت وحيد والدك، اللى عنده ثلاث آلاف فدان، مالك ومال ضباط الجيش أنت تروح تزرع أرض أبوك، لأن شغلانة الجيش صعبة ولن تتحملها، وسلم لى على والدتك وقول لها: الباشا نصحنى بكده!

ثم التفت وزير الحربية للطالب الثاني وقال:

- وأنت يا عبد الرحمن !

وعلى الفور رد «سوسو» باشا وقال :

- خلاص يا باشا موضوع عبد الرحمن، كان صغير شوية ولكن جبرناه وكتبنا لائق !

كان عبد الرحمن هذا هو نفسه الأخ والزميل العزيز بعد ذلك عبد الرحمن فريد وكيل الوزارة الأسبق لمكتب عمل القاهرة.

ثم التفت وزير الحربية «حمدى باشا سيف النصر» ناحيتى وقال :

- يبقى فاضل جمال القاضى !

وطلب الوزير من سوسو باشا أن يأخذنى إلى الحمام الملحق بمكتب الوزير ليعاود الكشف الطبى عليّ، وكانت لا تزال اثار عملية الزائدة الدودية باقية وعلمت أننى رسبت بسببها، وكانت نتيجة الكشف أننى لائق طبياً.

ثم جاء كشف الهيئة، وكان الفريق حمدى باشا سيف النصر يتوسط مائدة طويلة ويجلس حوله ابراهيم باشا عطا الله رئيس الأركان وباقي قادة القوات المسلحة، وعلمت من الطلبة الذين دخلوا قبلي لكشف الهيئة إنهم يسألونهم اسئلة عن السن، وعمل الوالد وأملاكه واهتماماته الرياضية... إلخ.

وعندما جاء دوري أمام اللجنة بادرني وفاجئني وزير الحربية قائلاً :

- إزيك يا جمال، وأزى والدك يا ابني، طيب اتفضل يا بني !

وخرجت على الفور متأكداً أننى قبلت فى الكلية الحربية، فقد أراد وزير الحربية أن يقول لكل الحاضرين أنه يعرفنى شخصياً وأننى على ضمانته.

وفى ذلك اليوم كانت فرحتى لا حدود لها، وبدأت صفحة جديدة فى حياتى داخل جدران الكلية الحربية !

موعد مع جمال !

وفي الكلية الحربية كنت على موعد مثير مع «جمال عبد الناصر» !

رغم مرور كل هذه السنوات بكل ما فيها من أحداث وذكريات، فقد كان لقائى بجمال عبد الناصر هو أجمل وأغلى ما صادفت فى ذلك الوقت !

ولن أنسي أبداً ذلك التعبير الدقيق والصحيح فى نفس الوقت الذى أطلقه «جمال عبد الناصر» عليّ عندما أسمانى «النائم الدائم» !

وقبل أن أروى حكاية هذه التسمية أعود قليلاً مع أيام الدراسة الأولى فى الكلية الحربية، كان النظام الدراسى على درجة كبيرة من القسوة والانضباط والخشونة العسكرية، كانت مدة الدراسة ثمانية شهور، لا لعب فيها ولا هزار!
فى تمام الساعة الخامسة صباحاً يكون الاستيقاظ، نوبة صحيان، ثم طابور التمام، يعقبه الطابور الرئيسى، ثم تناول طعام الإفطار وكان دائماً طبق «العدس» ثم ستة حصص دراسية، ثم الغداء، وبعد طعام الغداء، فهناك طابور الألعاب أو الجرى!

وعندما يحين المساء تأتي نوبة النوم. ومفيش حاجة اسمها «ما جاليش نوم» أو النوم راح منى وهرب! هذا ترف ودلع لا يعرفه طلبة الكلية الحربية، وإذا حدث وكان الضابط «النوبتجي» يقوم بالمرور ووجد طالباً مستيقظاً لم ينم بعد، فهذا معناه حبسه خميس وجمعة! وهكذا.
في ذلك الوقت كان «جمال عبد الناصر» مدرساً في الكلية الحربية برتبة «يوزباشى» (أى نقيب الآن)، وتشاء الأقدار أن يكون هو مدرسي وأستاذى فى الكلية!

كانت مدة الدراسة في الكلية ثلاثة سنوات، قام بالتدريس لى فى سنتين، أما السنة التى لم يدرس لي فيها فقد كان وقتها مشغولاً بدورة أركان حرب!
كان ضمن مواد الدراسة مادة اسمها «شئون إدارية» تنقسم الى قسمين، شئون إدارية حرب، وشئون إدارية سلم، كان جمال عبد الناصر يقوم بتدريش مادة شئون إدارية سلم - أى كل ما يتعلق بالحاجات الإدارية من مهمات وتموين إلخ.
ونظراً لطول هذه المادة، كان «جمال عبد الناصر» يقوم بتدريسها لنا فى عدة حصص وراء بعضها - أى ساعات، وكانت هذه المادة مقررة علينا مرتان فى الأسبوع، مما يعنى أننا نرى ونستمع ونتحدث إلى جمال عبد الناصر مرتين أسبوعياً طوال شهور الدراسة الثمانية!

النائم الدائم!

كان «جمال عبد الناصر» رجلاً صارماً، منضبطاً، لكنه ليس قاسياً بل يمتلئ حباً وعطفاً على الآخرين، باختصار كان يتمتع بشخصية تجبرك على حبها، واحترامها بغير حدود !

فيما بعد علمت أن «والدى» قام بتوصية ضابط كبير في الجيش لكي يأخذ باله مني، وقام هذا الضابط بتوصية أستاذى «جمال عبد الناصر» ليقوم بنفس المهمة!

كان يجلس بجانبى فى الفصل الزميل «جمال شعير» الذي أصبح فيما بعد سفيراً لنا في ليبيا ثم قنصلاً فى لندن. وبمجرد أن أدخل الفصل وأستقر على المقعد كان طبق العدس التمام قد بدأ في «الكبس» على أنفاسى، وما هى إلا لحظات حتى أجد نفسى فى «سابع نومة» لدرجة أن صوت الشخير كان يسمعه كل من خارج الفصل.

وفي أحد الحصص، وكانت بالصدفة لجمال عبد الناصر، فوجئ كل تلاميذ الفصل بأننى غارق في النوم، وبدأ صوتي يعزف سيمفونية الشخير، واتجه جمال عبد الناصر ناحية مصدر الصوت، الذى هو أنا، وحاول زميلى «جمال شعير» أن يوقظنى، فقرصنى فى ساقى، ثم «زغدنى» فى يدى لكننى كنت غارقاً بالفعل في النوم!

وفجأة فوجئت بـ«جمال عبد الناصر» وهو يلكزنى بشدة، ووجدت نفسى أصحو مندهشاً وبينما أنا أفرك عينى قال لى «جمال عبد الناصر»:

- شخيرك وصل لغاية برة!

وطلب منى «جمال عبد الناصر» الوقوف ثم أمرنى بالذهاب إلى آخر الصف وأظل واقفاً - عقاباً لى - حتى نهاية الحصة، ولدهشتى ودهشة كل زملائى فقد نمت وأنا على هذا الوضع أيضاً وارتفع صوت الشخير المزعج!

ومن شدة غيظ «جمال عبد الناصر» اتجه ناحيتى وهزنى بشدة لأفوق واستيقظ، وقال لى:

- طب أعمل فيك إيه أكثر من كده؟ هل أحبسك خميس وجمعة، أكيد هتنام فيهم وتشبع نوم!!

وفجأة وجدت جمال عبد الناصر ينذرنى ويهددنى بلهجة حازمة ويقول:

- أنت لو لم تنجح في مادة شئون إدارية سلم مش هيحصل لك طيب؟ وسأقوم بحبسك كل خميس وجمعة لنهاية «التيرم»! وفى أى وقت سأفاجئك بامتحان ولابد أن تكون مستعداً له يا جمال يا قاضى!!

والحقيقة أني قبلت التحدى، وذاكرت ونجحت وأذكر أنه بعد ظهور النتيجة قال لكل زملائي في الفصل وهو يبتسم:

- تصوروا النائم الدائم نجح وحصل على ٩٠ ٪ فأرجوه أن يبطل نوم تانى!

وبعد انتهاء الحصة ناداني الى غرفة مكتبه وقال لي:

- مش أنت جمال القاضى ابن العقيد «احمد القاضي» حكمدار الفيوم؟!

قلت له: أيوه مضبوط يا افندم!

وفوجئت به يبتسم ثم يربت على ظهرى بكل حنان ويقول لي:

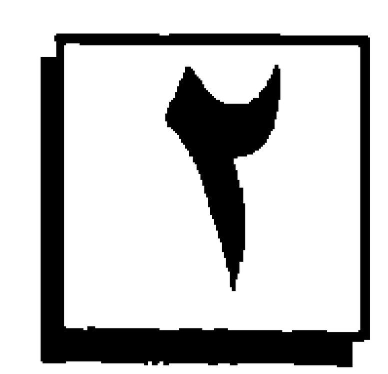
- متشكر، اتفضل على فصلك.

والحقيقة إننى كنت ألجأ إلى «جمال عبد الناصر» كثيراً وخاصة كلما حبسني أحد الأساتذة، خميس وجمعة، فكان يقول لي: آخر الاسبوع نتصرف ونحل المشكلة!

باختصار شديد أقول إن العلاقة معه كانت أشبه ما تكون بعلاقة الأخ الأكبر بالأخ الأصغر!!

✪✪✪

ومضت الأيام، حتى تخرجت من الكلية الحربية في يوليو سنة ١٩٤٦ ولم أكن أعرف ما الذى يخبئه القدر لى فى ذلك الوقت!!



«عبد الناصر» من الكلية إلى فلسطين!

في أوائل صيف ١٩٤٧ صدرت الأوامر للكتيبة الرابعة مشاه والتي كنت أحد ضباطها (برتبة ملازم ثان) بالانتقال إلى لواء الصحراء الغربية ومركز مرسى مطروح. وكنا أول كتيبة أو قوات مشاه تنقل إلى هذه المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية.

كان قائد الكتيبة القائمقام «شوقي بك عبد الرحمن» رجلاً وطنياً، ومثقفاً، باختصار كان رجلاً عظيماً، دائم التحدث معنا في كافة المواضيع دون خوف أو توجس، وسرعان ما تم نقله إلى القاهرة وجرى تعيينه قائداً لسلاح المشاه!.

في مرسى مطروح لم يكن هناك أي مشاغل للضباط سوى طوابير التدريبات العسكرية الصباحية ثم راحة، ولم يكن يشغلنا شيء سوى قتل وقتنا الذى كنا نشغله بالسباحة والقراءة ولعب الطاولة والشطرنج في «ميس الضباط»!.

وذات يوم تسلمت من القاهرة خطابا بتعييني ضمن بعثة تسافر إلى لندن من «سلاح المشاه» تضم ١٣ ضابطاً، وكان على أن أسلم نفسي لقيادة السلاح بالقاهرة.

وكان لا بد من اجتياز امتحان بعض الفرق الدراسية تأهيلا لهذه البعثة، ولم يكن ممكنا ترقيتي إلى رتبة «اليوزباشي» قبل الحصول على شهادات هذه الفرق وهي:

١- شئون إدارية. ٢- أسلحة صغيرة. ٣- قادة فصائل.

ومن حسن الحظ أنني كنت قد حصلت على فرقة الاسلحة الصغيرة قبل ذلك أثناء وجودي في القاهرة وقبل الانتقال إلى مرسى مطروح، ولم يبق إلا الشئون الأدارية وقادة الفصائل.

وانتقلت إلى القاهرة والتحقت بمدرسة الشئون الأدارية، وكانت المفاجأة الكبيرة أن أحد المدرسين الذين سيقومون بتدريس أحد المواد الهامة لنا هو

«اليوزباشي»، «جمال عبد الناصر»، وكانت سعادتي وفرحتي بلا حدود، فها هو استاذي ومدرسي وصديقي أثناء دراستي في الكلية الحربية يعود مرة أخرى أستاذاً في مدرسة الشئون الإدارية.

وربما كان أول ما تذكرته وابتسمت له بيني وبين نفسي اللقب الذي كان يناديني به قبل سنوات وهو: النائم الدائم!!.

واذكر أنه بعد أحد المحاضرات الهامة استدعائي وأخذ يوجهني في محبة وود إلي بعض الدروس والمحاضرات التي تعود الممتحن دائماً أن يضع فيها اسئلة الامتحان، وقال لي وهو يربت علي كتفي:

- إذا احتجت إلي شيء لا تتردد في اللجوء إليّ!!

وفيما بعد عرفت أن ما فعله «جمال عبد الناصر» معي فعله مع كل ضابط التقي به وصادفه.

الطريق إلى فلسطين!

وفي مارس ١٩٤٨ انتهيت من فرقة الشئون الادارية بنجاح ثم التحقت بمدرسة المشاه للحصول علي آخر فرقة دراسية (فرقة قادة الفصائل) وبعدها يمكن السفر إلي لندن ضمن افراد البعثة.

كانت قد مضت ٤٥ يوماً علينا حتى صدرت فجأة الأوامر بإلغاء الفرقة لجميع الضابط وعودتهم فوراً إلي وحداتهم.

وبالطبع عدت إلي وحدتي في (مرسى مطروح) حيث علمت أن الكتيبة وصلها أمر إنذاري (أمر بالاستعداد) للتوجه إلي فلسطين، حيث إن الجيش المصري صدر له الأمر بالتوجه إلي فلسطين لحرب اليهود يوم أول مايو ١٩٤٨.

لم أكن وحدي الذي أحس بالفرح والسعادة والفخر، بل كان الجميع يشاركونني نفس الحالة، فنحن علي موعد مقدس لتحرير فلسطين من غاصبيها!!

وجاءت الأوامر لكتيبتنا بالتحرك، ووصل القطار الذي سيحمل الكتيبة ومعداتها إلي القاهرة ثم إلي فلسطين.

وعلي رصيف المحطة وقبل السفر أحضروا لي ابنتي لرؤيتها والتي ولدت أثناء وجودي بمرسى مطروح، واستغرقت الرحلة ثلاثة أيام مع التوقف يوماً تقريباً بالقاهرة لإعادة التسليح والتموين، وتم إستكمال ذخيرة الخط الأول للكتيبة.

وفي مساء العاشر من مايو ١٩٤٨ وصل بنا القطار إلى مدينة «رفح»، وبمجرد وصولنا أصابنا الإحباط والدهشة، فقد فوجئنا بأن العربات التي وصلت لتنقل الكتيبة من رفح إلى غزة هي «لوارى» مدنية يمكلها مدنى اسمه «بامية»، أي أن الجيش باختصار شديد لم يكن يمتلك اللوارى التي تنقل قواته، وهذا معناه في أبسط معانية ان «سرية» القوات غير مكفولة.

حل القلق والهم والوجوم، فقد كان الاعتقاد السائد لدينا هو إننا ذاهبون لتأديب بعض العصابات الصهيونية، وأن المسألة كلها «فركة كعب»!!.

بمجرد وصولنا إلى مدينة «غزة» وجدنا أحد القادة يقف مع قائد السرية ويشير بأصبعه تجاه أحد المناطق، ثم اصطحبه واختفى عن أنظارنا، وبعد دقائق عاد قائد السرية ليصدر أوامره لنا بإنزال الجنود من السيارات فوراً.

كان الاعتقاد السائد بيننا - وهذا ما كنا قد تعلمناه من قبل - بأنهم سيأخذوننا إلى معسكر الأيواء لكن المفاجأة أنهم قاموا بتوزيعنا على خنادق محفورة في الأرض للدفاع عن مدينة «غزة» ضد عدو يحتل مواجهة حدودها لنا بأصابعهم أمام هذه الخنادق.

هل هذا معقول؟!

وهل يمكن أن يتصور إنسان أن جنودا لم يمض على وصولهم لمنطقة القتال سوى دقائق قليلة بعد عناء سفر استمر ثلاثة أيام أن يتم توزيعهم على جبهة لم يروها، وليدافعوا عن منطقة لا يعرفون عنها شيئاً؟! ولا يدرون أى شيء سوى سماع طلقات مدافع رشاشة تأتى من بعيد وقيل لهم إنها آتية من مواقع العدو!!.

وفي تلك اللحظة دار داخل كل منا سؤال بسيط للغاية: أين قواتنا التي قيل لنا وقرأنا عنها في الصحافة أنها قد أصبحت على مسافة أمتار من تل أبيب!!.

وعندما لا نجد الإجابة وتتوجه بالسؤال إلى أحد الضباط أو شخصاً تعرفه أجابك باستهزاء وسخرية: سترى كل شيء بنفسك، وتعرف كل شيء، لكن اصبر!!

وجاء الصباح، وصدرت الأوامر بأن نتجمع في معسكر للاستقبال لكي يتناول الجنود وجبة ساخنة بعد هذه الليلة التي أمضوها في العراء، وكانت الوجبة الساخنة عبارة عن شاى وشوربة عدس ساخنة!!

جلسنا نحن الضباط فى خيام «ميس» الضباط نناقش مارأيناه وسمعناه منذ لحظة وصولنا إلى رفح وحتى هذه اللحظة، وكانت المفاجأة التى علمناها من الزملاء الضابط الذين سبقونا إلى هنا هى أن الجيش المصرى «تعبان» بل إن الجيش لم يكن مستعداً لهذه العملية، وأن العصابات الصهيونية ليست كما قيل لنا، بل هى جيش منظم ومسلح تسليحاً يفوق جيشنا، والاهم ان تدريب هذه القوات على درجة عالية من الكفاءة حيث كان أغلب افرادها جنوداً فى جيوش الحلفاء التى حاربت فى الحرب العالمية الثانية.

وأين قواتنا الآن؟!

هكذا سألنا، وجاءت الإجابة الصدمة لنا؟ إنها على مشارف المجدل (مدينة بين غزة وأسدود) وتبعد عن مدينة غزة ١٠ كيلو متر (!) وأصبنا جميعاً بالوجوم والغضب، إذن فقد كان كل ما يكتب فى الصحف والمجلات هو من قبيل التلفيق والكذب، فقد كنا نعتقد أننا اقتربنا من تل أبيب.. ولم يكن ذلك صحيحاً بالطبع!

وفى صباح اليوم التالى قيل لنا إن القوات المصرية المتقدمة قد احتلت «المجدل» وتقدمت حتى أصبحت تقف حيال مستعمرة «نيتساليم» التى تقع على الطريق المؤدى إلى تل أبيب - أى على مسافة ٢٥ كيلو متر. وأن الجيش يقع الخطط لاحتلال «نيتساليم» حيث لا تبعد عن الطريق أكثر من نصف كيلو متر وهى تهدد تقدم الجيش!.

كان قد انقضى يوم بأكمله عندما جاء لكتيبتنا أمر إنذارى للتحرك للمشاركة فى معركة احتلال مستعمرة «نيتساليم» التى ستقوم بالهجوم عليها الكتيبة الثانية والثالثة، وعلى الفور بدأنا نستعد، وجاء قائد السرية الذى كان يتلقى الأوامر من القيادة العامة ومعه الجزء الخاص بنا فى الخطة، وعلمنا أننا سنكون كتيبة احتياطية للهجوم، ولكننا لن نشترك فى القتال، إذ إن واجبنا هو التقدم خلف القوات المهاجمة مع الأستعداد لتقلى الأوامر بالأشتراك فى الهجوم فى أية لحظة.

استوعبنا كل ما هو مطلوب منا على وجه الدقة، ثم وزعنا الأوامر على جنودنا الذين استقلوا عربات اللورى، وركبنا نحن عرباتنا الجيب وتحركت بالسرية إلى موقع العمليات، والذى كان يبعد عن الجدل حوالى ٥ كيلو مترات.

وبعيداً عن تفصيلات ما جرى من معارك عسكرية، أقول باختصار إنه سبق المعركة تمهيد نيران من المدفعية، ثم تقدمت المشاه لتحتل المستعمرة وانسحبت باقى القوات الصهيونية وتركت المستعمرة، وسرعان ما صدرت الأوامر إلى «سريتنا» بدخول المستعمرة واحتلالها!.

ولم تستسلم قوات العدو وعاودت الهجوم على المستعمرة مرة ثانية وبدأ القصف ينهال علينا، لكن الجنود ازدادوا تصميماً على التمسك بمواقعهم والدفاع عنها مهما كلفهم ذلك من تضحيات!!.

وتقدمت قواتنا واحتلت بلدة «أسدود» وكانت هذه البلدة هى أقصى ما وصل إليه الجيش المصرى فى فلسطين حتى انسحبت هذه القوات إلى الوطن!.

سر زيارة عبد الناصر!

وفى صباح أحد الأيام فوجئت «بجمال عبد الناصر» يزورنا فى مستعمرة «نيتساليم» فتعانقنا عناقاً شديداً وحارًا. وعلمت منه أنه قد انتهز فرصة إعلان الهدنة وأخذ يبحث عنى حتى علم أننى أحد أفراد قوات مستعمرة «نيتساليم»، فحضر ليرانى ويطمئن علىّ، وعلى تلاميذه بعد هذا العمل العظيم الذى قمنا به!.

كنا أربعة من تلاميذ «جمال عبد الناصر» ضمن أفراد الكتيبة التى قامت بهذا العمل وهم أنا والمرحوم «كمال الشافعى» والمرحوم «محمد محمود قاسم» و«صلاح زيان»، وكنا كلنا برتبة ملازم، ومكث معنا «عبد الناصر» طوال اليوم ثم رحل بسيارته الجيب إلى الفالوجا ولم نره بعد ذلك إلا فى القاهرة حيث كنت قد نقلت إلى مستشفى العجوزة جريحاً ومصاباً فى مارس ١٩٤٩.

كنا نشكو لـ«جمال عبد الناصر» همومنا ومتاعبنا من نقص الذخيرة وضعف الأسلحة التى نحارب بها، وأخذ «جمال» يهون الأمر علينا ويطالبنا بالصمود وعدم هبوط روحنا المعنوية!.

وسرعان ما صدرت الأوامر إلينا بالتحرك إلى بلدة «أسدود» التي تبعد عن «نيتساليم» حوالى عشرة كيلو مترات، والمسافة بينها وبين تل أبيب ١٥ كيلو مترا، وكان الجيش المصرى قد دخلها قبل تحركنا إليها بيومين فقط!.

وحتى ذلك الوقت كنا لا نزال فى فترة الهدنة الأولى والتى كانت عبارة عن إيقاف إطلاق النار لمدة شهرين، وما أكثر العمليات البطولية التى جرت من جانبنا، بعد أن انتهت الهدنة وبدأت العمليات مرة اخرى، بدأ اليهود محاولات مكثفة ومستمينة فى محاولة يائسة لاختراق الاسلاك التى قمنا بتركيبها قبل ذلك! وكذلك مهاجمة خطوط قواتنا.

واثناء ذلك كله بدأ يظهر واضحاً لنا ان اليهود لم يضيعوا وقتهم أثناء الهدنة، فقد حصلوا على الذخائر والاسلحة، وبدأت دوريات اليهود فى مهاجمتنا باستمرار، ولكن كانت كل هجماتهم تنتهى عند السلك الشائك وكنا ننجح فى إلحاق خسائر فادحة بهم، لكنهم كانوا يستميتون فى سحب ضحاياهم مهما كلفهم ذلك!.

ومن ناحيتنا نحن أيضاً فقد كنا نقوم بدوريات استكشافية على طول خطوط العدو، بل وقتاله أيضاً، ولاحظنا أن العدو يحشد قواته بأستمرار وكبتنا تقارير بكل ذلك كان يتم رفعها للقيادة، وفى أحد الأيام وكنت فى طريقى إلى القيادة لتسليم أحد هذه التقارير وقام أحد الزملاء تقديم ضابط برتبة اليوزباشى (النقيب) قائلا لى:

- اليوزباشى وجيه خليل!!

وكانت هذه أول مرة أرى فيها هذا الضابط الشجاع، وشعرت بعد دقائق أننى أمام شخصية فذة وأسطورية، ورجل يتفجر بالبطولة والوطنية، وأخذ يتحدث عن حالة الجيش، وكيف دخل الحرب بدون استعدادات أو تدريب بينما هو يحارب جيشاً على درجة كبيرة من الاستعداد والتدريب، ثم علمت بعد حوالى أسبوعين أن وجيه خليل استشهد فى أحد العمليات العسكرية، وبعد الثورة علمت من «جمال عبد الناصر» أن هذا الضابط كان أحد ضباط تنظيم الضباط الأحرار، وأنه كان يتمتع بمكانة كبيرة فى عقله وقلبه!!.

✪✪✪

فجأة وبدون مقدمات على الأطلاق صدرت الأوامر بالانسحاب إلى المجدل بدلا من التقدم إلى تل أبيب .. التى كنا لا نبعد عنها سوى ١٥ كيلو مترا !!

وعلمنا فيما بعد أن الجيش الأردنى الذى كان يحمى الجانب الأيمن للجيش المصرى انسحب إلى بلده، وبذلك أصبح جانبنا الأيمن بدون حماية، وكان علينا أن ننسحب عن طريق شاطئ البحر حيث كان اليهود يتحكمون فى الطريق العمومى «المسفلت»، وكان الانسحاب سيراً على الأقدام فقد كان مستحيلاً على السيارات أن تسير فى الرمال.

وقطعنا المسافة من أسدود حتى المجدل فى حوالى أربعة ساعات، وسرعان ما علمنا أن اليهود قاموا باحتلال مواقعنا فى مساء نفس اليوم، كما علمنا أيضاً أن أغلب القوات المصرية قد انسحبت إلى غزة عدا بعض القوات التى تحتل «تباب» هامة على طريق الانسحاب لحماية القوات المنسحبة.

فى ذلك الوقت تغيرت القيادة، وذهب اللواء «محمد على المواوى» وتسلم القيادة بدلا منه اللواء «فؤاد باشا صادق»، مما ترتب عليه تغييرات فى القيادات، وتم تعيين قائد جديد لسريتنا هو اليوزباشى «فتح عبد الغنى» كما ألحق بها ضابطين حديثى التخرج هما الملازمان المرحومان «صدقى» و«قرطام»، وبذلك أصبحت أنا أقدم ملازم فى السرية وظللنا ننتظر فى معسكرنا فى غزة استعداداً لأية أوامر جديدة.

وذات صباح حضر لرئاسة الكتيبة أحد ضباط القيادة العامة وطلب سرية لقفل ثغرة فى قوات الهجوم على «التبة ٨٦» فى بلدة دير البلح لاسترجاعها من اليهود الذين احتلوها واخذوا يقصفون الطريق العام الأسفلت الواصل بين رفح وغزة وهو الطريق الهام والوحيد الذى يصل رفح (أى مصر) بغزة، ومعنى ذلك أن ينقطع التموين والإمداد عن كل الجيش الموجود فى غزة، الذى كان يشكل أغلب إن لم يكن القوات المصرية.

المهم ركبت السرية فى ثلاثة لوارى، وصدرت الأوامر بالتحرك إلى دير البلح، وهناك استقبلنا بعض ضباط من القيادة العامة وشرحوا لنا الموقف. وباختصار اتضح لنا أننا سنخوض معركة، وليس مجرد سد ثغرة فى احتياطى القوات المهاجمة.

واتضح لنا أن اليهود قاموا بمهاجمة قوة مصرية كانت تحتل «التبة ٨٦» لحماية الطريق العام، وانهم نجحو فى طرد هذه القوة واحتلالهم لهذه التبة، وتمكنوا بذلك من إغلاق وتهديد حركة التموين والإعاشة على الطريق العام.

وصممت القيادة على استرجاع هذه التبة، وعندما فشلت المحاولة، تم استدعاء سريتنا لهذا الامر، وحدثت معارك بطولية، واستشهد منا أكثر من جندى، وانتهت المعركة واضطر اليهود لإخلاء التبة وانسحبوا.

واثناء المعركة أصبت إصابة خطيرة، وصدرت الأوامر بإجلائى إلى المستشفى، ووجدت نفسى فى القطار المسافر فى نفس الليلة إلى القاهرة، ثم وصلت إلى مستشفى العجوزة. والتى كان الجيش قد استولى عليها وحولها إلى مستشفى عسكرى.

كنت قد وصلت إلى المستشفى صباح ١٦ ديسمبر ١٩٤٨ وعلى الفور تم الكشف علىّ وإجراء الأشعات اللازمة والتى اتضح منها أن الطلقة التى اخترفت عضلة ساقى الخلفية - والحمد لله - لم تلمس عظم الساق ولكنها تهتكت، وتم إجراء الجراحة بنجاح، وبعدها أرسلت «مراسلتى» ليخبر والدى بما حدث لى وكذلك زوجتى والتى كانت لا تعلم أى شيء عنى حتى تلك اللحظة ووالدتى كانت تعتقد أنهم بتروا ساقى، وبمجرد وصولها أخذت تتحسس ساقى وهى تبكى ولم تهدأ وتسكت دموعها إلا بعد أن أطمأنت ان جسمى كله سليم.

أيام فى المستشفى

كان يرقد معى فى نفس الغرفة زميلى ودفعتى الملازم أول «مسعود صالح زكى» وكان خفيف الظل إلى أبعد الحدود، وكانت إصابته فى غاية الخطورة مما كان يسبب له آلاما رهيبة ولم يكن يستطيع النوم إلا بواسطة حقن المخدر.

ولم تتحسن حالته إلا بعد أن أجرى له الجراح الكبير الدكتور «عبد الوهاب مورو» باشا جراحة ناجحة، ولهذه الجراحة قصة طريفة للغاية.

كانت إدارة المستشفى (مستشفى العجوزة) قد جندت كبار ومشاهير الأطباءً للاستعانة بهم فى الحالات الحرجة، وعلم بذلك الزميل الملازم أول «مسعود» فأبلغ رغبته إلى مديرى المستشفى بأن يقوم الجراح الكبير «مورو» باشا بإجراء عمليته!.

تظاهر مدير المستشفى بالموافقة على طلبه، وكان هذان المديران هما «البكباشي طبيب (المقدم) مرتجى، والمقدم طبيب «عبد المنعم الشرقاوى» (الاخ الأكبر للأديب الكبير الراحل «عبد الرحمن الشرقاوى»).

فى ذلك الوقت كان فى المستشفى بصفة منتظمة أغلب افراد الاسرة المالكة، وعلى الاخص شقيقات الملك فاروق، «الأميرة فايزة، والأميرة فوقية»، وكانا يتباسطان مع المرضى ويسهمان فى رفع روحهم المعنوية.

وكان أكثر ما يسعدهما الحوار والدردشة مع الملازم «مسعود» لخفه دمه، ولهجته الصعيدية المميزة، وأثناء إحدى زيارات الأميرة «فايزة» له وجدته على غير عادته صامتا متعباً حزيناً فقد كانت الآلام المبرحة تعاوده، ولما سألته الأميرة فايزة عما به ويعكر مزاجه روى لها أنه يطلب من ادارة المستشفى أن يجرى له العملية «مورو باشا» ولكنهم يقولون له فى كل مرة إن «مورو باشا» مشغول!.

وفى أثناء ذلك الحوار دخل الغرفة الفريق «حيدر باشا» وزير الحربية والذى كان قد جاء مع الأميرات لكنه كان يتفقد باقى الجرحى، وهنا روت له الأميرة «فوزية» ما سبق أن سمعته من الملازم «مسعود».

والتفت الفريق «حيدر باشا» ناحية الدكتور «مرتجى» و«عبد المنعم الشرقاوى» قائلا لهما:

- أى ضابط يا دكتور «مرتجى» يطلب «مورو باشا» يستجاب لطلبه فوراً، ودى أوامر مولانا الملك.. أنت فاهم؟!

وقال الدكتور «مرتجى» لوزير الحربية وهو يرتعد خوفاً.

- حاضر يافندم.. واليوم سأقوم بالاتصال به!

وهنا غلب التأثر «مسعود» فأخذ يبكى بكاءاً حاراً، لدرجة تأثر الاميرة «فايزة» فأخذت تربت على رأسه وتطيب خاطره، ثم تنحنى لتقبله قبلة فوق رأسه!!

وانتقلت هذه المشاعر كلها إلى الفريق «حيدر باشا» فأخذ يطيب خاطر «مسعود» قائلا له:

- كل ما تريده وتطلبه سينفذ لك فلا تغضب ولا تنفعل!

في صباح اليوم التالي دخل «مسعود» حجرة العمليات، وبينما الدكتور «مورو باشا» منهمكا في إجراء العملية، جرت واقعة اطلاق النار على رئيس الوزراء.. «محمود فهمي النقراشي» باشا فتم استدعائه على الفور لمحاولة إنقاذ رئيس الوزراء!.

ورغم كل شيئ فلا أستطيع أن أنسى المعاملة الممتازة، والعناية الكبيرة التي عوملنا بها ووجدناها في مستشفى العجوزة، وكان يشرف على شؤون الجرحى من الجنود والضباط سيدات أفاضل من زوجات الباشوات والوزراء وكذلك أميرات الأسرة المالكة.

وذات يوم فوجئنا بزيارة «البكباشي جمال عبد الناصر» لنا في مستشفى العجوزة، وقد استقبلناه استقبالا حاراً ورائعاً، فقد علمنا أنه كان محاصراً على رأس قواته في الفالوجا.

ظل «جمال عبد الناصر» معنا طوال اليوم بل وتناول طعام الغداء، وتكررت زيارته لنا عدة مرات، وحكى عن أيام الحصار، وقصة مفاوضاته مع اليهود لتسليم جثث قتلاهم، وكيف كان «صلاح سالم» و«معروف الحضرى» يرتديان ملابس الاعراب، ويركبان الجمال المحملة بالذخيرة والاسلحة والطعام لتوصيلها لهم اثناء الحصار.

وأذكر أيضاً أن «اللواء محمد نجيب» كان يعالج معنا في المستشفى، وقامت الإدارة بإخلاء طابق كامل له، وفي أحيان كثيرة كان يترك غرفته وينزل حيث نقيم ويتبادل معنا الأحاديث، والذكريات، وكان الرجل أحد الأبطال في هذه الحرب.



حكايتى مع الضباط الأحرار!

بعد أن خرجت من المستشفى فى أبريل ١٩٤٩ ذهبت إلى الإسماعيلية ضمن أفراد الكتيبة، وبعد عدة شهور نقلت إلى اللواء الأساسى. وهناك تعرفت على «صلاح سعدة» وتوليت مسئولية الإمداد والتموين.

وكنت أصغر ضابط يتولى هذه المهمة.. وأثناء ذلك تعرفت على زميلين هما محمود الإتربى ومحمد عبد العزيز الهندى ولم أكن أعرف أنهما منضمان للضباط الأحرار، ثم تعرفت على «أحمد أنور» بصفته قائد مجموعة صرف المهمات بالقلعة فكنت أذهب إليه لصرف المهمات وبعدها عرفت محمد عبد الرحمن نصير.

وكثيراً ما كنا نخرج معاً بعد العمل نتسامر أو نتنزه أو نجلس على النيل!

وكنت قد رقيت إلى رتبة يوزباشى «مرتبى ٣٠ جنيهاً» وذات يوم من شتاء عام ١٩٥٠ وبينما أفحص الخطابات والرسائل الواردة، فوجئت بأحد المظاريف يتضمن منشوراً به كلمات نارية وموقع باسم الضباط الأحرار، انتهيت من قراءته، ولم أشعر إلا وأنا أصرخ بصوت عال.

- والله أنا لو أعرف مين هم هؤلاء الضباط الأحرار لذهبت إليهم فوراً!

لم يكن معى بالغرفة سوى محمد نصير ضابط حملة لواء الأساس، ولم يعلق على كلامى. وبعد عدة أيام فوجئت به يقول لى:

- احنا رايحين النهارده عند «معروف الحضرى» (أحد أبطال حرب فلسطين) وعايزينك معانا!

وبالفعل ذهبت معه، وهناك عرفونى على ضابط شاب اسمه «مجدى حسنين» وعرفت أن والده كان ضابطاً وزميلاً لوالدى فى أسيوط، وأخذ معروف الحضرى يتحدث عن أحوال البلد وما يجرى فيها، وحكيت لهم على قصة المنشور المثير الذى قرأته منذ أيام، وأخفيت أمنيتى بأننى أود لو انضممت لهم.

في اليوم التالى مباشرة همس محمد عبد الرحمن نصير فى أذنى بأننا سنذهب إلى مشوار هام بعد الظهر، وفشلت فى معرفة أين سيكون هذا المكان، المهم بعد الانتهاء من العمل خرجنا معاً وركبت عربته وفجأة سألنى:

- ماذا فعلت أمس عند معروف الخضرى؟ وما حكاية منشور الضباط الأحرار.. وأظن كان معاكم بالأمس كل من عبد العزيز الهندى ومحمود الإتربى؟

وجدت نفسى أصرخ فيه قائلاً: أنتم بتشتغلوا جواسيس ومخابرات علىّ ولا إيه.. أنا عاوز أفهم إيه الحكاية؟!

ابتسم وقال لى أنت تعرف واحد اسمه «جمال عبد الناصر»؟!

قلت ببساطة: طبعاً لأنه كان أستاذى طوال ثلاث سنوات فى الكلية الحربية، وزارنى أكثر من مرة فى حرب فلسطين.. إنما ما علاقة ذلك كله ببعضه أنا مش فاهم حاجة!

وقال محمد نصير لى: عبد الناصر طلب منى أن أجيبك لأنه عاوز يشوفك!

قلت: على الرحب والسعة، ولما أكون فى آخر الدنيا وأستاذى يطلبنى أروح له!

كنا قد وصلنا إلى منشية البكرى، وأمام المستشفى العسكرى العام كان يوجد بيت صغير، بمجرد أن خبط نصير على باب الشقة، فوجئت بالباب ينفتح ويطل منه جمال عبد الناصر بقامته الفارهة وابتسامته المميزة، وقال:

- أنت فين يا قاضى؟!

قلت: فى الدنيا يا أفندم!!

ووجدت محمد أبو نصير يقول له: جمال القاضى مذعور جداً يا أفندم من ساعة ما قلت له إن سيادتك عاوزه؟

ابتسم عبد الناصر وقال لى: تعال أيها النائم الدائم!

دخلنا إلى الصالة فوجدت عنده مجدى حسنين وعبد العزيز الهندى ومحمود الإتربى وأحمد أنور وبالطبع زميلى محمد نصير. وسألنى سؤالاً قصيراً:

- إيه حكاية المنشور الذى وصلك؟! قلت: ده منشور من الضباط الأحرار وكلامه عجبنى جداً، وأتمنى أن أنضم إلى هؤلاء الضباط الأحرار، لأننى أقتنعت بكلامهم!

قال عبد الناصر: أعتبر نفسك من الضباط الأحرار ابتداء من اليوم!

وجدت نفسي في غاية الارتباك والحيرة وهنا قال لى محمد نصير: جناب البكباشي جمال عبد الناصر هو المسئول عن الضباط الأحرار!

لم أتمالك نفسي وقمت من مكانى أحتضن جمال عبد الناصر وأقول له: ليه سايبنى ولم تضمنى لكم من زمان؟!

وكان رده: أنا حاطك في اعتبارى من زمان بس كل حاجة في وقتها!

وأضاف قائلاً: هتدى لمجدى حسنين عشرة صاغ كل شهر قيمة الاشتراك، والأخ «أحمد أنور» هو المسئول عنك!

وبعد انتهاء المقابلة مع جمال عبد الناصر عاتبت كلا من الإتربى والهندى لإخفائهما عنى أمر انضمامهما للضباط الأحرار! فقالا لى: إحنا كنا حاطينك تحت الاختبار إلى أن يوافق جناب البكباشي جمال عبد الناصر على ضمك للتنظيم!

كانت الخلية التى انضممت إليها تتكون من أحمد أنور رئيساً وكل من عبد العزيز هندى ومحمود الإتربى ووجيه رشدى (المحافظ فيما بعد) وشمس بدران الذى وصل إلى منصب وزير الحربية وبالمناسبة لم يفعل شيئاً ليلة ٢٣ يوليو!

كنا نعقد اجتماعاتنا مرتين أسبوعياً في بيت أحمد أنور في مصر الجديدة، وكان عبد الناصر يرأس هذه الاجتماعات وحتى عام ١٩٥٢ لم يتخلف عن حضور اجتماع واحد وسرعان ما قمت بتجنيد بعض الذين أثق فيهم إلى التنظيم مثل أحمد شهيب وفاروق ثروت وعبد الفتاح على أحمد.

رشاد مهنا وعبد الناصر!

كان الغضب يجتاح مصر! كانت كل مصر في حالة قلق وغضب وفوران.. وجاء حريق القاهرة يناير ١٩٥٢. والحكومات تُقال وتتغير، والأمور تسير من سيئ لأسوأ!!

في نفس الوقت كان الزهق قد بدأ يتسلل إلى نفوسنا، ولا نهاية للاجتماعات والمنشورات، وكنا من حين لآخر نذهب إلى بيت الشيخ «محمد لأودن» وكان في الأصل أحد قادة الإخوان المسلمين ثم طرده الإخوان. فقد كان رجلاً عالماً ومستنيراً يمقت التعصب والتطرف. وفي بيت الشيخ «لأودن» قابلت لأول مرة في حياتي رشاد مهنا (أصبح فيما بعد الوصي على العرش)، وفي إحدى المرات طلب مني عبد الناصر أن أسأل رشاد مهنا: متى سنقوم بالثورة؟!

في الحقيقة كان عبد الناصر قلقاً بشأن مهنا فقد سبق أن خذله عندما كلفه بالذهاب لمقابلة فؤاد سراج الدين باشا ومفاتحته بأن الجيش سيقف بجوار الوفد.. واعتذر رشاد عن المهمة بحجة واهية! أما في هذه المرة فقد كان مبعث قلق عبد الناصر ما كان يسمعه من الضباط الأحرار في العريش.. فقد حدث ذات صباح أن فوجئنا بقرار نقل رشاد مهنا من القاهرة إلى العريش. واستدعى عبد الناصر المرحوم صلاح سالم الذى كان يعمل كذلك في سكرتارية حيدر باشا وزير الحربية واستفسر منه عن الكيفية والمبررات التى أدت لنقل رشاد إلى العريش، ومعنى ذلك أن التنظيم سيخسر دور رشاد الذى سيكلف به عند ساعة الصفر! المهم أن صلاح سالم وبذكاء شديد قال لحيدر باشا إن صغار الضباط مستاءين ومتضايقين لنقل رشاد مهنا إلى العريش! واندهش حيدر باشا وقال له: ولكن قرار النقل كان رغبة رشاد مهنا نفسه! وإزاء دهشة واستغراب صلاح سالم عاد حيدر باشا يقول له لقد تحدث معى قائد المدفعية وأبغلنى أن رشاد قدم طلباً مكتوباً يريد فيه أن ينقل إلى العريش، وهذا هو نص الطلب بخط رشاد!

وكتم صلاح سالم غيظه وغضبه ساعتها، لكنه حكى حقيقة الموقف كاملاً لعبد الناصر، وفي نفس الوقت كثرت شكاوى الضباط الأحرار في العريش من أن رشاد مهنا يطلب منهم الابتعاد عن الكلام في السياسة وأن يلتفتوا لعملهم فقط!

بل إنه يثبط من عزيمتهم، ومن هنا قرر عبد الناصر أن يعرف الحقيقة من فم رشاد مهنا، وكلفني عندما كنا في بيت الشيخ الأودن بأن أسأله: إحنا هنعمل الثورة إمتى؟!

وكان رد رشاد مهنا الذى أذهلنا يومها: كل حاجة بأوانها.. وكمان لسه التنظيم بتاعنا ما اكتملش يا جمال؟

كان عبد الناصر كعادته صامتاً هادئاً يتأمل فى هدوء كلام رشاد مهنا، وعندما وجدنى أتنرفز وتزداد عصبيتى وأنا أقول لرشاد: ربما أحفادنا أو أولادنا هم الذين سيقومون بالثورة! ضغط عبد الناصر على قدمى لأسكت! وأذكر أن الشيخ الأودن قال له: هو أنت هتلاقى شباب زى الورد ده يعمل الثورة فين يا رشاد؟

المهم أن عبد الناصر خذل تماماً فى موقف رشاد مهنا، وتأكد له ذلك من ظواهر غريبة كان يلحظها كلما ذهب لزيارة رشاد فى بيته.. فقد كان رشاد يتعمد ألا يترك ضيوفه يغادرون المنزل حتى لا تتاح لعبد الناصر فرصة الانفراد معه والكلام.. وإذا تصادف وذهب إليه وكان بمفرده.. فقد كان دائماً يجده فى حالة صلاة يمكن أن تستمر بالساعات وهكذا.. وهنا قرر عبد الناصر استبعاده من التنظيم! فى نفس الوقت الذى استبعد فيه.. عبد المنعم عبد الرءوف، لإصراره على أن تكون الثورة تابعة للإخوان المسلمين وكان رأى عبد الناصر أن الثورة ليست تابعة لأحد إنما ملك للشعب كله!

أنا والضباط الأحرار!!

وأتوقف طويلاً أمام تجنيدى فى تنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٠. والمشوار الذى قطعته مع الضباط الأحرار حتى قيام الثورة ونجاحها.

لقد اندهشت كثيراً عندما قرأت مذكرات الرئيس أنور السادات التى صدرت عام ١٩٧٨ بعنوان «البحث عن الذات» وقد أغفل فيها تماماً المهنة التى كلفنى بها جمال عبد الناصر فى مقابلة فؤاد سراج الدين بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، وكان أنور السادات قد روى الواقعة كاملة فى عام ١٩٥٣ على صفحات جريدة «الجمهورية» ثم فى كتابه الشهير «صفحات مجهولة» الصادر فى نوفمبر ١٩٥٤، وفى هذا الكتاب كان السادات يحكى عن ظروف اتصال الضباط الأحرار بحزب الوفد قبل حريق القاهرة [٢٦ يناير ١٩٥٢].

يقول أنور السادات: وقررنا أن نتصل بالوفد وأن نترك أمر تدبير الاتصال به إلى جمال عبد الناصر.. بدأ جمال بدعوة اليوزباشى «جمال القاضى» وطلب

منه أن يتصل بعمه.. عبد اللطيف محمود باشا.. الوزير الوفدى إذ ذاك، والتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يحب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكرى، فى سبيل إيقاف الملك عند حده ومنع اعتداءاته على الدستور.

وكان السر فى اختيار جمال القاضى، هو هذه القرابة الوثيقة بينه وبين عبد اللطيف محمود، فقد كان اتصال أى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ يعتبر فى نظر قادة الجيش ورجال القصر، جريمة تستوجب الحساب والعقاب، ولذلك كان علينا أن نغطى هذه الاتصالات باللجوء إلى صلات القربى التى لا تثير الريب والشكوك.

وذهب جمال القاضى إلى عمه ثم عاد ليقول إن عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لا يستطيع أن يتكلم شخصياً فى هذا الأمر، ولكنه مع ذلك على استعداد لتقديم جمال القاضى إلى رجل الوفد المسئول.. فؤاد سراج الدين ليتم التفاهم بينهما مباشرة.

ومضى أنور السادات يروى بعد ذلك كيف ذهبت مع أحمد أنور (مدير البوليس الحربى) وفاروق القاضى شقيقى وقابلنا فؤاد سراج الدين، حكى السادات ذلك كله على مدى صفحات عديدة من كتابه، ولم ينس السادات أن يسجل فى ذكرياته كيف أننى ثرت فى وجه فؤاد سراج الدين، عندما بدأ يحاور ويناور.. وللأمانة فقد كانت ذاكرة السادت القوية مثار دهشتى عندما كتب كل هذه الذكريات، وأيضاً كانت دهشتى عندما تجاهل كل هذه الوقائع عندما أصبح رئيساً للجمهورية وكتب قصة حياته!

وربما يتساءل البعض عن تفاصيل ما رواه السادات عنى فى كتابه السابق؟!

وما هى قصة اتصالات الضباط الأحرار قبل الثورة بحزب الوفد؟! وماذا كان يهدف جمال عبد الناصر زعيم الضباط الأحرار من وراء ذلك؟!

وللتاريخ فإننى أعترف أن حوالى ٦٠٪ من الضباط الأحرار كانوا يميلون إلى الوفد. بل وصل الأمر أنه بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وإقالة وزارة مصطفى لنحاس طرح الضباط الأحرار فكرة جريئة، وهى أن يقوم حوالى خمسين ضابطاً بمسيرة إلى مجلس النواب ويطالبون بعودة الوفد للحكم،

ويكون فى ذلك نوع من التحدى للملك والحكومة والإنجليز أنفسهم. وصباح يوم الحريق نفسه كان الجيش قد نزل إلى الشارع، وأصبحت البلد فى يده بالفعل، وكان من رأى جمال عبد الناصر أن تقوم الثورة فى هذا اليوم بدلاً من الموعد المحدد لها فى أغسطس ١٩٥٢، وإحضار الوفد بالقوة إلى الحكم!

ولكن حوارنا مع الوفد ممثلاً فى شخص فؤاد سراج الدين أوضح لنا أنه لا فائدة من الوفد. قبل ذهابى مع أخى فاروق وأحمد أنور لمقابلة الباشا كان جمال عبد الناصر قد اتفق مع «رشاد مهنا» - وتربطه بفؤاد سراج الدين صلة قرابة - أن يذهب للباشا وأن يبلغه بأن الجيش مستعد أن يقف بصلابة وحزم مع الوفد فى أى إجراء يتخذه. ووافق رشاد على طلب عبد الناصر، وفى الموعد المحدد للذهاب، وصلت عبد الناصر برقية اعتذار من رشاد عن الذهاب لمقابلة فؤاد سراج الدين - بصحبتى - لاضطراره إلى السفر لبلدته لحضور حفل زفاف أخته!

وعلمنا فيما بعد أن ذلك لم يكن صحيحاً، وتأثر عبد الناصر كثيراً لهذا الموقف واعتبره بمثابة تخاذل، ومن هنا جاء تكليف أحمد أنور وأنا للذهاب لمقابلة الباشا وكان معنا أخى فاروق القاضى وكان يعمل وقتها سكرتيراً برلمانياً لفؤاد سراج الدين.

وما أدهشنا حقيقة فى حوارنا مع فؤاد سراج الدين، هو موقفه من الملك فاروق فقد انهال بالثناء عليه ومطالبته لنا بأن نهدأ ونتريث، وأن الوفد قادم لا محالة إلى الحكم بمجرد أن يجرى الملك الانتخابات.. وبخبث شديد حاول أن يعرف منا كل ما يمكن معرفته.. وأذكر أن أحمد أنور قال له بعصبية: لو وصل الأمر بأن يتم تعيين د. طه حسين قائداً عاماً للجيش لكان ذلك أفضل مليون مرة من قرار الملك بتعيين الفريق محمد حيدر باشا! وضحك فؤاد سراج الدين وقال لنا: هذا حقيقى لأن د. طه على الأقل بيفهم فى السياسة!

المهم بعد المقابلة ذهبنا إلى ميدان الإسماعيلية [التحرير الآن] وجلسنا على قهوة إيزافيتش وكتبنا تقريراً وافياً لمقابلتنا مع الباشا وأعطيناه لجمال عبدالناصر ولكننا خرجنا من المقابلة ونحن يائسون بالكامل من الوفد، وانهار إعجابنا به وتهاوى إيماننا الكامل فيه!!

منشورات فى قصر الملك !!

كنا فى سباق مع الزمن، وكان البوليس ورجال السراى يبذلون جهداً خارقاً لمحاولة معرفة من هم الضباط الأحرار الذين ملأوا كل مصر بمنشوراتهم وبياناتهم. كانت المنشورات ترسل بالبريد لكبار المسئولين فى البلد وكذلك رجال الأحزاب، فلما تنبه السراى لذلك كان يقوم بجمع المنشورات من صناديق البريد، وفى أحد اجتماعات الضباط الأحرار قرر عبد الناصر أن توزيع المنشورات سيكون باليد لا بالبريد.

وكانت مجموعة الضباط الأحرار المكلفة بذلك تتسلم المنشورات من عبدالناصر شخصياً فى منزله أو فى المكان المتفق عليه، وفى بعض الأحيان عندما كنا نذهب إلى منزل عبد الناصر لأخذ هذه المنشورات ويكون غير موجود، تقوم السيدة «تحية» زوجته الفاضلة بإعطائنا هذه المنشورات بعد أن نقول لها عن كلمة السر المتفق عليها.

أذكر مرة وكنت أقوم بتوزيع أحد المنشورات فى إدارة الجيش، وفجأة وصل قائد قوات السودان المرحوم اللواء البشارى باشا وكان يعرفنى جيداً، كانت المنشورات بيدى وسألنى إيه اللى فى إيدك يا قاضى وقلت على الفور: ده الورق الخاص بتدريباتنا.. ومش معقول يا أفندم هنقضى طول عمرنا فى المذاكرة والدراسة، إيه رأيك تأخذنى معاك ضمن القوات المصرية المسافرة للسودان !

وفاجأنى الرجل قائلا: أنت عاوز تروح السودان عشان مرتبك يزيد، وتوفر لك قرشين ! استرحت وقلت له: علشان الواحد يعرف يعيش يا فندم !

وخرج الرجل من الحجرة ونظرت إلى زميليّ «عبد العزيز الهندى ومحمود الإتربى» وكانا من الضباط الأحرار ولم نصدق أننا نجونا بأعجوبة !

ووصلت منشورات الضباط الأحرار إلى غرفة نوم الملك فاروق نفسه. وكان ذعر وخوف الملك لا حدود له وهو يقرأ هذه المنشورات المثيرة.. كان المسئول عن توصيل هذه المنشورات إلى السراى كل من كمال الدين رفعت وحسين عرفة !

كان الملك فاروق قد كون ما أسماه «بالحرس المخصوص» المسئول عن أمنه الشخصى وتنقلاته وحركته بمجرد أن يصحو من النوم وحتى يذهب لغرفة نومه

في المساء.. وكان في هذا الحرس كل من كمال رفعت وحسين عرفة وكانا أيامها بالطبع في تنظيم الضباط الأحرار، ومن هنا كلفهما عبد الناصر بتوصيل المنشورات إلى الملك، وبالطبع لم يكن يساور الملك أو حاشيته أى شك فيهما.

وكان هناك كذلك الحرس الملكي وكان من بين أفراده التى ستلمع أسماؤهم كثيراً فيما بعد الفريق سعد الدين الشاذلي والفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية!

وليس سراً أن جمال عبد الناصر كان يكلف أنور السادات بتوصيل هذه المنشورات إلى د. يوسف رشاد «طبيب الملك فاروق» والذى كان بدوره يعرضها على الملك!! وكان انضمام السادات للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار مثار اعتراض واستياء من باقى أعضاء الهيئة التأسيسية وذلك لعضوية السادات لتنظيم الحرس الحديدى الذى كان يشرف عليه الملك فاروق شخصياً تحت قيادة طبيبه يوسف رشاد وزوجته ناهد رشاد، واستطاع عبد الناصر إقناع زملائه بأن وجود السادات في الحرس الحديدى سيخدم تنظيم الضباط الأحرار لأنه سيكون بمثابة عين لنا على كل تصرفات وتحركات وردود أفعال الملك والسراى.

ومن جهة أخرى فقط اشترط الملك فاروق للإفراج عن السادات أن يكون عضواً في الحرس الحديدى - تنظيمه الخاص الذى يقوم بالعديد من المهام. وكان السادات وقتها لا يزال مسجوناً بتهمة الاشتراك في اغتيال أمين عثمان باشا رجل الإنجليز في مصر!

البحث عن القائد!!

كان ما يقلق بال جمال عبد الناصر زعيم الضباط الأحرار من الذى سيتصدر الثورة بمجرد نجاحها ويكون واجهتها الناضجة. وأنه يجب أن يكون على رأس الثورة رجل لا يقل عن رتبة لواء.. فقد كان معظم أعضاء الهيئة التأسيسية تتراوح رتبهم بين البكباشي (مقدم) والصاغ (رائد). كذلك فقد كانوا شبانا صغيرى السن. كان جمال عبد الناصر والسادات وحسين الشافعى وجمال سالم وزكريا محيى الدين من مواليد سنة ١٩١٨ أى أن كلاً منهم كان عمره فى عام ١٩٥٢ حوالى ٣٤ سنة بينما عبد الحكيم عامر أصغر منهم بعام و«خالد محيى الدين وكمال الدين حسين» عمر كل منهم ثلاثين سنة. أما باقى الضباط

الأحـرار فلم يكن يزيد عـمـر أى منا على الـ ٢٧ سنة مـثـلاً، وهكذا وجـد عبدالناصر نفسه يبحث عن زعيم للثورة، وثارت اعتراضات كثيرة على عبد الناصر وطالبته بأن يصبح هو نفسه زعيم الثورة، وكان عبد الناصر يقول إننا شعب عاطفى يحترم السن والرتبة ولن يحترم ثورة يقودها مجموعة أولاد.

وهكذا تم الاتفاق على شخص اللواء محمد نجيب.. بعد أن رفض اللواء أحمد فؤاد صادق الفكرة.

كان نجيب ضابطاً شجاعاً محبوباً في الجيش. شارك فى حرب فلسطين حيث تعرف على عبد الحكيم عامر الذى كان أركان حربه أثناء الحرب.. وتوطدت العلاقة بين الاثنين.. وعندما جرت انتخابات نادى الضباط فى يناير ١٩٥٢ قرر الضباط تحدى الملك فاروق، وخاض نجيب المعركة وكسبها وخسر مرشح الملك.

وعبد الحكيم عامر للتاريخ هو الذى رشح محمد نجيب لعبد الناصر لكى يتولى رئاسة الثورة ويتصدرها للرأى العام.

وفجأة تقرر عقد اجتماع طارئ فى منزل الزميل «محمد عبد العزيز هندى» عصر يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢، حضر هذا الاجتماع كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وشمس بدران وحسين عرفة. وأنا وأحمد أنور وكمال رفعت ومحمود الإتربى.

فى هذا الاجتماع ناقش عبد الناصر تطور الأحداث الأخيرة الخاصة بحل نادى الضباط قبل ذلك بيوم، وتعيين مجلس إدارة جديد.. وكان رأى جمال عبد الناصر البدء فوراً فى تنفيذ خطة الاغتيالات السياسية. وصدرت الأوامر لكل الضباط الأحرار بأن يظلوا فى وحداتهم أو بيوتهم فى حالة تأهب انتظاراً لصدور أية تعليمات!

٤

اغتيال فاروق فى حالة فشل الثورة !

لا حل إلا الاغتيالات السياسية !

هكذا تم الاتفاق فى آخر اجتماع حضرناه، بعد أن علمنا أن سلاح الفرسان لم ينضم منه عدد كاف للضباط الأحرار. وكانت تعليمات جمال عبد الناصر لنا أن نلزم بيوتنا لا نغادرها فى انتظار أية أوامر أو تحسباً لأية مفاجآت !

كان ذلك قبل قيام الثورة فعلاً بحوالى سبعة أو ستة أيام، وخرجنا من هذا الاجتماع ونحن غير مقتنعين بالمرة بحكاية عمل الاغتيالات السياسية، ولزمنا بيوتنا، ولم يتصل بى أحد، ولا أحد يعرف ما هى الخطوة القادمة؟ ! ومتى ستحدث ؟ !

وانتابنى الزهق من هذا الوضع. فقد لزمت بيتى بلا عمل وبلا معنى، وفجأة أخذت سيارتى الجيب ونزلت الشارع.. وبينما أنا سائر فى شارع الخليفة المأمون متوجهاً إلى مقر وحدتى، إذ بى أفاجأ بعربة جيب تحاول اللحاق به ويطلق سائقها كلاكسات مستمرة للفت نظرى. ولم أصدق عينى وأنا أرى عبد الناصر بنفسه هو الذى كان يتتبعنى. أوقفت السيارة.. وطلب منى عبد الناصر ترك عربتى وأن أركب سيارته بسرعة.

ولحظتها قال لى: إن اللواء سعد الدين صبور قائد سلاح الفرسان يتتبعنا بعربته ولاحظت أن الرجل فعلاً يطيل النظر ناحيتنا بشكل يثير الريبة..

وفجأة قال لى عبد الناصر بهدوء أعصاب شديدة: العملية الكبيرة الليلة.. المطلوب منك الآن تذهب لبيتك، وتقابلنى فى بيت محمد نصير الساعة اتنين.. ودلوقتى الساعة عشرة صباحاً ويدوب تلحق تمشى !

وسألته: والاغتيالات السياسية؟

قال: لغيناها، وانضم لنا من سلاح الفرسان حوالى ٢٥ ضابطاً وبكده لم تعد هناك مشكلة فى موعد التحرك !

وجدت نفسي احتضن عبد الناصر من شدة الفرحة والمفاجأة.. ثم تركت عبد الناصر وعدت لسيارتي الجيب وذهبت إلى «جمال حماد» في مكتبه وقلت له: - اليوم سينفذ العمل الكبير!

كانت معرفتي بجمال حماد تعود إلى أيام انتخابات نادي الضباط، وكان أحد الفائزين فيها.. وقال لي جمال حماد: إن اللواء أحمد شوقي زار اللواء محمد نجيب وقال له: إذا كنت ستقوم بأي حركة ضد النظام فأنا معاك من إيدك اليمين لإيديك الشمال.

واقترحت على جمال حماد أن نذهب لإبلاغ كلام أحمد شوقي لمحمد نجيب الى عبد الحكيم عامر، رغم معرفتي بأن أحمد شوقي هو قائد الكتيبة ١٣ التي ستنفذ الثورة.

وذهبت أنا وجمال حماد إلى عبد الحكيم عامر الذي كان يسكن وقتها خلف مستشفى دار الشفاء بالعباسية. وكان عبد الحكيم عامر مجتمعاً بثروت عكاشة وقدمت له جمال حماد ولم يكن قد رآه قبل ذلك.

وفيما بعد (عقب نجاح الثورة) علمت من عبد الحكيم عامر أن ثروت عكاشة تضايق واحتج عندما فوجئ باصطحابي لجمال حماد وقال لعبد الحكيم إزاي جمال القاضي يأتي ومعه واحد نراه لأول مرة، فرد عبد الحكيم على ثروت عكاشة قائلاً:

نحن نثق في جمال القاضي ثقة مطلقة، وبالتالي فإن أي إنسان سيأتي عن طريقه سيكون محل ثقة أيضاً.

المهم أن جمال حماد روى لعبد الحكيم عامر ما سبق أن سمعه من أحمد شوقي بشأن وقوفه مع أي عمل سيقوم به اللواء نجيب ضد الملك فاروق ولما انتهى جمال حماد من كلامه قلت لعبد الحكيم عامر على انفراد: أظن دلوقتي لابد من ضرورة ضم أحمد شوقي للضباط الأحرار فقال: سأتكلم مع عبدالناصر في هذا الأمر!

وفي تمام الساعة الثانية بعد الظهر ذهبت الى منزل محمد نصير وكان معي جمال حماد وبعد ذلك بربع ساعة وصل جمال عبد الناصر وعامر، وأبلغنا

عبدالناصر بأن الحركة سيتأجل قيامها ٢٤ ساعة حتى تصل الأوامر إلى الضباط الأحرار في لعريش من خلال حسن إبراهيم إلى جمال سالم قائد مطار العريش وأنور السادات في رفح ثم حكى عبد الحكيم لعبد الناصر ما جرى بشأن أحمد شوقي واستعداده لعمل أى شيء. وهنا قلت لعبد الناصر: ما رأيك يا أفندم لو اتصلنا بأحمد شوقي وأبلغناه بموعد تنفيذ العملية، وعندما يقود الكتيبة ١٣ سيبدو الأمر بالنسبة لجنوده كما لو كانوا يقومون بمناورة عادية فلا يثير تحركهم الريبة.. ومن جهتي فأنا أضمن أحمد شوقي وأعرفه عن قرب لصلة عائلية كما عملت معه في الكتيبة الرابعة مشاه. وقال لى عبد الناصر: لنترك هذا الموضوع حتى الغد وستعرف قرارى النهائي فيه! ولكن من حيث المبدأ ليس لى اعتراض عليه سوى أنه قريب حكمدار القاهرة (مدير الأمن) أحمد طلعت وأخشى أنه يفضفض أمامه بشيء قد يعرضنا للخطر فهو بطبعه إنسان مغامر. وهنا طمأنت عبد الناصر من ناحية أحمد شوقي، وقمت لأطلبه في منزله بالتليفون.. وقلت له: احنا جايين نزورك بكرة يا أحمد فسألنى «أنتم مين يا جمال»؟ فقلت: أنا ومجموعة من حبايبك وأنت كمان بتحبهم من غير ما تعرفهم.. واتفقنا على الموعد! وأبلغت عبد الناصر بحوارى مع أحمد شوقي. ثم شرح لنا عبد الناصر ما سوف نقوم به وأن يقوم كل منا بإبلاغ ضباط خليته بأن يكونوا جاهزين تماماً خلال الساعات القادمة وعلى أهبة الاستعداد. وانصرف كل منا إلى حال سبيله!

وقمت بالمرور على الضباط الأحرار الذين تتشكل منهم خليتي وأبلغتهم بأن يكونوا في حالة تأهب قصوى، وأن يتواجد كل منهم في وحدته ابتداء من الساعة الثامنة مساء الغد الثلاثاء لتلقي الأوامر التي ستصلهم!

صباح يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو استيقظت من نومي وكان أول ما فعلته أن بدأت أطالع صحيفة المصرى الصادرة في ذلك اليوم.. وكان العنوان الرئيسي لها يقول: الهلالي باشا يؤلف وزارته الثانية وجلالة الملك يتقبل استقالة وزارة رفعة «حسين سرى باشا».

التعليمات الأخيرة!

كان الوقت يمر بطيئاً جداً. وبعد الظهر حوالى الساعة الرابعة عصراً قابلت أنا وجمال حماد عبد الناصر وكان معه عبد الحكيم عامر وذهبنا إلى منزل أحمد

شوقي، وبمجرد أن فتح لنا الباب ورأى عبد الناصر قال على الفور: أنا كنت متأكد أنك جاى من غير جمال القاضى ما يقولِ لى: ولما دخلنا الصالون حكى عبد الناصر له عن تنفيذ العملية، ورحبَ أحمد شوقى قائلاً: أنا وابنى (كان لسه خريج جديد) تحت أمركم.. ثم بدأ يسأل أسئلة غريبة منها: من أقدم رتبة بينكم، وهل أنا أقدم منه أم لا. وهنا قلت له: جناب البكباشي جمال عبدالناصر هو أقدم رتبة، وسكت ولم يعلق، وأذكر أنه قام لكي يرتدى ثيابه وهمس عبد الناصر في أذني قائلاً: أحمد شوقى مسئوليتك الشخصية من الآن يا قاضى، فلا تتركه ثانية واحدة بعيداً عن نظرك ولا تنس للحظة أنه قريب لحكمدار القاهرة، وقلت لعبد الناصر: أطمئن تماماً ولو شكيت للحظة فيه فلن يكلفنى الأمر سوى رصاصة من مسدسي وينتهى الأمر!

وكانت معرفتي بأحمد شوقى تعود الى فترة سابقة فقد كان «قومنداني» -قائد ثاني الكتيبة الرابعة بنادق مشاه.. كما كان يسكن معى فى نفس لوكاندة الليدو بمرسى مطروح، وكنا نتزاور عائلياً. باختصار كنت أثق فيه ثقة مطلقة.

وفى تلك المقابلة قال عبد الناصر لأحمد شوقى: إن محمد نجيب في الضباط الأحرار، بل يوجد حوالى ١٩ من أفراد كتيبتك ينضمون للضباط الأحرار، ومن بينهم صلاح سعده وصلاح نصر وجمال القاضى نفسه. وهنا ضحك أحمد شوقى وقال لعبد الناصر: يعنى كل هؤلاء فى الضباط الأحرار وأنا لا أعلم.

وبعد لحظات جاء أحمد شوقى وأمرنا عبد الناصر بأن نذهب إلى بيت «صلاح سعده» فى المنيل ونتقابل هناك لأخذ أمر العمليات.. ذهب عبد الناصر وعامر أولاً ثم ذهبت أنا وجمال حماد فى عربة أحمد شوقى! أصاب الوجوم والذعر الضباط الذين كانوا فى منزل صلاح سعدة بمجرد رؤيتهم لأحمد شوقى، فقد تصوروا أنه قادم لإلقاء القبض عليهم، وتوتر الموقف، وقال عبد الناصر بسرعة: ما تخافوش القائمقام أحمد شوقى انضم للضباط الأحرار اليوم!! وكانت سعادة الضباط الأحرار غامرة لسماعهم هذا النبأ.

وحول ترابيزة السفرة جلسنا جميعاً نحن ضباط الكتيبة ١٣ الذين سينفذون مهمتهم فى نفس الليلة ابتداء من الساعة الثامنة مساء. كان موجوداً

بالطبع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وصلاح نصر وصلاح سعدة وأحمد شوقي.

وبدأ زكريا محيي الدين في توزيع الأدوار الخاصة بنا. وكان من نصيبي احتلال الإذاعة. وأذكر أنني طلبت أن أذهب للاستيلاء على رئاسة الجيش، ولكن عبد الناصر رفض ذلك تماماً وقال لي بحسم: اسكت خالص يا جمال.. أحنا اخترناك بالذات للإذاعة وشرح لي عبد الناصر أهمية الاستيلاء على الإذاعة وخطورة هذا العمل، حيث إن الدنيا كلها ستعرف بخبر قيام الثورة من الإذاعة، وأي تقصير أو فشل في هذه العملية فلن تنجح الثورة. وكان أحد الاحتياطات التي عرفناها من عبد الناصر أنه أصدر أمراً واضحاً إلى حسين عرفة عضو الضباط الأحرار وأحد أفراد حرس الملك بأنه في حالة فشل الثورة فسوف يطلق الرصاص على الملك فاروق.

وقبل أن ننهض للانصراف أمسكني عبد الناصر من ذراعي وهو يقول لي: الإذاعة محاصرة بالبوليس والمسألة مش هزار.. الإذاعة في كفة وحياتنا في كفة يا جمال! وقبل أن ننصرف من بيت صلاح سعدة همس في أذني: خلي بالك من أحمد شوقي أوعى يروح كده ولا كده..

احتلال الاذاعة!

حتى هذه اللحظة كنت مازلت أرتدي ملابس المدنية، فكان لابد من الذهاب لبيتي لأرتدي لملابس العسكرية، أصطحبت أحمد شوقي معي في السيارة الجيب، وهمست في أذن السائق بوضوح شديد قائلاً: لو بدر شيء من ذلك الجالس معنا أثناء وجودي بالمنزل لتغيير هدومي، لا تتردد في إطلاق النار عليه في الحال! وبلغ من فزع ورعب السائق أن أحمد شوقي طلب منه أن يشتري علبة سجائر فمنعه السائق من ذلك ونادى على بواب العمارة وطلب منه شراء السجائر. المهم بعد أن صعدت إلى شقتي وغيرت ملابسي.. ذهبت لحجرة أولادي كما لو كنت أودعهم. وللحظات تسلل الخوف إلى قلبي، وخشيت أن أتردد أو تتخلى الشجاعة عني، فأسرعت ناحية الباب أعدو ولم أنتظر حتى يجيء الأسانسير، بل هبطت من الطابق الخامس حتى الأول وأنا أعدو وأقفز فوق السلالم قفزاً، ولم أنس أبداً نظرة زوجتي لي وهي تراني أضع «الطبنجة» داخل

ملابسي والانزعاج بادياً على وجهها ثم تسألني: أنت رايح فين يا جمال؟ وقلت لها: مأمورية!!

كان أحمد شوقي جالساً بجوار السائق الذى هدأ روعه بمجرد أن رآنى، ثم اتجهنا ناحية شارع سليمان باشا ثم قصر النيل، وذهبنا لمعاينة الإذاعة ووجدت العساكر يحيطون بها من كل جانب.. وربما من شدة التوتر أحسسنا بالجوع فجأة.. وتوقفنا أمام مطعم سفير بمصر الجديدة وتناولنا بضعة سندوتشات!!

وعندما وصلنا الكتيبة ١٣ فى قشلاق العباسية ووجدت فى انتظارى اليوزباشي «حمزة البسيونى» وكانت هذه أول مرة آراه فيها، ولكن صلاح نصر مدير عمليات الكتيبة ١٣ كان قد كلمنى عنه وأوضح لى أنه سوف يسلمنى عربات اللورى التى سأنقل فيها أفراد الكتيبة. وتسلمت من حمزة البسيونى عربة وأذكر أنه نادى على سائقها وقال له: أن يتحرك طبقاً لتعليماتى، ثم ذهبت إلى «ميز» الضباط ووجدت صلاح نصر ينتظرنى قائلاً: اذهب حالاً الى السوارى لتستلم عربيتين «ستاج هاون» ووجدت الصاغ ثروت عكاشة، وبعد أن أديت التحية العسكرية له أمر الملازم أول «أحمد المصرى» من سلاح الفرسان بتجهيز العربيتين المطلوبتين، ثم ذهبنا بعدها إلى صلاح نصر وقدمت له أحمد المصرى. ثم استدعى قائد الفصيلة التى ستصحبنى فى المهمة واسمه «الشناوى». وبذلك اكتملت القوة التى أنيط بها احتلال الإذاعة وكان توقيتها الثالثة صباح ٢٣ يوليو!!

وبدأنا التحرك وأثناء مرورنا على قسم القاهرة، وجدت أحمد أنور الذى كان مكلفاً باحتلاله واقفاً خارج القسم وأشار لنا وهو يرفع بأصابعه علامة النصر قائلاً: ربنا معاكم، وسرعان ما خرجنا من بوابة قشلاقيات العباسية، وأثناء سيرنا فوجئت باثنين من عساكر البوليس الحربى من راكبى الموتسيكلات يسيران بجوار القوة التى أرأسها وكان واضحاً أنهما يحاولان معرفة ماذا يجرى.. فلما وصلنا إلى قشلاق باب الحديد، فوجئنا بهما وقد تركونا ودخلا إلى إدارة البوليس الحربى، بالطبع لكى يبلغا عن حركتنا.

وعندما وصلنا شارع علوى حيث توجد الإذاعة كانت قوات البوليس تحاصرها.. وفوجئوا طبعاً بهذه القوات القادمة، وتقدم نحوى ضابط بوليس

برتبة قائمقام اسمه «السيد عارف» يسألني: ماذا يحدث؟! وبالصدفة فقد كنت أعرفه من قبل حيث كان أحد تلاميذ والذى هو أصلاً ضابط بوليس.

وقلت له: إحنا طوارئ!!

وانهدش وقال: بس أنا معنديش خبر بذلك!

وأضاف ضاحكاً: يعنى المصايب ما تجيش إلا من الحبايب يا سى جمال!!

فقلت له: لا مصايب ولا حاجة!! ده إحنا طوارئ لأننا سامعين أن الجيش هيعمل حاجة ولذلك جئنا نحرس مبنى الإذاعة!

ولم يكن هناك مفر من هذه الكذبة أو الخدعة.. ثم عاد يسألني وما هو المطلوب منى الآن؟ قلت أن تسحب قواتك من هنا فوراً، لأن الأوامر التى لدى قواتي أن تطلق النار فوراً على كل من يقترب من الإذاعة!!

وعاد يقول في ذعر: والمسئولية على مين؟!

قلت له: مفيش مسئولية.. وبكرة الصبح لن يوجد من يحاسبك وافهم ما تشاء!

وبالفعل أصدر السيد عارف الأوامر لعساكره بأن ينصرفوا ويبتعدوا تماماً عن الإذاعة حتى لا يصيبهم أذى!

وهكذا احتللنا مبنى الإذاعة الموجود فى شارع الشريفين. واكتشفت أن «ماركونى» موجود فى الطابق الأول، فكلفت أحمد المصرى وقواته أن يراقبه هو ومن معه، بينما صعدت الى الطابق الأعلى حيث أجهزة الإرسال. وكان موجوداً عدد كبير من العساكر لحراستها، وتم إبعادهم فوراً وسيطر رجالنا على الموقف تماماً. وانتشر رجالى فى كل أرجاء المبنى تحسباً لأية مفاجأة.

وأثناء ذلك وبينما كنت جالساً جاءني شاويش الفصيلة ممسكاً بأحد موظفي الإذاعة ولما سألت عنه قال إنه المهندس كمال مسعود المختص بوضع سكينة تشغيل الإذاعة، وفى الحال أمرته بأن يمارس مهمته، تحت تهديد السلاح بالطبع.

السادات في الإذاعة!

وبعد لحظات أتى العساكر بموظف آخر سألته عن اسمه فقال: اسمى «فهمى عمر» وعرفت منه أنه مذيع الصباح فى هذا اليوم وسألته عن المواد التى سيتم

إذاعتها ابتداء من الساعة السادسة والنصف صباحاً، فقال لي في البداية سنذيع موسيقى ثم تمرينات رياضية ثم القرآن الكريم للشيخ محمد مصطفى الشرقاوى ثم حديثاً دينياً، وعندما تكون الساعة السابعة والنصف ستعاد إذاعة مراسيم تأليف الوزارة وتليها نشرة الأخبار ثم غناء لمطربة اسمها مديحة عبد الحليم.

وقلت لفهمي عمر: إلغ الموسيقى والتمارين الرياضية وابدأ بإذاعة القرآن الكريم، وبعدها موسيقى عسكرية فقط لاغير!

اندهش فهمي عمر ولم يتكلم وازدادت دهشته، وأخيراً سألني: فيه إيه أفندم؟!

قلت بحسم: حالة طوارئ!

وتحولت دهشته إلى وجوم وعاد ليسأل: طوارئ ليه؟

كانت نبرات صوته الصعيدية تعكس الصدق والرجولة والوطنية فهمست في أذنه قائلاً: إحنا في حالة ثورة! وفوجئت به يقفز من الفرح ويعانقني قائلاً: ينصر دينكم يا شيخ!! ثم عاد يسألني وبعد الموسيقى العسكرية هنعمل إيه؟! قلت سيذاع بيان هام.

وفي تلك اللحظات وصل أنور السادات وكانت الساعة حوالي السادسة والنصف صباحاً وقابلني، وقال لي: أنا جاهز بالبيان اللي هيتذاع! وقلت له واحنا جاهزين لإذاعته!! وفوجئت بعد لحظات بفهمي عمر يأتي مهرولاً ليقول لي: حدث عطل في الإذاعة بعد إذاعة القرآن ومفيش إرسال!

وسألته بفزع: إزاي؟! قال جايز يكون العطل من محطة أبو زعبل أو التليفونات نفسها!! وبطبيعة الحال فلم يكن عندي أي فكرة عن حكاية الجبل الأصفر أو التليفونات! وفجأة وصل مجدي حسنين وأخبرته بالمشكلة بأن يذهب فوراً للجبل الأصفر وكان المفروض أنهم احتلوه أيضاً ليعرف ما هي مشكلة عدم الإذاعة، وفوجئت به يقول لي إنهم لسه لم يحتلوا الجبل الأصفر!! وصرخت من الفزع قائلاً: يا نهار أسود ده الإذاعة مش طالعة!

وبادر مجدي حسنين بالاتصال تليفونياً وعلم أنه تم الاستيلاء فعلاً على الإذاعة وأنها بدأت تشتغل وقد عاد الإرسال. وخلال النصف ساعة التي تعطلت فيها الإذاعة كان «على خليل» وكيل الإذاعة وقتها قد أعطى أوامره للموظفين

بأن يغلقوا الخطوط فلا يخرج صوت الإذاعة، وعندما علمت بذلك قبضت عليه ووضعته فى الأزبكية عند اللواء عبد الواحد عمار.

وأذيع البيان الأول لثورة ٢٣ يوليو بصوت أنور السادات ولكن لم يسجل فى وقتها بسبب غياب المسئولين عن التسجيل بالإذاعة فى هذا الوقت المبكر، ولكن فى حوالى الساعة العاشرة صباحاً تم تسجيل البيان بصوت اللواء محمد نجيب وكان قد حضر الى مبنى الإذاعة بعد جولة قام بها فى أنحاء العاصمة وسط حماس الناس الجنوني.

ومن الأمور الغريبة التى حدثت فى ذلك اليوم، بسبب عدم تسجيل البيان بصوت السادات وذلك لإذاعته عدة مرات حتى يتسنى لكل الناس معرفة قيام الثورة.. فقد كلفت المرحوم الصاغ محيى الدين عبد الرحمن خلف الله بقراءة البيان، وكان قد أرسله عبد الحكيم عامر على رأس تروب دبابات وسرية من اللواء الثالث مشاه لتعزيز القوة التى كانت معى، ولكن الرجل قرأ البيان بصورة تدعو للرثاء، ولم تكن الأمور قد استقرت بعد، وحتى لا أحرج أحداً من المذيعين كلفت أحمد المصرى بقراءته أيضاً كما تولى قراءته المذيعان صلاح زكى وجلال معوض حتى تم تسجيل البيان كما ذكرت بصوت اللواء نجيب. وظل يذاع كل ربع ساعة تقريباً طوال اليوم!

مكتب في الإذاعة!

وابتداء من يوم ٢٣ يوليو أصبح لى مكتب دائم فى مبنى الإذاعة، وبدأ رجال الإذاعة يأتون إلى مكتبى ويسألون ويستفسرون عن الأوضاع الجديدة. وكان أكثر الأسئلة إلحاحاً منهم هو: ما هو مصير الملك فاروق؟! وكانت تعليمات عبدالناصر لى حتى ذلك الوقت أن أقول لهم: إن الملك فاروق رجل كويس.. إنما الحاشية التى حوله هى الفاسدة وتتصرف تصرفات فاسدة وسيئة، ولم يكن أحد فى مصر كلها يعلم على وجه اليقين ما هو مصير الملك فاروق، وكان لا يزال فى قصره بالاسكندرية. وكان من رأى المرحوم جمال سالم إعدام الملك بعد محاكمته، ولكن جمال عبد الناصر رفض هذه الفكرة تماماً.

كان معى فى الإذاعة زميلاى المرحومان محمد عبد العزيز هندى ومحمود الإتربى (من الضباط الأحرار) ولاحظت أنهما يتباسطان مع موظفى الإذاعة

والمسئولين بها. وأبلغت جمال عبد الناصر بذلك، فطلب مني عقد اجتماع عاجل بكبار موظفي ومسئولي الإذاعة وإفهامهم أن المسئول الأوحد عن كل ما يجرى داخل الإذعة هو جمال القاضي. وسيقوم هو من ناحيته بتبليغ ذلك لكل من هندى والإتربى.. وفعلاً عقدت ذلك الاجتماع ولم يستغرق سوى دقائق وكان بحضور زميليّ، وأبلغتهم أن الاعتقال سيكون الرد الفورى لمن يخالف تعليماتي!

واتصل بي جمال عبد الناصر من مقر القيادة ليطمئن على سير الأحوال في مبنى الإذاعة، ويحذرني من أى غلطة، وألا يذاع أى سطر أو كلمة إلا بعد أن أقرأها جيداً وأطمئن أنها صادرة عن الثورة! وأن نستبعد كل الأغاني التي يرد فيها اسم الملك!!

واقتصر الغناء الذى يذاع من الراديو على الأغنيات العاطفية لمطربي ومطربات تلك الأيام مثل عبد الوهاب وأم كلثوم وكارم محمود وفتحية أحمد ونادرة وعبد المطلب ومحمد فوزى، وكذلك أغاني لأسماء جديدة هاوية سيصبح لها شأن فيما بعد مثل الشاب عبد الحليم حافظ وفايدة كامل!!

ولم أغادر مكتبي لساعة واحدة، كنت أقيم به ساعات اليوم كله، ولم أكن أنام أكثر من أربع ساعات في اليوم.. وصباح يوم السبت ٢٦ يوليو فوجئت بالتليفون يدق.. وإذا بالمتحدث هو جمال عبد الناصر ويقول لي ضاحكاً في التليفون: أنت لسه نايم يا قاضي؟! وقلت له: أبداً يا فندم.. وقال لي: تعال حالاً لأمر خطير جداً! بطبيعة الحال انزعجت فقلت: خير يا أفندم! قال: تعال حالاً. وذهبت فوراً إلى مقر القيادة وعشرات الأسئلة تدور في رأسي وأنا في حيرة كاملة من هذا الاستدعاء المفاجئ لي. وصلت مبنى القيادة وقابلت جمال عبد الناصر الذى لاحظ حيرتي وتوترى فقال لي مبتسماً: أهلا يا قاضي.. أقعد! وقلت له: فيه إيه يا فندم؟!

لم يرد على سؤالي وفتح درج مكتبه وأخرج ورقة واحدة مكتوبة بخطه وأعطاها لي قائلا: هذه الورقة تتضمن بيان عزل فاروق وخروجه نهائياً عن مصر، وتنازله عن العرش لولى العهد الأمير أحمد فؤاد! «وإذاعة هذا البيان مسئوليتك الشخصية الكاملة، ولا أريد أى مخلوق يعرف عنه شيئاً حتى يذاع في الإذاعة الساعة السادسة مساء، وهو نفس الوقت الذى سيكون فيه فاروق قد بدأ في مغادرة ميناء الاسكندرية»!!

لم أتمالك نفسي من الفرحة الطاغية، واحتضنت جمال عبد الناصر ثم طويت البيان ووضعته في جيبي، ولم ينس عبد الناصر أن يقول لي وأنا أصافحه: لو حد عرف حرف من كلام البيان رقبتك هتكون التمن يا جمال!

المهم عدت للإذاعة بسرعة.. وانتهت الفترة الأولى من إرسال الإذاعة في الساعة الثالثة والربع، وبدأت الفترة المسائية في حوالي الخامسة.. واستدعيت جلال معوض مذيع الفترة المسائية إلى مكتبي، ثم أغلقت الباب بالمفتاح، وأندهش جلال لما فعلته وربما تصور أنني أعتقلته لخطأ ما. ثم أخرجت البيان من جيبي وأعطيته له قائلاً: خذ أقرأ هذه الورقة!

وفي دهشة كاملة بدأ جلال معوض يقرأ كلمات بيان تنازل الملك عن العرش، وكاد أن يقع من طوله نهول المفاجأة. وقلت له: لن تخرج من هنا إلا في الساعة السادسة إلا خمسة لكي تقرأ هذا البيان على الهواء مباشرة! ولن أتركك ثانية واحدة!

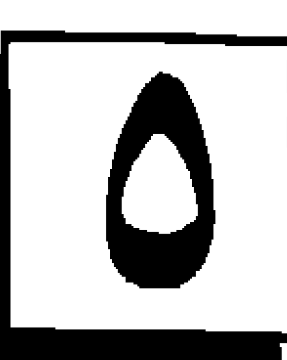
وسلم جلال معوض أمره لله وجلس يقرأ البيان عشرات المرات، وفي حوالي الساعة السادسة إلا عشر، نهضنا معاً وتوجهنا سوياً إلى الاستديو. وقبل إلقاء البيان كانت قد أذيعت مقطوعة موسيقية تتناسب مع أهمية البيان، ثم بدأ جلال معوض ينوه ويلفت انتباه المستمعين إلى أن ثمة بياناً مهماً سوف يذاع خلال دقائق!

وعندما أعلنت الساعة تمام السادسة كان جلال معوض يقرأ بصوته المميز والعميق أخطر قرار في تاريخ مصر وهو تنازل الملك فاروق عن العرش ومغادرته أرض مصر على الباخرة «المحروسة»!

وأذيع البيان عدة مرات بعد ذلك.. وعرفت مصر والعالم كله بخبر خروج الملك! ولم ينم أحد طوال تلك الليلة من الفرحة التي اجتاحتنا..

وصباح يوم الأحد الموافق ٢٧ يوليو وبينما كنت جالساً في مكتبي أدير شئون الإذاعة وكنت استمع لبرامج الراديو، وإذا بي أسمع أغنية السيدة أم كلثوم «التي كانت تغنيها للملك السابق وتقول فيها» في حمى الفاروق!!

واندهشت جداً.. ماذا جرى؟ هل استولى رجال الملك على الإذاعة؟ هل عاد فاروق من الخارج؟ كل هذه الأسئلة راودتني ولا يزال الراديو يذيع الأغنية: في حمى الفاروق!!



أم كلثوم ونعيمة عاكف وازمة مع محمد نجيب!

لم تنم مصر كلها ليلة خروج الملك «فاروق» وتنازله عن العرش!!

ووسط ذلك الفرح كله، وبينما الإذاعة مستمرة في إذاعة بيانات خروج الملك، أفاجأ بالراديو يذيع اغنية أم كلثوم «في حمى الفاروق»!! واستولت الدهشة على عقلي!! وطاردتني التساؤلات.. ماذا جرى بالضبط؟ هل عاد الملك ثانية؟! هل أعاده الإنجليز بالقوة؟! هل فشلت الثورة؟!

وفجأة رن جرس تليفون مكتبي، وبين القلق والحيرة أمسكت بالسماعة.. يجئ صوت «جمال عبد الناصر» بحزم شديد وغضب أشد: في حمى فاروق إيه يا جمال!! إيه حكاية أغنية أم كلثوم في حمى الفاروق!!.

وبلعت ريقي بعد انتهاء مكالمة «عبد الناصر»، واستدعيت على الفور المذيع المسئول وكان «صلاح ذكي» واستفسرت منه عن سر إذاعة هذه الأغنية! وشرح لي «صلاح زكي» أنه خطأ غير متعمد على الإطلاق، فبسبب السرعة والقلق لم يقرأ المختص البيانات المسجلة على الإسطوانة المذاعة.. ونبهت عليه بأن أي خطأ قادم سيكلف صاحبه حياته، وبسبب هذه الأغنية تم فرز جميع الأغاني وتم استبعاد كل ما كان يمجد في الملك السابق!!.

ومن الطريف أن إحدى الصحف الصباحية وقتها وهي «الأساس» نشرت في برنامج الراديو أن إحدى الفقرات المذاعة يوم ٢٧ يوليو ٥٢ ستكون نشيد الفاروق!!.

وجاءني كل من فهمي عمر وجلال معوض وقالا لي إن الأستاذ «محمد فتحي» مدير الإذاعة موقوف عن العمل بأمر من السراي.. ولابد من عودته لأنه رجل وطني، وتحدثت مع سويتش الإذاعة طالباً توصيلي بالأستاذ «محمد فتحي» في الحال وأبلغته بأن يأتي لتسلم عمله في الإذاعة فوراً!!

أزمة بسبب أم كلثوم

لم يستمر بقائى فى الإذاعة سوى ثمانية أيام وبعدها زارنى فى مكتبى «أحمد أنور» الذى تولى رئاسة البوليس الحربى وأبلغنى أن جمال عبد الناصر اختارنى للعمل في البوليس الحربى، وقبل أن أمضى مع ذكرياتى فى البوليس الحربى لا أنسى أبداً أثناء وجودى فى الإذاعة مشكلة حدثت بسبب السيدة «أم كلثوم» وتسببت فى فتور العلاقة بين «محمد نجيب» و«جمال عبد الناصر».

كانت الإذاعة المصرية فى ذلك الوقت تعتمد اعتماداً كبيراً على إذاعة أغانى أم كلثوم وعبد الوهاب، وخاصة أغانى أفلامهما الغنائية ذائعة الصيت مثل سلامة، وفاطمة لأم كلثوم، ويحيا الحب، والوردة البيضاء، ورصاصة فى القلب لمحمد عبد الوهاب، ورغم أن الإذاعة كانت تذيع لآخرين مثل ليلى مراد و«كارم محمود» و«عبد العزيز محمود» و«شهرزاد» «وسعاد مكاوى» و«إبراهيم الحجار»، إلا أن أعلى أجر كان يتقاضاه «أم كلثوم» و«عبد الوهاب» مما كان يسبب مشكلة مالية كبيرة للإذاعة!!.

ومن الطريف أن أم كلثوم كانت تتقاضى ثمانين جنيهاً مقابل إذاعة أغانى الفيلم الواحد، وكذلك «عبد الوهاب»، أما الأغانى الأخرى لكل منهما فكانت تحسب بالدقيقة، وكانت أم كلثوم تتقاضى ستة وستين قرشاً وستة مليمات عن الدقيقة الواحدة! ولكنها كانت تعنى أموالا طائلة فى نهاية الأمر، إذا حسبنا آلاف الدقائق التى تذاع لأغانيها!! وتحدث معى الأستاذ محمد فتحى بشأن هذه المشكلة واتصل بى تليفونيا ليقول لى: أن أتصل بالسيدة أم كلثوم والأستاذ «عبد الوهاب» طالباً منهما أن يتنازلا عن حقيهما فى الأموال التى يتقاضيانها عن إذاعة أغانيهما، كمساهمة منهما فى الثورة والعهد الجديد!!

وعليك بكتابة هذا الأمر لمسئولى الإذاعة بألا يتم صرف أية مستحقات مالية لأم كلثوم وعبد الوهاب بعد ذلك!!

واتصلت بالاستاذ عبد الوهاب الذى كان فى الأسكندرية وقتها، ورحب جداً ووافق على إذاعة أغانيه مجاناً، بل إنه أهدى الإذاعة نشيداً وطنياً كان الملك فاروق يعترض على إذاعته.

ثم اتصلت بأم كلثوم وعرضت عليها الاقتراح الذى بلغنى به محمد فتحى وفوجئت بها تقول: أنتم الآن فى أيديكم القوة، وتقدروا تتصرفوا زى ما انتم عاوزين وأنا ليس لى رأى (!!!) واندهشت للهجة حديثها وعدت أسألها: معنى كلامك أنك موافقة على إذاعة أغانيك مجاناً فى الإذاعة؟! وسكتت ولم ترد.. واعتبرت أن سكوتها علامة رضا وموافقة، وأحضرت ورقة وكتبت فيها موافقة أم كلثوم وعبد الوهاب على الغناء مجاناً ثم أعطيتها للموظف المختص بعد توقيعى عليها.

وكتابتى لهذه العبارة: تذاع أشرطة وتسجيلات أم كلثوم وعبد الوهاب مجاناً بعد موافقتهما على ذلك تليفونياً!! واعتبرت الأمر منتهياً عند هذا الحد، ومضت الأيام والأسابيع والشهور وكان عبد الناصر قد أمر بذهابى إلى البوليس الحربى فى منصب «أركان حرب» وذات صباح فوجئت باللواء محمد نجيب يتصل بى تليفونيا قائلاً: أم كلثوم زعلانة جداً وثائرة وبتقول إنك أصدرت قراراً بوقف مستحقاتها المالية.. إيه الحكاية؟! واندهشت جداً..

فهذه حكاية مضى على حدوثها شهور، ثم إننى تركت الإذاعة ولم تعد لى صلة بها، وقلت لنجيب حقيقة القصة وفوجئت به وهو يشخط بصوت مرتفع: أم كلثوم لازم تدفعوا لها فلوسها الموقوفة حالاً!! ووجدت نفسى اقول لمحمد نجيب.. أنا لا أتلقى أوامر إلا من جناب البكباشى جمال عبد الناصر، وانتهت المكالمة عند هذا الحد.. وسرعان ما فوجئت بعبد الناصر يتصل بى تليفونياً قائلاً: أنت ليه مزرجن فى حكاية فلوس أم كلثوم وعبد الوهاب!! وشرحت له أصل القصة كما حدثت منذ شهور وكيف أن موافقة أم كلثوم وترحيب عبد الوهاب كانا وراء هذه المسألة، ولكن عبد الناصر عاد ليقول لى: ده محمد نجيب زعلان ومستاء منك جداً أنت عملت معاه إيه؟

فقلت لعبد الناصر: لم أفعل له شيئاً سوى أننى قلت له إننى لا أتلقى أوامر إلا من سيادتك!! ووجدت عبد الناصر يضحك قائلاً: أنت دايماً تجيب لى مشاكل ياجمال. كلمة حاضر مش بتكلف حاجة قول حاضر ياسيدى لنجيب ثم ابقى كلمنى ونتصرف!! ثم عاد عبد الناصر ليقول لى بهدوء شديد: ولا أحنا جايين عشان نأكل فلوس الناس ياجمال!!

انتهت المكالمة وارسلت للإذاعة كى يحضروا القرار السابق، لإلغاء التأشيرة التى تمنع أم كلثوم وعبد الوهاب من أخذ مستحقاتهما المالية ! وبعد يومين اثنين علمت أن السيدة أم كلثوم صرفت مستحقاتها عن تلك الشهور السابقة وسعدت بذلك، ولكن ظل محمد نجيب غاضباً ومستاء من حوارى معه متصوراً ان ذلك بإيعاز من عبد الناصر !!.

السادات فى وداع أم كلثوم

بعد أيام من تلك الواقعة فوجئت بالبوليس الحربى ينقلب رأساً على عقب، فقد فوجئنا بوجود أم كلثوم مع قريبها «محمد الدسوقى» طالبة مقابلتى.. وتصور البعض أنها أحد الذين تم اعتقالهم - ولم يكن ذلك صحيحاً بطبيعة الحال.. وبالتالى فما سر زيارتها، ولم تمر سوى دقائق إلا وأجد السيدة أم كلثوم تدخل مع محمد الدسوقى وتقول ضاحكة: هو أنت اللى «جمالك» ربنا يزيده !!

الحقيقة تضايقت من هزارها وسخريتها من اسمى، وقلت لها ببرود وبباوخة: أيوه يا أفندم أنا اليوزباشى جمال القاضى أركان حرب البوليس الحربى !! وقالت والابتسامة تملأ وجهها: انت بتحب تأكل فلوس الناس؟! قلت بنفس البرود: أنا مش بأكل فلوس الناس ولقد كلمتك فى التليفون وشرحت لك الموضوع بالكامل !.

جرى ذلك الحوار كله ونحن واقفون، وبذكائها الشديد قال لى: بقى المكتب مليان كراسى وما تقوليش اتفضلى !! فقلت لها: اتفضلى سيادتك !! وجلست أم كلثوم والدسوقى ثم عادت لتقول لى: ولكن من قال لك أننى وافقت على اقتراحك بعدم أخذ نقود من الإذاعة نظير إذاعة أغنياتى وساعتها أنا سكت ولم أنطق مش كده ولا إيه؟!

فقلت لأم كلثوم: وأنا اعتبرت سكوتك علامة رضا وقتها.. ولما وجدتها تضحك قلت لها: وعلى اية حال المشكلة اتحلت من يومين وسيادتك قبضت فلوسك !!.

فقالت ايوه ياسى جمال أنا جاية علشان اشكرك شخصياً !! وعدت أقول لها: أنا لم أكن موافقاً، ولكن اللواء نجيب والبكباشى عبد الناصر هما اللذان

طلبا منى ذلك !! ولم تغضب أم كلثوم أو تتضايق من صراحتى القاسية بل اخذت تضحك وتهزر واذكرانها باغتتني قائلة: على فكرة أنت ليه مكشر ومبوز على طول.. ما تفكها شوية! قلت لها: أهلاً وسهلاً بك فى مكتبى، وبالمناسبة أنا أحد المعجبين بفنك وايضا بمكانتك الغنائية!!.

فى تلك الأيام كانت الثورة تقيم سرادقا ضخماً فى ميدان التحرير وتدعو فيه الفنانين للغناء، وكان الشعب يحضر هذا الحفل مجاناً ليسمع غناء نجومه وفنانيه، وفى إحدى المرات تحدث جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر مع أم كلثوم على أن تغنى فى ميدان التحرير، ورحبت أم كلثوم بذلك تماماً ولكنها اشترطت شرطاً غريبا للغاية، إذ قالت لعبد الناصر: أنا موافقة أغنى فى ميدان التحرير علي شرط أن جمال القاضى ييجي ياخدنى من البيت يوصلنى بعربيته لميدان التحرير!! وضحك عبد الناصر وسكت.. وهنا قال عبد الحكيم عامر لها: بس كده.. حاضر ياست الكل!!.

وفوجئت بعبد الحكيم عامر يتصل بى صباحاً فى إدارة البوليس الحربى، وحكى لى على ما جرى مع أم كلثوم، وما طلبته!! وعلى الفور قلت له: بس أنا لن أوصل أم كلثوم.. وسألنى عبد الحكيم: ليه يا جمال فيها إيه؟! فقلت: لانها ببساطة عاوزة تنتقم منى وتذلنى علشان فلوسها بتاعة الإذاعة.

وهي تريد أن تقول للناس كلها إن جمال القاضى الذى يرافق عبد الناصر ونجيب فى كل تحركاتهما أصبح مجرد موصلاتى لأم كلثوم وده مستحيل تماماً!

وذهب عبد الحكيم عامر وأبلغ عبد الناصر بأننى مزرجن تماماً وغير موافق، وكلمنى عبد الناصر محاولا إقناعى بالذهاب إليها ورفضت أيضاً وقلت له سأبعث لها بمساعدى اليوزباشى فاروق ثروت، وفعلا ذهب إليها اليوزباشى فاروق ولكنها رفضت تماماً وقالت له: أنا مش رايحة اغنى إلا إذا جمال القاضى جه شخصياً وأخدنى لميدان التحرير!! فى نفس الوقت كنت قد ذهبت لميدان التحرير لأطمئن على النظام والاستقرار حيث كان جنود البوليس الحربى هم المكلفون بذلك، وفجأة وصلت أم كلثوم وعندما لمحتنى قالت لى: بقى ما تجيش تأخدنى!! على العموم أنا جيت علشان خاطر البكباشى جمال عبد الناصر!! وقلت لها: خلاص ياستى ما تزعليش بعد الحفلة أنا بنفسى هأوصلك!.

وسرعان ما أصبحنا أصدقاء، ونتزاور على المستوى العائلي، ولم تطلب منى شيئاً إلا ونفذته لها في الحال، واصبحت أم كلثوم من أقرب الناس إلى عقل وقلب جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وعندما سافرت أم كلثوم فى إبريل ١٩٥٣ إلى الولايات المتحدة للعلاج بعد إحساسها بالتعب الشديد فى أحد حفلاتها، أرسل عبد الناصر أنور السادات ليكون فى وداع أم كلثوم عند سفرها بل رافقها حتى باب الطائرة.

أزمة صلاح سالم ونعيمة عاكف

ومن مشكلة «أم كلثوم» إلى مشكلة أخرى أكثر إثارة وطرافة كانت بطلتها هذه المرة الفنانة «نعيمة عاكف» وكان الطرف الآخر هو «صلاح سالم» عضو مجلس قيادة الثورة!.

كان صلاح سالم يقود سيارته «الجيب» متجهاً إلى منشية البكرى، لحضور أحد الاجتماعات المهمة، وأثناء مروره فى ميدان باب الحديد، فوجئ بسيارة ملاكى يقودها رجل وتجلس فى الخلف سيدة حسناء، ولاحظ صلاح أن السيارة مسرعة وفجأة انحرفت السيارة واحتكت بسيارته بقوة، وتوقف صلاح سالم قائلاً للسواق: مش تحاسبوا ياجماعة!! وفوجئ صلاح بالسائق وهو يوجه إليه سيلا من الشتائم والسباب وانطلق بسيارته، فما كان من صلاح إلا أن انطلق وراءه بسرعة وظل يتعقبه إلى أن وصلوا إلى محل يملكه رجل اسمه الزعبلاوى من اشهر محلات اطقم الكراسى الحديدية فى مصر! ثم نزلت السيدة الحسناء ودخلت المحل، ونزل صلاح من سيارته ولحق بها وعاتبها على قلة ادب سائقها، وبدلا من اعتذارها له فوجئ بها تشتمه ايضا، وفقد صلاح اعصابه امام هذه الإهانة وضربها بالقلم على وجهها!.

وحتى هذه اللحظة لم تكن السيدة تعرف انها شتمت صلاح سالم، ولم يكن هو يعرف أنه ضرب اشهر ممثلة وراقصة مصرية وهى نعيمة عاكف!! وفوجئ صلاح بالسيدة وهى تحاول الإمساك به وضربه، والتفت كل الزبائن إلى هذه المشاجرة، وجاء صاحب المحل «الزعبلاوى» مسرعاً يحاول فك الاشتباك وهو يقول لها: هتودى نفسك فى داهية ده صلاح سالم بتاع الثورة ياست نعيمة!!

وانهارت نعيمة عاكف وبكت وحاول بعض الزبائن الاعتداء عليها بعد أن عرفوا شخصية صلاح سالم، وشخط صلاح في الناس وأمرهم بالانصراف!.

وانتحى صلاح جانبا واخذ التليفون الخاص بالمحل وسرعان ما اتصل بى تليفونيا ويكاد صوته ان ينفجر من الغضب والصراخ وحكى ما جرى له وختم المكالمة بقوله: أنا اتهنت والثورة اتهانت من هذه السيدة!! وأنا بأكلمك دلوقتى من عند محل «الزعبلاوى» المهم أننى هدأته وطيبت خاطره وقلت له: أنا جايلك حالاً.

وذهبت إليه في المحل وكان مازال يغلي وهدأته وقلت له: انس الموضوع خالص وأنا هاتصرف فيه!! ثم تركته وذهبت إلى ادارة البوليس الحربى، حيث اتصلت بأحمد أنور تليفونيا ورويت له ما جرى لصلاح سالم فقال لى أحمد أنور بالحرف الواحد: اتصرف بما يرضى صلاح سالم ياجمال!.

وفي اليوم التالى مباشرة ارسلت سيارة من البوليس الحربى بها اثنين عساكر من المباحث الجنائية (يرتدون ملابس مدنية) لإحضارها إلى البوليس الحربى، وأصدرت أوامرى بأن تأتى بمفردها. وعندما وصلت القوة إلى بيتها أراد زوج نعيمة عاكف وكان وقتها المخرج «حسين فوزى» «الحضور معها ولكن القوة رفضت ذلك بحزم، وبمجرد أن وصلت نعيمة إلى إدارة البوليس الحربى، وضعناها في حجرة رئيس المباحث الجنائية الذى كان فى مأمورية عمل ولن يحضر طوال اليوم، وظلت نعيمة عاكف جالسة وحدها فى الغرفة حوالى ساعتين تقريباً وكانت منهارة تماماً.

ثم دخلت عليها الحجرة وقلت لها: صباح الخير يامدام نعيمة! ومن وسط دموعها الغزيرة ردت: صباح النور ياسعادة البيه، والله ما كنت اعرف ان ده صلاح سالم! وقلت لها: حضرتك غلطت فى حق الصاغ صلاح سالم وده عضو مجلس قيادة الثورة وله سلطة السيادة وهو مصمم على تقديمك للمحاكمة، واحنا قاعدين نتحايل عليه مفيش داعى لكنه مصمم! وازداد بكاؤها وهى تقول: ياسعادة البيه ما يعرفك إل ما يجهلك أنا ماكنتش اعرف.. سواقى هو اللى شتمه.. فى الأول.. ولما سعاده البيه حاول يوقف عربيتنا ونزل ورايا عند محل الزعبلاوى افتكرته واحد قليل أدب جاى يعاكسنى ويضربنى وحصل اللى حصل!.

واثناء ذلك الحوار جاءنى عسكرى المراسلة وهمس فى اذنى بأن حسين فوزى زوج نعيمة عاكف بالخارج ويريد مقابلتى، فقلت للعسكرى قابله وفهمه انه لا يقلق والحكاية كلها مجرد كلمتين هنأخدهم من مراته ومش مسموح له بمقابلتها، وكلها ساعة وسوف نفرج عنها !!

وبعد أن خرج العسكرى قلت لنعيمة: إحنا هنسيب الموضوع شوية لغاية ما صلاح يهدى والمشكلة هتتحل بإذن الله! وسألتنى نعيمة: طب اقدر امشى دلوقتى فقلت: لا.. أنت هتفضلى عندنا شوية لغاية ما نشوف هنعمل إيه؟!

وخرجت من غرفتها واستدعيت «شاويش» وكلفته بحراستها ومنع دخول اى إنسان إليها، وكان هذا الشاويش مشهوراً بانه يطيع الأوامر بشكل صارم، ويقف «زنهار» لا يلتفت ناحية اليمين أو اليسار حتى لو اتهدت الدنيا من حوله، وحانت ساعة الغداء فأرسلنا لإحضار كباب من أبو شقرة (بعشرة قروش) وادخلنا إليها الكباب.. ورفضت أن تأكل، ياأفندم الست نازلة بكا وحالتها تصعب على الكافر ومش راضية تاكل!! وذهبت اليها وحاولت تهدئتها ورجوتها ان تأكل ولكنها رفضت تماماً!.

كانت الساعة قد اصبحت حوالى الرابعة بعد الظهر، وكان مجلس قيادة الثورة مجتمعاً فى الجزيرة، بكامل أعضائه وخطرت لى فكرة للخروج من هذا المأزق الغريب، حتى لا تتعقد المشكلة اكثر، فطلبت من نعيمة عاكف أن تكتب اعتذاراً لصلاح سالم وأذهب به إلى مقر اجتماع مجلس القيادة وربما يضغط اعضاء مجلس القيادة على صلاح فيتنازل عن فكرة المحاكمة، وفوجئت بها تقول لى انها لا تعرف الكتابة واندهشت طبعاً واقترحت عليها ان امسك يدها وتقول هى «صياغة الاعتذار» وأتولى أنا تحريك يدها إلى أن تنتهى من كتابة الاعتذار، وفعلا كان اعتذارها كالاتى:

«عزيزى صلاح بكل دقة فى قلبى وكل شعرة فى رمش عينى أنا باعتذر لك وبقولك أنا اسفة جداً وحقك علىّ وما تزعلش منى، ويابخت من قدر وعفى وسامح، والترضية اللى تؤمرنى بيها أنا تحت أمرك فيها، ومرة ثانية أنا باعتذر لك وحقك علىّ وارجوك ان تصفح عنى وتسامحنى».

لم أتمالك نفسى من الضحك ونعيمة عاكف تقول هذه العبارات، فلم تكن اعتذاراً بقدر ما كانت رسالة غرامية المهم، اخذت الورقة من نعيمة عاكف

وذهبت فوراً إلى الجزيرة حيث اجتماع مجلس القيادة وكانت هناك تعليمات للحرس بأن أدخل فوراً اى اجتماع للقيادة دون انتظار حتى ينتهى الاجتماع، وكان معروفاً دائماً اننى اذهب وبدون سابق إنذار فى حالات الكوارث

وكان المجلس مجتمعاً لمناقشة تقارير خاصة بمشروع لانتاج السمك فى قلب مزارع الارز بالوجه البحرى!!.

دخلت الاجتماع وكان جمال عبد الناصر يتصدره وكان عبد الحكيم عامر بجواره ثم جمال سالم ثم صلاح سالم، وبمجرد ان رآنى عبد الناصر سألنى على الفور: عملت إيه فى حكاية نعيمة عاكف! وبسرعة التفت صلاح سالم ناحيتى منتظراً ماذا سأقول؟! لكننى انحنيت على اذن عبد الناصر وبصوت اقرب إلى الهمس: نعيمة كاتبة اعتذار لصلاح ياريت سيادتك تعطيه له علشان يفرج عنها!! واندهش عبد الناصر قائلا: هى لسه محبوسة عندك؟ فقلت: ايوه يافندم.. فقال افرج عنها حالاً ياقاضى!! فقلت حاضر يافندم.. وادى جواب الاعتذار بتاعها!!.

بكل الجدية والاهتمام أخذ جمال عبد الناصر يقرأ الاعتذار وفجأة ضحك بشدة ضحكات صادرة من أعماق قلبه، وكان كل جسده يهتز من هذه الضحكات، واثارت ضحكات عبد الناصر استغراب ودهشة باقى الحاضرين، وبشيء من الفضول سأله عبد الحكيم عامر: بتضحك على إيه ياجيمى؟ (وكان عبد الحكيم عامر هو المسموح له بمخاطبة عبد الناصر بكلمة جيمى) وقال عبدالناصر له: خد اقرأ الجواب ده!! وما أن قرأ عبد الحكيم الكلمات الاولى من الخطاب حتى أخذ يضحك بطريقة هستيرية هو الآخر، وكان كل من يقرأ الخطاب يضحك بشدة إلا صلاح سالم الذى كان مندهشاً تماماً، ثم أعطاه عبد الناصر الخطاب كى يقرأه، وفوجئت بصلاح سالم ينظر ناحيتى والشرر يتطاير من وراء نظارته السوداء، وشتمنى قائلا: إيه الكلام الفارغ ده ياقاضى، تقطع اجتماعنا ومناقشتنا حوالين مستقبل البلد، علشان الكلام الفارغ بتاع الست نعيمة!!.

ورغم احتجاج صلاح سالم وغضبه إلا أن الكل كان غارقاً فى الضحك.. وفجأة وجدنا صلاح سالم نفسه يشارك الموجودين الضحك، وهنا قال له

عبدالناصر : خلاص بقى ياصلاح الست اعتذرت لك وبتستحلفك بكل شعره في رمش عينيها !! ونظر لي عبد الناصر قائلا : الست نعيمة تخرج فوراً وتذهبُ إلى بيتها النهارده !!.

وذهبت لإدارة البوليس الحربي - وكانت الساعة اصبحت السابعة مساء - وابلغت نعيمة عاكف بقرار الإفراج ، واعتبار الموضوع منتهياً عند هذا الحد !!.

وذات يوم فوجئت بمشكلة إنسانية غريبة جداً والمطلوب حلها ، فوجئت بالراقصة المشهورة «هدى شمس الدين» تزورني في البوليس الحربي لأمر في غاية الغرابة ، كانت هدى راقصة وممثلة مشهورة متزوجة من المطرب «محمد أمين» واشتركا معاً في بطولات أفلام عديدة ، من أفلامهما التي كانت مشهورة في أوائل الثورة فيلم اسمه «عشرة بلدى» فقد كان كل من هدى ومحمد يقدمان استعراضاً غنائياً راقصاً أثناء عرض الفيلم ، المهم فوجئت بهذه السيدة تطلب مني مساعدتها في الطلاق من زوجها المطرب محمد أمين ، واندهشت وسألتها وما علاقتنا نحن كبوليس حربي بطلاقك ؟! فقالت لي ببساطة إن صاحبة الكازينو التي ترقص وتغني فيه قالت لها إن البوليس الحربي هو الكل في الكل وهو الذي يحكم البلد !!.

سألتها بشكل إنساني عن سبب الطلاق ؟! ووجدتها تبكي وتنتحب وتقول : إن زوجها يضربها ويسيء اليها ويأخذ كل فلوسها ... و ... وجدت نفسي أضحك وأنا اقول لها : ولكننا ياست هدى لسنا «مأذون شرعي» بل «بوليس حربي» فقالت أنا عارفة ولكن زوجي له اتصالات مع ناس كبيرة وسيرفض تطليقي من نفسه وقد يؤذيني أكثر وأكثر !.

المهم أنني تعاطفت معها ، وارسلت في إحضار زوجها ، ولم أكن قد رأيته من قبل بشكل شخصي بل سبق ان شاهدته في بعض الأفلام ، وقلت له : الست هدى بتقول كذا وكذا وطالبة الطلاق فقال : أنا حر !! فقلت : مفيش حاجة اسمها أنا حر .. قدامك ساعة واحدة تروح تجيب ورقة الطلاق وتيجي حالاً .. ونفذ الرجل الامر فعلا وطلق امرأته !!

وبقدر ما كانت المشكلات الانسانية طريفة ونجد لها الحلول ببساطة بقدر ما كانت المشكلات السياسية معقدة ، حيث تختلط فيها السياسة والمصالح والعلاقات وتوازنات مجلس القيادة بتركيبته الفريدة !..

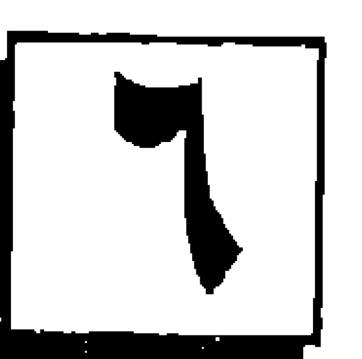
أزمة رشاد مهنا!

وكانت مشكلة القائمقام «رشاد مهنا» واحدة من هذه المشكلات المعقدة، كان رشاد قد خذل عبد الناصر قبل الثورة مرتين، المرة الأولى عندما كلفه عبدالناصر بالذهاب لمقابلة فؤاد سراج الدين ليبلغه بوقوف الجيش مع الوفد وتحجج رشاد بعلة واهية ولم يذهب، وفي المرة الثانية عندما اشتكى الضباط الأحرار في العريش بأنه يثبط من روحهم المعنوية ويدعوهم للابتعاد عن السياسة تماماً، اما الصدمة الكبرى حينما طلب نقل نفسه إلى العريش حتى لا يتورط في شيء، ومن هنا كان قرار عبد الناصر باستبعاده من التنظيم!.

وقامت الثورة وبعد ٤٨ ساعة بالضبط وصل رشاد مهنا من العريش وطلب مقابلة أعضاء مجلس القيادة، ورفض عبد الحكيم عامر وجمال سالم وأنور السادات مقابلة رشاد مهنا وأكدوا أنه قادم بعد أن نجحت الثورة وتأكد له ذلك، ولا بد ان شيئاً وراء مجيئه!! كانت المفاجأة ان رشاد توجه أولاً إلى سلاح المدفعية وهناك قوبل بحفاوة شديدة، فقد اعتبره احرار المدفعية أنه أحد أبطال الثورة، ولم يكونوا بالطبع على معرفة بكل مواقفه السابقة، وفوجئ عبد الناصر بمجئ رشاد وسط هذه المظاهرة الحماسية، وفي نفس الوقت كان هناك الرفض القاطع بعدم مقابلته من جانب زملائه!!.

وبهدوء شديد اقنع جمال عبد الناصر زملاءه بأنه سيقابل رشاد مهنا ويستكشف نواياه، وأن هذا الوقت غير ملائم لتفجير المشكلات!! وهناك أشياء أهم من رشاد مهنا! ودخل رشاد ليعانق عبد الناصر وباقي أعضاء القيادة، والأغرب من ذلك أنه سافر للإسكندرية ليحضر خروج الملك. ويبدو في الصورة كما لو كان احد صانعي الثورة! وإزاء استغراب أعضاء مجلس القيادة يقرر جمال عبد الناصر اختياره ليصبح الوصي على العرش!! وكي يصبح الاختيار دستورياً اقترح عبد الناصر على رئيس الوزراء «على ماهر» باختيار رشاد مهنا وزيراً للمواصلات لمدة ٢٤ ساعة، ليصبح منصبه «الوصي على العرش» صحيحاً دستورياً.

وذات صباح وصلتني مكلمة تليفونية تقول: كن مستعداً لاعتقال رشاد مهنا!!



رشاد مهنا لمحمد نجيب:
أنا ثلث ملك !

مساء الأربعاء ٣٠ يوليو ١٩٥٢ خرج رئيس الوزراء «على ماهر» بصحبة عدد من الشخصيات والوزراء، والتف حوله الصحفيون، وأشار «على ماهر» إلى رشاد مهنا وقال للصحفيين: هذا هو الخبر الأول أقدم لكم زميلى وزير المواصلات! وعندما استفسر الصحفيون من رئيس الوزراء عن الأخبار الجديدة قال لهم: لقد تقرر إلغاء جميع الرتب المدنية والألقاب العسكرية مثل باشا وبك... إلخ!

وفى اليوم التالى مباشرة زار رشاد مهنا مبنى سنترال باب اللوق وقام بافتتاحه ونشرت الصحف وقتها أنه اتصل تليفونيا بأحد المشتركين فى المعادى وقال له: السلام عليكم أنا وزير المواصلات، مبروك من حقك أن تستعمل تليفونك من الآن! هلى تسمعنى جيداً؟ تقبل تحياتى!!

ثم جاءت الخطوة الثانية باختيار «رشاد» فى هيئة الوصاية على العرش مع الأمير «محمد عبد المنعم ود. بهى الدين بركات» وكان ذلك يوم ٢ أغسطس، وكان الهدف الرئيسى فى رأى جمال عبد الناصر من تعيين رشاد فى هذا المنصب هو إبعاده عن مجلس قيادة الثورة وأعضائه، وكان أول طلب يطلبه عبدالناصر من رشاد أن تكون علاقته طيبة وحسنة بمحمد نجيب (القائد العام للجيش) وأعضاء مجلس القيادة ومن فرط تأثر رشاد مهنا قال لعبد الناصر: أنا تحت أمركم، وأشكركم على هذا الموقف تجاهى!

وسارت الأمور هادئة فى البداية، لكن سرعان ما تفجرت المشاكل بسبب تصرفات رشاد مهنا! فقد تصور نفسه أنه قائد الثورة والأحق بحكم البلد، وأن محمد نجيب وأعضاء مجلس القيادة لابد أن يسبحوا بحمده ليل نهار، بل أصبح يتعامل مع الجميع كما لو كان «الملك غير المتوج»، وبدأ نجيب يشكو من

تصرفاته لعبد الناصر، وكان جمال سالم وعبد الحكيم عامر يعيدان على مسامع عبد الناصر أنهما طالما حذراه منّ رشاد مهنا. كل ذلك وعبد الناصر يسمع فى صمت. ثم كانت المفاجأة فى معارضته للإصلاح الزراعى علنا!

فى أحد الأيام اتصل محمد نجيب برشاد مهنا فى مكتبه بقصر عابدين ليهنئه بمولود رزق به، وتحديد موعد لكى يذهب إليه ليهنئه بنفسه، وكانت المفاجأة أن رشاد صرخ فى وجه نجيب قائلاً: تعال فوراً أنت وسليمان حافظ نائبك.. وفعلاً ذهبا إليه فوجدا رشاد ثائراً جداً وأخذ يضرب المكتب وهو يصرخ فى وجهيهما: أنا هنا مش طرطور.. ولا أقبل الجلوس لمجرد توقيع الأوراق التى ترسلونها لى!! وهناك أشياء كثيرة تحدث ولا أعلم عنها شيئاً. ولن أسمح بهذا بعد الآن.. وأنا هنا وصى على العرش يعنى تلت (٣ / ١) ملك فاهمين..

واندهش محمد نجيب وروى هذه المقابلة العاصفة لجمال عبد الناصر الذى طلب من نجيب التمسك بالصبر والهدوء.

وذات يوم اتصل نجيب برشاد تليفونيا يطلب منه الحضور لمناقشة مسألة مهمة، وفوجئ نجيب برشاد يقول له: أنت اللى تجينى يا نجيب مكتبى فى قصر عابدين! واندهش محمد نجيب - الذى كان قد صدر قرار باعتباره قائد الثورة - لهذا السلوك من رشاد، وفى الحال روى لعبد الناصر ما جرى.. وكان عبدالناصر قد تحمل أكثر مما ينبغى من تصرفات رشاد مهنا.. ولكن عندما وصل الأمر إلى إهانة محمد نجيب ثار وغضب، وقال لنجيب بالحرف الواحد: الراجل ده زودها قوى.. ومفيش منه فايدة. والعيب علينا اللى عيناه!!

وأضاف عبد الناصر بكل الحسم والحزم الذى اشتهر به: رشاد يروح بيتهم من بكره!!

واتخذ مجلس القيادة قراراً بذلك.. وأبلغنى «أحمد أنور» بالقرار وطلب منى اتخاذ اللازم باعتقال رشاد من قصر عابدين وتحديد إقامته فى بيته!! على أن يتم ذلك كله قبل الساعة العاشرة صباحاً!

فى اليوم التالى كانت القوة جاهزة تماماً لتنفيذ العملية، وحوالى الساعة التاسعة والنصف صباحاً فوجئت بصديق لى يزورنى فى البوليس الحربى وهو الطبيب «صلاح فؤاد» وكان يعمل طبيباً بيطرياً فى سلخانة القاهرة. وكان على

علاقة قوية برشاد مهنا ويزوره دائماً. بهدوء شديد استقبلت صديقى الطبيب، وأفهمته أن عندى مأمورية هامة وقال لى: أنا رايح دلوقتى لرشاد مهنا لأنه سيصدر قرار بتعيينى مديراً للسلخانة!! وببرود أعصاب قلت: مبروك. وطلبت منه أن ينتظرنى ولا يمشى وأننى لن أتأخر فى هذه المأمورية.

وذهبت على رأس القوة إلى قصر عابدين، وقابلت رشاد مهنا الذى بادرنى بكل غرور قائلاً: فيه إيه؟! وبكل ذوق قلت: صدر قرار بتحديد إقامتك فى منزلك، وسيادتك تيجى معايا دلوقتى!! وفوجئ الرجل بما قلت وانهار تماماً ونزل معى وصحبته فى السيارة حتى بيته، وهناك ظلت الحراسة حول بيته ونبهت على قوات الحراسة بمنع أى إنسان من دخول منزل رشاد، ولا يتحدث مع مخلوق!!

لم تستغرق العملية أكثر من نصف ساعة ثم عدت إلى مكتبى بالبوليس الحربى، وعند الظهر فوجئت بصديقى الطبيب صلاح فؤاد يأتى باكياً ومنهاراً وهو يقول: بقى ده مقلب تخلينى أشربه.. أروح لرشاد مهنا فأعرف من قصر عابدين أنك قبضت على الراجل.. طب مش تقول لى قبل ما أروح له!! وطيبت خاطره وقلت له: ده أسرار شغل!!

وصباح يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٢ أصدر محمد نجيب بياناً بصفته القائد العام للقوات المسلحة أذاع فيه خبر إقالة رشاد مهنا.

وجاء فى البيان الذى أذاعه نجيب على رجال الصحافة والإعلام بشأن إعفاء رشاد مهنا إنه:

«يؤسفنا وقد رشح الجيش أحد ضباطه القائمقام أ. ح. رشاد مهنا فى مجلس الوصايا المؤقت، وطلب منه أن يلتزم حدود وظيفته كوصى لا دخل له بشئون الحكم، فأخذ تارة يتصل بالوزارة طالباً إجابة مطالب شتى أكثرها وساطات ومحسوبيات، وتارة أخرى يتصل برجال الإدارة، وتمادى إلى أن حدث يوماً أن أمر بمباشرة إيقاف إحدى الصحف، بل وسحب رخصة أخرى وقد نبه المرة تلو المرة، ولكنه تجاهل ما كان يوجه إليه من نصح وإرشاد فحدث أن سمح لنفسه علناً بأن يعارض قانون تحديد الملكية الزراعية، بل وبلغ التمادى فأخذ يدلى بالتصريحات العامة للصحف والمجلات المصرية والأجنبية، وبعض هذه

التصريحات من صميم سياسة الدولة، وهذا ما لا يجوز بحال أن يصدر من وصى على العرش، فتناول موضوع السودان ومواضيع شتى داخلية، وأخذ يتصل بدور الصحف موحياً إليها القيام بدعاية واسعة النطاق له، ودأب على بث روح التفرقة حتى خيل للبعض أن هناك جملة اتجاهات للجيش وليس اتجاهاً واحداً قوياً نحو غاية مرسومة، ولقد تحملت القيادة العامة تصرفاته هذه على مضض أسبوعاً تلو الأسبوع إلى أن تقدم حضرته رسمياً لنا بطلب تدخله الفعلي في كل أمر من أمور الحكم. ومن ذلك ظهر لنا بوضوح أن حضرته لم يستطع التمشي مع أهداف الحركة والسير على مبادئها المرسومة، لذلك قررنا إعفاءه من منصب الوصايا على العرش».

وفيما بعد سيتم إلقاء القبض على رشاد مهنا في مؤامرة المدفعية وكان ذلك في ١٥ يناير ١٩٥٣ وحكمت عليه المحكمة بالسجن المؤبد!!

موسى صبري يدافع عن متهم شيوعي!

وطوال الأيام التي تلت خروج الملك، كانت الثورة ورجالها بقيادة «جمال عبد الناصر» مشغولين بترتيب البيت من الداخل.. وفجأة وبعد ٢١ يوماً من قيام الثورة واجهنا أخطر مأزق داخلي يهدد مسيرة الثورة، فقد اشتعلت مدينة كفر الدوار بمظاهرات عمالية.. واضطرابات وإشعال النيران في بعض المصانع.

ومساء ليلة ١٣ أغسطس ١٩٥٢ تلقيت إشارة تليفونية من القيادة العامة تطلب مني سرعة التوجه لمقابلة جمال عبد الناصر.. غادرت البوليس الحربي وفي دقائق كنت قد وصلت إلى مقر القيادة، لم أجد عبد الناصر، ولكني وجدت نائب الأحكام الأول وقتها يبلغني بضرورة السفر فوراً إلى كفر الدوار لأنضم إلى باقي أعضاء المحكمة العسكرية العليا. كان رئيس هذه المحكمة عبدالمنعم أمين «سلاح المدفعية» وعضوية كل من قائد الأسراب «حسن إبراهيم» والصاغ «أحمد وحيد الدين حلمي» «فرسان» والصاغ «محمد بدوي الخولي» واليوزباشي «فتح الله رفعت» مدفعية، وتولى نيابة الأحكام الصاغ «خليل حسني خليل» من إدارة الجيش وتولى الصاغ عبده عبد المنعم مهمة المدعي.

وفي اليوم الأول لمحاكمة مصطفى خميس المتهم الأول قال إنه برئ ومظلوم ويريد محامياً يترافع عنه لأنه لم يتمكن من الاتصال بأي محام ولم تعط له

الفرصة لذلك.. وهنا قام الكاتب الصحفي «موسى صبري» وتطوع للدفاع عن المتهم، وطلب أن يكون ذلك بناء على طلب المحكمة، وفعلاً وافقت المحكمة على ذلك وأيضاً وافق المتهم على أن يتولى موسى صبرى الدفاع عنه!!

والحقيقة أن دفاع موسى صبرى كان بليغاً ومؤثراً، وأذكر أن كل الصحف وقتها أفردت مساحات كبيرة لدفاعه عن المتهم.. وقوله إن العمال المتظاهرين كانت تهتف بحياة محمد نجيب بل إنهم حملوا لافتات مكتوب عليها «المصانع أمانة فى أعناقنا» إلخ..!

ولكن الحكاية كانت أكبر من مرافعة موسى صبرى أو غيره.. لأنها كانت أول صدام بين السلطة الجديدة وبين العمال.. وفوجئنا بصحافة العالم وإذاعاته تأتى لمتابعة هذه المحاكمة.. وأثناء نظر المحاكمة كان بعض الأعضاء لا يريدون استخدام المادة التى تبيح لهم الحكم بالإعدام، والاكتفاء بالحكم على المتهمين بمدد تتراوح بين عشر أو ١٥ سنة. فى الحقيقة اعترضت وكانت وجهة نظرى أن الحكم بالإعدام سيجنب البلد فى المستقبل مثل هذه المظاهرات والاضطرابات.. ولكل من تسول له نفسه مقاومة السلطات باستخدام العنف! وفعلاً استقر الرأى على إعدام «مصطفى خميس» شنقاً، وقام محمد نجيب قائد عام القوات المسلحة بالتصديق على الحكم يوم ١٧ أغسطس ١٩٥٢، وقبل تنفيذ الحكم طلب المتهم خميس مقابلة محمد نجيب، وسُمح له بهذه المقابلة فعلاً، وتصدرت أخبار هذه المقابلة الصفحات الأولى من جرائد يوم ٢٧ أغسطس، وحاول محمد نجيب أن يعرف منه الدوافع وراء هذه المظاهرات ومن وراءه من القيادات الشيوعية، ولكن خميس قال له في عناد وإصرار: أولاً: لا أحد ورائي، وثانياً: أنا لم أرتكب ما يستحق الإعدام!

وفشلت محاولات نجيب، ونفذ الإعدام فعلاً فى المتهم «خميس»!

اعتراض جمال سالم!

ورغم خطورة بعض المشاكل التى تصدت لها الثورة بالمواجهة الحاسمة، فقد كانت هناك مشاكل صغيرة ولكنها كانت كفيلة بنسف مجلس قيادة الثورة بالكامل، والذى كان جمال عبد الناصر حريصاً على أن تكون صورة هذا المجلس أمام الناس فى كامل الانسجام والتفاهم!

ومنذ اليوم الأول للصورة قام عبد الناصر بوضع «محمد نجيب» فى مقدمة الصورة، هو الذى يتحدث ويدلى بالتصريحات، وكان «نجيب» يعلم تمام العلم أن عبد الناصر هو قائد الثورة الحقيقى وعقلها المدبر ومؤسس التنظيم الذى قاد الثورة، ولم يكن ذلك سراً وكان معروفاً لدى كافة الضباط الأحرار الذين اشتركوا فى الثورة، ولكن ظهور محمد نجيب على هذا النحو بدأ يحدث نوعاً من التململ والضيق لدى كل الضباط الأحرار.. وكانوا يسألون عبد الناصر: لماذا نجيب هو الذى فى الصورة ولست أنت؟! وكانت إجابته الحاسمة أن نجيب رجل وطنى وجندى محترف شارك فى حرب فلسطين وادى واجبه وجرح ثلاث مرات، ولذلك اخترناه لقيادة الثورة، وبه دخل تنظيم الضباط الأحرار معركة انتخابات نادى الضباط ضد مرشح الملك فاروق، وفاز نجيب بجدارة!

وحتى بعد قيام الثورة.. كان «نجيب» هو الكل فى الكل بالنسبة للناس فى مصر والخارج، أما داخل مجلس قيادة الثورة فقد كان الوضع غريباً ويدعو للدهشة، ولم يكن الرأى العام بطبيعة الحال يدرى شيئاً عن ذلك، فقد استقر رأى أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار صباح ٢٣ يوليو ٥٢ على اختيار جمال عبد الناصر رئيساً لهم، وأصبح اسم الهيئة هو «مجلس قيادة الثورة»، وكان «محمد نجيب» لا يحضر هذه الاجتماعات إطلاقاً بل يظل خارج مكان الاجتماع، وبعد أن تتم المناقشات والقرارات يرسلون بها إلى نجيب لقراءتها والتوقيع عليها ثم إعلانها للناس ومراسلى الصحف!

وكانت شعبية نجيب تتزايد يوماً بعد يوم، وأصبح يتمتع بشعبية جارفة، وسرعان ما تعلق به كل الشعب، وأحس نجيب بذلك، وهنا وجد عبد الناصر أن وضع نجيب شاذ وغير منطقى، وقرر أن يحضر جلسات ومناقشات مجلس القيادة، وثار «جمال سالم» وهاج وتملكته ثورة عنيفة واعترض على اقتراح عبدالناصر وقال: نجيب مالوش دعوة بينا.. ولا يتدخل فى مناقشاتنا، وينبغى أن يفهم أننا أتينا به فقط عشان خاطر الشعب لا يتصور أن هذه ثورة مجموعة من الشباب!! وأمام ثورة جمال سالم وغضبه، فوجئ الجميع باقتراح جديد لعبدالناصر وهو أن محمد نجيب سيرأس اجتماعات المجلس ويشترك فى كل مناقشاته وقراراته، ووافق الجميع على ذلك فيما عدا جمال سالم الذى رفض وقاطع حضور اجتماعات المجلس حوالى شهر تقريبا!

وأوصى جمال عبد الناصر جميع زملائه أعضاء مجلس القيادة بضرورة احترام مكانة وسن محمد نجيب حتى لا تهتز صورة الثورة أمام الناس.. وكان كل ما يجرى يتم إبلاغه للضباط الأحرار في اجتماعهم الأسبوعي.. فقد جرت العادة منذ نجاح الثورة لعقد اجتماع اسبوعي للجان الضباط الأحرار، مثلاً لجنة سلاح الفرسان، ولجنة الطيران، ولجنة المشاة، ولجنة سلاح المهمات، وكان يحضر هذه الاجتماعات جمال عبد الناصر بالإضافة لعضو مجلس قيادة الثورة عن هذا السلاح!

وكان الضباط الأحرار ينهالون على عبد الناصر بالأسئلة والانتقادات لما يحدث.. ولماذا فلان يركب سيارة طولها ستة أمتار، بينما فلان يركب سيارة جيب، وأن فلاناً من أعضاء مجلس القيادة يسكن في قصر، وأن زوجة فلان تقول إن كل مجلس القيادة يسهرون عندها كل ليلة! ولماذا محمد نجيب وحده هو الذى يتصدر الثورة رغم أنه لم يفعل شيئا؟! و... و

وكان عبد الناصر يستمع لكل هذه الانتقادات الحادة، ويحاول قدر الإمكان تقريب مساحات الاتفاق.. ويحاول كذلك إخماد كل بادرة انفجار تهدد انسجام واتفاق أعضاء مجلس الثورة، وكان لعبد الناصر عبارة شهيرة يرد بها على كل هذه الأسئلة: «الزمن كفيل بحل أعقد المشاكل»!!

أزمة صلاح سالم مع نجيب!

من هذه المشاكل المعقدة كانت مشكلة محمد نجيب وصلاح سالم!! ذات صباح يوم جمعة، فوجئت بصلاح سالم يأتي للبوليس الحربى وهو فى حالة غير طبيعية من التوتر والثورة، وكان بصحبته سكرتيره الخاص، اليوزباشى «جلال فايظي» الذى كان ممسكاً بحقيبة كبيرة لا ندرى شيئاً عن محتوياتها! سألنى صلاح سالم والشرر ينطلق من خلف نظارته الشهيرة: فين أحمد أنور؟ فقلت: مش موجود. فقال: يا جمال يا قاضى أنا جاى معتصم بالبوليس الحربى، وعاوز أوضة فاضية أعتصم فيها!!

فوجئت تماماً بكلام صلاح سالم، ولم يكن عندى أية خلفية عما جرى له حتى يطلب هذا الطلب العجيب، فهدأت خاطره وطلبت منه أن يستريح ويهدأ

حتى أجهز له غرفة مناسبة!! لكنه غضب أكثر وعلا صوته وهو يقول: مش عاوز حاجة منك.. أنا رايح أقعد فى «ميز الضباط!!» وأفهمته بذوق بأن هذا لا يصح من ثائر وعضو مجلس قيادة الثورة أن يجلس فى مكان لا يوجد به إلا الرتب الأقل منه.. وبعد جهد هدأ ووافق على اقتراحى!

وناديت نائب مدير البوليس الحربى الصاغ «المسلمى» وطلبت منه تجهيز حجرة خاصة لصلاح سالم، وكان المنطقى أن يسألنى لماذا؟ ورويت له: هذا ما طلبه صلاح وسوف أعرف فيما بعد ما هى القصة بالضبط؟!

ومرت ساعة وعاد صلاح سالم لطبيعته البشوشة الهادئة، واقترحت عليه وهو فى هذه الحالة أن ينسى حكاية الاعتصام! وعاد له غضبه وثورته وقال: «إذا ما كنتش عاوزنى يا جمال أشوف حتة تانية أعتصم فيها»!!

وجدت أن المسألة أكبر بكثير مما توقعت، وفعلاً تم إخلاء حجرة لصلاح ثم وضعنا بها سريراً صغيراً، وكانت هذه الحجرة فى الأصل مكتب «جلال فؤاد» وجاء صلاح إلى الغرفة وجلس على السرير، وإذ به يقول فجأة وبتهديد حقيقى: إذا مكانش جمال عبد الناصر يجيب «محمد جيب» من أسوان مقبوض عليه أنا مش خارج من هنا وسأظل معتصماً بدون أكل أو شرب ويتحملوا المسئولية.

سألته: إيه الحكاية ماله محمد نجيب.. عمل إيه؟ قال وجسده كله يرتعش من فرط الغضب: سمعت. بودانى محمد نجيب بيشتمنى للزعيم السودانى المهدى! أنا نجيب يشتمنى يا جمال!! حاولت تهدئته وقلت له: ربما كان ذلك غير صحيح! فقال لى صلاح سالم: لقد استمعت إلى نص المكالمة بصوت نجيب والمهدى بعد أن أرسلها لى قسم الاستماع فى الإذاعة. وكان نجيب يقول بالحرب الواحد للمهدى: أنا باعتذر لك بالنيابة عن صلاح سالم ولا تسأل فى هذا الولد وأنا سأزور السودان قريباً وسنتكلم!

وكنت استمع لصلاح سالم فى دهشة حقيقية وأسأل نفسى لماذا يريد نجيب تسميم العلاقة بين صلاح سالم وبين زعماء السودان.. والمعروف لنا جميعاً أن صلاح سالم هو المسئول عن شئون السودان.. وخصوصاً أن نجيب يعرف تماماً أن «المهدى» لا يحب مصر.

وعاد صلاح سالم يقول : ومعنى كلام نجيب للمهدى أنه يهيننى شخصياً ويهين الثورة ويحاول استرضاء المهدى رغم علمه بموقفه من مصر ، ثم أن تصرف نجيب هو تدخل فى عملى حيث إننى المسئول عن السودان ، ولن أترك هذا الموضوع يمر بسهولة !!

وانتهزت فرصة طلب صلاح سالم أن نتركه ليستريح ، وخرجت أبحث عن «أحمد أنور» وأبلغته بما جرى .. وجاء مسرعاً واتصلنا بجمال عبد الناصر الذى كان بدوره يبحث عن صلاح فى كل مكان ولا يجد له أثراً .. وقال عبد الناصر لنا : ما تقلقوش وأنا أرسلت لكم عبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وزكريا محيى الدين لإقناعه بالعودة !!

وفعلاً جاء أعضاء مجلس القيادة وفشلوا تماماً فى مهمتهم .. واتصل السادات بعبد الناصر وحكى له عن «زرجنة» صلاح سالم ، واقترح على عبدالناصر أن يتحدث إليه بنفسه ، وفعلاً تحدث عبد الناصر مع صلاح وطلب منه الحضور إليه .. ورفض صلاح بشدة ولا أدرى ماذا كان يقول له عبد الناصر على سماعة التليفون ، فقد وجدنا صلاح يبتسم ثم يضحك وأخيراً يقول : عبدالناصر عازمنا فى بيته على الغدا .. وعاملين أكل كويس !!



ليلة القبض على زوجة النحاس باشا !

كان شرط صلاح سالم لينهى اعتصامه بالبوليس الحربى أن يأمر «جمال عبدالناصر» بالقبض على «محمد نجيب» الذى كان فى زيارة لأسوان وأن يأتى به للقاهرة !! وبمجرد أن تحدث صلاح سالم مع عبد الناصر فى التليفون، وجدناه يبتسم ويضحك، وقال : الريس عازمنا عنده على الغدا.. وذهب مع صلاح كل من أنور السادات والبغدادى وزكريا محيى الدين وأحمد أنور. وبعد تناول الغداء روى صلاح سالم لعبد الناصر تصرفات نجيب، وكان عبد الناصر يسمع فى صمت وتركيز وبين الحين والحين يأخذ نفساً عميقاً من سيجارته وأخيراً قال عبد لناصر وهو يربت على كتف صلاح :

- سهل قوى يا صلاح إنى أعتقل نجيب عشان خاطرك.. إنما نقول إيه للناس والرأى العام.. شكلنا إيه لما يعرفوا إننا اعتقلنا رئيس الجمهورية ؟!

كان صلاح سالم يهز رأسه موافقاً ومؤمناً لكلام عبد الناصر الذى أنهى لحوار بسطر بالغ الأهمية والخطورة وهو : فيه مشاكل كتير يا صلاح الزمن هو اللى بيحلها !! ولا داعى للغضب أو التوتر !!

مراقبة تصرفات محمد نجيب !

وكانت تعليمات عبد الناصر القاطعة بألا يظهر أحد من أعضاء مجلس القيادة فى الصورة ونجيب وحده هو الذى يظهر ويتحدث ويتكلم.. وفى كل الجولات التى كان يقوم بها فى الوجه القبلى والوجه البحرى وكان أعضاء مجلس القيادة برافقونه، كان هو الذى يتصدرنا.. والأكثر من هذا أن عبدالناصر نبه زملاءه بألا يدلوا بالأحاديث للصحافة وإذا حدث وتكلموا لرجال الصحف فلابد أن يشيدوا بنجيب ! وعندما أشار إحسان عبد القدوس فى مجلة «روز اليوسف» بعد حوالى شهر من قيام الثورة إلى أن عبد الناصر هو الرجل

الثانى فى الثورة، تضايق عبد الناصر وعاتب صديقه إحسان عبد القدوس على ذلك !!

ورغم أن نجيب كان لديه حرسه الخاص المكون من الصاغ «محمد رياض» واليوزباشي «نجم» والاثنان من ضباط البوليس الحربي، كانت تعليمات عبدالناصر فى الجولات الشعبية بأن نلتف حول نجيب وحراسته، وأن نترك عبدالناصر بغير حراسة!

ومع ذلك كان لنجيب بعض التصرفات التى لا ينبغى أن تصدر عن رجل يشغل هذا المنصب، فمثلاً كان من ضمن السيارات المخصصة له سيارة من البوليس الحربى «فليموث ستيشن» موديل ١٩٥٢، وكان نجيب يفضل استخدام هذه السيارة فى تنقلاته الخاصة بدلاً من السيارة الكاديلاك، وكان سائق نجيب وحارسه اللذان على قوة السيارة الاستيشن من أفراد البوليس الحربى، وكانت أوامرى وتعليماتى لهما - طبقاً لأوامر عبد الناصر - بألا يدعا نجيب يغيب عن بالهما لحظة واحدة لدواعى الأمن !!

وذات يوم حضر عندى السائق والحارس وقالا لى إن الرئيس نجيب كثيراً ما يأمرهما بتركه وحده، ثم ينزل من السيارة ويسير وحده ويتردد على بعض البيوت !! فكانا يتظاهران بسماع كلامه.. ويراقبانه دون أن يدرى، وفى إحدى المرات اكتشف نجيب هذه الحكاية فقام بتوبيخهما وشتمهما وطردهما ! وفوجئت بهذه الحكاية ثم رويتها لأحمد أنور بالطبع، ولما استفسرنا من حرس نجيب الخاص (محمد رياض، ونجم) فوجئنا أنهما يعلمان بذلك وأن نجيب كثيراً ما يطلب منهما الابتعاد، ليزور بعض الناس !

الملفت للنظر أن نجيب كثيراً ما كان يخرج بعد منتصف الليل ويقوم بهذه الزيارات ومن هنا تقرر تكثيف الحراسة عليه لخطورة أن يحدث له شىء، وتقرر تخصيص عدد من أفراد البوليس الحربي يرتدون الملابس المدنية ويلازمون نجيب دون أن يدرى، وكانت تقارير هؤاء تشير إلى مقابلته لبعض أقاربه واصدقائه ومعارفه، وكنا نعرفهم بالطبع ولكن ما كان يشغلنا هو ذلك الحوار والمناقشات التى تدور بينهم !!

وذات يوم كان نجيب فى زيارة لقسم القاهرة، وكان من الطبيعى أن يكون فى استقباله على الباب رئيس القسم والضباط، وكان من بين الواقفين فى استقباله

قائد بوليس حربي القاهرة المرحوم «محمود محمد محمود» وما أن وصل نجيب ورأى قائد البوليس حتى ذهب إليه ثائراً وغاضباً وهو يقول: أنت واقف هنا عشان تراقبني.. روح قول لأحمد أنور أنا محدش يراقبني.. ومحمد نجيب هيعمل اللي يعجبه! واندهش الضباط والعساكر ولم يتصوروا أن يتكلم نجيب بهذه الطريقة، ولم يحاول قائد البوليس الحربى أن يعقد المشكلة وتفاداها بصمته، ولكنه روى ما جرى لأحمد أنور، ولي.. وقررنا إبلاغ عبد الناصر بهذا التصرف كاملاً.. واستمع عبد الناصر للحكاية كاملة.. ولم يعلق.. وفتح موضوعات أخرى للنقاش بين دهشة أحمد أنور.. ودهشتي الكاملة!!

ليلة هروب زوجة النحاس!

عندما قامت الثورة كان زعيم الوفد «مصطفى النحاس» وسكرتير الوفد «فؤاد سراج الدين» خارج أرض مصر في فرنسا!

وفى اليوم التالى لخروج الملك فاروق وتنازله عن العرش وصل النحاس وسراج الدين من الخارج، وكان أول ما نطق به النحاس باشا عند وصوله إلى المطار هو «لقد عدنا إلى أرض الوطن بعد أن زال عنه الطغيان، وأنقذ شرفه محمد نجيب وأعوانه من رجال الجيش العظام»، وسرعان ما ذهب النحاس وسراج الدين وإبراهيم فرج وأصحاب جريدة المصرى محمود وأحمد أبو الفتح لزيارة مقر القيادة العامة حيث تقابلوا مع اللواء نجيب، وقام النحاس بعناق نجيب ثم قال له: أتشرف بأن أصافح رجالك الأمجاد!!

وعندما تقرر اعتقال عدد كبير من السياسيين ورجال الأحزاب وتقديمهم لمحاكم الثورة، لم يكن سن مصطفى النحاس ولا زعامته التاريخية ومكانته توجب اعتقاله أو محاكمته.

المهم اكتفى مجلس قيادة الثورة بتحديد إقامة مصطفى النحاس وزوجته السيدة زينب الوكيل فى منزلهما، ووضع حراسة مشددة عليهما من أفراد المباحث الجنائية، كما تم وضع حراسة أيضاً حول قصر النحاس فى جاردن سيتى!

وفى اليوم الذى تقرر فيه تحديد إقامة النحاس والسيدة زوجته فوجئنا بالحرس يتصل بالبوليس الحربى لأمر فى غاية الخطورة، وفى نفس الوقت كنت قد ذهبت

إلى بيتي «في شارع الهرم وقتها»، وما بين مغادرتي لإدارة البوليس الحربي ووصولي إلى البيت كانت زينب الوكيل قد هربت بسيارتها، وانقلبت الدنيا، واتصل الحرس بالضابط النوبتجي في إدارة البوليس الحربي، الذى قام بدوره بإبلاغ أحمد أنور في بيته، وحالاً قام أحمد أنور بتبليغ عبد الناصر بقصة هروب زينب الوكيل في سيارتها الكاديلاك التي تحمل رقم ١٣٧.

وفي نفس اللحظة التي وصلت فيها إلى بيتي واستعد لتغيير ملابسي وتناول الطعام فوجئت بالتليفون يدق، وإذا بجمال عبد الناصر يقول لي غاضباً: زينب الوكيل هربت على اسكندرية يا جمال! اندهشت جداً وسألته: إزاى يا فندم؟ فقال: أحمد أنور لسه مبلغني حالاً قبل ما أطلبك!! وتغيرت لهجة حديث عبدالناصر عندما قال لي لو زينب الوكيل وصلت إسكندرية هاقطم رقبتك يا قاضي، أنت فاهم؟

ووجدت نفسي أطمئن الرئيس قائلاً: ما تقلقش يا فندم ومش هتلحق توصل اسكندرية وسوف نقبض عليها فوراً، وبمجرد أن انتهت مكالمة عبد الناصر لي، اتصلت بطاقم الحراسة الموجود في قصر النحاس باشا ومنهم عرفت أنها هربت من القصر منذ حوالي ربع ساعة. أي أنها إذا سلكت الطريق الصحراوي فستكون قد وصلت إلى منطقة الكيلو عشرة ونص الذي كان يتبع سلاح الحدود في ذلك الوقت واتصلت بحراسة الكيلو عشرة ونص وأبلغتهم بأن سيارة كاديلاك ملاكي القاهرة تحمل رقم ١٣٧ لا يدعوها تمر وأن يتحفظوا عليها لحين وصولي إليهم.

وأخذت سيارتي «الجيب» وانطلقت فوراً إلى الكيلو عشرة ونص، وبالفعل وجدت سيارة بالمواصفات السابقة أمام مكتب سلاح الحدود، ولم يكن بداخل السيارة سوى سائق نوبي أسمر اللون، وكان سائق زينب هانم الوكيل، وصعدت إلى مكتب قائد المحطة ووجدت عنده زينب هانم الوكيل، وبمجرد أن رأتني أنهالت بالشتائم والكلمات النابية. حاولت تهدئتها بلا فائدة، ووسط صراخها وشتائمها قالت: أنا زينب الوكيل محدش يقدر يحدد إقامتي أو يحبسني!!

حاولت ثانية تهدئة خواطرها، وأخذت ألح عليها في النهوض معي إلى قصرها ورفضت رفضاً باتاً هذه الفكرة، واستدعيت المساعد الخاص بي

اليوزباشي فاروق ثروت، وفي هذه الأثناء وصل أحمد أنور قائد البوليس الحربي، واشترك معي في محاولة إثنائها عن فكرة هروبها الى الاسكندرية ولكن بلا فائدة! وحاولت إفهامها أن معنى ما تقوم به هو بمثابة تحدٍ لأوامر صادرة من الثورة فقلت لي: مش مهم!

وحوالي الساعة السادسة مساء - بعد ساعات من الحوار والمناقشة - وافقت على الذهاب معنا إلى البوليس الحربي، واندهشت جداً من هذا الطلب الغريب والمفاجئ في نفس الوقت، وخطرت لي فكرة مفاجئة وهي أن أتظاهر بالموافقة على ما تقول، وأثناء رجوعنا أقوم بإرجاعها بالقوة إلى قصرها في جاردن سيتي، ومع ذلك حاولت إفهامها إنه ما يصحش تركب عربية جيب ولكنها رفضت. وفعلاً ركبت معي الجيب وعند مدخل كوبري قصر النيل اكتشفت زينب الوكيل أننا سائرون إلى منزلها، وهنا فوجئت بها تحاول فتح باب السيارة لكي تقفز منها أثناء سيرها.. وهنا اضطررت إلى فرملة السيارة بقوة فتوقفت، وفوجئنا بالتفاف الناس حولنا وهم يشيرون ناحية زينب الوكيل، فقد كانت صورتها مألوفة لتكرار نشرها في الصحف والمجلات، ووجدت أن الموقف يزداد صعوبة وتأزماً وإحراجاً، ووجدت نفسي لكي أخرج من هذا المأزق يجب أن أذهب فوراً بها إلى إدارة البوليس الحربي بدلاً من قصرها.

بمجرد وصولنا للبوليس الحربي رفضت البقاء في حجرة مكتبي وظلت في فناء إدارة البوليس وجاء عدد من جنود البوليس وأفهمتهم بألا يتعرضوا لها حتى لو شتمتهم.. بل كل ما يقومون به هو حراستها. وذهبت لمكتبي واتصلت بجمال عبد الناصر ورويت له ما جرى وكيف أن زينب الوكيل رفضت تماماً العودة لمنزلها وأنها مصممة على البقاء في البوليس الحربي، وقال لي عبدالناصر بحسمه الشديد: اتصرف.. وحاول إقناعها بالعودة لبيتها!!

وفي الحال بدأت سلسلة اتصالات تليفونية بعدد من أقاربها مثل «عبد الحميد الوكيل» شقيقها، وكذلك حسين شعير ابن خالها (وهو في نفس الوقت زوج بنت عمي) وأيضاً بشقيقها «أحمد الوكيل»، وقلت لنفسي ربما نجح أقاربها في إقناعها بالعودة إلى البيت. وفعلاً وصل هؤلاء الأقارب وبمجرد أن رأت كلا منهم، كانت تشخط وتصرخ فيه وتطلب منه أن يغادر المكان ولا يتدخل!!

وكانت فعلاً تتمتع بشخصية قوية ولم ينجحوا في إقناعها بالذهاب معهم! وكان الموقف يزداد توتراً وصعوبة. وقررت الاتصال بعبد الناصر لوضعه في الصورة ثانية فرد زكريا محيى الدين على مكالمتي: اتصرف مع قريبتك يا جمال! ونفس الشيء من عبد الحكيم عامر! وما لفت انتباهي أن زكريا محيى الدين وعبد الحكيم عامر واخدين الموضوع «هزار» ولا يدريان شيئاً عن الكارثة!

وحوالى الساعة الثانية صباحاً قالت زينب فجأة: أنا عاوزة أروح مستشفى الكاتب! ورغم دهشتي فقد كان حلاً موفقاً هبط عليّ من السماء.. وقلت في سرى: جالك الفرج يا جمال يا قاضي! وعلى الفور اتصلت بمستشفى الكاتب أطلب منهم حجز غرفة، فقالوا لى لا توجد أية غرف خالية.. وطلبت من سويتش المستشفى توصيلى بالدكتور الكاتب في منزله، وكان شخصية محترمة ووقورة - وأعدت عليه نفس المطلب، لكنه اعتذر بلطف وأفهمته بأننى أريدها لحرم النحاس باشا زينب هانم الوكيل، وقال الرجل: سوف ندبر لها غرفة خلال نصف ساعة!!

وقلت لزينب هانم إن الحجرة ستكون جاهزة بالمستشفى خلال نصف ساعة، ثم ذهبنا إلى هناك وكان في استقبالنا الدكتور الكاتب نفسه، واتجهت زينب الوكيل إلى الحجرة التي خصصت لها. ثم قامت زينب باستدعاء وصيفتها الخاصة في المنزل.

ومن ناحيتي استدعيت بعض عساكر البوليس الحربي ليظلوا في حراستها خوفاً من تكرار محاولة الهرب، وارتدى هؤلاء العساكر ملابس مدنية حتى يبدوا كما لو كانوا مرضى في المستشفى أو بعض الزوار!

وفي الفجر تقريباً اتصلت بعبد الناصر ورويت له الموقف كاملاً.. وضحك عبد الناصر وقال: كده كويس.. عينك عليها حتى نتصرف في الموضوع يا جمال!! وتقرر أن تدفع الدولة مصاريف كاملة في المستشفى!

في بيت عمي تقررت الجمهورية:

في أوائل يونيو عام ١٩٥٣ اتصل بى جمال عبد الناصر ذات صباح وفوجئت به يقول لى: أريد السفر غداً الى الاسكندرية، دون أن يعرف إنسان بهذا الخبر،

لأني رايح في مهمة محددة ولا أريد أن أقابل أحداً في الاسكندرية !! واتصرف مع أحمد أنور وكنا في الأيام الأخيرة من شهر رمضان الكريم !

الحقيقة أنني اندهشت جداً، فلما رويت ذلك لأحمد أنور قائد البوليس الحربي قال لي: إن عبد الناصر يحتاج مكاناً خفياً يبقى به بضعة أيام بعيداً عن دوشة ومشاكل البلد والمطلوب منك باختصار تدبير شقة في الاسكندرية لهذا الغرض! وعلى الفور قلت له: ليس أمامي سوى شقة عمي «عبد اللطيف محمود» الوزير الوفدي السابق الموجودة في منطقة زيزينيا، وسألني أحمد أنور كيف أضمن أن الخبر سوف لا يتسرب إلى عمي الوفدي! فقلت له: لا تشغل بالك من هذه الناحية، ولكن الأهم الآن هو موافقة عبد الناصر على الاقتراح! وأعدنا الاتصال بعبد الناصر وقلت له على شقة عمي فوافق ثم قال ضاحكاً: عشان بعد كده يقولوا عبد الناصر بيستريح في شقة وزير وفدي!

وذهبت في الحال إلى بيت عمي عبد اللطيف وزوجته وقلت لهما بالحرف الواحد: أنا ذاهب في مهمة عمل مع أحمد أنور إلى الاسكندرية ومحتاج مفاتيح شقتكم هناك للإقامة بها هذه الفترة! كان عمي يعرف أحمد أنور معرفة جيدة فوافق على الفور، بل طلب أن نأخذ «السفرجي» الخاص بهم لكي يقوم بتنظيف الشقة، وإعداد الطعام لنا حتى لا يشغلنا شيء عن المهمة التي سنذهب إليها! وفعلاً سبقنا السفرجي إلى هناك لإعداد الشقة.

وفي اليوم التالي أعددنا عربة كاديلاك إلى الاسكندرية، والطريف أن عبدالناصر هو الذي كان يقود السيارة بنفسه وكنت أجلس بجواره ويدي على مسدسي طوال الوقت تحسباً لأي طارىء، وفي الخلف يجلس صلاح سالم وبجواره أحمد أنور، وأثناء السير وكنا قد وصلنا إلى نفق الهرم (المؤدي إلى الطريق الصحراوي) قال عبد الناصر فاجأة: احنا نسينا نجيب معانا موفق الحموي، تعالو نجيبه!!

كان موفق الحموي - رحمه الله - من أحب الضباط الأحرار إلى قلب عبدالناصر، فقد كان دفعته في التخرج، ودمه خفيف جداً وابن بلد جدع وشهم، وقد تولى لفترة مسئولية الرقابة على الصحافة والمطبوعات.. المهم ذهبنا إلى بيت موفق وكان يسكن وقتها في منيل الروضة واصطحبناه معنا

وسلكنا الطريق الصحراوى حتى وصلنا الى الاسكندرية.. وعلى الفور ذهبنا إلى شقة عمى فوجدناها فى غاية النظافة والترتيب.

وطوال الوقت وأنا أفكر ما هى هذه المهمة التى من أجلها سافرنا للإسكندرية ولم نتمكن من الاحتفال بعيد الفطر المبارك مع أسرنا فى القاهرة.

بل إن عبد الناصر وصلاح سالم ونحن سافرنا بمجرد أن انتهى عبد الناصر من أداء صلاة عيد الفطر التى أقيمت فى ميدان عابدين، وكان يؤم المصلين فيها الشيخ أحمد حسن الباقورى.

وبينما هذه الأسئلة تلح على عقلى، كان أعضاء مجلس القيادة الثورة يتوافدون واحداً بعد الآخر، وصل عبد اللطيف البغدادى، ثم أنور السادات ثم عبد الحكيم عامر ثم جمال سالم ولم يحضر «محمد نجيب»!!

وعلى الفور دخلوا غرفة عبد الناصر وظلوا لساعات يتناقشون ويتحاورون، وبعد ساعات انفض اجتماعهم، وخرج عبد الناصر ليزف لنا ما اتخذوه من قرارات خطيرة، وهى إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية، واختيار محمد نجيب رئيساً للجمهورية وأيضاً رئيسا للوزارة وترقية عبد الحكيم عامر «القائد العام للقوات المسلحة» إلى رتبة اللواء، وكان وقتها لا يزال برتبة رائد، وأخذ كل منا يبارك لعبد الحكيم عامر ويهنئه على هذه الترقية، وجرى الاتفاق أن هذه القرارات سوف تظل فى طى الكتمان حتى نعود للقاهرة، ويتم إخطار محمد نجيب بها ثم إعلانها على الرأى العام فى مؤتمر صحفى كبير!

وعلى ما أذكر ظللنا فى الاسكندرية ٤٨ ساعة أخرى، وتسرب خبر وجود جمال عبد الناصر وباقى أعضاء مجلس القيادة إلى أهل اسكندرية، وبدأ عبدالناصر يخرج لمقابلة الناس، وأقيم احتفال كبير لهيئة التحرير فى الاسكندرية حضره عبد الناصر وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر، وتحدث كل منهم فى هذا الحفل الجماهيرى، وأذكر أن «عبد الحكيم عامر» وصف أهل الاسكندرية فى كلمته بأنهم «مجلس الثورة الأكبر» وعدنا جميعاً للقاهرة!

ومن الأمور الطريفة ذات الدلالة أن مندوب جريدة الأهرام كان قد أجرى حديثاً صحفياً مع جمال عبد الناصر، وضحكنا كثيراً عندما قرأنا الحديث منشوراً يوم الاثنين الموافق ١٨ يونيو ٥٣ واستغرق الصفحة الأولى بكاملها

تقريباً، ومما قاله عبد الناصر فى هذا الحوار: «وأنا أنقل حرفياً ما نشره الأهرام»، قوله: «إن النظام الملكى قد تآكل وانتهى، وأن الجمهورية آتية ولكن موعد إعلانها لم يقرر بعد (!!)، ولا مانع من تعدد الأحزاب ما دامت تستهدف خدمة الوطن» !!

هكذا قرأ الناس تصريحات عبد الناصر فى الصباح، أما فى المساء فقد كان الأمر مختلفاً تماماً. فقد انعقد مجلس قيادة لعدة ساعات، وأثناء ذلك تم إبلاغ محمد نجيب بالقرارات التاريخية السابقة، ووافق عليها مرحباً.. وأذيع بلسان محمد نجيب بيان تاريخى، كما وجه صلاح سالم بياناً لرجال الصحافة ووكالات الأنباء شرح فيه القرارات التى جرى اتخاذها.

وحدث شىء وقتها لم ينتبه له الناس ولكن انتبه له الصحفيون الأجانب، إذ بعد أن انتهى نجيب من لقائه بالصحفيين فى ذلك اليوم التاريخى، قام محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة بزيارة منزل جمال عبد الناصر وظلوا عنده حوالى ساعتين !! وكان أكثر من عانقهم عبد الناصر بحرارة وعواطف جياشة هو عبد الحكيم عامر الذى ترقى ثلاث رتب مرة واحدة. وكان ما بينهما صداقة عمر يندر أن تتكرر !! ولا ينسى عبد الناصر موقفاً فى غاية الإنسانية لعامر، فقد كان والد عبد الحكيم عامر من أثرياء المنيا وكان يملك حوالى خمسمائة فدان، وبعد أن قامت الثورة بأيام فوجئ عبد الناصر بوالد عبد الحكيم يأتى للقاهرة ويعطى لابنه ثلثى إيراد أرضه، قائلاً له: أنت لازم تظهر بمظهر كويس، ولم يعترض أشقاء عبد الحكيم على اقتراح والدهم بأن يأخذ عبد الحكيم ثلثى الإيراد ويأخذوا هم الثلث الباقى، وللتاريخ فقد كان كل أعضاء مجلس القيادة يستلفون ما يحتاجونه من أموال من عبد الحكيم عامر!

وكان مشهداً طريفاً أن يأتى أول كل شهر الحاج بكرى عم عبد الحكيم عامر حاملاً معه كيس قماش به الفلوس الخاصة بابن أخيه عبد الحكيم ويسلمها له، ومن الحكايات الطريفة التى حدثت ونحن فى الاسكندرية أن شقيق زينب الوكيل زوجة النحاس وهو عبد الحميد الوكيل كان يسكن فى نفس العمارة التى يسكن فيها عمى، ولاحظ أن شقة عمى - وكان صديقه - مضاءة وبها أصوات فسأل البواب عمن يكون فيها فقال له: عبد اللطيف باشا مش موجود إنما

موجود ابن أخوه جمال القاضى ومعاه أصحابه بتوع الجيش، فسأله باهتمام هل تعرف اسماءهم، فقال: جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم!!

وبالطبع حكى عبد الحميد لأخته زينب الوكيل هذا الكلام كله.. وأثناء زيارة لزينب الوكيل لزوجة عمى فى شقتها سألتها بغرور وقنزحة: جمال عبد الناصر وأصحابه كانوا بيعملوا إيه عندكم، وشمت زوجة عمى رائحة عنطزة فى كلامها حيث كان الوفد قد قرر فصل عمى من الحزب فقالت لها: أيوه كانوا هنا يا حبيبتى.. وعلى الترابيزة دى أخذوا قرارا إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية!!



الثلاجة التى أزعجت عبد الناصر!

لا اعرف على وجه التحديد الافكار التى طافت بذهن فؤاد سراج الدين وهو يستجم فى سويسرا عندما وصلته اخبار قيام الثورة!!.

هل تبادر إلى ذهنه أن الذين قاموا بالثورة هم انفسهم الذين ذهبوا إليه قبل عدة شهور يقولون له: «إنهم - كجيش -» سيقفون بجوار «الوفد» فى حالة اتخاذه موقفاً صريحاً وشديداً إزاء تصرفات الملك التى جاوزت كل الحدود!.

هل يذكر فؤاد سراج الدين فى تلك المقابلة كيف حاول أن يعرف منا «أنا وأحمد أنور وشقيقى فاروق» من يقف وراءنا وفشل فى ذلك؟!

وعندما وصل فؤاد سراج الدين بصحبة النحاس إلى القاهرة كان الملك قد غادر أرض مصر وللأبد عصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢، وكان الاثنان قد وصلا بعد منتصف الليل وتوجها على الفور إلى مجلس قيادة الثورة.

وبعد ذلك بأيام جرى اجتماع على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية فى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين، أحد أقارب فؤاد باشا وهو فى نفس الوقت زميل لنافى الضباط الأحرار، وشهد الاجتماع عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى عن الضباط الأحرار وعن الوفد كل من فؤاد سراج الدين وابراهيم طلعت المحامى الشهير وأحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى، وعلى مدى ساعات طويلة دارت المناقشة حول قوانين الإصلاح الزراعى والملكية، ورفض ذلك تماماً فؤاد سراح الدين وكان يميل لفكرة فرض الضرائب التصاعدية على كبار الملاك!، واتفقت الأطراف على تحديد جلسة أخرى لتقريب وجهات النظر، وقال فؤاد سراج الدين إنه سيناقش الأمر مع الحزب فى الاسكندرية وبعدها يصدر بيان يتضمن وجهة نظر الوفد فى هذه المسألة!.

وفجأة قامت قيامة الضباط الأحرار.. عندما نشرت آخر لحظة وهى ملحق أسبوعى كان يصدر مع مجلة ساعة التى كان يرأس تحريرها الأستاذ محمد حسنين هيكل خبراً مثيراً يقول: إن فؤاد سراج الدين استقبل رجال حركة

الجيش، وقد صرح الباشا عقب المقابلة بأنه قد وضعهم في جيبه !! انفجر الخبر كالقنبلة بيننا نحن الضباط الأحرار، ورغم نفي سراج الدين لهذا الخبر نفياً تاماً، إلا أن بعض الآخرين نجحوا في تسميم الآبار تماماً أمام مسألة الحوار الذى كان عبد الناصر يقوده مع رموز القوى السياسية وقتها وعلى رأسها «الوفد».

الباشا وأزمة مع زكريا محيى الدين!!

وصباح ٧ سبتمبر ١٩٥٢ جرى اعتقال فؤاد سراج الدين ضمن آخرين، وبعد يومين اثنين صدر قانون الإصلاح الزراعي، ونشرت الصحف أن علماء المساجد عقدوا اجتماعاً عاماً وأفتوا بجواز تحديد الملكية الزراعية قياساً على ما فعله الخليفة «عمر» بنزع الملكية للمنافع العامة !! وفي نفس اليوم قدم أحمد حسن الباقورى استقالته من هيئة الإخوان المسلمين !!.

عندما بدأت محاكمة فؤاد سراج الدين أمام محكمة الثورة كان معتقلا في سجن الاجانب الموجود في شارع رمسيس بجوار إدارة البوليس الحربى «مكانها الآن محطة البنزين». ولذلك كان يذهب مع فؤاد سراج الدين إلى المحكمة حرس من البوليس الحربى ويظل ملازماً له حتى تنتهى جلسة المحاكمة ثم يعيدونه ثانية إلى سجن الأجانب !! وبالمناسبة فقد استغرقت محاكمة سراج الدين حوالى ٤٥ جلسة !! وأثناء المحاكمة عومل الباشا بكل احترام وتقدير وكان يؤتى له الطعام من قصره يومياً إلى مقر اعتقاله !!.

وفوجئت ذات يوم بعد انتهاء جلسة المحاكمة بأن ضباط الشرطة المدنية اصطحبوا فؤاد سراج الدين معهم بدلا من أن يقوم بهذه المهمة حرس البوليس الحربى، وقد علمت هذا الأمر بالصادفة، عندما زارني في نفس اليوم شقيق فؤاد باشا وهو «جميل سراج الدين» وقال لى إن ضباط الشرطة المدنية أخذوا فؤاد إلى سجن مصر، وعندما لم يجدوا له بدلة سجن «على مقاسه» اصدر زكريا محيى الدين أمراً إلى إدارة السجن بأن تقوم بتفصيل بدلة سجن جديدة لفؤاد سراج الدين(!!) واندهشت جداً لما كان يرويه لى جميل سراج الدين الذى كان في حالة فظيعة من الخوف والفزع على شقيقه وسر انتقاله من سجن الأجانب إلى سجن مصر !! وكنت أكثر منه دهشة لما حدث، واستدعيت الضابط النوبتجى

بإدارة البوليس الحربى واستوضحته الأمر فقال لى وهو فى منتهى الخوف والرعب، إن ضباط الشرطة المدنية تسلموا فؤاد بعد أن قالوا للبوليس الحربى إن هذه تعليمات السيد زكريا محيى الدين «كان وزير للداخلية وقتها» وعدت بكل العنف أسأل الضابط: ولماذا لم تخبرني بذلك؟ فقال وهو مرعوب: تصورت أن تعليمات السيد زكريا محيي الدين قد وصلتك!!.

وفى الحال اتصلت بمدير السجون المدنية وأفهمته أن قرار اعتقال فؤاد سراج الدين صادر عن مجلس قيادة الثورة، وأن مكان اعتقاله هو سجن الأجانب وليس سجن مصر ولا بد من عودته فوراً إلى هنا!! وقال لى الرجل: أرجو كتابة خطاب رسمى لمدير سجن مصر بهذا المعنى وسيتم ترحيل فؤاد باشا فوراً، وبالفعل كلفت اليوزباشي «فاروق ثروت» مساعد أركان حرب البوليس الحربى بالذهاب فوراً ومعه الخطاب المطلوب، وبعد ساعة كان قد عاد ومعه فؤاد سراج الدين الذى تم وضعه فى سجن الاجانب حسب تعليمات عبد الناصر، وعلم زكريا محيى الدين بهذه الواقعة وهذا التصرف من جانبى، واستشاط غضباً وشكانى إلى الرئيس عبد الناصر الذى سرعان ما اتصل بى غاضباً يسألنى: لماذا تصرفت هذا التصرف؟! وبكل هدوء كانت إجابتى له: أننى تصرفت فى حدود مسئوليتى، وأن فؤاد سراج الدين سجين سياسى يتبع للبوليس الحربى وليس سجن مصر، وبهدوء شديد قال لى عبد الناصر: تصرفك سليم ياجمال ياقاضى إنما زكريا زعلان جداً، وعدت لاقول: ياريس أنا أحب السيد زكريا محيى الدين ولن ينقص من قدرى أن أعتذر له.. ولكن أنا لم اخطئ فى حقه!! وضحك عبدالناصر: ما تشغلش بالك ياجمال وسوف أشرح لزكريا حقيقة الوضع لأنه متصور إنك تتحامى فى شخصى وتتحدى أوامره وتعليماته وقلت لعبد الناصر: هذا غير وارد ياريس!! وأنهى عبد الناصر المكالمة قائلاً: ما تخليش المشاكل الصغيرة تأكل وقتك وأعصابك!! وفجأة ضحك عبد الناصر وهو يقول لى:

- على أى حال البدلة الجديدة بتاعة فؤاد باشا تنفع!! وهكذا أنهى عبدالناصر المكالمة!!.

وللتاريخ أقول إن محاكمة فؤاد باشا سراج الدين كانت محاكمة سياسية فى المقام الأول، وجاء اعتراضه على مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية سبباً للاعتقال ثم المحاكمة بعد ذلك.

وعند البدء في تطبيق قانون تحديد الملكية حدثت بعض المعارضة العنيفة للمشروع وللسلطات التي تتولى تنفيذه، وكان أول تحد حقيقي للثورة في المنيا وبالتحديد في مركز مغاغة، فقد كان أحد الإقطاعيين بها وهو «عدلي لملوم» ابن صالح باشا لملوم يمتلك أكثر من خمسة آلاف فدان، وكان أسطورة وسط أهالي البلد، وبلغ من إرهابه للناس حداً لا يطاق، وبلغ من جبروته - كما يروى أهالي مغاغة أن صالح كان يأتي بأحد الفلاحين البؤساء، ويسأله أمام الناس: فين ربنا؟! فينظر الفلاح للسماء قائلاً: فوق يابيه!! فيضحك صالح، ويطلب من الفلاح المسكين أن يطلب من الله أن يعطيه بقرة!! ثم يقول للفلاح أنا بس أقدر أعطيك بقرة مش حد تاني.. ثم يأمر اتباعه بمنح بقرة للفلاح وفي الحال يأخذها منه ويقوم بذبحها، ويجد في أذلال الفلاح لذة غريبة، وكان عدلي ابن صالح باشا لملوم نسخة من أبيه في جبروته وسطوته!.

وأشياء من هذا القبيل، فلما ذهبت لجنة المصادرة لتحديد ملكية أرضه قاومها بالقوة والرصاص لإرهابها فاضطرت اللجنة للانصراف وأخطرت القاهرة بما حدث، وأمر جمال عبد الناصر بمعالجة الأمر بمنتهى الحزم والشدة، وأرسلت قوة عسكرية إلى مغاغة واعتقلت عدلي لملوم وصادرت أملاكه ثم حوكم بعدها أمام محكمة عسكرية عليا!!.

ومن الأشياء الطريفة التي كانت حديث الناس في خريف عام ١٩٥٣ هو دخول «عدلي لملوم» امتحان شهادة الثقافة - الدور الثاني - ورافقه أحد الضباط إلى لجنة الامتحان!!

أزمة ثلاجة بيت عبد الناصر!

ذات صباح اتصلت بي السيدة الجليلة حرم جمال عبد الناصر تشكو لي أن ثلاجة بيتهم صغيرة وتحتاج لثلاجة أكبر منها، وشرحت لي أن بالمنزل حوالي ثمانية جنود للحراسة ومن غير المعقول أن يتناولوا طعامهم بعيداً عن المنزل أو يظلوا منتظرين وصول طعامهم من وحداتهم العسكرية.. وأن ثلاجتهم (٨ قدم) كانت تكفي وزيادة احتياجاتهم كأسرة، أما الآن فلم تعد تكفي لكل هذا العدد من البشر. وفي نفس اليوم ذهبت لأحد اصحاب محلات الثلاجات

لاشترى ثلاجة اكبر قليلاً. ولم يكن عند صاحب المحل سوى ثلاجات مقاس (١٣ قدم) !! وكان شكل الثلاجة ضخماً وفخماً وخشيت أن أشتريها دون الرجوع لعبد الناصر الذى قد يعنفنى !! وطلبت من الرجل أن يشترى بمعرفته ثلاجة أخرى أقل من (١٣ قدم) وأفهمنى الرجل أنه سيشتريها خصيصا من أمريكا.. وأنها سوف تتأخر حتى تصل، ولم أحد حلا سوى شراء الثلاجة الموجودة مؤقتا إلى أن تصل الثلاجة الأخرى.. وتم نقل الثلاجة إلى بيت الرئيس، وكانت فرحة السيدة حرمه وأولاده بها كبيرة للغاية. وفوجئ عبدالناصر بوصول هذه الثلاجة الفخمة دون أن يخبره أحد فثار وهاج وغضب، وروت له السيدة زوجته القصة كاملة، وعلى الفور استدعانى، بالتليفون وصوته يمتلئ غضباً واحتجاجاً، وبمجرد أن وصلت بيته وبدون مقدمات استقبلنى معنفاً:

- أنت فاكرنى عبود باشا.. عشان أجيب ثلاثة (١٣ قدم) .. دى ثمنها كام ياقاضى؟! وببساطة قلت له: دى رخيصة يافندم.. ثمنها ١٨٠ جنيها وبالتقسيط !! وكانت المفاجأة فى ازدياد هياجه وهو يقول: عايزنى أدفع ١٨٠ جنيها فى ثلاجة. عايز الناس تقول إيه.. عبد الناصر بقى باشا (!!) ولم يهدأ عبد الناصر إلا بعد أن قلت له: إن هذه الثلاجة مؤقتاً إلى أن يتم تدبير أخرى أرخص وأصغر !! اتفقنا مع محل سيأتى بها من أمريكا !! وفجأة عاد لثورته ثائلا: الثلاجة دى ماتستناش هنا لحظة واحدة!!.

وفعلا أخذت هذه الثلاجة إلى بيتنا واتفقت مع صاحب المحل على أن اعطى له ثلاجتى القديمة وأدفع له الفرق بين ثمن الثلاجتين !! ووافق صاحب المحل، ولكنه قال لى ولكن الثلاجة الجديدة وصلت فكيف سنتصرف فيها! وطلبت منه مهلة لحل هذه المشكلة خلال ايام، وفعلا ذهبت ثانية للرئيس عبد الناصر وكان قد نسى المشكلة نسبياً وشغلته هموم أخرى أعقد وأكبر، وقلت له ببساطة: على فكرة ياريس الثلاجة الجديدة وصلت من أمريكا واتضح أنها مشابهة تماماً للقديمة فقال: خلاص ياسيدى أمرى لله.. هى كان ثمنها كام، قلت ١٨٠ جنيها، وأعطانى مائة جنيه كعربون لها واقترحت عليه أن يتم دفع باقى المبلغ على أقساط.. واندهش عبد الناصر بشدة وقال لى: دى أول مرة فى حياتى أشترى حاجة بالتقسيط!!.

وانتهت المشكلة بأن وصلت الثلاجة وظل عبد الناصر يدفع أقساطاً شهرية قيمة كل قسط عشرة جنيهات، وكان ذلك مبلغاً كبيراً في تلك الأيام.

أزمة بنت إسماعيل صدقي باشا!:

كان أحد الذين قبضت عليهم الثورة هو زوج ابنة اسماعيل صدقي باشا، والمعروف أن صدقي باشا كان رئيساً للوزراء عدة مرات أيام الملك فؤاد وأيضاً أيام الملك فاروق!!.

كان هذا الرجل جالساً مع بعض أصدقائه وتطرق الحديث إلى شئون السياسة، فقام زوج بنت صدقي باشا بشتم الثورة ورجالها بأقذع الشتائم، وجاء أحد الذين كانوا حاضرين معه وأبلغنا بما قاله الرجل، وتقرر اعتقاله فوراً!! وبالطبع انهارت بنت صدقي باشا وانزعجت لاعتقال زوجها، وذهبت إلى حفني باشا محمود - كان شقيقه محمد باشا محمود أحد رؤساء الوزارة قبل الثورة - وأخذت تشكو له ما جرى لزوجها، وطلبت منه التدخل للإفراج عن زوجها!! فقد كانت السيدة تعرف أن حفني باشا أحد المقربين من جمال عبد الناصر وعدد كبير من أعضاء مجلس القيادة. وكان حفني نفسه أحد الوزراء اللامعين قبل الثورة وأحد أقطاب حزب الأحرار الدستوريين، وكان يزور عبد الناصر في أي وقت، ويجلس معه بالساعات يدردش ويحكي.

ورغم ان «حفني باشا» كان من رموز ما قبل الثورة فقد وقف مع الثورة بكل قلبه، ولذلك كان عبد الناصر يجد متعة وسروراً في أن يجلس إليه ويستمع منه لأسرار ما كان يجرى قبل الثورة من قصص وفضائح والمقالب والنوادر التي كان يدبرها الملك فاروق لوزرائه. بالإضافة لذلك فإن حفني باشا كان رجلا خفيف الدم.. ذكياً.. روحة مرحة.. متحدثاً بارعاً لا تشعر بالملل والزهق من جلسته، ولذلك صار صديقاً مقرباً لعبد الناصر رغم أنه باشا ابن باشا!!.

وبمجرد أن ستمع حفني باشا لمأساة ابنة صدقي باشا وطلبها أن يتدخل لدى عبد الناصر للإفراج عنه سألها حفني باشا باهتمام وجدية: أنت تعرفي تصوتي؟! اندهشت السيدة وقال: يعني إيه أصوت ياباشا؟! فقال لها متعجبا: لما الست جوزها يموت تفتكرى تزغرد عليه.. طبعا تلطم وتتشحتف

وتصوت؟! سألته: وما علاقة ذلك كله بزوجي المعتقل عندهم!! قال لها: الحكاية ببساطة إنك هتروحي بكرة أمام بيت الريس عبد الناصر.. وبمجرد وصولك تلطمي وتصرخي وتصوتي بأعلى صوتك.. وتقولي زى ستات البلد ما بيقولوا بالضبط: ياخرابي. يادهوتي.. وكلاماً من هذا القبيل، وعندها سوف تلفتين نظر الحراس المحيطين ببيت عبد الناصر وتطلبين مقابلته وسيبي الباقي على الله وعليّ ولا تنزعجي!.

كانت السيدة تستمع لحفني باشا وهي مندهشة كل الدهشة من كلامه ولكنها أذعنت له في نهاية الأمر!! وفي صباح اليوم التالي كنت أزور عبدالناصر كما اعتدت يومياً قبل الذهاب للبوليس الحربي، لكي أعرف منه ما هو الجديد أو الطارئ الذى استجد!! كان عبد الناصر لا يزال يتناول طعام إفطاره البسيط: عيش ناشف وجبنة بيضاء، ووصل حفني باشا كعادته ولم يعترض حرس عبد الناصر طريقه.. وفجأة تناهى إلى اسماعنا صراخ سيدة، ثم تحول الصراخ عويلاً وندباً وصويتاً!! وانزعج عبد الناصر وقال لي: قوم يا جمال شوف إيه الحكاية برة! ونهضت إلى خارج بيت الريس ووجدت سيدة تصرخ وتولول وتشتبك مع الحرس وتريد مقابلة عبد الناصر باصرار.. وأخذتها إلى حجرة في مدخل البيت كانت مخصصة للحرس وهدأتها وفهمت منها الحكاية. ثم دخلت قلت لعبد الناصر إن السيدة تريد مقابلتك بشأن زوجها المعتقل ولا تدرى السبب! فقال لي: خليها تقعد في أوضه الصالون وهنا قال حفني باشا: أنا أعرف الست دى ياريس وخليّ بالك منها.. وأنا خايف لو قعدت معاها وشفت بكاءها هتتأثر لحالها، وقال عبد الناصر: أنا مش بتأثر من دموع الستات!

وذهب عبد الناصر إلى غرفة الصالون ومعه حفني باشا وأنا، وما أن رأته السيدة حتى انهمرت دموعها في بكاء مؤثر وحقيقي غير مفتعل وصادق، وروت له اعتقال زوجها بتهمة ظالمة وهي أنه شتم الثورة ورجالها وأنه سيقدم للمحاكمة.. وأنها لا تملك نقوداً تمكنها من مواجهة الحياة أو الصرف على أولادها.. ثم من وسط دموعها الصادقة قالت له: هل يرضيك ياريس أن ينام أولادي بغير طعام، وأنا الذى كان أبي رئيس وزراء مصر ذات يوم.. هل ترضيك بهدلة بنات الناس.

ووجدنا عبد الناصر يتأثر بالفعل ثم هدأ خاطرها وقال لها : أعدك بأن زوجة سيفرج عنه بمجرد انتهاء المحاكمة.. ولن يمس بأذى ولا تحملى هم أى شيء خالص !!.

وفى الحال تحدث عبد الناصر مع «صلاح الشاهد» كبير الأمناء، وعبر التليفون طلب منه أن يأمر بصرف مبلغ من النقود للسيدة لمواجهة الضائقة المالية التى تمر بها.

وبعد أن انصرفت السيدة ابنة اسماعيل صدقى باشا، وجدناه يقول لنا «حفنى باشا محمود وأنا»: إذا كان زوجها قد أخطأ فما ذنب زوجته وأطفاله !!.

وكانت «الأبوة» نقطة ضعف عبد الناصر الحقيقية !!.

بداية نهاية نجيب !:

فى ٢٣ يوليو ١٩٥٣ كان قد مضت سنة كاملة على قيام الثورة، وبات فى يقين كل البشر أن محمد نجيب هو الذى قام بالثورة، وكان كل يوم يمر يحمل معه مشكلة ما بين نجيب وبين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة !! ورغم هذه المشاكل كان الكل حريصاً على إرضاء نجيب أمام الرأى العام، وعندما أصبح صلاح سالم وزيراً للارشاد القومى كان يشكو من تصرفات نجيب الغريبة وإلحاحه أن تنشر الصحف والمجلات والإذاعة كل خطاباته وأحاديثه بشكل يومى !! وإذا حدث ولم تنشر الصحف مقتطفات من كلامه كان يظن أن صلاح سالم بإيعاز من عبد الناصر وراء ذلك !!.

وكنا نحن الضباط الأحرار أكثر الناس ضيقاً بتوازنات عبد الناصر ومنطقه تجاه تصرفات نجيب !! وذات يوم من أغسطس ١٩٥٣ ظهرت مجلة «الاثنين والدنيا» وعلى غلافها صورة بالألوان لمحمد نجيب وعبد الناصر، وفى داخل المجلة تحقيق صحفى عنوانه «رجال الثورة يتحدثون»: لماذا اخترنا محمد نجيب رئيساً للجمهورية؟! وتحدث فيه عبد اللطيف البغدادى وحسين الشافعى وخالد محيى الدين وحسن ابراهيم، وكان مما قاله البغدادى عن نجيب أنه تولى قيادة الثورة فأثبت للشعب أنه زعيمه الأوحد فى هذه الآونة الدقيقة» ... و .... و ...

وكعادة عبد الناصر استطاع أن يمتص غضب الكثيرين ببرود أعصابه وطول باله.. إلى أن جاءت ذكرى اغتيال المرحوم «حسن البنا» فى ١٢ فبراير عام ١٩٥٤.. وقد اعتاد «الإخوان المسلمون» الاحتفال بذكرى الشهيد البنا بزيارة قبره، وعلمنا برغبة اللواء نجيب فى الذهاب إلى المدافن والمشاركة فى الاحتفال وتقديم العزاء لأسرة الشهيد، وفى نفس الوقت كان عدد كبير من الإخوان المسلمين قد اعتقلوا قبل شهور، وظهر لنا ما يؤكد تقرب «نجيب» منهم، وعندما كان محمد نجيب يزور بعض المساجد كانوا يهتفون بحياته، ويتجاهلون تماماً اسم جمال عبد الناصر.

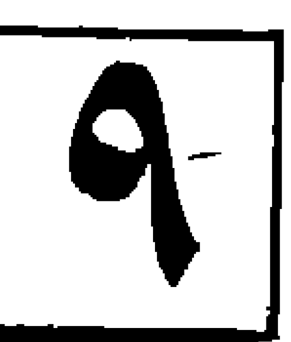
وصمم عبد الناصر على زيارة مدفن الشهيد البنا ورفض نصيحتنا تماماً بإلغاء الزيارة والاكتفاء بإرسال مندوب عنه، واتصل عبد الحكيم عامر بمحمد نجيب لترتيب الزيارة وابلاغ نجيب أن عبد الناصر سيكون معه! وكانت المفاجأة المذهلة أن نجيب يرفض تماماً مصاحبه عبد الناصر له فى زيارة مدفن الشهيد البنا!!.

وحاول عبد الحكيم عامر أن يفهم من نجيب سر هذا الرفض، وقال له نجيب: أنا رايح لوحدى وعبد الناصر يروح لوحده.. وكل واحد من سكة!.

وطوال نصف ساعة والحوار بين نجيب وعامر لم يؤد إلى نتيجة، ولم يفلح عبدالحكيم عامر رغم المكانة التى يتمتع بها فى قلب نجيب أن يثنيه عن عزمه! وعندما عرف عبد الناصر بذلك ازداد عناده وصمم على الذهاب رغم كل التحذيرات التى قلناها من أنه قد يتعرض لمحاولة اغتيال أو اعتداء عليه!.

وجاءت تقارير المباحث الجنائية بعد معاينة مكان الضريح تقول إن المكان لا يسع إلا حوالى مائة شخص، ولكن من المتوقع أن يجئ حوالى ألف أو أكثر، واكدت التقارير أن الحاضرين سينتهزون المناسبة للهتاف بحياة الديموقراطية ومحمد نجيب وتوجيه هتافات معادية لجمال عبد الناصر وباقى أعضاء مجلس القيادة! وعرضنا كل هذه التقارير على جمال عبد الناصر الذى كان يستمع إليها فى صمت وهدوء وهو يدخن سيجارته ثم قال:

- بكرة الصبح يا جمال ياقاضى تكون جاهز تماماً أنت والبوليس الحربى علشان حنزور مدافن الشهيد حسن البنا (!!!!).



لماذا أختار عبد الناصر منصب وزير الداخلية؟!

انتهى شهر العسل بين جمال عبد الناصر ومحمد نجيب صباح يوم ١٢ فبراير ١٩٥٤ وحتى ذلك التاريخ كان عبد الناصر يلتمس الأعذار لنجيب ويدافع عنه فى مواجهة أعضاء مجلس القيادة والضباط الأحرار!!

وصباح ١٢ فبراير ١٩٥٤ كان الإخوان المسلمون يحتفلون بالذكرى الخامسة لاستشهاد واغتيال الشهيد «حسن البنا» مؤسس الجماعة الذى اغتيل فى نفس اليوم من عام ١٩٤٩، وقرر محمد نجيب أن يقوم بزيارة ضريح المرشد العام «البنا» ورفض مصاحبة عبد الناصر له.. وقال لعبد الحكيم عامر بكل إصرار وعناد بعد مكالمة تليفونية استغرقت نصف ساعة: كل واحد يروح من سكة يا حكيم...!

واستشاط عبد الناصر غضباً وصمم على رأيه فى ضرورة الذهاب إلى ضريح الشيخ البنا، ورغم كل التحذيرات التى قيلت له بأن حياته معرضة للخطر، وقد يتعرض لمحاولة الاعتداء عليه!! جرى ذلك كله يوم الخميس ١١ فبراير، وبدأنا ترتيبات الزيارة التى سيقوم بها عبد الناصر فى صباح الغد الجمعة، وذهبت المباحث الجنائية لمعاينة الموقع واكتشفت أنه لا يتسع إلا لحوالى مائة شخص، وكانت التقارير قد أكدت أن حوالى ألفى شخص سوف يتواجدون!!

وصباح يوم الجمعة كنت قد اتفقت مع حوالى ١٠٠ من أفراد المباحث الجنائية العسكرية فى البوليس الحربى ليرافقوا عبد الناصر فى زيارته. ووسط هؤلاء وضعت عشرة من ضباط البوليس الحربى أحاطوا بعبد الناصر إحاطة السوار بالمعصم ولم يتركوه لحظة واحدة، وكان كل منهم يده على مسدسه أو الطبنجة الخاصة به تحسباً لأية مفاجآت، وذهب جمال عبد الناصر وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر فى سيارة، وأمام سيارة عبد الناصر وخلفه سارت سيارات البوليس الحربى للمزيد من الحراسة. وبمجرد أن وصل عبد الناصر إلى مكان المدفن فوجئنا بالهتافات تتعالى: عاش محمد نجيب.. يسقط السفاح عبدالناصر!! وهتافات أخرى للإخوان المسلمين!!

كان محمد نجيب قد وصل قبل ذلك،.ودخل إلى المدفن، ثم دخل عبد الناصر وباقي زملائه، وصافحوا محمد نجيب ببرود تام ثم صافحوا أقارب الشيخ البنا - رحمه الله - وبعد أن قرأ عبد الناصر الفاتحة على روح الشهيد البنا، ورغم الهتافات العدائية إلا أنه تكلم في الموجودين، وقال:

«أشهد الله أني أعمل - وكنت أعمل - لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد في سبيلها»!

وصافح عبد الناصر والد الشهيد البنا وشقيقه عبد الرحمن ثم انصرف عائداً إلى بيته، وظللنا في حراسته خوفاً من حدوث شيء ما!!

كانت المفاجأة بالنسبة لعبد الناصر ليست في هتاف الإخوان ضده أو حتى الهتاف بحياة نجيب، إنما كان المفاجئ والمحزن هو ذلك التحالف الذى قام فجأة بين محمد نجيب والإخوان للانقضاض على الثورة!!

الهضيبي يطالب بفرض الحجاب!

عندما قامت الثورة كان المرشد العام للإخوان المسلمين «حسن الهضيبي» في الإسكندرية وأرسل عبد الناصر في طلب الاستاذ «حسن العشماوي» لسان حال المرشد، وطلب إليه تبليغ الهضيبي بإصدار بيان لتأييد الثورة، وكانت المفاجأة لعبد الناصر ولنا أن بيان الهضيبي لم يصدر إلا بعد أن غادر فاروق أرض مصر وتنازله عن العرش، كان البيان عبارة عن عدة سطور مقتضبة وجاء في نهاية البيان طبقاً لما نشر وقتها في الصحف «أن الهيئة التأسيسية ستجتمع في نهاية الاسبوع لتقرر رأى الإخوان فيما يجب أن تقترن به هذه النهضة المباركة من خطوات الإصلاح الشامل».

ورغم هذا التحفظ الذى لمسناه في سطور البيان، قرر مجلس قيادة الثورة برئاسة عبد الناصر إعادة التحقيق في مقتل الشهيد البنا واعتقال المتهمين الذين سبق أن أفرجت عنهم حكومات ما قبل الثورة!!

وبعد سبعة أيام من قيام الثورة وكان الهضيبي قد عاد من الإسكندرية وطلب مقابلة عبد الناصر، وتم اللقاء فعلاً في منزل «صالح أبو رقيق» (من الإخوان) وكان منزله يقع بالقرب من مقر القيادة. وطلب الهضيبي من عبد الناصر ألا يتم

اتخاذ قرار أو إجراء للثورة إلا بعد التفاهم والتشاور مع الإخوان المسلمين، ورفض عبد الناصر قائلاً: «هذه وصاية لا أقبلها.. والثورة ليست تابعة لأحد ولن تكون تابعة!!». وأعاد عبد الناصر على مسامع حسن الهضيبي أن سبب فصل وإبعاد عبد المنعم عبد الرءوف من تنظيم الضباط الأحرار كان إصراره على تبعية الضباط الأحرار للإخوان المسلمين!!

ثم عاد الهضيبي يطالب عبد الناصر بتطبيق أحكام القرآن في الحال، وكان رد عبد الناصر أن محاربة الفساد والظلم الاجتماعي والاستبداد لا يتناقض أو يتعارض مع أحكام القرآن الكريم!! وكان رأى الهضيبي أن يكون الحد الأقصى لقانون تحديد الملكية هو خمسمائة فدان وأصر عبد الناصر على أن يكون ٢٠٠ فدان فقط!!

وكان الطلب الغريب الذى أثار دهشة عبد الناصر فعلاً هو اقتراح الهضيبي بأن تصدر الثورة قراراً بإغلاق دور السينما والمسرح لأنها سبب الفساد!! وقانون آخر يقضي بعودة النساء إلى الحجاب حتى لا يخرجن سافرات إلى الشوارع.. وقال له عبد الناصر: «خلينا نتكلم بصراحة وبوضوح أنت بنتك في كلية الطب بتروح كليتها بدون حجاب إذا كنت أنت في بيتكم مش قادر تخللي بنتك تطلع في الشارع حاطة حجاب حتخليني أنا أطالب كل الناس بالحجاب».. والمعروف أن الهضيبي كان يسكن في شقة تحت شقة يعيش فيها «نسايب» صلاح سالم ومن صلاح عرف عبد الناصر أن ابنة الهضيبي تذهب للكلية بدون حجاب!!

ومما لفت نظرنا في تلك الأيام مقال مثير نشره الاستاذ «سيد قطب» في جريدة الأخبار على ما أذكر في ٨ أغسطس ١٩٥٢ كان على شكل رسالة مفتوحة إلى اللواء محمد نجيب يطالبه فيها بإقامة ديكتاتورية عادلة.. وإذا كان الشعب قد تحمل ديكتاتورية طاغية باغية شريرة مريضة مدى خمسة عشر عاما أو يزيد أفلا يحتمل ديكتاتورية عادلة نظيفة ستة شهور؟!

وفي اجتماعات لجان الأسلحة المختلفة للضباط الأحرار، والتي كانت تعقد أسبوعياً وبحضور عبد الناصر نفسه، كنا نستمع منه لكل هذه التطورات والمناقشات التي تدور مع القوى السياسية الأخرى! وكان يستمع بدوره لما نقوله من انتقادات وآراء فيما يجرى حولنا من أمور!!

قرار من نجيب بحذف لفظ المحترم!

وصباح يوم الأحد ٦ من سبتمبر ١٩٥٢ أذاع محمد نجيب بياناً هاماً أعلن فيه أن وثبة الجيش لم تكن ضد الملك وحده بل كانت ثورة على الفساد! وبعدها طلب رئيس الوزراء «على ماهر» مقابلة اللواء نجيب. وكان في استقبال على ماهر عند وصوله عبد الناصر والسادات وجمال سالم وبالطبع نجيب. ودام الاجتماع حوالى الساعة، صرح بعدها نجيب للصحفيين بأن على ماهر سيشرح لهم كل شيء!! وذهب على ماهر إلى قصر عابدين حيث يوجد «مجلس الوصاية على الحكم» وعرض عليهم أسباب استقالته، وبعدها عقد اجتماعاً للصحفيين وقال لهم: «إننى أحمل أجمل ذكرى للتعاون الأكيد المتبادل بيني وبين الجيش خلال المدة التى قضيتها رئيساً للوزراء»، وكان معروفاً داخل كواليس مجلس قيادة الثورة أن الخلاف الرئيسى والأساسى مع على ماهر هو موقفه من قانون الإصلاح الزراعى، وانحيازه لرموز العهد الماضى!

وعند الظهر كلف مجلس الأوصياء اللواء محمد نجيب بتشكيل الوزارة وأن يكون رئيساً لها، وكان أول تصريح له أن برنامج وزارته هو التطهير وقانون تحديد الملكية وكل ما من شأنه تخفيض الأسعار!! وأن وزارته ستكون مدنية لا عسكرية!!

وكان رأى جمال عبد الناصر الذى وافق عليه محمد نجيب بغير تردد أو مناقشة هو اشتراك ثلاثة من الإخوان المسلمين فى الوزارة التى شكلها!! على أن يكون من بينهم «أحمد حسن الباقورى» ووافق الهضيبى على ذلك فى حوار تليفونى بينه وبين عبد الحكيم عامر. وسرعان ما جاء «حسن العشماوى» بنفسه وأبلغ عبد الناصر أن المرشد يرشح للوزارة كلا من «منير دلة» و«حسن العشماوى» ورفض عبد الناصر طلب ترشيح اسمين آخرين، ثم اتصل بالهضيبى يبلغه بذلك ورد عليه قائلاً إن مكتب الإرشاد سيجتمع ثم يرد عليك بعد الاجتماع، وكانت المفاجأة غير المتوقعة أن عبد الناصر حينما اتصل بالهضيبى ليعرف منه الاسماء التى ستدخل الوزارة كان رد المرشد عليه: لن نشترك فى الوزارة!! فلما قال له عبد الناصر ولكننا اخترنا بالفعل الباقورى وسوف يحلف اليمين قال: لا أوافق على دخول أحد من الإخوان فى الوزارة!!

وفى نفس اليوم صرح الهضيبى للصحافة بأن أحمد حسن الباقورى قدم استقالته من الإخوان المسلمين قبل قبوله الاشتراك فى الوزارة، ومن الطريف أنهم فى مجلس القيادة ظلوا يبحثون عن الشيخ الباقورى فترة طويلة، والغريب أن الباقورى سأل مصطفى وعلى أمين عن رأيهما فى مسألة قبوله الوزارة وأنهما قالا له: إنها خدمة وطنية (!!) وعندما ذهب الباقورى لقصر عابدين فقد كان بصحبته «موسى صبرى» وهو الذى أخبره أن اللواء نجيب يبحث عنه!

وكما تم اختيار الباقورى وزيراً للأوقاف فقد اختارت الثورة من الإخوان أيضاً المستشار أحمد حسنى وزيراً للعدل وكان وقتها يشغل منصب وكيل محكمة النقض، وكمال الديب محافظ الاسكندرية!! وكان أحد القرارت التى اتخذها مجلس الوزراء وقتها الاكتفاء بلقب «السيد» وحذف الشق الثانى من اللقب وهو «المحترم».

عبد الناصر وزيراً للداخلية!

ولم يغفر الإخوان لجمال عبد الناصر رفضه للأسماء التى رشحوها لدخول وزارة نجيب، كما استاءوا من دخول الشيخ الباقورى وأحمد حسنى فى الوزارة وبعد عدة أيام صرح الشيخ الباقورى بحديث صحفى نشرته جريدة «المصرى» قال فيه: «لا يمكن فرض حكومة دينية ولا يمكن مجيئها نتيجة لإحساسات الناس»، وغضب الهضيبى من هذا التصريح وتصور الأمر وكأنه بإيعاز من عبدالناصر لكى يضايق به الإخوان! وسرعان ما نشرت الصحف خبراً يقول إن قانون الأحزاب سوف يطبق على الإخوان المسلمين.. وكانت هذه رغبة محمد نجيب وكما اعترف بنفسه فى مذكراته (كلمتى للتاريخ) كما كانت نفس رغبة سليمان حافظ نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية!!

وكانت الأحزاب قد قدمت طلبات جديدة إلى وزارة الداخلية بإعادة تكوينها وتشكيلها، وقدم الإخوان المسلمون طلباً بهذا المعنى. وفوجئ عبد الناصر بهذا الطلب الغريب واتصل على الفور بوزير الداخلية سليمان حافظ ورجاه ألا يلتفت للطلب المقدم من الإخوان لأنهم ليسوا حزباً بل هيئة حتى لا ينطبق عليهم القانون. وفى مكتب وزير الداخلية تقابل عبد الناصر وحسن الهضيبى

مع سليمان حافظ وجرى تصحيح الوضع.. وبذلك كان الإخوان المسلمين، هم الجهة الوحيدة التى لن ينطبق عليها فيما بعد قرار حل الأحزاب فى ١٥ يناير ١٩٥٣.

وعندما فكر جمال عبد الناصر فى إنشاء هيئة التحرير وأسند هذه المسئولية إلى إبراهيم الطحاوى تضايق الإخوان وانزعجوا وذهب الهضيبى لمقابلة عبد لناصر فى كوبرى القبة واعترض على قيام هيئة التحرير قائلاً: «لا داعى لإنشائها مادام الإخوان قائمين»، ولم يسترح الهضيبى لرد عبد الناصر عليه بأن هناك من لا يرغب فى الانضمام لهيئة الإخوان كما لم يسترح عبد الناصر لعبارة الهضيبى: «إننا لن نؤيد هذه الهيئة يا جمال»!!

وكانت كل الدلائل تشير إلى أن ثمة بوادر صدام قادمة بين عبد الناصر من ناحية والإخوان من ناحية أخرى، لكن المثير فى الأمر هو اتصالات الإخوان بمحمد نجيب عن طريق حارسه «محمد رياض»، كان الإخوان قد عرفوا بالتوتر القائم بين نجيب وبين مجلس قيادة الثورة وأرادوا أن يستثمروا هذه التناقضات لمصلحتهم.. واقترحوا على محمد نجيب تعيين «رشاد مهنا» (الذى تم عزله من مجلس الوصاية ثم جرى اعتقاله يوم ١٥ يناير ١٩٥٣) قائداً عاماً للقوات المسلحة، وطلبوا أيضاً عدم عودة الأحزاب وأن يعود الضباط الى الجيش، وتتألف وزارة يرضون عنها!!

فى نفس الوقت جرت اتصالات بين الإخوان المسلمين وبين الإنجليز - أثناءمفاوضات الجلاء - شارك فيها من الإخوان منير دلة وصالح أبو رقيق وعن الجانب الإنجليزى مستر إيفانز (المستشار الشرقى للسفارة الإنجليزية) وقال عبدالناصر للهضيبى عندما علم بأمر هذه اللقاءات: «إن هذا يظهر البلد بمظهر الانقسام والاختلاف»!

وكان مما يقلق بال جمال عبد الناصر دائماً هو «الجهاز السرى للإخوان المسلمين» والذى قام أفراده قبل الثورة بمعظم حوادث الاغتيال والإرهاب! عندما أعلنت الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ لم تكن صدفة أن يتولى عبدالناصر منصب وزير الداخلية بالإضافة لكونه نائباً لرئيس الوزراء (محمد نجيب).

وذات يوم استدعانى عبد الناصر أنا وزميلى «محمد أبو نصير» قائد ثانى المباحث الجنائية العسكرية فى مقر وزارة الداخلية وفاجأنى عبد الناصر قائلاً: «تصوروا وزارة الداخلية بكل أجهزتها ومباحثها ومخبريها ليس فيها قصاصة واحدة عن أفراد الجهاز السرى للإخوان المسلمين؟!». اندهشت جداً أما دهشة محمد أبو نصير فقد كانت أكبر فقد كان فى شبابه منضماً للإخوان المسلمين وكان أحد أعضاء الجهاز السرى ويعلم جيداً خطورة هذا الجهاز، والعمليات التى يمكن أن يقوم بها وقت الحاجة!!

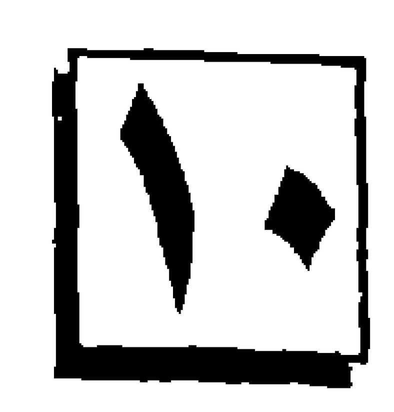
وعاد عبد الناصر ليقول بهدوء شديد: «أنا ليست مشكلتى الآن الجهاز العلنى للإخوان لأنه سهل قوى.. أعرفهم واحداً واحداً بسماعة تليفون بكل مديريات الأمن فى مصر، إنما المشكلة الحقيقية فى أسماء الجهاز السرى»! كانت رسالة عبد الناصر الواضحة لنا أنه يريد معرفة أفراد الجهاز السرى للإخوان بأى ثمن وبأسرع وقت!!

بدأنا باستدعاء اللواء إمام إبراهيم رئيس القلم المخصوص (المباحث قبل الثورة) وكان أحد المعتقلين وقتها. وأحضرت الرجل بعربتى وذهبت به إلى وزارة الداخلية وطلبنا منه أن يدلنا على اسماء الجهاز السرى، وبعد أن وافق الرجل وأخذ يبحث فى أوراقه اعتذر بأنه لا يعرف شيئاً! وأعدنا الرجل ثانية لمكان اعتقاله!!

دب اليأس إلى قلبى.. طوال اليوم.. وما زاد من توترنا وقلقنا تليفونات عبدالناصر التى تسأل كل فترة: ماذا فعلتم فى أمر اسماء أفراد الجهاز السرى؟!

فى اليوم التالى دخل مكتبى «محمد أبو نصير» وبصحبته رجل لم يسبق لى أن رأيته وتصورت أنه أحد اصدقائه أو أقاربه، وقدمه لى محمد أبو نصير قائلاً: «عبد الرحمن السندى قائد الجهاز السرى للإخوان وصديقى أيضاً»!

كانت المفاجأة قد أخرستنى تماماً إلا من عبارات الترحيب والمجاملة العادية.



صرخ عبد الناصر فى وجهى: دى ثورة مش طابونة!

لم أصدق عينى عندما دخل مكتبى فى إدارة البوليس الحربى الزميل «محمد نصير» ومعه «عبد الرحمن السندى» رئيس الجهاز السرى للإخوان المسلمين!!

قال «السندى» بكل الوضوح والحسم: لن أتكلم عن شىء إلا إذا تقابلت مع جمال عبد الناصر شخصياً!!

فى الحال اتصلت بالرئيس عبد الناصر تليفونياً وأخبرته بالمفاجأة كاملة وإذ به يقول فرحاً متهللاً: «تعالوا فوراً».. وأغلقت السماعة وعاد التليفون يدق ثانية وكان المتحدث عبد الناصر الذى قال لى: «بلاش تيجوا دلوقتى.. أنا منتظركم فى البيت الساعة خمسة العصر.. أوعى تتأخروا يا قاضى».

فى تمام الساعة الخامسة كنا فى بيت عبد الناصر، ما أدهشنى حقاً هو تلك الحفاوة التى تقابل بها عبد الناصر مع السندى فقد عانقه محتضناً كما لو كان يعرفه منذ سنوات. وبعد أن جلسنا فوجئنا بعبد الناصر يقول: «فى الأول نأكل لقمة مع بعض، أنا لسة ما أتغديتش لغاية دلوقتى»!! وجاء الغداء.. وأكلنا وشربنا، والحقيقة أن عبد الرحمن السندى فوجئ تماماً بكل هذه الحفاوة من عبد الناصر. بل إن عبد الناصر لم يتكلم أو يتحدث معه فى أى شىء يخص التنظيم السرى للإخوان. بل تحدث بشكل عام عن الأحداث الجارية. والحقيقة أننى أندهشت جداً من هذاالتصرف.. ولكن بعد أن غادرنا بيت عبد الناصر فوجئت بعبد الرحمن السندى يقول لى ونحن فى السيارة: «أنا من أيدكم دى لأيدكم دى! وكل ما يطلبه عبد الناصر منى سيكون تحت أمره»!

وألحت للسندى إذا كان يعرف اسماء أو كشوفات أعضاء التنظيم السرى فيمكن أن يحضرها!! وفى اليوم التالى مباشرة كانت كشوفات أعضاء التنظيم

من أسوان حتى الاسكندرية تحت أيدينا كاملة.. وأرسلنا نسخة منها إلى عبد الناصر في وزارة الداخلية!

وفيما بعد عرفت أن عبد الناصر كان على علاقة وثيقة بالسندى من خلال عبد المنعم عبد الرءوف زميلنا في الضباط الأحرار، وذلك أثناء الفترة التي كان فيها عبد الناصر على اتصال بالإخوان المسلمين قبل الثورة، واتخذ له اسماً حركياً هو «زغلول عبد القادر» كما اتخذ اسم «موريس» عندما كان على اتصال بالتنظيمات الشيوعية واليسارية قبل الثورة!!

الإخوان في بيت عبد الناصر!

وروى عبد الرحمن السندى لجمال عبد الناصر قصة خلافه مع المرشد العام «حسن الهضيبي» والصراع العنيف بينهما، كان السندى بحكم أنه رئيس الجهاز الخاص للإخوان يعتقد أنه الموجه الحقيقي للإخوان والأحق بأن يكون المرشد العام للإخوان بدلاً من الهضيبي. أما الهضيبي فقد استغل ما قام به التنظيم الخاص من بعض عمليات الإرهاب والاغتيال ودعا إلى حل هذا التنظيم لأنه يسيء إلى الإخوان، وكان الهضيبي يردد دائماً أنه لا يوافق على التنظيمات السرية لأنه لا سرية في الدين. ولكنه في نفس الوقت استطاع إبعاد عبد الرحمن السندى من قيادة التنظيم الخاص، وشرع في تكوين تنظيم جديد يدين أفراده له بالطاعة التامة والولاء المطلق!!

وكان عبد الناصر قد دعا أفراد مكتب هيئة الإخوان المسلمين برئاسة الهضيبي ليتناولوا طعام العشاء في بيته، وتكلم عبد الناصر بصراحة قائلاً: «إن وجود النظام الخاص هو دليل على سوء نية الإخوان تجاه الثورة، وإذا كان وجود هذا التنظيم ضرورة أيام حكم الملك فإنه لم يعد له ضرورة الآن»! ووعد الهضيبي عبد الناصر بالتفكير في هذه المسألة وإيجاد حل لها!

وكانت كل التقارير التي تصل إلى عبد الناصر تشير إلى وجود تنظيمات سرية للإخوان داخل الجيش والبوليس رغم إنكار الهضيبي لوجود ذلك تماماً وفي أواخر مارس ٥٣ كان عبد الناصر في زيارة الوجه القبلي ثم توقف في بني سويف. حيث جرى له استقبال ضخم، وأقيم سرادق ضم عشرات الألوف من

الناس، وأخذ يخطب فيهم وسرعان ما فوجئ ببعض من شباب الإخوان يهتفون بهتافات معادية له على طول الخط !! وبمجرد عودة عبد الناصر من جولته اتصل بالأستاذ حسن العشماوى باعتباره ممثلاً للمرشد وطرح عليه هواجسه كلها ثم قال له بكل الحسم والحزم: إننى أنذر أننا لن نقف مكتوفى الأيدى أمام هذه التصرفات، ويجب أن يعلم الإخوان أن الثورة إنما أبقت عليهم بعد أن حلت جميع الأحزاب لاعتقادها أن فى بقائهم مصلحة وطنية، فإذا ما ظهر أن فى بقائهم ما يعرض البلاد للخطر، فإننا لن نتردد فى اتخاذ ما تمليه علينا مصلحة البلاد مهما كانت النتائج، وكان العشماوى يستمع لعبد الناصر ثم انصرف !!

ولم يكتف عبد الناصر بهذا بل قام باستدعاء نائب المرشد «خميس حميدة» وكذلك فضيلة الشيخ «سيد سابق» وروى لهما كل ما قاله للعشماوى ثم حذرهما من الانسياق وراء الشائعات التى تملأ البلد ! وكانت إحدى هذه الشائعات أن عبد الناصر كلف «عبد الرحمن السندى» مستغلاً خلافه مع المرشد - بأن يقوم باغتيال الهضيبى وأن الحكومة سوف تغمض عينيها عن ذلك تماماً.

ماذا يريد نجيب أكثر من هذا ؟!

ومنذ اليوم الأول لقيام الثورة كانت تعليمات عبد الناصر لى أن أزوره يومياً فى بيته أجلس معه لفترة، قد تطول أو تقصر حسب الموضوع الذى سيتناوله بالحديث، وذات صباح أحد أيام شهر نوفمبر ١٩٥٣ وعندما ذهبت لزيارته وجدت أحمد أنور قائد البوليس الحربى موجوداً فى صالون المنزل.. وكان عبد الناصر لا يزال يتناول طعام الإفطار ولاحظت أن عبد الناصر ساهماً وشارداً على غير عادته، وعندما قلت له صباح الخير يا ريس قال صباح النور يا قاضى وهو «مكشر ومبوز» ولم يكن كعادته، ونظر لى أحمد أنور وفهمت من نظرته أن أسكت وتجاهلت نظرته وسألت عبد الناصر: «مالك يا ريس خير.. فيه إيه؟» فقال: مش خير أبداً !! الحقيقة أن محمد نجيب بدأ يتصور أن كل احتكاك بينه وبين أحد زملائنا أننى السبب فيه.. لقد احترت مع نجيب ولا أدرى ماذا أفعل معه أكثر من هذا؟

إنه يتحدث باسم الثورة، واخترناه رئيساً للجمهورية وأيضاً رئيساً للوزراء، وأصبح بطلاً شعبياً، فماذا يريد أكثر من هذا؟!

وجدت نفسي أثور وأقوم مندفعاً ناحية الباب وأنا أقول له : أنا رايح اعتقل نجيب دلوقتي حالاً يا ريس ! ووجدت عبد الناصر يشدني بعنف قائلاً : «أقعد يا مجنون .. أعقل شوية مش وقته» ، ووجدتني أقول له : إذا كان وجود نجيب على رأس الثورة سيكون السبب في فشلها فلا حل إلا اعتقاله ! ووجدت عبد الناصر يهدأ قليلاً ثم يتناول فنجان قهوته ويتناول رشفة ثم يقول لي : «سنخلص لنجيب أكثر وأكثر ربما عاد إلى صوابه ، وإلا فسوف يخنق نفسه بنفسه وباختياره» !

الحقيقة أنني لم أفهم جيداً مغزى عبارة عبد الناصر «بأننا سنخلص لنجيب أكثر» ، وكيف يكون إخلاصنا له أكثر من هذا !! ولكن عبد الناصر عاد يقول المشكلة في بعض الذين يلتفون حول نجيب ويوغرون صدره تجاهنا عامة وتجاهي خاصة ؟ والمهم الآن تكثيف المراقبة على نجيب ومعرفة من الذين يترددون عليه وهل هناك خطر منهم أم لا ؟ !

وهكذا دخل البوليس الحربي طرفاً في الصراع الدائر بين الثورة من ناحية وبين محمد نجيب من ناحية أخرى ، فقد كان البوليس الحربي هو الذي ينفذ كل تعليمات يتخذها مجلس قيادة الثورة برئاسة جمال عبد الناصر ، وما يترتب عليها من اعتقال وسجن ! وكان كل أفراد البوليس الحربي بالكامل على ولاء مطلق وإخلاص كامل للثورة وعلى رأسها عبد الناصر . فقد جرى انتقاء واختيار أفراد البوليس الحربي بمعرفتي أو بمعرفة أحمد أنور وكنا نختارهم على الفرازة - كما يقولون - بحيث يكون ولاؤهم الأول والأخير للثورة !!

وذات صباح تقرر عقد اجتماع في قصر عابدين يحضره محمد نجيب وباقي اعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكنت هناك مع زميلي ، أحمد شهيب ننتظر على باب مكتب رئيس الجمهورية وبدأ أعضاء المجلس يتوافدون .. ثم وصل نجيب وعبد الناصر ، وألقى عبد الناصر بالتحية لي وفوجئت بنجيب يترك عبد الناصر ويتجه ناحيتي ، وضع يده على كتفي ، وبيده الأخرى كان ممسكاً بالبايب ثم قال لي : «صحيح يا جمال يا قاضي كنت جاي البيت امبارح علشان تقتلني ؟ ! كان نجيب يسألني بصوت مرتفع يتيح لكل الموجودين أن يسمعه ، وجاء عبد الناصر منزعجاً وكان على بعد خطوات .. وأمام دهشتي من سؤال نجيب لي وجدتني أقول له : أيوه لأن دي ثورة .. ولو أي مخلوق يتسبب في فشلها أدوسه فوراً !

ووجدت الرجل يربت على كتفى وهو يقول: ليه يا بنى كده أنا بحبك وما عملتش حاجة وحشة لك! ووجدت نفسى أقول بلا وعى له: ولكن أنا بأكرهك ومش باحبك!

كان عبد الناصر يستمع لهذه المناقشة فى غيظ مكتوم وعيناه تلمعان بالشرر وهو ينظر لى ثم أخذ نجيب من يده وهو يطيب خاطره ثم دخلا غرفة الاجتماع.. وبعد ساعتين انتهى الاجتماع وطلب عبد الناصر أن أقوم بتوصيله إلى بيته، وبعد أن ابتعدنا بمسافة كافية عن قصر عابدين، طلب منى عبد الناصر التوقف بالسيارة، ولأول مرة فى حياتى منذ عرفته عام ١٩٤٣ وكان أستاذى فى الكلية الحربية، أجده بهذه الحدة والعصبية وهو يقول لى:

«إيه اللى أنت عملته ده.. أنا هأفضل لأمتى مستحملكم.. إنتم تغلطوا وأنا أصلح أخطاءكم، المشكلة مش أنك شتمت الراجل، المصيبة إنه هيفتكر إنى أمرتك بإهانته، وكل أخطائكم فى حقه بتيجى على دماغى أنا..».

ووجدت نفسى أقول لعبد الناصر: بس أنا قلت للراجل حقيقة مشاعرى ناحيته ولم استطع أن أنافقه وأنا فعلاً أكرهه وسيادتكم تعلم ذلك. وإذا كنت تسببت لك فى أى نوع من الحرج ممكن سيادتك تعفينى وتقبل استقالتى!!

ووجدت الرئيس عبد الناصر وثورته تزداد وغضبه يشتد وهو يشعل سيجارة من أخرى ويكاد يقضمها ثم يقول لى:

- أنت فاكر نفسك فى طابونة عيش عشان تقول استقيل!!

دى ثورة مش مخبز عيش علشان كل واحد منكم يتقمص من زميله ويقول لى أنا عاوز استقيل!!

وقلت لعبد الناصر: أنا آسف يا فندم وما تأمرنى به فسوف أنفذه فوراً. وهدأ عبد الناصر قليلاً وعاد لهدوئه قائلاً: سبق أن قلت لك سنتخلص لمحمد نجيب.. ولنترك الزمن يحل كل المشاكل بهدوء شديد!

وضحك عبد الناصر لأول مرة ووجدتنى أسألة ولكن كيف عرف نجيب بحكاية أننى سأتوجه لقتله؟! وروى لى عبد الناصر أن الكثير من الضباط يتقربون لنجيب ويظنونه ما زال مركز القوى وأنه الذى يحكم، وذهب إليه أحد ضباط السوارى «محمد إبراهيم» وبصحبته عربتان مصفحتان فلما سأله نجيب

بفزع: «حصل إيه يا ابنى؟» قال له الضابط منافقاً: «أنا جاى علشان أحميك من جمال القاضى أركان حرب البوليس الحربى لأنى عرفت أنه سوف يقتلك!!

وكنا قد وصلنا حتى بيت عبد الناصر فى منشية البكرى وحييت عبد الناصر وقال لى وهو يبتسم: مش وقت مشاكل يا قاضى!

الضباط يطالبون بتصفية الثورة:

في تلك الأيام كان من المعتاد أن تقام ندوات بين حين وآخر داخل الأسلحة المختلفة فى الجيش لمناقشة الأمور الجارية، وكان من الطبيعى أن يكون جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة على علم كامل بما يدور فى هذه الندوات!

وذات يوم كانت هناك ندوة يقيمها سلاح الفرسان، واتصل بى أحمد أنور وطلب منى أن نذهب سوياً لحضور هذه الندوة، وعند مدخل منشآت سلاح الفرسان استوقفنا المقدم «حمدى عبيد» (من الضباط الأحرار ثم أصبح محافظاً لكفر الشيخ والاسكندرية) وقال لنا: مفيش داعى تدخلوا الندوة لأن الضباط يهاجمونكم بشدة وخاصة تصرفات البوليس الحربى، وصممنا على الدخول وجلسنا نستمع للمناقشات، وكانت المفاجأة أن الضباط لم يكتفوا بشتيمة البوليس الحربى بل طالبوا بتصفية الثورة وأن يعود الجيش إلى ثكناته ولابد من إجراء انتخابات نيابية وعودة الأحزاب الملغاة.

ولم يفتح أحمد أنور أو أنا فمه بالكلام.. وفى نهاية الندوة طلب أحمد أنور منى كتابة تقرير شامل بكل ما سمعناه ورأيناه لتقديمه لعبد الناصر! وكانت دهشة عبد الناصر كبيرة، عندما قرأ هذا التقرير وما تضمنه من هجوم على الثورة!

وبعد عدة أيام نما إلى علمنا أن حوالى خمسين ألفاً من الإخوان المسلمين سيتوجهون إلى قصر عابدين أثناء لقاء محمد نجيب مع عبد القادر عودة أحد أعضاء الإخوان البارزين وانتقلت قوات ضخمة من البوليس الحربى إلى ميدان عابدين تحسباً لأية مفاجآت أو صدام.. ولكن المفاجأة المذهلة هى ظهور محمد نجيب من شرفة قصر عابدين وبرفقته عبد القادر عودة، وأخذ يخطب فى المتظاهرين وهو يضع يده على كتف «عودة» ثم دوت هتافات الإخوان بحياة

نجيب وسقوط عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة واستطاع البوليس الحربى تفريق هذه الحشور فوراً، وعند المساء كان تفاصيل ما جرى مكتوباً على مكتب جمال عبد الناصر!!

كان الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر فى تزايد مستمر، فى نفس الوقت الذى اشتد فيه الصراع والتنافس داخل الإخوان المسلمين أنفسهم وفوجئ عبد الناصر ذات يوم بأن بعض الإخوان المسلمين قاموا باحتلال دار المركز العام وهرع إلى بيت عبد الناصر كل من الشيخ فرغلى وسعيد رمضان وطلبوا منه باسم الإخوان أن يتدخل ضد جماعة الإخوان الأخرى، بشرط ألا ينشر شىء فى الصحف عما جرى، واعتذر لهم عبد الناصر عن التدخل حتى لا يقال أن الثورة انحازت لفريق دون آخر من الإخوان المسلمين.. وعاد الشيخ فرغلى ليطلب وساطة عبد الناصر بين الفريقين المتنازعين.. ووعده عبد الناصر بذلك، واتصل بنا عبد الناصر فى البوليس الحربى طالباً منا العثور بأى ثمن على الأستاذ «صالح عشماوى» من قيادات الإخوان، واستطعنا العثور عليه وأحضرناه إلى عبد الناصر، الذى كان موجوداً عنده عدد كبير من قيادات الإخوان. وكان السبب المباشر للخلافات والصدامات التى جرت بين الإخوان المسلمين . هو قرار حسن الهضيبى بفصل «عبد الرحمن السندى» من هيئة الإخوان ومعه أخرون ونسب وقتها الى «السندى» أنه أرسل علبة من الحلوى بمناسبة المولد النبيو الشريف إلى مهندس إخوانى اسمه «السيد فايز عبد المطلب» فانفجرت فيه ومات معه شقيقه البالغ من العمر تسع سنوات!!

ورغم أن صالح عشماوى وافق على اقتراح عبد الناصر بتشكيل لجنة تحقق الاتهام الموجه إلى السندى وباقى زملائه المفصولين إلا أن ذلك لم يحدث!

فى تلك الساعات كان جمال عبد الناصر هو أهدأ زملائه فى مجلس القيادة، وكانت كل المعلومات تتوافر لديه، فيعكف على قراءاتها ودراستها وتحليلها، حريصاً على ألا تتوه منه خيوط الأحداث رغم تشابكها وتعقيدها..

كانت هتافات الأخوان المسلمين بحياة نجيب وسقوط عبد الناصر مما يقلق بال عبد الناصر. فقد كانت تعنى لديه أن تحالف نجيب مع الإخوان أصبح سافراً، ومما زاده اقتناعاً بذلك عندما علم أن حسن الهضيبى عقد اجتماعاً مهماً وخطيراً ببيت أحد الإخوان المسملين وحضره ضباط من الجيش والشرطة وأبلغهم أن

اللواء نجيب اتصل به طالباً معاونة الأخوان الكامة للقضاء على حكم مجلس الثورة ! !.

كان إيقاع الأحداث يتزايد ويسرع نحو الصدام المحتوم مع الإخوان ونجيب فى نفس الوقت، وجاءت الأيام الأولى من عام ١٩٥٤ تحمل تفاصيل الصدام القادم، ففى يوم عشرة يناير عرفنا أن «حسن العشماوى» من قيادات الإخوان ذهب لمقابلة مستر كروزيل الوزير الإنجليزى المفوض بالسفارة مرتين، دامت كل مقابلة عدة ساعات، وبعد يومين اثنين كان الإخوان المسلمون يحتفلون بذكرى «المنيسى وشاهين» وهما من شهداء الإخوان، وتم دعوة الطلبة الإخوان لهذا الغرض وجرى ترتيب الاحتفال فى جامعتى القاهرة والاسكندرية، وكانت المفاجأة ان يحضر مع الإخوان المسلمين «نواب صفوى» زعيم منظمة إيرانية اسمها فدائيان إسلام، وقام الإخوان بحمله على الاكتاف ثم ألقى كلمة حماسية ضد الثورة! وأخذ الإخوان يهتفون الله أكبر ولله الحمد، وأراد شباب الجامعة وهيئة التحرير أن يتصدوا لهم فانهال عليهم الإخوان بالكرابيج والعصى ! !.

الغريب فى الأمر أن «نواب صفوى» زعيم منظمة فدائيان إسلام كان قد حضر خصيصاً من إيران بدعوة من جماعة الإخوان المسلمين يوم ١١ يناير ١٩٥٤ للمشاركة فى الاحتفال السابق ونزل ضيفاً على الجماعة والتى صدر قرار بحلها فى ١٤ يناير، ووجد الرجل نفسه بلا مأوى، وتدخل أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف واستضافه فى منزله عدة أيام، زار خلالها جمال عبد الناصر فى مقر مجلس قيادة الثورة وطلب أن يلتقط له مع عبد الناصر عدة صور تذكارية !.

المهم أصدرت الثورة قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين، وجاء فى قرار الحل الذى أذيع يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ «أن نفرا من الصفوف الأولى فى هيئة الإخوان أرادوا أن يسخروا الهيئة لمنافع شخصية لإحداث انقلاب فى نظام الحكم القائم تحت ستار الدين، ومستغلين سلطان الدين على النفوس وبراءة وحماسة الشبان المسملين، ولم يكونوا فى هذا مخلصين لوطن أو دين ! !.

مائة ألف صورة لنجيب!

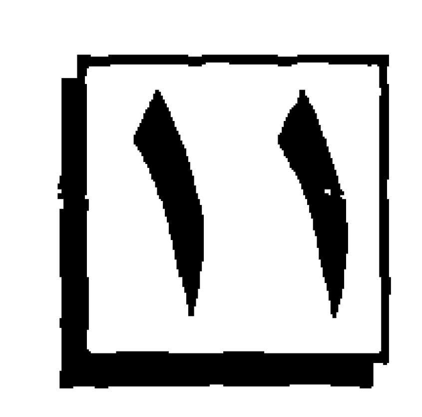
فى منتصف فبراير ١٩٥٤ كانت التوتر القائم بين عبد الناصر ونجيب قد وصل إلى الذروة، وسافر نجيب فى رحلة إلى السودان، ونشرت الصحف وقتها

أن السودان طبعت مائة ألف صورة لنجيب ستوزع على السودانيين ليستقبلوا نجيب وهم يحملونها، كما قال نجيب إنه ينوى زيارة البيت الذى ولد فيه بمدينة أم درمان !!

في الوقت نفسه أعد له مقعد خاص فى حفل افتتاح البرلمان السودانى، وكان نجيب قد اقترح أن يسافر معه إلى السودان جمال عبد الناصر ورفض عبد الناصر الاقتراح ووافق على سفر صلاح سالم !!

ظل عبد الناصر وحده فى القاهرة، يواصل اجتماعاته ولقاءاته بشكل عادى تماماً، وعاد نجيب من السودان، واستقبل بشكل بارد وفاتر من أعضاء مجلس القيادة، واجتمع عبد الناصر مع نجيب فى حضور باقى أفراد مجلس القيادة، وقال لنجيب فى حسم وزهق «أنت عارف إحنا جبناك إزاى.. وعملناك إيه، وحتى هذه اللحظة إحنا نيتنا صافية، ولكنك لا تريد أن تتعاون معنا.. ولقد تأكد لى أنك على اتصال برجال الإخوان المسلمين، وهذا كله لا يمكن السكوت عليه..» وأمامك فرصة للتفكير !!.

وفى يوم ٢٢ فبراير كان مقرراً عقد اجتماع لمجلس قيادة الثورة، ولم يحضره نجيب بل أرسل مظروفاً مع سكرتيره «إسماعيل فريد» وكان المظروف باسم كمال الدين حسين ومكتوب عليه «شخصى وسرى للغاية»، وفتح المظروف وكان عبارة عن استقالة نجيب من كل مناصبه !!



البوليس الحربي يعتقل عبد الناصر!

امسك كمال الدين حسين بالمظروف الذى سلمه له «إسماعيل فريد» سكرتير محمد نجيب، كان مكتوباً على المظروف «شخصى وسرى للغاية» فتح كمال حسين المظروف وأخرج منه ورقة واحدة بخط نجيب وأخذ يقرأ بصوت مرتفع رسالة نجيب التى بدأها بقوله: بعد تقديم وافر الاحترام، يحزننى أن أعلن لأسباب لا يمكننى أن أذكرها الآن أننى لا يمكن أن اتحمل من الآن مسئوليتى فى الحكم بالصورة المناسبة التى ترتضيها المصالح القومية، ولذلك فإنى أطلب قبول استقالتى من المهام التى أشغلها، وإنى إذ أشكركم على تعاونكم معى أسأل الله القدير أن يوفقنا إلى خدمة بلدنا بروح التعاون والأخوة».

بمجرد انتهاء كمال حسين من قراءة خطاب استقالة محمد نجيب طلب عبد الناصر من سكرتير نجيب أن يبلغه بعدم ترك منزله حتى يبت مجلس قيادة الثورة فى رسالته!! وحتى ذلك الوقت لم نكن ندرى شيئاً عن هذه الاستقالة، وعند ظهر يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٤ تلقينا فى البوليس الحربى مكالمة تليفونية عاجلة، تطلب ضرورة توجه كل من أحمد أنور قائد البوليس الحربى وأنا إلى مقر مجلس قيادة الثورة بالجزيرة. وذهبنا على الفور وكان فى استقبالنا - احمد انور وأنا - صلاح سالم الذى كان جالساً بمفرده فى حجرة الاجتماعات يتناول طعام الغداء (!!) وطلب منا أن نأكل معه قبل أن يفاتحنا فى أمر هام، وشاركناه طعام الغداء (!!) ثم قال بعدها إن عبد الناصر كلفه بأن يستدعينا لإقناعنا بالقرارات التى اتخذها المجلس على ان نقنع بها أفراد البوليس الحربى فيما بعد (!!) ثم خصنى صلاح سالم بقوله: لقد حذرنى عبد الناصر من أنك سترفض هذه القرارات يا قاضى (!!).

وجدت نفسى اندفع قائلا: ما هو الموضوع بالضبط يافندم؟ وروى لنا صلاح قصة استقالة نجيب وأن المجلس اجتمع ورفض هذه الاستقالة، وانسحاب مجلس

قيادة الثورة من الحكم وعودته إلى منازلهم، مع ترك عبد الحكيم عامر في منصبه كقائد عام للقوات المسلحة. ولم ينطق أحمد أنور بحرف واستولى الذهول على عقلي، وفي تلك اللحظة وصل عبد الناصر ولم يتدخل في الحديث، وترك صلاح سالم يقول: إن الهدف من رفض استقالة نجيب هو كشفه أمام الناس. ووجدت أحمد أنور يعلق قائلاً: هذه فكرة مدهشة!! ولكنى ثرت وانفعلت وقلت: ده أول حاجة هيعملها نجيب إنه سيقبض عليكم كلكم ويرميكم في السجن ولن يستطيع ساعتها عبد الحكيم عامر أن يحميكم أو يحيمنا!.

كان صلاح سالم في منتهى العصبية، وأخذ عبد الناصر يفكر في صمت ثم عدت أقول: ومن الذى اعطاكم حق الاستقالة، هل دعوتم لعقد جمعية عمومية للضباط الأحرار وأخذتم رأيها في هذه القرارات، وكان لا بد من أخذ رأى كل الضباط الأحرار فنحن شركاء معكم في هذه الثورة، وهي ثورتنا مثلما هي ثورتكم!! وأنا غير موافق على هذه القرارات التى تعنى تصفية الثورة، ونهضت من مكاني، وهنا قال عبد الناصر لصلاح سالم: لقد قلت لك إن القاضى مش هيقتنع، وحاول عبد الناصر تهدئتى قائلا: اقعد واهدأ ياقاضى!! ولأول مرة أجدنى منفعلا عليه قائلا: أنت صحيح أستاذى وقائدى منذ كنت تدرس لى في الكلية الحربية عام ١٩٤٣ ولكن مسألة تصفية الثورة بهذه البساطة لا أقبلها منك!!

حاول صلاح سالم وأحمد أنور جذبى من كتفي لأجلس ولكن عبد الناصر قال لهما بدوء شديد سيبوه يتصرف زى ما هو عايز وهذا حقه!!.

توجهت إلى غرفة جانبية وبواسطة التليفون أبغلت قيادات الضباط الأحرار في الاسلحة المختلفة بما جرى. اتصلت بإبراهيم الطحاوى، وطعيمة وحمدى عاشور وصلاح سعدة، ومن قيادات سلاح المدفعية فتح الله رفعت وعبد المجيد شديد وسعد زايد وأبو الفضل الجيزاوى وأحمد شهيب ومن سلاح الفرسان صابر صبرى وعبد الفتاح على أحمد ومن سلاح الطيران وجيه أباظة، المهم أننى ابلغتهم بقرارات المجلس، وأننا لابد أن نجتمع كجمعية عمومية لمناقشة هذا الأمر!!.

مهاجمة عبد الناصر في سلاح الفرسان:

في خلال نصف ساعة توافد على مقر مجلس قيادة الثورة حوالى ٨٠ ضابطاً وكانوا يمثلون بالفعل جمعية عمومية، وثار الجميع في وجه صلاح سالم عندما أبلغهم بالقرارات السابقة. وعقدنا اجتماعاً رفضنا فيه بالإجماع هذه القرارات وتقبل استقالة نجيب من كافة مناصبه مع تحديد إقامته بمنزله. وأن يستمر مجلس قيادة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر في تولى كافة سلطاته إلى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو جلاء الإنجليز عن مصر! والملفت للنظر فعلا أنه حضر اجتماع الجمعية العمومية بعض ضباط السوارى الذين كانوا قد انضموا لتنظيم الضباط الأحرار قبل أسبوع واحد فقط من الثورة، هؤلاء الضباط اكتشفنا أنهم من المؤيدين لنجيب، وذلك عندما طالبوا بإجراء انتخابات وتنحية مجلس قيادة الثورة!! وكان عددهم ثمانية ضباط.

وسرعان ما انتقلنا إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ومقرها «شارع الخليفة المأمون»، وتم تعزيز الحراسة المكثفة حولها، وتم إحضار سرية من الكتيبة ١٣ التى قامت بدور تاريخى ليلة ٢٣ يوليو، وذهب الضباط الأحرار إلى وحداتهم في حالة تأهب واستعداد قصوى تحسباً لاية مفاجآت، وظللت أنا في مبنى القيادة العامة ومدفعي الرشاش فوق كتفي، مملوءً بالذخيرة الحية!!.

في الصباح علمنا أن ضباط سلاح الفرسان مجتمعون في مقرهم وأعلنوا الاعتصام وطالبوا بعودة محمد نجيب فوراً وأنهم لن ينهوا هذا الاعتصام إلا إذا أجيبت مطالبهم، على الفور ذهب جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وحسين الشافعي للاجتماع بهؤلاء الضباط، ورفض عبد الناصر ذهابى معهم وذكرنى بما جرى من هجوم سلاح الفرسان على البوليس الحربى في الندوة التى عقدت منذ ايام!! ومضت عدة ساعات عاد بعدها عبد الناصر ومعه باقى زملائه، وكان في حالة نفسية سيئة للغاية والتزم الصمت تماماً، واستفهمنا عما جرى فروى صلاح سالم أن الضباط هاجموا عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة وطالبوا بعودة نجيب فوراً، وكانت المفاجأة أن خالد محيى الدين لم يتدخل عندما هاجم ضباطه عبد الناصر. بل كان يبتسم في تشفٍ، أما الذى تصدى للدفاع عن

عبد الناصر فهو حسين الشافعي حتى أن الضباط هاجموه أيضا وطالبوه بالسكوت !! وهاجم الضباط علانية صلاح سالم وأشاروا لقصة العلاقة التي بينه وبين الاميرة السابقة فايزة، كما انتقدوا ترقية عبد الحكيم عامر ثلاث رتب مرة واحدة.

وفي الحال دعا عبد الناصر لاجتماع مجلس قيادة الثورة واتخذوا قراراً بتنحي المجلس عن موقعه وأن يعود أفراد المجلس لوحداتهم كضباط عاديين، وعودة محمد نجيب كرئيس للجمهورية ورئيساً للوزراء بشرط أن يوافق نجيب على بقاء عبد الحكيم عامر على رأس القوات المسلحة (!!).

وبمجرد أن تسربت إلينا هذه القرارات ثرنا ثورة عارمة نحن جموع الضباط الأحرار، وكنا على اتصال دائم ببعضنا البعض، واجتمعنا على شكل جمعية عمومية للمرة الثانية، وفي هذه المرة وبدون تردد اتخذنا أخطر قرار وهو عزل كل أعضاء مجلس قيادة الثورة نفسه مع عدم السماح بمغادرة أفراده مبنى القيادة، وتعيين أحمد أنور قائداً عاماً للقوات المسلحة بدلا من عبد الحكيم عامر ثم اعتقال محمد نجيب ووضعه في سلاح المدفعية بصفة مؤقتة وتم تكليف كل من حسن التهامي وكمال الدين رفعت وعبد الرحمن فريد وداود عويس بتنفيذ قرار اعتقال نجيب (!!) وكذلك توجيه انذار للضباط المعتصمين بسلاح الفرسان إذا لم ينهوا اعتصامهم قبل الساعة ١١ ظهرا فسوف يتم تدمير ونسف المبنى على من فيه !!.

وبعد تلاوة هذه القرارات ذهب وجيه أباظة لسلاح الطيران، واحمد شهيب للمدفعية وتم استدعاء الكتيبة ١٣، وخلال ساعة كان مبنى سلاح الفرسانة محاصراً تماماً وبدأت الطائرات تحوم وتطير فوقه! كما ذهب كمال رفعت مع داود عويس إلى منزل نجيب وألقوا القبض عليه ثم ذهبوا به إلى سلاح المدفعية.

جرى كل ذلك دون أن يعلم به عبد الناصر أو أعضاء مجلس القيادة حيث كانوا في مكتب عبد الحكيم عامر، وقام كمال رفعت وحسن التهامي بإبلاغهم بالقرارات التي اتخذت ونفذت فعلاً وطلباً منهم عدم مغادرة الحجرة، بعد ذلك دخلنا مكتب عبد الحكيم، وكان الموقف برمته غريباً ومفاجئاً، فلم يتصور أحد أن تصل الأمور لهذا الحد !! كان عبد الحكيم عامر يقف بجوار عبد الناصر،

وبمجرد أن رآنا عبد الحكيم أخذ يصرخ في وجهي أنا وأحمد وأنور وهو يقول: ده معقول.. انتم ناويين تعملوا إيه!! وأجابة كمال رفعت قائلاً: إذا لم يفض ضباط الفرسان اعتصامهم هننسف المبنى عليهم!! وفجأة يسحب عبد الحكيم مسدسه ويصوبه ناحية رأسه وهو يقول: أنا هضرب نفسي بالرصاص ولا أرى حرباً أهلية بين الضباط الأحرار، واستطاع أحمد أنور أن يخطف مسدسه، واختلط الحابل بالنابل، وانتحى كل منهم في ركن من الغرفة، عبد الناصر كان يبكي بضراوة شديدة وهو المعروف عنه الصبر والجلد!! أنور السادات أخذ يبكي بصوت مسموع ويردد كلمات غير مفهومة.. وأخذ يهدئ عبد الناصر بلا فائدة.. كان الجميع يبكون وينتحبون!

وفجأة تمالك عبد الناصر اعصابه وجفف دموعه ووقف «فوق» مكتب عبد الحكيم عامر وطلب من الجميع ان يسكتوا، وضاع صوته وسط البكاء والصراخ وأخيراً قال: أنا احترم القرارات التي اتخذتموها، وإن الثورة ستستمر بمبادئها سواء كان جمال عبد الناصر موجوداً أو غير موجود، ولن نغادر هذه الغرفة قبل اتخاذ ما يرضيكم من قرارات، وهذه القرارات ستكشف كل العناصر المضادة للثورة على حقيقتها، ولا تنسوا أن الاحزاب القديمة مازالت تتربص بنا».

وتركنا غرفة عبد الحيكم عامر حتى نعطى لعبد الناصر وباقي زملائه فرصة جديدة للتفكير، ووقف كمال رفعت وحسن التهامي على باب الغرفة يمنعون أي ضباط من الدخول ويمنعون من يريد الخروج، ونزلنا نحن إلى فناء القيادة. حيث كانت قوات البوليس الحربي تحاصرها وكانت التعليمات أن تفتح نيرانها على كل من يحاول الاقتراب من القيادة، وحاول عدد من الصحفيين أن يتسربوا ويصلوا لمقر القيادة فقمت باعتقالهم داخل سيارة عسكرية وطلبت من السائق أن يوصلهم حتى مزلقان العباسية، وأتذكر من بينهم الآن الاخ ممدوح طه الصحفي بالأهرام.

وفجأة ظهر حسين الشافعي خارجاً من باب القيادة العامة واستوقفه احمد أنور قائلاً: على فين؟! فأجاب: أنا مكلف بالذهاب لسلاح الفرسان حاملاً رسالة لهم! وبحسم قال له أحمد أنور: مش هتروح والفرسان عندهم إنذار إذا لم يستجيبوا له هنطربقها على دماغهم!! وظهر من الشرفة «عبد الحكيم عامر»

وقال لأحمد أنور: سيبه يا أحمد ده ملكف مننا !! وفوجئ عبد الحكيم بأحمد يقول له: أنا مش ها أسيبه، وأنت كمان ادخل جوه.. أنا القائد العام مش أنت !!.

وعاد حسين الشافعي إلى حيث كان، وغضب عبد الحكيم عامر من رد أحمد أنور عليه: أنا القائد العام مش أنت (!!) ولا يمكن أن أنسى أبداً الموقف التاريخي المسئول لأحد أنور، فقد كانت كل السلطات بيديه وكان بإمكانه أن يستولى على السلطة، لكنه تصرف بشهامة ومسئولية !!.

اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم!:

كان الموقف لا يزال ملتهباً والطائرات تروح وتجئ من فوقنا، والدبابات والمدافع في كل مكان، وكان الخطر كله قابعاً في سلاح الفرسان، وكان الخوف الحقيقي أن يرفض الضباط المعتصمون إنهاء اعتصامهم فنضطر لاستخدام العنف، مما يعرض البلاد لكارثة حرب أهلية، وقبل الساعة الحادية عشرة ظهراً بقليل بدأ الضباط المعتصمون في الخروج متجهين ناحية باب القيادة العامة، واتجهوا ناحية دفتر وأخذوا يوقعون عليه بالموافقة على أن مجلس قيادة الثورة هو الذي يمثلهم في قيادة وحكم البلاد طوال فترة الانتقال.

كان المشهد يدعو للفرح فعلاً عندما خرج أكثر من ١٧٠ ضابطاً معتصماً وأخذنا نهنئ بعضنا بانتهاء الأزمة، وصعد البعض إلى أعضاء مجلس القيادة ليعلنوا بانفسهم لعبد الناصر عن انتهاء اعتصامهم، وفي تلك اللحظة كان أحمد أنور يصعد إلى مقر القيادة ثم يؤدي التحية لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر قائلاً: «والآن ياسيدى الرئيس وياسيدى القائد العام أرجو أن تقبلوا تسلم القيادة مرة اخرى لأعود إلى قيادة البوليس الحربي».

وقام عبد الناصر وعبد الحكيم والسادات بعناق أحمد أنور على جهده طوال الأزمة، ومن جديد أمسك عبد الناصر بكل زمام الأمور بين يديه، ودعا مجلس قيادة الثورة للانعقاد وتم اتخاذ عدة قرارت منها عودة نجيب رئيساً للجمهورية وتكليف خالد محيى الدين بتشكيل الوزارة بشرط أن يوافق نجيب.

وذهب خالد محيى الدين وبرفقته عباس رضوان إلى محمد نجيب لإبلاغه بهذه القرارات على أن يظل المجلس منعقداً حتى يحضرا برأى نجيب (!!) بالطبع

كانت دهشتنا لا حدود لها بشأن رئاسة خالد محيى الدين للوزارة، فقد رفض من قبل أن يتوجه لسلاح الفرسان لإقناع الضباط بإنهاء اعتصامهم، بل إنه سمع بأذنه ورأى إهانة ضباط الفرسان لعبد الناصر. واكتفى بان يبتسم. ! ! ولم نفهم بالضبط مغزى هذا الاختيار من جانب عبد الناصر خصوصاً أن محمد نجيب كان يرتاح لخالد محيى الدين، وزادت صداقتهما، المهم بعد حوالى نصف ساعة عاد خالد وعباس يبلغان مجلس القيادة بموافقة نجيب على ما اتخذوه من قرارات بالكامل، وهنا انكشف كل شيء بشأن تحالف خالد مع نجيب، وحاول الصاغ وحيد جودة رمضان رئيس تنظيم الشباب بهيئة التحرير الاعتداء على خالد محيى الدين بالسب والشتم، واستطعنا التفريق بين الاثنين، وانعقد المجلس ثانية وشرح عبد الناصر دور خالد في الأحداث الأخيرة وكيف استولى على عقل محمد نجيب ،وأراد خالد أن يقدم استقالته من المجلس، ولكن رفضت استقالته، وتمت الموافقة على عودة نجيب لرئاسة الجمهورية، وتم وضع خالد محيي الدين تحت مراقبة لصيقة للغاية، ومراقبة أشد على ضباط سلاح الفرسان وخاصة الثمانية ضباط الذين سبق لهم حضور اجتماع الجمعية العمومية للضباط الأحرار، وطالبوا بعودة نجيب وتصفية الثورة، وقام بالمراقبة طاقم من أفراد المباحث الجنائية، وكانت مهمتهم تنظيف الخيول وإطعامها في سلاح الفرسان، وبالطبع لم يتسرب الشك من جانب ضباط الفرسان إلى أن هؤلاء مباحث جنائية، وكانوا يتكلمون أمامهم بكل حرية، وبعد فترة من المراقبة كانت تفاصيل المراقبة أمامنا، وعلمنا أن هؤلاء الضباط ينوون القيام بانقلاب ضد الثورة، ولم أشأ أن ابلغ عبد الناصر مباشرة، ولكنى رويت تفاصيل ما تجمع عندى من معلومات إلى عبد الحكيم عامر الذى نصحنى بألا أفتح فمي بكلمة عن هذا الموضوع أمام عبد الناصر، وسوف يتصرف بحكمة فى هذا الموضوع.

وفى نفس الوقت كنت موجوداً فى إدارة البوليس الحربى ووجدت التليفون يدق وإذا بعبد الناصر يقول بعصبية: تعال فوراً أنا عايزك ! ! واعتذرت له بأننى مشغول فى مهمة بمجرد أن أنتهى منها سأتوجه إليه فوراً.

وأرسلت لعبد الناصر «عبد الرحمن فريد» وبمجرد أن علمت بأن ساعة الصفر لتحرك هؤلاء الضباط ستكون بعد ساعتين، ذهبت فوراً إلى عبد الناصر

وكان عنده عبد الحكيم، وفوجئت بعبد الناصر يقول لي: حكيم حكى لي على كل شيء، وأنا عاوزك تقبض على هؤلاء الضباط متلبسين، وقلت له: واحنا جاهزين وساعة الصفر بعد ساعتين، وفعلاً قبضنا عليهم وكان على رأسهم أحمد المصرى وصبرى القاضى وسعد عبد الغفار وتوفيق عبده إسماعيل «أصبح وزيراً للسياحة فيما بعد» وقدموا جميعاً للمحاكمة العسكرية التى كان رئيسها مدير سلاح المدفعية اللواء أحمد حسين، وقال أحمد المصرى فى التحقيقات إنهم كانوا سيطربقون بيت عبد الناصر على من فيه!!

وابتداء من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ كان محمد نجيب قد عاد إلى رئاسة الجمهورية مع احتفاظ عبد الناصر بمنصب رئيس الوزراء، وصدر بيان جاء فيه: «حفظاً لوحدة الامة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيساً للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك» وصدر بيان لنجيب قال فيه: «أهيب بكل وطنى مخلص ألا يزج باسمى فى أية مناسبة، وألا يتخذ أحد من استقالتى مادة تباع وتشترى فى سبيل المصالح الشخصية».

وعمت المظاهرات كل مصر فرحة بلم الشمل ووقعت عدة انفجارات مختلفة وتسببت فى إصابة بعض المواطنين ثم تعطلت الدراسة فى الجامعة لمدة أسبوع، فى نفس اليوم كان مجلس الوزراء منعقداً برئاسة عبد الناصر وحضور نجيب، فذهبا إلى مستشفى قصر العينى للاستفسار عن صحة المصابين، وذكرت إحدى الصحف أن أحد هؤلاء المصابين قال لنجيب أثناء مصافحته: إننى لا أبغى من الحياة إلا أن أراك أنت وجمال متحدين.

كانت الأمور تبدو ظاهرياً كما لو كان نجيب قد انتصر على جمال.. ولكن (!!!) وحاول نجيب أن يتقرب إلى الأحزاب أكثر وأكثر، وبدأت المفاجآت تتوالى، يوسف منصور صديق الماركسى وصاحب الدور البطولى ليلة ٢٣ يوليو يدعو البرلمان الوفدى المنحل لتولى الحكم (!!) القائمقام احمد شوقى الذى قمت بضمه بنفسى إلى الضباط الأحرار بدأ يهاجم الثورة ويؤيد محمد نجيب ويؤلبه ضد جمال عبد الناصر، ونشرت له جريدة المصرى مقالاً اتهم فيه الثورة بأنها ملأت المعتقلات بالأبرياء، وقرر عبد الناصر اعتقال أحمد شوقى وفعلاً ألقيت القبض عليه وتم اعتقاله!!.

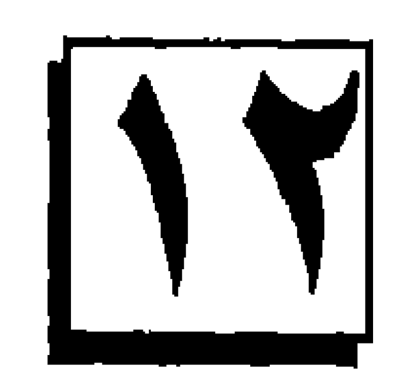
وفى تلك اللحظات العصبية قرر عبد الناصر الإفراج عن معظم المعتقلين السياسيين، وسيعاد النظر فى الأحكام التى صدرت ضدهم.. وصدر عفو صحى عن إبراهيم باشا عبد الهادى، وكان قد صدر عليه حكم بالإعدام، وتم الإفراج عن الضباط الأحرار المتهمين فى قضية انقلاب المدفعية وعلى رأسهم «محسن عبد الخالق» واعترف أن محسن كان أحق زملائه بأن يمثل سلاح المدفعية فى مجلس قيادة الثورة، ولكن لصغر سنه جرى تعيين عبد المنعم أمين مما أثار نقمة ضباط المدفعية !! ولكن لصغر سنه جرى تعيين عبد المنعم أمين مما أثار نقمة ضباط المدفعية !! ولذلك فرحنا عندما صدر قرار العفو عن محسن، فقد لعب دوراً كبيراً فى حرب فلسطين وإنقاذ حياة عبد الناصر. وفى سهولة تامة صدر قرار مجلس القيادة بتنحية خالد محيى الدين.

وفى تلك الأيام كان يزور مصر جلالة الملك سعود وحاول من جانبه تهدئة الامور بين عبد الناصر ونجيب واقترح نجيب تقديم استقالته، ورفض عبد الناصر بإصرار هذه الاستقالة، وبعد يومين من مغادرة الملك سعود لمصر أفرج عبد الناصر عن قيادات الإخوان المسلمين التى سبق اعتقالها، بل ذهب عبد الناصر لزيارة المرشد العام «الهضيبى» فى منزله وهنأه على الإفراج، وقال الهضيبى للصحف: إن الجماعة قائمة وأنها أقوى مما كانت (!!) ومما يدعو للدهشة والغرابة أن أحد أعضاء حزب الوفد المنحل وهو «أحمد الألفى عطية» اتصل بالطحاوى سكرتير هيئة التحرير واقترح عليه أن ينضم مجلس الثورة إلى حزب الوفد بعد أن يطهر نفسه ويتم تعيين عبد الناصر سكرتيراً عاماً للوفد مع بقاء النحاس رئيساً شرفياً له، ورفض عبد الناصر الفكرة الغريبة !! وفوجئنا بحدوث اتصال تليفونى بين نجيب والنحاس باشا !! وقام مصطفى أمين بنشر المكالمة فى جريدة الآخبار !! مما زاد من حرج موقف نجيب أمام الناس !! وطلب عبد الناصر من أنور السادات الذى كان المدير العام لدار التحرير بأن ينشر فى جريدة الجمهورية قصة نجيب كاملة، وكيف اختاروه رئيساً للثورة، وحقيقة الخلافات معه !! ومن ناحيته كان عبد الناصر دائم الاتصال بمصطفى وعلى أمين وهيكل لاتخاذ نفس الموقف من نجيب (!!).

وقرر عبد الناصر إعادة تشكيل الوزارة برئاسته فى ١٧ إبريل ١٩٥٤ وخرج منها معظم الأسماء المدنية مثل عبد الجليل العمرى وعباس عمار وعلى الجريتلى ووليم سليم حنا، ودخل هذه الوزارة حسين الشافعى وزيراً للحربية، وارتفع عدد الوزراء العسكريين إلى ثمانية، وكان عبد الناصر مشغولاً طوال هذه الفترة باتمام مباحثات الجلاء مع الجانب البريطانى.

استقبل الشعب توقيع اتفاقية الجلاء بالسرور والفرح، ولكن الإخوان المسلمين هاجموا هذه الاتفاقية فى منشورات علنية، وكذلك فريق من الشيوعيين، وقرر عبد الناصر أن ينزل للناس بنفسه وأن يشرح لهم جوانب الاتفاقية، وكانت البداية فى الإسكندرية، وذهب عبد الناصر إلى هناك يوم ٢٦ أكتوبر، وطلب منى عبد الناصر أن أظل بالقاهرة «مفتح عينى على الآخر» واصطحب معه أحمد أنور قائد البوليس الحربى لإجراءات الأمن، فقد أشارت تقارير البوليس الحربى إلى أن شعوراً معادياً لعبد الناصر يسود المدينة، وفى المساء، توجه عبد الناصر إلى السرادق الضخم المقام بميدان المنشية.

فى نفس الوقت جلست فى مكتبى أستمع إلى خطبة عبد الناصر من خلال الراديو. فوجئت بصوت طلقات رصاص وضاع صوت عبد الناصر تماماً.



قصة تحديد إقامة محمد نجيب !

منذ السابعة مساء الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ أمتلأ ميدان المنشية عن آخره بأهل الاسكندرية ليستمعوا لخطاب جمال عبد الناصر !

كان الراديو يذيع خطاب عبد الناصر على الهواء مباشرة.. قال عبد الناصر في خطابه: «يا أهل الاسكندرية الأمجاد أحب أن أتحدث إليكم ونحن نحتفل اليوم بعيد الجلاء، بعيد الحرية والاستقلال عن الماضى وكفاح الماضى»، وتزايد هتاف الناس لعبد الناصر فقال لهم: كفى هتافاً. لقد هتفنا فى الماضى طويلاً، فماذا كانت النتيجة؟ هل سنعود إلى الفوضى والتهريج؟! لا تهتفوا باسم جمال عبد الناصر بل سيروا إلى الأمام، اصغوا إلىّ، استمعوا فإنى أتحدث عن كفاحكم وكفاح آبائكم وأجدادكم.. لقد بدأت أنا كفاحى من هذا الميدان فى الاسكندرية سنة ١٩٣٠ خرجت وأنا طالب صغير بمدرسة رأس التين أنادى بالحرية والعزة والكرامة لبلادى لأول مرة»..

وفجأة انطلقت عدة رصاصات.. وسمعنا صوت عبد الناصر يقول فى الراديو: «أمسك اللى ضرب امسكوه..».

وعاد صوت عبد الناصر يقول «دمى فداء لكم.. دمى فداء لمصر.. هذا جمال عبد الناصر يتحدث إليكم.. أنا لست جباناً أنا أستقبل الموت سعيداً من أجل حريتكم، ومن أجل عزتكم، ومن أجل كرامتكم.. أيها الرجال.. أيها الأحرار إذا قتلونى فقد وضعت فيكم العزة، فليقتلونى الآن فقد أنبت هذا الوطن الحرية والعزة والكرامة من أجل مصر، ومن أجل حرية مصر أعيش. وفى سبيل مصر أموت..»

وانطلق صوت آلاف من أهل الإسكندرية يهتفون: الله معك ياجمال، ورغم أنه كان قد أنهى خطابه إلا أنه عاد وتحدث ثانية قائلاً «إن حياة مصر ليست معلقة بحياة جمال عبد الناصر، بل هى معلقة بكم أنتم بشجاعتكم أنتم.

بكفاحكم أنتم. إذا مات جمال عبد الناصر فليكن كل واحد منكم جمال عبد الناصر..».

في هذه اللحظات العصيبة أمرت فاروق ثروت مساعدى بأن يصدر أمراً بجمع كل عساكر وضباط البوليس الحربى فوراً وأن يذهبوا لمحاصرة قصر عابدين، ورذا حدث وقامت أية مظاهرة عدائية فيتصدون لها بالقوة وبإطلاق النيران، وفجأة دق التليفون وإذا بى أسمع صوت عبد الناصر يقول لى: «تعال فوراً إسكندرية» ولم أصدق أذنى وأنا أسمع صوته وحمدت الله على سلامته، وفي الحال أخذت عربتى وسافرت إلى الإسكندرية، التى وصلتها بعد حوالى ساعتين تقريباً. وكان عبد الناصر قد انتقل من ميدان المنشيه إلى فندق سيسيل بالإسكندرية حيث كانت نقابة المحامين هناك تقيم حفلاً، وألقى أيضاً كلمة فى جموع الناس. ثم ذهب عبد الناصر إلى استراحته ليستريح، فلما وصلت كان أعضاء مجلس قيادة الثورة يلتفون حوله وعدد من الأطباء الذين أعطوه بعض الحقن المهدئة. وقال لى أحمد أنور (قائد البوليس الحربى) إنهم قبضوا على المتهم واسمه «محمود عبد اللطيف» ويعمل سباكاً (٣٥) ويسكن فى امبابة، وأنه أحد أعضاء جماعة الإخوان، واستفسرت من أحمد أنور عن مكان وجوده فقال لى إنه فى إدارة البوليس الحربى بالإسكندرية!!

لا حرية فى ظل الخوف!

كان محمود عبد اللطيف فى حالة يرثى لها. وجهه تغطية الدماء، ومتورم تماماً ،ولا تستطيع أن تميز فيه سوى عينين جاحظتين، ولولا أفراد البوليس الحربى لكان الناس قد فتكوا به بعد أن أطلق الرصاص على عبد الناصر. حاولت الحديث معه ولم يرد إطلاقاً!! وأمرت بنقله فوراً إلى القاهرة فى ظل حراسة شديدة، وجلس محمود عبد اللطيف فى عربة نصف نقل ومعه أربعة ضباط للحراسة، وأمام سيارته عربتان جيب وخلفه أيضاً عربتان جيب وكل أفراد هذه العربات الأربع مسلحوُن تسليحاً كاملاً، وغادروا الإسكندرية صباح يوم ٢٧ أكتوبر.

وفى التحقيق المبدئى الذى جرى مع المتهم قال إنه حضر للإسكندرية مساء ٢٥ أكتوبر وقضى ليلته فى لوكاندة السعادة وأنه أطلق الرصاص على سبيل الابتهاج والفرحة باعتبار أنه حارب فى فلسطين وعاش حتى رأى الإنجليز يخرجون من مصر، ولكنه عاد واعترف بانه اطلق الرصاص قاصداً قتل عبد الناصر تنفيذاً للمهمة الموكولة إليه من قادة الإخوان المسلمين!! كما اعترف كذلك بأن ابراهيم الطيب المحامى المسئول عن الجهاز السرى لمدينة القاهرة كلفه بدراسة بيت أنور السادات وجريدة الجمهورية لترتيب اغتياله لأنه كتب مقالة فى الجمهورية فهم منها أن السادات يحارب الإسلام (!!).

وظلت الإسكندرية ساهرة حتى الصباح، وخرجت لتودع عبد الناصر، وعلى طول الطريق من الإسكندرية وحتى القاهرة كان استقبال الجماهير لعبد الناصر يفوق الوصف والخيال! واستقل عبد الناصر قطاراً خاصاً توقف فى غالبية القرى حتى يستطيع تحية الجماهير التى احتشدت لرؤيته.. وعندما وصلنا إلى «باب الحديد» استغرقت المسافة من المحطة حتى ميدان عابدين ثلاث ساعات وكانت السيارة التى يستقلها عبد الناصر تسير بصعوبة وسط الجماهير مما أدى لاحتراق مؤتورها واستبدلناها بسيارة أخرى!!.

وقرر عبد الناصر أن يخرج للجماهير مباشرة ويروى لهم خبايا الصراع مع الإخوان المسملين، ومساء الجمعة ٢٩ أكتوبر أقيم احتفال كبير حضره ما يقرب من ربع المليون مواطن، فقد امتلأ ميدان الجمهورية عن آخره وهاجم عبد الناصر قادة الإخوان بشكل صريح لأول مرة علناً، وقال إن محمود عبد اللطيف الفقير الذى كنا نعمل من أجله ومن أجل مستقبل أولاده لنزيح الفقر عنه ونوفر له حياة اجتماعية يشعر فيها بالسعادة ونتيح التعليم لأولاده، ونرفع مستوى معيشته.

كان «الهضيبى» باسم الدين والإسلام يبث فى نفسه روح الحقد والكراهية والضغينة، إن الدين تعاون وتسامح وليس كراهية وبغضاء، لست أفهم تحت أى اسم يسير بنا الهضيبى فيعطى كل واحد مسدساً ليقيم الدين!! وأننا لن نسمح مطلقاً بأن تبقى فى الوطن مثل هذه الجماعة ولن نسمح بأن تقوم دولة داخل الدولة وحكومة داخل الحكومة، فلن تكون هناك حرية طالما هناك التهديد والتخويف والتضليل والإرهاب والرصاص.

وبدأت حملة اعتقالات ضخمة لأعضاء الجهاز السرى والعلنى للإخوان المسلمين، وجرت تحقيقات النيابة معهم داخل إدارة البوليس الحربى !! فى ذلك الوقت كان المرشد العام «الهضيبى» مختبئاً. ولا نعرف أين مكانه بالضبط !! وفوجئنا بتحريات البوليس فى الإسكندرية تفيد بأن الهضيبى يعيش فى ڤيللا بالإسكندرية تحت اسم مستعار هو «الدكتور حسن صبرى» وعندما ذهب البوليس للقبض عليه يوم ٣٠ أكتوبر كان يقرأ صحف الصباح، وفى نفس اليوم عقد صلاح سالم مؤتمراً صحفياً روى فيه بالتفاصيل محاولة اغتيال عبد الناصر.

وبعد عدة أيام قرأنا مقالاً لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى يدين فيه هذا الاعتداء، وهذه بعض سطور المقال الذى لازلت أحتفظ به ونشرته مجلة الاثنين والدنيا، كان الشيخ الباقورى وزيراً للأوقاف وكان حاضراً فى الإسكندرية لحظة الحادث وكتب يقول: «كنت مع الرئيس، ولم أكن اتصور أن تمتد يد مصرى إلى جمال بالأذى بل الموت، لأن يداً مصرية لا ينبغى لها إلا أن تصفق لجمال، ولأن قلباً مصرياً لا ينبغى له إلا أن يمتلئ بحب جمال !! ولهذا ظننت لأول وهلة أنها طلقات فرح بجمال وتكريم له، وأنها من أبناء الصعيد..» وختم مقاله قائلاً «ولله تعالى فى ذلك حكمة لعل من بعض مظاهرها أن يظهر جمال للناس محوطاً بعناية الله، وأن تزيد منزلته علواً ورفعة وأن ينقلب من قائد ثورة إلى زعيم أمة، ورب ضارة نافعة والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين».

وتم إلقاء القبض على حوالى ثمانية آلاف ينتمون لتنظيم الإخوان المسلمين، قدم أغلبهم إلى المحاكمة، صدر الحكم بالإعدام على ستة من قيادات الإخوان وكان من بينهم محمود عبد اللطيف الذى حاول اغتيال عبد الناصر، أما بالنسبة للهضيبى فقد خفف حكم الإعدام إلى الاشغال الشاقة المؤبدة !! وكان قد صدر قرار فى أول نوفمبر بتشكيل «محكمة الشعب» التى كان جمال سالم رئيسها وعضوية كل من أنور السادات وحسين الشافعى !!.

وكتب محمود عبد اللطيف إقراراً بخط يده نشرته الصحف وقتها يقول فيه: «أنا محمود عبد اللطيف محمد أتمنى أن الرصاصات الثامنية (يقصد الثمانية) التى وجهتها للرئيس جمال عبد الناصر كنت أطلقها فى صدور من دفعونى إلى هذا العمل الإجرامى، وأقصد الهضيبى والمحامى هنداوى دوير وكل أمثالهم»!!.

وربما لا يعلم الكثيرون أن المحكمة حكمت بالإعدام على حوالى سبعين شخصاً، فلما عرضت هذه الأحكام على مجلس قيادة الثورة، رفض عبد الناصر التصديق على الأحكام وانزعج قائلاً: «ازاى نعدم ٧٠ واحد، الشعب يقول علينا إيه (؟!!)...» واستقر الرأى على إعدام ستة فقط، وغضب جمال سالم وثار وهاج وترك الجلسة عندما رفض المجلس التصديق على إعدام هؤلاء السبعين!!

وأذكر أن الأستاذ محمد حسنين هيكل قدم إلى ادارة البوليس الحربى وطلب رؤية المتهم محمود عبد اللطيف، وسمحنا له بذلك، وتقابل معه لمدة نصف ساعة في غرفته، صعد بعدها وقال إن محمود رافض للكلام تماماً.

زكريا يرفض الإفراج!!

كان ابن عمتى أحد الإخوان المسمين الذين جرى اعتقالهم ضمن المعتقلين وهو المرحوم «محمود فوزى النجار» رحمه الله، وعندما حضر للتحقيق معه أمامى تجاهلته تماماً وكأنى لا أعرفه. ثم دخل السجن، وفوجئت بعمتى تأتى من البلد (شبين الكوم) باكية ومنهارة إلى والدى وتطلب منه أن أتدخل للإفراج عن ابنها!! وتحدث معى أبى فى هذا الموضوع، وطمأنت والدى بأن محمود ابن عمتى يعامل معاملة كريمة ولا داعى للانزعاج وسوف يفرج عنه بمجرد انتهاء التحقيقات ولكن عمتى لم تقتنع وقالت لوالدى: لن أمشى من عندكم قبل الإفراج عن ابنى!!.

فى ذلك الوقت كنا قد بدأنا فى إعداد كشوف بأسماء المعتقلين الذين سيفرج عنهم تباعاً بعد أن أثبتت التحقيقات أنهم لم يتورطوا فى شيء وكان ابن عمتى سيكون فى الدفعة السادسة تقريباً. وذهبت لزكريا محيى الدين وزير الداخلية كى أحدثه فى شأن ابن عمتى، ولكن زكريا رفض تماماً الإفراج عنه، وعدت لمنزلى، وفوجئت بجمال عبد الناصر يتصل بى غاضباً ويقول: «سيب إلى فى إيدك وتعال فوراً!!» وذهبت إليه وفوجئت به يعنفنى قائلاً: «لما أنت عاوز حاجة.. ليه بتطلبها من زكريا ومش بتطلبها منى أنا «!!».

كان عبد الناصر فى منتهى الثورة، ولما هدأ قلت له بهدوء: سيادتك عارف إن أنا باجى علشان تمضى على كشوف المفرج عنهم، وكان ممكن أكلمك على ابن

عمتي !! لكنني رأيتك وأنت ترفض طلب الحاج بكرى عم عبد الحكيم عامر بالإفراج عن بعض المعتقلين بلدياته وقلت له: أنا معنديش استعداد اعمل لك واسطة ياحاج في الأمور دى !! وابتسم عبد الناصر قائلا: ياسيدى الحاج بكرى انت عارف أنا بحبه أد إيه.. بس ده ممكن كل يوم يجيب كشف فيه خمسة ولا ستة علشان أفرج عنهم، علشان كده رفضت طلبه !! وبعدين ياسي جمال أنت حاجة تانية !! ثم سألني عبد الناصر: ابن عمتك اسمه إيه؟ واخبرته بالاسم، وفي الحالة وافق فوراً على الافراج عنه بمفرده ودون انتظار حتى يجئ موعده !! مما أثار غضب زكريا محيى الدين وزير الداخلية وقتها !!.

كان «محمد نجيب» موجوداً في القاهرة عندما جرت محاولة اغتيال عبد الناصر، وعندما عاد عبد الناصر إلى القاهرة، أرسل محمد نجيب مندوباً عنه يهنئ عبد الناصر بنجاته، وتجاهلت الصحف هذا الخبر تماماً، وتضايق نجيب من ذلك التجاهل إزاء رئيس الجمهورية، وذهب إلى عبد الناصر في بيته ليعاتبه على هذا التجاهل.. وكان موجوداً عند عبد الناصر الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة، وكان اللقاء بين عبد الناصر ونجيب بارداً للغاية، فقد عرف عبد الناصر بكل اتصالات نجيب مع الإخوان، واتضح له أن خطة الإخوان بعد اغتياله أن تؤلف حكومة جديدة من شخصيات موالية للإخوان ويظل نجيب كما هو رئيساً للجمهورية !!.

وبعد حادث المنشية واستقبال الشعب الخرافي لعبد الناصر لم يكن هناك مبرر لتحمل تصرفات نجيب أكثر من هذا، وقرر مجلس قيادة الثورة تنحية نجيب عن موقعه كرئيس للجمهورية في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ . مع حرمانه من حقوقه السياسية لمدة عشر سنوات (!!).

صباح يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ ذهب زكريا محيى الدين وزير الداخلية إلى جمال عبد الناصر في بيته واجتمعا معاً لمدة نصف ساعة تدارسا فيها الخطوة القادمة، ثم غادر عبد الناصر وزكريا البيت متوجهين إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فاجتمعا باللواء عبد الحكيم عامر، ثم توجهوا جميعاً إلى مقر مجلس الوزراء حيث جرى اتخاذ قرار إعفاء نجيب، في نفس الوقت قام الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية بإبلاغ هذا القرار إلى الدول الأجنبية عن طريق السفارات والقنصليات !!.

وقام عبد الناصر بإبلاغ أحمد أنور رئيس السجن الحربى بهذا الأمر، وطلب منى أن أذهب بنفسي إلى قصر عابدين لاعتقال نجيب ووضعه فى قصر زينب هانم الوكيل الذى صودر بالمرج!! والحقيقة أن عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم عارضا عبد الناصر فى أن أتولى أنا بالذات القبض على نجيب خوفاً من أن أسيء إليه أو أن أعامله بشكل لا يليق برجل كان رئيساً للجمهورية!! ولكن عبد الناصر بدد مخاوفهما قائلا: أنا عارف القاضي كويس!.

وعندما ذهبت إلى قصر عابدين - ومعى عدد من أفراد البوليس الحربى - كان مجلس القيادة منعقداً برئاسة عبد الناصر، وأثناء استراحة المجلس دخلت لأعراض على عبد الناصر بعض الأمور المهمة، وبينما كنت أتجاذب أطراف الحديث مع «صلاح سالم» إذا به يسألني بشكل مباغت ومفاجئ:

- ماذا تفعل لو أمرك جمال عبد الناصر بأن تعتقل أى واحد فينا؟! فقلت له: اعتقله فوراً وبلا مناقشة!! ونظر عبد الحكيم عامر ناحيتي وسألني: حتى أنا ياجمال؟ فقلت له: أنت الوحيد اللى أسمح لنفسي بسؤال الريس عن سبب اعتقالك (؟!!).

ولاحظت يومها أن أعضاء مجلس الثورة ينظرون لى نظرات غريبة لم أسترح لها!! كما أن صلاح سالم ابتسم ابتسامة ذات مغزى!! وبعد أن انصرفوا جميعاً أخذني عبد الناصر من يدى وقال لى بهدوء شديد: «إيه الكلام إللى أنت قلته ده!!» ووجدت نفسي أقول له: ده كلام هزار ياريس!! وقال بعصبيه «لا ياجمال ده مكانش هزار ياسيدى وأنت غلطت بهذا الكلام اللى قلته من شوية (!!)..

أيامي في بنك مصر!!

كانت أيامي فى إدارة البوليس الحربى أياماً لا تنسى، عمل متواصل، وإرهاق لا حدود له، ومضت الشهور، وكان عدد كبير من الضباط الأحرار قد خرج من الحياة العسكرية، وذاب فى الحياة المدنية، البعض عمل فى وزارة الخارجية والسلك الديبلوماسي، والبعض سافر خارج مصر ليعمل كملحق عسكرى، باختصار شديد: فقد بدأت مرحلة جديدة من حياة الثورة وهى ضرورة التخلص من الضباط الأحرار.

وفى أبريل عام ١٩٥٦ ذهبت لعبد الحكيم عامر أقول له : أريد الخروج من الجيش، وأذهب لأية وظيفة مدنية، وغضب عبد الحكيم قائلاً : ومين يمسك إدارة البوليس الحربى ؟ ! وكان معى زميلى عبد الرحمن فريد الذى طلب من المشير نفس الطلب، ووافق على ذهابه إلى وزارة العمل، أما بالنسبة لى فقد قال عبد الحكيم بصدق : أنصحك ألا تخبر عبد الناصر بهذا الطلب لأنه سيفرح وسيوافق فوراً لأنك أصبحت بالنسبة له ولنا مشكلة (!!) .

ووجدت نفسى أقول له : إذا كان وجودى مشكلة يبقى خروجى هو الحل الوحيد المناسب باسيادة اللواء !! وقال عبد الحكيم : ماتبقاش مجنون ياجمال وخليك فى الجيش لأن إدارة البوليس الحربى بيتك، ولو خرجت هتتعب وهتندم !!.

لم أهتم بكلام عبد الحكيم وذهبت للرئيس عبد الناصر فى بيته، وقلت له ما سبق أن طلبته من عبد الحكيم، ولم يعترض عبد الناصر بل سألنى : «وما الوظيفة المدنية التى تريد أن تعمل فيها .. وزارة الخارجية ؟ ! ملحق عسكرى بره ؟ !» فقلت له : نظراً لظروفى العائلية فلا أريد العمل خارج مصر .. أريد وظيفة مدنية هنا فى مصر !! وابتسم عبد الناصر وقال لى : «اختار الوظيفة اللى تعجبك وتريحك ياجمال ؟ !» فقلت : أروح بنك مصر لو أمكن !! فقال حاضر ياسيدى !! وساعتها اتصل عبد الناصر برئيس مجلس إدارة بنك مصر السيد «محمد رشدى» وكان نائبه «أحمد فؤاد» (اليسارى) .

وطوال عملى فى بنك مصر لم تنقطع صلتى بجمال عبد الناصر، بل كنت دائم الاتصال به وكثيراً ما كان فى مكتبه أو بيته بواسطة الصديق العزيز «محمد أحمد» يسألنى عن آخر الأخبار والشائعات والنكت التى تقال عنه وهكذا.

وفى احتفال مجلس قيادة الثورة بالذكرى الرابعة لخروج الملك فاروق، أرسل عبد الناصر دعوة لحضور الاحتفال الكبير الذى سيقام فى الاسكندرية، وفى هذا الخطاب أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس !!.

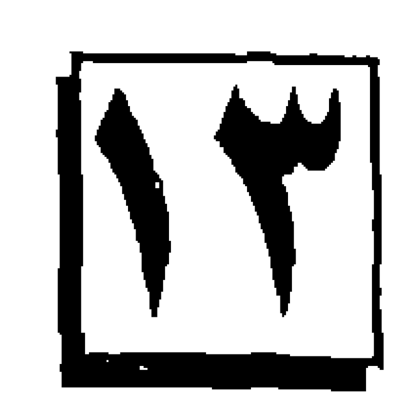
وقامت قيامة العالم بعد قرار عبد الناصر بتأميم القناة، وكان واضحاً أن انجلترا وفرنسا لن تدعا هذا القرار يمر بهدوء وأنهما تدبران لعمل ما .. وعلم عبد الناصر من أجهزة المخابرات المصرية فى الخارج ما يؤكد وقوع اعتداء مسلح

على مصر الهدف منه التخلص من عبد الناصر ونظامه الذى بات خطراً على مصالح الاستعمار، وتأكدت المعلومات وحصل ثروت عكاسة على خطة العدوان الثلاثى كاملة، وسرعان ما كان عبد الناصر يدرس تفاصيل الغزو العسكرى بكل دقائقه.

فى ذلك الوقت اتصل أحمد أنور بى فى مكتبى ببنك مصر وقال لى: احنا عاوزينك بكره لأن فيه اجتماع طارئ للضباط الأحرار!! وحضر الاجتماع كمال الدين رفعت وصلاح سعدة وحمدى عاشور وأحمد أنور وآخرون.. وكان السؤال المطروح هو: فى حالة إسقاط جمال عبد الناصر على من سيعتمد الانجليز فى حكم مصر؟! وبدأنا فى استعراض كل الأسماء والبدائل المعقولة وغير المعقولة!! وقفز إلى ذهننا مصطفى النحاس ثم استبعدناه تماماً فقد كبر الرجل وأصبح مريضاً، ونفس الشيء بالنسبة لفؤاد سراج الدين، ووجدنا اسم «محمد نجيب» يتصدر كل الأسماء، وقبل أسابيع وبالتحديد فى إبريل ١٩٥٦ ذكرت الإذاعات الأجنبية أن «محمد نجيب» توفى!! وانتشرت شائعات كثيرة، ولكن تم تكذيب هذا الخبر!!.

فى ذلك الوقت كان «محمد نجيب» قد تم ترحيله من قصر «زينب هانم الوكيل» إلى نجع حمادى فى صعيد مصر!! وعليه حراسة مشددة..

واجتمع الضباط الأحرار على شكل جمعية عمومية واتخذوا قراراً بأن يتم التخلص من محمد نجيب فى حالة وصول قوات الإنجليز إلى القاهرة.



خطفنا «محمد نجيب» حتى لا يأتى به الإنجليز رئيسا !

ليس سـراً أن أحـد أهداف العـدوان الثـلاثى خـريف ١٩٥٦ كـان إسـقـاط وتصفية، نظام جمال عبد الناصر.

وكـان عـبـد النـاصـر بمثابة «لقـمـة» فى زور الإنجليـز غـيـر قـابلة للهـضم والامتصـاص، وكـان اسم محـمـد نجيب هو المرشح لكى يأتى به الإنجليـز رئيسـاً لمصر بعد إسقاط عبد الناصر !! وعندما علمنا بذلك ثارت ثائرتنا وكنت وقتها - ابتداء من إبريل ١٩٥٤ - أعمل فى بنك مصر وتركت إدارة البوليس الحربى !

وذات صبـاح تحدث إلىّ الأخ «أحـمـد أنور» قـائد البـوليس الحـربى يدعـونى لاجتماع طارئ وهام للضباط الأحرار حضره كمال رفعت وصلاح سعدة وحمدى عاشور وآخرون وتم اتخاذ قرار بأنه حالة تقدم الإنجليز فى طريقهم للقاهرة فلابد من التـخلص فوراً من اللواء نجيب وفى نفس الوقت قام أحـمـد أنور بإبلاغ عـبـد الناصر هذا القـرار للجمـعية العـمومية للضباط الأحـرار، وقال عبـد النـاصـر له: لا تسبقوا الأحداث، وإذا وصل الإنجليز عند منطقة «الكاب» وأصبحوا قريبين من القـاهرة يحلهـا ربنـا ! وأضـاف عبـد النـاصـر قـائلاً: ولكن إذا تم هـذا الموضـوع - أى التخلص من نجيب - فيتم بدون عملى !

وعاد أحمد أنور ليبلغنا بما جرى بينه وبين عبد الناصر كـاملاً، وبعد أيام كان الإنجليـز قد وصلوا فـعلاً عنـد جنوب الكاب، فى المسـاء تحدث مـعى أحـمـد أنور قائلاً: عاوزينك حالاً !

كنت فى حالة نفسية سيئة، وتصـورت أن أحمد أنور لديه معلومات عن أخى الصـحـفـى «فـاروق القـاضى» فـقـد سـافـر المشيـر عـبـد الحكيم عـامـر إلى سـوريا والأردن، وطلب أن يذهـب معـه للتـغطيـة الصـحـفـيـة أخى فـاروق، وكـان وقـتـهـا

صحفياً بالجمهورية. في هذا الوقت كانت القوات الإنجليزية قد بدأت تتحرك من قاعدتها العسكرية في قبرص، وقطع المشير زيارته وقرر العودة للقاهرة ليس في الطائرة التي سافر بها ولكن في الطائرة التي تقل الوفد العسكري والصحفيين وقامت إسرائيل بضرب الطائرة الأخرى. ووصلت الأنباء بأن الطائرة تحطمت بمن عليها. وجننت، وذهبت لصلاح سالم المسئول عن دار التحرير وجريدة الجمهورية أسأل عن أخي ولم تكن عنده أخبار. وحتى هذه اللحظة لم تكن اسماء الضحايا قد عرفت بعد!! اسودت الدنيا في وجهي تماما!! وخرجت من عند صلاح سالم منهارا تماماً.. هل أذهب إلى البيت. وظللت أسير في شوارع القاهرة بلا هدف واتصلت بأحمد أنور ربما تكون عنده معلومات عن الضحايا، فوجدته مش طايق حد يكلمه! وعدت ثانية إلى صلاح سالم في مكتبه ووجدته مبتسماً وسعيداً، الحقيقة انغظت جداً وتضايقت. وقال لي: أطمئن يا جمال أخوك فاروق بخير وأنا لسه كنت بأتكلم معاه في بيروت حالاً بالتليفون؟ واندهشت كيف ذهب أخي فاروق إلى بيروت؟! وعرفت أن المشير هو الذي طلب منه الذهاب الى لبنان لكي يوافي الجمهورية بأخبار وتحقيقات العدوان من هناك وردود الفعل التي ستحدث!

وكان المشير قد قرر قطع زيارته والعودة إلى القاهرة، وطبقاً لإجراءات الأمن فقد استقل المشير طائرة الصحفيين، ولما ذهب أخي لوداعه طلب منه المشير السفر فوراً إلى بيروت، وعندما اقترح أخي أن يعود ثانية لمصر لكي يحضر شنطة ملابس تكفيه طوال إقامته، رفض المشير وشخط فيه قائلاً: خد عربية واطلع حالا على بيروت، وهدومك هتكون عندك بكرة، ثم نادى عبد الحكيم عامر سكرتيره العسكري «علي شفيق» وأعطاه مفاتيح بيت فاروق وقال له: تجيب هدومه وتكون عنده بكره!

وهكذا سافر أخرى إلى بيروت وتدخل القدر في إنقاذه من موت محقق، فقد عاد على طائرة عبد الحكيم عامر بعض ضباط البوليس الحربي، وظنت إسرائيل أن المشير داخل الطائرة فضربتها ومات بها أربعة من خيرة أبناء البوليس الحربي، منهم مساعدي اليوزباشي «فاروق ثروت» و«محمود محمد محمود» وآخرون!

وكان أحمد أنور قائد البوليس الحربى فى غاية الحزن على استشهاد هؤلاء الأبطال وبكى يومها بكاءً مرا. وفى هذا الجو كله عدت لمنزلى لكى أطمئن زوجتى وأولادى على سلامة ونجاة عمهم فاروق القاضى!

✪✪✪

فى هذا الوقت كانت زوجتى «حامل» فى الأيام الأخيرة وعلى وشك الوضع، ولاحظت أننى أرتدى ملابسى العسكرية وسألتنى: أنت رايح فين؟! قلت: عشان ترتاحى فكل أسئلتك ابتداء من هذه اللحظة وحتى أعود من الخارج ليس لها إجابات! فقالت: بانزعاج: ده يمكن أولد بكره؟! فقلت لها بهدوء: أنا عامل ترتيبى كويس.. وحجزت لك غرفة فى المستشفى بجاردن سيتى، وزميلى جلال فؤاد نائب البولس الحربى سيرسل لك بعربة لنقلك للمستشفى عندما تحين ساعة الولادة، وما عليك إلا أن تتصلى به تليفونيا!! وعادت تسألنى فى إلحاح أنت رايح فين يا جمال؟! وقلت لها بإصرار: مأمورية ومعنديش إجابات تانى! وسوف أتصل بك تليفونياً لأُطمئن عليك ولا داعى للانزعاج!

تركت المنزل وكان فى انتظارى سيارة البوليس الحربى، ووجدت أحمد أنور قد رتب كل شىء لهذه المهمة، وقال لى: سوف يسافر معك أفراد عيلتى إلى طما (فى سوهاج) وهى بلد حسن السيد زوج بنت أختى! وشرح لى أحمد أنور أننا سنقيم فى ڤيللا «حسن» هذا ومعنا زوجة أحمد أنور وزوجة حسن السيد، وهذه الڤيللا فى منطقة منعزلة تماماً عن طما أما أفراد البوليس الحربى الذين سيسافرون معى تحت قيادتى فهم: اليوزباشى «عبد الرحمن فريد» واليوزباشى «محمد نصير» والملازم أول «محمود حسنى عبد القادر» زوج بنت أخت أحمد أنور وسوف نتركه فى طما لكى ينفذ عملية محمد نجيب!

كان سفر الستات معنا إلى طما هو الإيهام بأن هؤلاء هربانين من الحرب فى القاهرة وجئن للاختباء فى طما، وسافرنا جميعاً فى ثلاث سيارات الى طما، ووصلنا المغرب تقريباً. تركنا الستات فى الڤيللا ثم واصلنا السفر إلى نجع حمادى وتوجهنا فوراً إلى الاستراحة التى يقيم فيها «محمد نجيب» حيث كان يقيم على حراسته اليوزباشى الشناوى (وكان أحد أفراد القوة التى احتلت الإذاعة فجر ٢٣ يوليو تحت قيادتى) كانت ملابسنا فى غاية القذارة أنا وعبد

الرحمن فريد ومحمد نصير وكان منظرنا يبدو كسائقين أو تباعين على سيارة نقل !! وقال لنا الشناوى : لا استطيع تسليمكم محمد نجيب إلا إذا جاء لى أمر بذلك من مصر ! سألته : مين بالتحديد ؟ قال : صلاح نصر أو زكريا محيى الدين أو الريس عبد الناصر شخصياً !! قلت له : لهذه الدرجة ؟ ! فقال : الراجل عهدة عندى ودى الأوامر !

قلت للملازم الشناوى : اتصل بمن تشاء وسوف نخرج الآن نتمشى شوية فى البلد وسوف نأتى بعد نصف ساعة ، وخرجنا جلسنا على قهوة بلدى تطل على النيل وأكلنا فول وطعمية ، وفجأة انشقت الأرض عن عسكرى بملابس مدنية «ويضرب لنا تظعيم سلام نحن الثلاثة» ونظرت لمحمد نصير أن يتصرف مع هذا العسكرى الذى قد يكشفنا وسط الناس ! وفى الحال قام محمد نصير باصطحاب العسكرى خارج القهوة وصرخ فيه قائلاً : أنت مجنون إزاى تعمل كده .. إحنا هنا فى مهمة سرية ! خد بعضك وأمشى فوراً ! وقال العسكرى المسكين : أنا كنت فاكر يا أفندم أنكم فى زيارة لبلدنا ونورتونا وأنا ما أنساش العيش والملح لما كنت عندكم عسكرى فى المباحث الجنائية ، وانصرف العسكرى وهو يرتعد من الخوف !

عدنا للاستراحة ، وقال لنا الملازم الشناوى إنه اتصل بصلاح نصر وكله تمام ، وسألته : وأين محمد نجيب الآن ؟ ! فقال : فوق ومعاه طبيب ضابط ! وعلى أطراف أصابعنا صعدنا الى الطابق الأعلى ، وتناهى إلى إسماعنا صوت محمد نجيب وهو يصرخ ويشتم الدكتور ويسب الثورة ورجالها ثم بدأ يقول للطبيب المسكين : بكرة الإنجليز يحتلوا مصر وتشوفوا ها أعمل فيكم إيه ياولاد «الـ....» ؟ ! كل هذه الشتيمة من نجيب .

مطلوب تنحية عبد الناصر !

دقة بسيطة على باب الغرفة ، وبعدها كنا فى غرفة محمد نجيب الذى سكت تماماً بمجرد أن شاهدنا وباغتنى قائلاً : إيه اللى جابك يا قاضى ومين بعتك هنا ! فقلت : أرسلونى لأطمئن عليك يا سيادة الرئيس !! فقال : أبدا أنت جاى عشان تقتلنى ! قلت : أبداً .. إحنا جايين ناخدك معانا مشوار صغير ونتحفظ عليك فى

مكان أمين ! جرى كل ذلك الحوار ونجيب جالس فوق سرره «مربع رجليه» وبجواره يقف الملازم الشناوى الذى قال لنا : سيادة الرئيس لم يأكل منذ ثلاثة زيام وعامل إضراب عن الأكل !! ولا يتناول شيئاً غير الماء !

وقال الطبيب إنه لابد أن يتناول «شوربة» ساخنة حتى لا تتأثر معدته، وأعلن نجيب رفضه لتناول أى شيء، فقلت له : اسمع الكلام ولابد أن نتفاهم مع بعض طوال الفترة الجاية ولا داعى للمشاكل ! وبالفعل تناول نجيب الشوربة، وساعدته على تناولها ثم قام الطبيب بمساعدته فى تناول باقى الطبق !! وارتدى نجيب ملابسه استعداداً للذهاب معانا.. وكان يقيم عنده سفرجى نوبى أصر على أن يأتى مع نجيب، وكانت مشكلة، ورفض زميلى عبد الرحمن فريد أن نصحب السفرجى معنا فقلت له : عشان إذا جرى حاجة لنجيب السفرجى يقول للناس والدنيا إننا قتلناه.. فهل تريدون هذا؟! وسكت كل منهما ثم اتفقنا على أخذ السفرجى معنا !

كانت الساعة حوالى الواحدة ليلاً عندما غادرنا نجع حمادى فى طريقنا إلى بلدة «طما» ولم يفلح نجيب فى معرفة المكان الذى سنذهب به إليه، قمت أنا بقيادة العربة وفى الخلف جلس نجيب وبجواره محمد نصير، وفى عربة أخرى يوجد عبد الرحمن فريد ومعه السفرجى، وكان كل منا مسلحاً بطبنجة، وبينما العربات تسير، فوجئنا بسماع صوت ارتطام فظيع، واكتشفنا أن السيارة غرزت فى الرمل، وتسبب ذلك فى أن الإكصدام بتاع العربية أصبح يحتك بإطار فردة الكاوتش. وبالطبع انزعجنا، وتحركت محاولاً إصلاح ما جرى وكان نصير قد أخرج المسدس وقال لنجيب : إذا تركت حركة واحدة هأضرب فى المليان !!

كان الظلام رهيباً، وعلى ضوء الكبريت حاولت قدر الإمكان إبعاد الإكصدام عن الكاوتش حتى تستطيع السيارة أن تمشى ! وبعد ساعتين كنا قد وصلنا إلى «طما» وذهبنا إلى الفيللا ووضعنا بها محمد نجيب، وحتى لا تكتشف الستات شيئاً مما يجرى، أمرناهن ألا يقتربن من هذه الفيللا لأن فيها بعض الضباط وعيب أن الستات ينكشفن عليهم !

وظل مع نجيب ضباط البوليس الحربى «محمود حسنى عبد القادر» زوج بنت أخت أحمد أنور قائد البوليس الحربى، والمكلف بقتل محمد نجيب بمجرد أن يتسلم إشارة لاسلكية معينة كنا قد اتفقنا معه عليها !

وغادرنا طما عائدين للقاهرة، وفى الحال اتصلت بأحمد أنور ورويت له كل ما جرى بشأن نجيب، وطلب منى الذهاب للرئيس جمال عبد الناصر لأعطيه «التمام» بأداء المهمة! وذهبت فى الحال إلى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة، وقابلنى الأخ «محمد أحمد» وقلت له أريد مقابلة الريس فوراً!! فقال: ده الريس حرارته ٤٠ درجة يا قاضى خير فيه حاجة؟! فقلت آه لازم أشوفه!! فقال حاضر استنى شوية!! ثم نزل إلى غرفة عبد الناصر وكانت تحت الأرض - تحسباً لأية هجمات أو طوارئ - ثم عاد ليصحبنى إلى مقابلة الرئيس. وكان جالساً على مكتبه، مكفهر الوجه بلون أقرب إلى «الكبدة الحمرا» رغم أننا كنا فى أوائل نوفمبر تقريباً، وفى اختصار وإيجاز شرحت له ما تم!! ثم قال: عال يا جمال وتروح دولقتى البوليس الحربى وتشترك مع أحمد أنور فى مأمورية بورسعيد ومش عاوز حد يعرف حاجة بشأنها خالص! قلت له: حاضر يا ريس وألف سلامة لك وابتسم قائلاً: متشكر!!

خرجت من عند الرئيس عبد الناصر مباشرة إلى بيتى لأطمئن على حالة زوجتى، وكانت - والحمد لله - قد انجبت بنتاً، ثم ارتديت ثيابى العسكرية وذهبت للبوليس الحربى، وعرفت من أحمد أنور أن المهمة التى سننفذها هى تهريب أسلحة إلى بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة، وفى المساء كانت سيارات البوليس الحربى ممتلئة بالذخيرة والأسلحة وسافرنا إلى المنزلة، وهناك ارتدينا ملابس الصيادين، وقمنا بنقل الأسلحة للمراكب وكان معنا العقيد «عبد الفتاح فؤاد»، وسارت المراكب فى وسط البحيرة بين البوص العالى حتى لا يكتشفنا أحد، واستطاع الصياديون نقل الأسلحة دون أن يدرى بها أحد إلى رجال المقاومة! ولم يخمد الكفاح المسلح. مكثنا ليلة واحدة فى بورسعيد ثم عدنا فى اليوم التالى إلى المنزلة فى زى الصيادين وأخذنا سياراتنا وعدنا القاهرة، وأبلغنا عبد الناصر بانتهاء مهمة توصيل الأسلحة للفدائيين فى بورسعيد!

وأثناء انشغال عبد الناصر بكل هذه الأعباء! فوجئ بأن سليمان حافظ يطلب مقابلته لأمر هام وعاجل، ورفض عبد الناصر هذا الطلب وكلف عبد اللطيف البغدادى بلقاء سليمان حافظ، الذى كان قد تم تعيينه مستشاراً قانونياً للرئيس محمد نجيب عند إعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ (بمرتب ثلاثة آلاف

جنيـه سنويا) وفعـلاً تقابل البـغدادى مع سليـمـان حـافظ وحضـر المقابلة عبـد الحكيم عـامر . وكـان الأمر الهام الذى طرحـه سليـمـان حـافظ هو أن تتقدم مصـر بطلب لبـريطانيا وفـرنسـا تعلن فيـها بأنـها دولة محـايدة مثل سويسـرا ونفس الشيء لقناة السويس ، حتى تتجنب مصر دمار وويلات محاربة هذه الدول ، على أن يقدم الاقتـراح «محمـد نجيب» بالذات وليس عبـد الناصـر ثم يعود عبـد الناصر ثانية إلى الجيش ، وبصراحة شديدة - مضى سليمان حافظ قائلاً : إن جمال عبد الناصر مكروه من الناس وغير محبوب بالمرة ! ! بينما نجيب لا يزال محبوباً رغم ابتعاده عن الحكم !

ووسط هذه المشاغل كلها اعتبر عبد الناصر اقتراح سليمان حافظ بمثابة «نكتة» ليس أكثر ، واكتفى بأن يضحك بسعادة حينما نقلت إليه هذه التفاصيل كلها ، ولكنه كان قد اعتزم شيئاً آخر تماماً . ففي يوم الجمعة (اثنين) نوفمبر ذهب عبد الناصر فى سيارة مكشوفة إلى الجامع الأزهر وأدى الصلاة مع جموع المصلين ثم اعتلى المنبر وبدأ يتحدث من قلبه لجموع المصلين ، وكانت كلماته تذاع على الهواء مباشرة لكل الشعب ، وقال عبد الناصر كلمته الشهيرة بصوته المشحون والمليئ بالثقة : «سنقاتل . . سنقاتل . . سنقاتل . . ولن نستسلم» .

ومن الأشياء الطريفة التي وقعت فى تلك الأيام أن السفير الأمريكى فى مصر «ريموند هير» طلب مقابلة عبد الناصر بشكل عاجل ، ورتبت له مقابلة بسرعة بمقر مجلس القيادة ، ووصل السفير فى الموعد المحدد وكان فى استقباله أحد سكرتارية الرئيس ، ودار حديث قصير بينهما ، وفهم الرجل أن السفير الأمريكى يريد أن يذهب لدورة المياه قبل مقابلة عبد الناصر فقام باصطحاب السفير إلى دورة المياه الملحقة بالمجلس وغاب السفير بالداخل فترة طويلة زادت على النصف ساعة . . وسأل عبد الناصر عن السفير فقالوا له عن مكانه ، فسألهم ثانية : من أمتى ؟ ! فقالوا : من نصف ساعة ! وانزعج عبد الناصر أن يكون شيئاً قد أصاب السفير أو أغمى عليه مثلاً ، وتنشب أزمة دبلوماسية وسياسية لا يعرف أحد مداها ! وقام سكرتير الرئيس بفتح الباب على الرجل ، فوجده واقفاً مذهولاً وصامتاً ولم ينطق بحرف . . وسار إلى حيث استقبله عبد الناصر . وروى السفير لعبد الناصر ما جرى له ، وأضاف ضاحكاً : تصورت أنكم

قررتم إلقاء القبض عليّ فاستسلمت وانفجر عبد الناصر من الضحك واعتذر للسفير عن ملابسات سوء الفهم.

⚪⚪⚪

وانتهت الحرب بكل ملابساتها وأحداثها التى نعرفها جميعاً! لقد دخل عبد الناصر حرب السويس وهو رئيس لمصر، وخرج منها زعيماً عربياً واسماً بارزاً على خريطة السياسة العالمية!

وتصل الاعترافات إلى محطة الختام.. لقد حاولت قدر استطاعتى أن أكون موضوعياً فيما رويت وصادقاً فيما كتبت، وأكرر أن هذه الذكريات ليست دراسة أكاديمية ولا بحثاً تاريخياً بقدر ما كانت شهادة متواضعة على فترة غالية وحاسمة من عمر مصر وعمرى!!.

وثـــائق الكتـــاب

• جمال القاضى:

عندما دفعنا اليأس إلى ترتيب اغتيال رجال الملك للإرهاب

قبل قيام الثورة بعدة أشهر أى حوالى شهر إبريل أو مايو ٥٢ بدأ اليأس يدب فى قلب بعضنا من كثرة الكلام والمناقشات فى الاجتماعات دون القيام بالعمل الإيجابى الكبير الذى كنا ننتظره جميعاً وكنت أنا أحد الناس الذين دب فيهم هذا اليأس وطلبت من عبد الحكيم عامر وكان يشغل منصب أركان حرب سلاح المشاة أن ينقلنى إلى الكتيبة ١٣ التى كان عليها الدور للخدمة بالسودان. ولم يكد يمضى أسبوع على طلبى هذا حتى ظهرت نشرة التنقلات الداخلية بسلاح المشاة ونقلت من رئاسة اللواء الرابع احتياط إلى الكتيبة ١٣ التى كان يقودها العقيد أحمد شوقى.

وقد حدث يوم الثلاثاء ١٥ يوليو أن دعينا على عجل وفجأة لاجتماع عاجل ١٢,٣٠ ظهراً.. حضر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال رفعت وكان الاجتماع يضم حوالى ٣٠ ضابطاً من أساطين الضباط الأحرار.. وبدأ الاجتماع بكلمة من جمال عبد الناصر قال فيها: إنه يجب قبل كل شىء أن يوضح لأعضاء التنظيم الموجودين وضع التنظيم بالضبط ويرد على التساؤل الذى يتبادر إلى ذهن كل منا وهو: لماذا لا نقوم بالعمل الكبير ومتى نقوم به؟

إن السبب الرئيسى الذى يعطل حتى الآن القيام بالعمل الكبير هو أنه ليس لدينا غير ستة ضباط فقط فى التنظيم من سلاح الفرسان وأنتم عارفين أن سلاح الفرسان «المدرعات الآن» هوه اللى فيه الدبابات، والعسكرى مهما كان شجاع لما حيشوف دبابة قدامه حيجرى طبعاً.

وعلشان كده قررنا القيام بعمل اغتيالات سياسية نرهب بها الملك والسراى وعملاءه حتى نستطيع أن نجهز أنفسنا ونقوم بالعمل الكبير. وقرأ علينا كمال رفعت كشفاً بأسماء من سيكونون ضحية الاغتيالات وكانوا كلهم من رؤساء الأحزاب وممن اتهموا فى قضية الأسلحة الفاسدة ورجال الملك ممن أضروا بمصالح الشعب والجيش.

ثم قرأ كمال رفعت تنظيمات جماعات الاغتيالات وجماعات التغطية وجماعات الاستكشاف وجماعات الهروب، وكانت عمليات موضوعاً لها مخطط كامل بخطة دقيقة جداً.

وهنا اعترض البعض على هذه الخطة ولكننا حلفنا اليمين ولم يتخلف منا أحد، وصدرت تعليمات من جمال عبد الناصر بعدم مغادرتنا لمنازلنا من الساعة ٣ بعد ظهر كل يوم حتى الساعة ٩ مساء. وبصراحة لم تكن الأغلبية مرحبة بهذه الخطة ليس خوفاً منها ومن تنفيذها لكن ما الذى سيعود علينا من قتل بعض هؤلاء؟ من الجائز أن يقبض على أحدنا أثناء عملية من عمليات الأغتيال هذه وبهذا يضيع التنظيم كله، ولكن الرد على من اعترض أن المحاولات جارية لضم أعداد من ضباط الفرسان للتنظيم ونأمل أن يتم هذا بمنتهى السرعة وإذا حدثت الاغتيالات فستحدث للإرهاب فقط ولفترة مؤقتة حتى يتم الإعداد الكامل للعمل الكبير.

وفيما يتعلق بقصة انضمام أحمد شوقى فى يوم ٢٢ يوليو وهو يوم التنفيذ تقابلنا بمنزل محمد نصير كما اتفقنا وتوجهنا نحن الأربعة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال حماد وأنا فى الموعد المحدد إلى منزل أحمد شوقى وعندما فتح لنا الباب وشاهد جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر صاح مرحباً: أهلاً وسهلاً أنا عرفت أنتم دلوقت جايين علشان إيه أنا وابنى ممدوح تحت أمركم «الملازم ممدوح كان ملازماً بسلاح الفرسان» وبعد أن شرح له عبد الناصر أهداف التنظيم باختصار سأل أحمد شوقى عن أكبر رتبة فى التنظيم وعن رئيس التنظيم فرد عليه جمال قائلاً: أنا رئيس التنظيم، وأنا أكبر رتبة. فقال أحمد شوقى: يعنى أنا حكون أكبر رتبة وأقدم واحد بعد انضمامى فهز جمال عبد الناصر رأسه بالإيجاب.

وهنا أقسم أحمد شوقى على مصحف كان موجوداً بصالون المنزل بأنه سيكون مخلصاً للتنظيم وأوامر التنظيم وعندها بدأ جمال يحدثه عن كتيبته وما يجرى فيها ثم رجاه أن يقوم لكى يغير ملابسه ويرتدى الملابس العسكرية لأننا سنقوم بالعمل الكبير بعد عدة ساعات وعليه أن يأتى معنا لكى يعرف الخطة المكلف بتنفيذها كتيبته. فقام بلا تردد وأرتدى الملابس العسكرية، ونزلنا جميعاً وركب أحمد شوقى معى أنا وجمال حماد بسيارتى الجيب ثم توجهنا لمنزل صلاح نصر ثم لمنزل صلاح سعدة بالمنيل حيث كان يجتمع ضباط الكتيبة ١٣ وكان فعلاً موقفاً يحتاج للتسجيل عندما فوجئ ضباط الكتيبة من الضباط الأحرار بقائدهم يدخل عليهم قبل قيامهم بتنفيذ الثورة بساعات قليلة ولكن ما طمأنهم أن صلاح نصر كان برفقته فاطمأنوا، ولما عرفوا حقيقة ما حدث فرحوا فرحة كبرى.

وهذا يتفق تماماً على ما جاء بمقال الأخ العزيز جمال حماد، ولكنى اختلف معه فى شيء واحد وهو أن أمر العمليات الذى وزعت فيه الأدوار والمهام والخاص بالكتيبة ١٣ قرأه المقدم زكريا محيى الدين فى منزل الرائد صلاح سعدة بمنيل الروضة مساء يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو ٥٢ وليس فى منزل صلاح نصر، وكانت قراءته بحضور جمال عبد الناصر قائد ثورة يوليو وزعيمها ومخططها والرائد عبدالحكيم عامر والرائد جمال حماد أركان حرب سلاح المشاة والرائد صلاح نصر أركان حرب العمليات للكتيبة ١٣ والعقيد أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ بعد ضمه لضباط الأحرار بساعة واحدة.

وعند بند مبنى الإذاعة وماركونى خصص لها :

فصيلة مشاه من الكتيبة ١٣ بقيادة الملازم الشناوى.

وعربتان مدرعتان من سلاح الفرسان بقيادة الملازم أحمد المصرى.

وتكون هذه القوة بقيادة النقيب جمال القاضى من الكتيبة ١٣ على أن تبدأ هذه القوة تحركها من ثكنات العباسية فى الساعة ٢,٣٠ من صباح ٢٣ يوليو.

وفى الساعة ١١ مساء تقريباً تحركنا العقيد أحمد شوقى والرائد جمال حماد وأنا من مصر الجديدة إلى الكتيبة ١٣ حيث وصلناها الساعة ١٢ تقريباً وكان ذلك قبل موعد بدء التحركات بساعة وعندما وصلنا إلى ميس الضباط قدمنى صلاح نصر لقائد الفصيلة الذى سيكون تحت قيادتى الملازم الشناوى «وشاءت الأقدار أن أتصل به مرة أخرى فى عام ٥٦ اثناء العدوان الثلاثى عندما توجهت إلى نجع حمادى فى مأمورية» ثم عاد بعد قليل وقدمنى إلى الرائد حمزة البسيونى من سلاح خدمة الجيش وأخبرنى أنه هو الذى أحضر لهم اللوارى لنقل الجنود بها.

ثم استقليت سياراتى الجيب وتوجهت إلى سلاح الفرسان وحييت الرائد ثروت عكاشة وأخبرته عن غرضى باستلام العربات المدرعة فاستدعى لى الملازم أحمد المصرى «مدير مصلحة الفنون» وأمره أن يرافقنى بالسيارتين المدرعتين وعدنا جميعاً إلى الكتيبة ١٣ فى انتظار موعد خروجنا.

وفى الساعة ٢,٣٠ صباحاً تحركت أنا بسيارتى الجيب فى الأمام ثم خلفى مباشرة سيارة مدرعة ثم اللورى الذى يحمل الفصيلة ومعها ضابطها ثم ضابط العربات المدرعة فى سيارته الجيب ثم العربة المدرعة الأخيرة. وصلت شارع الشريفين ودخلت إلى الشارع من شارع سليمان باشا «طلعت حرب» وأوقفت السيارة أمام باب ماركونى إذ إنه كان يحتل الدور الأرضى للمبنى، ووجدت حراسة من عساكر شرطة مدنية من بلوكات نظام الأقاليم وعندئذ حضر لى ضابط شرطة برتبة ملازم وقال سائلاً ما الخبر؟ فأخبرته بأننا قوات طوارئ صدرت لنا الأوامر بالحضور لحراسة الإذاعة من أى متمردين أو مخربين. وحسب أوامرى السريعة للضباط بدأ فوراً الملازم أحمد المصرى فى وضع سيارة مدرعة على باب الشارع من ناصيته مع سيمان باشا والأخرى من الناصية الأخرى مع شارع جامع شركس وأمر الملازم الشناوى جنوده بالنزول تمهيداً للتوزيع وإذا بى أرى أمامى ضابط شرطة برتبة عقيد وتعرفت عليه وهو المرحوم العقيد السيد عارف وكان زميلاً للمرحوم والدى فسألنى إيه الحكاية؟ فقلت له : إحنا طوارئ وجايين نساعدكم. فقال : بس إحنا لم تصدر لنا أى تعليمات أن الجيش حينزل. فقلت له : ضرورى التعليمات جاية حالاً ومنعاً للاحتكاك أرجو أن تأمر الضابط بجمع عساكره لكى أوزع عساكرى.. فأمر على الفور الضابط بجمع عساكر الشرطة فى الزقاق

المواجهة للمبنى - وفى لحظات كنت قد دخلت إلى ماركونى ومعى ضابط المشاه وشاويش الفصيلة، فإذا بكل موظفى ماركونى يخرجون إلىّ ويسألون عن الخبر فقلت لهم طوارئ لا تنزعجوا.

وصعدت إلى الدور العلوى حيث الميكروفون وبعد إتمام توزيع الصف والعساكر على الدورين وضعت حراسة مشددة على باب المبنى ونزلت مرة أخرى إلى الشارع وإذا بعارف يأتى لى مرة أخرى قائلاً: إنه حاول الاتصال بالحكمدارية لتلقى منها أى أوامر أو تعليمات ولكنه لم يفلح ولذلك فهو يريد منى جواباً صريحاً عما نفعله، فقلت له: عارف بك اسحب عساكرك وروح أرتاح ملكش دعوة أنت بحاجة أبداً، فقال: ولما يسألونى بكره الصبح فهمست له فى أذنه «بكره الصبح مفيش حد حيقدر يسألك عن حاجة لأن مفيش مسئول من اللى أنت خايف منهم هيكون موجود على كرسيه عشان يسألك»، وبعد ربع ساعة لم أجد عسكرى شرطة واحد. إذ حضر لورى وحملهم جميعاً وسار بهم دون مناقشة.

وحوالى الساعة ٥,٣٠ صباحاً أحضر لى قائد الفصيلة الشناوى شخصاً مدنياً قال إنه مذيع الفجر واتضح أنه المذيع فهمى عمر وإذا به مرهوباً طبعاً من المنظر الذى يحيط به فطمأنته وأخبرته بما يحدث بصراحة تامة وفى الحال أبدى استعداده لإطاعة أية أوامر تصدر له وعندما سألته عما سيذاع فقال القرآن الكريم ثم الألعاب الرياضية ثم أغانى ومقطوعات موسيقية، فقلت له القرآن الكريم ثم مارشات عسكرية فقط وعليه أن يلغى الألعاب الرياضية والأغانى.

وبدأ القرآن الكريم ثم بدأت إذاعة المارشات العسكرية وإذا بالشناوى يبلغنى وكذا أحمد المصرى أن الإذاعة لا تخرج للشارع وأن أجهزة الراديو لا تتكلم فأحضرت المهندس كامل وسألته فشرح لى أن الصوت يخرج من الشريفين فى سلك إلى الأبراج فى أبو زعبل والأبراج هى التى تذيعها فى الهواء حتى تستقبلها أجهزة الراديو مرة أخرى وأن محطة الأبراج بأبى زعبل أوقف العمل بها بناء على أوامر من الأستاذ على خليل وكيل الإذاعة ولم أدر كيف أتصرف، وإذا بالأخ مجدى حسنين يدخل علىّ فأخبرته بما حدث فاتصل بتليفون الإذاعة بعين شمس ثم غادرنى وقال لى: أعطنى فرصة نصف ساعة فقط - وذهب مجدى وعلمت بعد ذلك أنه أخذ قوة من صف وعساكر عين شمس واحتل بهم أبراج أبو زعبل والجبل الأصفر ولم تمض نصف ساعة حتى كانت الإذاعة قد خرجت مرة أخرى إلى الأجهزة.

وفى هذه الأثناء والإذاعة معطلة وصل إلى المبنى السيد أنور السادات ومعه البيان ولكنه عندما علم بتعطيل الإذاعة انتظر حتى عادت الإذاعة وقرأ البيان وكان ذلك فى الساعة ٧ صباحاً على ما أذكر، ثم حضر بعد ذلك اللواء محمد نجيب حوالى الساعة ٩ صباحاً وأذاع البيان مرة أخرى بصوته، وكنا قد جهزنا له أجهزة التسجيل وسجل البيان بصوت محمد نجيب ليذاع كل نصف ساعة ثم كل ساعة وهكذا.

هناك بعض أسئلة أوجهها للأخ جمال حماد خاصة بوضع اللواء محمد نجيب :

أولاً : إذا كان محمد نجيب حقيقة على رأس التنظيم من قبل قيام الثورة بشهرين كما قال الأخ جمال حماد فكيف اجتمع مجلس قيادة الثورة صبيحة قيام الثورة ونجاحها وانتخب جمال عبد الناصر بالإجماع رئيساً لمجلس قيادة الثور، وكان محمد نجيب يجلس في حجرة مجاورة وبعد أن أعلن البيان الأول بالإذاعة بصفته قائداً للثورة .

ثانياً : ألا يذكر الأخ جمال حماد اجتماعات الجمعية العمومية للضباط الأحرار في كل سلاح عدة مرات أسبوعياً عقب قيام الثورة والأسئلة التي كانت توجه من الضباط لجمال عبد الناصر ، والتي كانت تستنكر تعيين نجيب قائداً للثورة ، وكان عبد الناصر يرد عليهم بأن الشعب المصرى شعب عاطفي ويجب لكى يحترم الثورة أن يكون على رأسها رجل كبير السن والرتبة .

ثالثاً : ألا يذكر الأخ جمال حماد كيف كان محمد نجيب لا يحضر اجتماعات المجلس مدة الأشهر الثلاثة الأولى التى أعقبت قيام الثورة ، وكانت تعرض عليه القرارات بعد اتخاذها ليوقعها كقائد لها - أى للثورة - حتى استطاع عبد الناصر أن يقنع أعضاء مجلس قيادة الثورة بحضوره للجلسات على ألا يكون له حق التصويت ولكن يشارك فى المناقشات فقط ويدلى برأيه ، وأظنه يذكر دور جمال سالم فى هذا الموقف والذى كان من الصعوبة بمكان أن يقبل حتى هذا الحل الذى وصلوا إليه ؟

ومن كل ما سبق يمكننا أن نستنتج حقيقة وضع السيد الرئيس محمد نجيب قبل الثورة وبعدها .

جمال القاضى

* المصور ٢٤ سبتمبر ١٩٨٢

• كيف بدأ الصراع بين عبد الناصر ونجيب؟

• لماذا هدد عبد الحكيم عامر بالانتحار خلال الأزمة؟

فى خريف عام ٥٣ صبيحة أحد الأيام، وصلت إلى منزل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى منشية البكرى كعادتى كل صباح تقريباً، ودخلت إلى حجرة الصالون المتواضعة فوجدته يجلس وأمامه طعام الإفطار ومعه البكباشى أحمد أنور مدير البوليس الحربى، ولاحظت على الفور أن عبد الناصر على غير عادته، فقد كان حزيناً متجهم الوجه، وكان من اليسير علىّ أن ألحظ هذا بسرعة وسهولة لكثرة اختلاطى به، وعندما وجدته على هذه الحالة حاولت الضحك للتسرية عنه ووضعت ابتسامة على وجهى وبادرته بتحية الصباح. فرَد علىّ دون أن يبتسم ودعانى للجلوس، فجلست وأنا فى غاية القلق. ونظر لىّ أحمد أنور نظرة فهمت منها أن الزم الصمت.. ولكننى لم استطع وبادرت متسائلاً:

- خير يا فندم.. فيه إيه مضايقك.. سيادتك النهاردة مش زى عوايدك؟

فنظر إلىّ قليلاً.. ثم نظر إلى أحمد أنور.. وقال:

- حاقولكم حاجة مؤسفة جداً.. محمد نجيب إبتدا يغار منى بالرغم من اللى عملته ليه. واللى كنت ناوى أعمله له.. فوقع علىّ الكلام وقع الصاعقة.

وفوراً وبدون تفكير هممت بالنهوض وقلت موجهاً كلامى إلى عبد الناصر:

- أروح أجيبه يا فندم؟ «أى أعتقله».

ولكنه رحمه الله - قال:

- أقعد يا مجنون.. مش دى الطريقة اللى أنا ناوى أعامله بها.. أقعد.. فجلست ولكن أحمد أنور نظر إليه.. وقال:

- طيب، وهانتصرف إزاى دلوقت؟

فرَد عبد الناصر - رحمه الله - بإجابة لم نكن ننتظرها إطلاقاً.. قال:

- بالعمل على الإخلاص له فعلاً.. سنخلص له أكثر وأكثر. فإذا عاد إلى صوابه وإلى الطريق الصحيح كان لها، وإلا فنتركه يخنق نفسه بنفسه..

ولم أفهم فى وقتها معنى عبارة «بالعمل على الإخلاص له» ولكن عبد الناصر قال إن هناك أشخاصاً بدأوا الالتفاف حول نجيب لاستغلاله ضد مجلس قيادة الثورة وإقناعه بأنه يملك حب الشعب وتقديره له، وأنه يمكنه أن يتخلص من جمال عبد الناصر ويصبح الجو خالياً له بلا منازع، وللأسف فإن كثيراً من هؤلاء الأشخاص ضباط بين صفوف القوات المسلحة. بل

إن بعضهم من الضباط المقربين لمجلس قيادة الثورة، بل إن بعض أفراد حرسه ومكتبه من الضباط يحاولون بسط نفوذهم ويتصرفون على أنهم السلطة العليا باسمه وعلى ذلك يجب أن نبدأ في مراقبته ومراقبة تحركاته وتصرفاته.

خالد ونجيب وأزمة ٥٤:

مع الوقت وتوالى الأحداث احتدم الصراع بين محمد نجيب من ناحية ومجلس قيادة الثورة وجمال عبد الناصر من ناحية أخرى، وكان البوليس الحربى طرفاً فى هذا الصراع لأنه كان معروفاً لدى لقوات المسلحة ولدى الشعب أيضاً أنه أداة مجلس قيادة الثورة فى تنفيذ قرارات المجلس وأوامره، كما كان معروفاً أن قيادة البوليس الحربى الممثلة فى أحمد أنور المدير، وجمال القاضى الأركان حرب، وأيضاً باقى الضباط الذين كنا ننتقيهم - أحمد وأنا - بمنتهى الدقة، لأن هذه الوحدة هى التى كانت تحكم الجيش وبالتالى البلد فى هذا الوقت، ولذلك كان البوليس الحربى هو أكبر وحدة حساسة داخل القوات المسلحة كلها.

ولذلك كانت نسبة الإخلاص للثورة وعلى رأسها جمال عبد الناصر - من جانب البوليس الحربى - مائة فى المائة دون شك أو منازع، ولذلك فإن الصراع بين جمال عبد الناصر وبين أى شخص آخر كان لابد وأن يكون البوليس الحربى طرفاً فيه وطرفاً أساسياً أيضاً..

حتى أننا فى يوم من الأيام علمنا أن هناك ندوة يقيمها سلاح الفرسان فى قشلاقاته وأردنا الذهاب لحضور الندوة أنا وأحمد أنور على اعتبار أنها ندوة عادية كانت الأسلحة تقيمها فى بعض المناسبات للإشادة بالثورة ومجلس قيادتها، ولكن قبل أن ندخل إلى الصالة المجتمع فيها الضباط قابلنا البكباشى (المقدم) حمدى عبيد - أحد الضباط الأحرار البارزين فى سلاح المشاة وقد عين بعد ذلك محافظاً لكفر الشيخ ثم وزيراً للإدارة المحلية - ونصحنا بعدم دخول القاعة لأن الهجوم علينا شديد جداً من المتحدثين وأنه يخشى أن يعتدى علينا، ولكننا صممنا على الدخول وحضور الندوة، وأخذ بعض الضباط يتناوبون الخطابة ويهاجمون البوليس الحربى وتصرفاته وأخذوا يطالبون بنهاية الحكم العسكرى وعودة النظام البرلمانى وتصفية الثورة ومجلس قيادتها.

ولم نحاول الرد عليهم ولكننا بقينا حتى انتهت الندوة، وفور خروجنا كلفنى المدير بكتابة تقرير عما حدث لرفعه إلى جمال عبد الناصر.. ولكننا بدأنا نعرف أن هناك صلة بين ما جرى وبين محمد نجيب، ولكن حتى هذه اللحظة لم نكن نعرف هذه الصلة التى اتضحت فيما بعد، بأيام قليلة.

استقالة نجيب ومفاجأة التنحى:

وفى يوم ٢٢ فبراير اتصل بى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة واستدعينا - أحمد أنور وأنا - على عجل لمقابلة الصاغ صلاح سالم، وكانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف مساء. وذهبنا على الفور إلى هناك واستقبلنا صلاح فى حجرة اجتماعات المجلس، وكان يتناول طعام غداءه وطلب منا أن نجلس لتناول الغداء معه، فجلسنا نأكل ولكنى أحسست أن فى الجو شيئاً هاماً لا أعرفه بعد، وبدأ صلاح حديثه:

- اسمع يا جمال أنت وأحمد، فيه قرارات اتخذها المجلس (قيادة الثورة) والرئيس عبد الناصر كلفنى شخصياً بأن استدعيكم واقنعكما بها وخصوصاً أنت وأشار إلىّ لأنه قال إن الوحيد الذى لن يقتنع هو أنت. أما أحمد فهو أكبر منك سناً وخبرة وسيستطيع أن يقدر مغزى القرارات أسهل منك. وأنا عارف أن القرارات دى تكون صعبة عليكم ولكن المجلس رأى بالإجماع أنه لابد وأن نسلك هذا السبيل حتى نكشف نجيب ومن وراءه أمام الناس.. نجيب قدم استقالته للمجلس علشان يحطنا فى «كورنر» إذا قبلنا الاستقالة ويظهر للشعب إننا أقلناه للتخلص منه.. ولكن المجلس اتخذ القرارات الآتية:

١- عدم قبول استقالة محمد نجيب.

٢- تنحى مجلس قيادة الثورة عن الحكم وعودتنا جميعاً إلى منازلنا مع ترك عبد الحكيم عامر فى منصبه كقائد عام للقوات المسلحة لأنه هو الحماية لنا.

وهنا دخل عبد الناصر، فحيانا ووقف بجانب صلاح ولم يتدخل فى الحديث بل اكتفى فقط بالمراقبة واستمر صلاح فى الكلام الذى وقع علىّ كالصاعقة ولكننى لم انطق بكلمة..

ونجيب طبعاً - والكلام صلاح - حايرحب بهذه القرارات ومش حايقدر يعمل وزارة تعاونه فى الحكم لأنه حايكلف مين بالوزارة.. مصطفى النحاس مريض، فؤاد سراج الدين حايخاف يقبل لأنه عارف أن احنا طلقاء وممكن نعمل أية حاجة أحنا عاوزينها فى أى وقت وساعتها يتشنق.. ما فيش حد سيجزؤ يقبل التعاون مع نجيب وهو يعلم أن جمال عبد الناصر زعيم الضباط الأحرار وقائدهم وزعيم الثورة ومجلس قيادة الثورة طليق وكل أفراده بكامل حريتهم..

وهنا لم أحتمل السكوت.. خاصة وبعد أن صاح أحمد أنور:

- فكرة مدهشة..

وهنا خبطت بقبضة يدى على المنضدة وصحت قائلاً:

- ومين اللى حايخليكم طلقاء.. ده أول عمل حايعمله محمد نجيب أول لحظة سيجلس فيها على كرسي الرئاسة أنه يعبت لكم أربعة أو خمسة ضباط من بتوعه يقبضوا عليكم وعلى عبد الحكيم عامر اللى بتقولوا إنه سيكون حماية.. وساعتها يرميكم فى السجن وبالتالي يقبض علينا إحنا كمان. الحاجة الثانية.. أنتم مين أذن لكم بالاستقالة؟ هل جمعتم الجمعية العمومية للضباط الأحرار وأخذتم رأيها فى هذا القرار الذى ينهى الثورة ويسلمها لنجيب؟ أنتم تمثلون الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة ونفذوها فى الحكم، وإذا تنحيتم يجب أن يوافق على هذا الجمعية العمومية وهى التى تقرر بل من حقها أن تقبل أو ترفض هذه القرارات.. أنتم بتسلمونا للمشنقة بأيديكم.. نجيب لن ينسى لنا اللى عملناه فيه وسينتقم منا ومنكم أشد انتقام بمجرد انفراده بالسلطة.. هذا الكلام لن يحدث أبداً ولو على جثثنا..

وهنا صاح عبد الناصر: أنا مش قلت يا صلاح جمال القاضى لن يقتنع.. طيب إهدأ يا جمال ونتناقش..

قلت: يافندم سيادتك أستاذى وقائدى ولو طلبت منى أن أفديك بحياتى وأولادى لفعلت دون تردد ولو لثانية واحدة، ولكن لن أناقش تسليم ثورتنا لأى أحد مهما كان ومهما أتخذتم من احتياطات فأنا لا أثق إلا بقيادتى الثورية وبنفسى فقط.. لابد وأن تجتمع الجمعية العمومية ولابد وأن يعرض عليها الأمر.. وأنا حاطلب أفراد الجمعية العمومية للحضور إلى هنا فوراً.

قرارات مضادة للضباط الأحرار:

وقمت واقفاً وحاول صلاح سالم وأحمد أنور أن يمنعونى من الخروج ولكن عبد الناصر منعهم من ذلك قائلاً:

- سيبوه يتصرف زى ما هو عايز وده رأى سليم ومن حقه..

وهنا لاحظت أن هذه القرارات لم تكن من صنع عبد الناصر، ولكن سيتضح فيما بعد من تفصيلات أن بعض أعضاء المجلس هم الذين ضغطو عليه لاتخاذ هذه القرارات.

وخرجت إلى أقرب تليفون فى أحد المكاتب واتصلت بقيادات الضباط الأحرار فى الأسلحة المختلفة، فاتصلت بالطحاوي وطعيمة وحمدى عاشور وباحسينى رحمه الله وصلاح سعدة، وبقيادات المدفعية فتح الله رفعت وسعد زايد وعبد المجيد شديد وأحمد شهيب، والفرسان المرحوم رضا صابر وعبد الفتاح على أحمد، والطيران وجيه أباظة، واتصلت بكل

من له ثقل فى محيطنا (محيط الضباط الأحرار)، وأخبرتهم أن هناك أمراً خطيراً يمس مصير الثورة ويجب عليهم جمع الجمعية العمومية فوراً بمجلس قيادة الثورة بالجزيرة..
وخلال نصف ساعة كان بالمجلس ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً من قيادات الضباط الأحرار واجتمعنا. وعرض صلاح سالم عليهم الأمر والقرارات، وهنا ثار الجميع واتخذنا القرارات التالية:

١- رفض قرارات المجلس التى اتخذها.
٢- تقبل استقالة نجيب فوراً وتحدد إقامته بمنزله.
٣- تثبيت مجلس قيادة الثورة فى حكم البلاد برئاسة جمال عبد الناصر.

ولأول مرة فى تاريخ مجلس قيادة الثورة منذ إنشائه يكسر له قرار بواسطة الجمعية العمومية للضباط الأحرار.

واجتمع المجلس وصدق على قرارات الجمعية العمومية، وأبلغت القرارات الجديدة لمحمد نجيب، وانتقلنا جميعاً إلى القيادة العامة للقوات المسلحة بشارع الخليفة المأمون، وتوجه صلاح سالم للإذاعة (وكان يشغل منصب وزير الإرشاد) وأذاع القرارات على الشعب معدداً أخطاء نجيب وأنحرافاته وتصرفاته التى أدت إلى ذلك، وأنه انحرف عن طريق الثورة وإنه كان يعمل ضدها.

وأثناء اجتماعنا كانت الأخبار قد تسربت إلى بعض ضباط السوارى برتبة ملازم أول وملازم ثان وهم الذين انضموا للتنظيم ليلة الثورة كما سيتضح من تفاصيل عملية تنفيذ الثورة وكانوا هم نفس الأشخاص الذين هاجمونا فى الندوة التى ذكرناها وحضروا إلى المجلس مع قيادات الضباط الأحرار بسلاحهم، فلما اجتمعنا - الجمعية العمومية - لاحظنا أنهم يؤيدون نجيب وكانوا يطالبون بالديمقراطية والانتخابات وهم الوحيدون الذى أيدوا قرارات مجلس الثورة بالتنحى، وكان عددهم لا يزيد على الثمانية ولذلك ظهروا وانكشفوا فى الاجتماع.

حتى أن رأيهم كان يخالف رأى الضباط الأحرار الأقدم فى الرتب من نفس السلاح، ودخل الشك فى نفوسنا أكثر وأكثر من أن هؤلاء الضباط يلعبون دوراً مع نجيب، ولكن بقيادة مَنْ؟ لم نكن نعرف حتى هذه اللحظات.. ولكن سنعرف ذلك حالاً.

مواجهة فى سلاح الفرسان:

وانتقلنا إلى القيادة العامة للقوات المسلحة بشارع الخليفة المأمون - القيادة القديمة المواجهة للكلية الفنية العسكرية حالياً - وفى الحال تم تعزيز الحراسة على القيادة العامة،

فأحضرنا رية من الكتيبة ١٣ التى نفذت الثورة ليلة ٢٣ يوليو وزودنا فصائل البوليس الحربى حول القيادة، ونمنا هذه الليلة بالقيادة ومدافعنا الرشاشة على أكتافنا وذهب باقى الضباط الأحرار الذين كانوا مجتمعين. ذهبوا إلى وحداتهم لكى يسيطروا على باقى أفراد القوات المسلحة وباتوا فى وحداتهم.. وأمضينا هذه الليلة فى مبنى القيادة العامة فى انتظار ما يأتى به الصبح من انطباعات وتأثيرات وردود فعل بين صفوف القوات المسلحة والشعب.

وفى الصباح الباكر علمنا أن ضباط الفرسان قد اعتصموا بشكناتهم التى تواجه مبنى القيادة مباشرة، وأنهم لن يعدلوا عن اعتصامهم حتى يعود محمد نجيب ويعدل مجلس قيادة الثورة عن موقفه.

وفى الحال قام جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وحسين الشافعى (سلاح الفرسان) بالتوجه للاجتماع بالضباط المعتصمين، وأردت مرافقتهم، ولكن عبد الناصر رفض ذلك حتى لا يحدث وجودى استفزاز للمعتصمين لأنهم هاجمونى من قبل فى ندوتهم، ولم تمض ساعة حتى عادوا بعد أن قوبلوا بهجوم عنيف، بل إن بعض الضباط حاول التهجم بالكلام على عبد الناصر نفسه.

وقيل بعد ذلك إن خالد محيى الدين لم يحاول أن يدافع عن رئيس مجلس قيادة الثورة وزعيمه وقائده، وأن الذى ثار فى وجه ضباط سلاحه كان حسين الشافعى بينما كان خالد صامتاً ويبتسم ابتسامة تشفٍّ.

وأن الضباط طالبوا فى هذه الندوة بضرورة عودة محمد نجيب وضرورة عمل انتخابات وعودة الأحزاب وتصفية الثورة، وهو نفس ما كان ينادى به نجيب سراً فى مجالسه الخاصة ومع المقربين إليه.

قرار عزل مجلس الثورة:

وعندما عادت اللجنة التى ذهبت للحوار مع ضباط السوارى اجتمع المجلس على الفور، واتخذ قرارات جديدة تتلخص فى:

١- العودة عن استقالة نجيب وتكليفه بالرئاسة والوزارة.

٢- تنحى المجلس وعودة أعضائه إلى اسلحتهم كضباط عاديين.

٣- يتم تنفيذ هذا بشرط أن يوافق نجيب على بقاء عبد الحكيم عامر على رأس القوات المسلحة.

وعندما بلغتنا هذه القرارات اجتمعنا على الفور وقررنا الآتي:

١- عزل مجلس قيادة الثورة وعدم السماح لهم بمغادرة المبنى.

٢- تعيين أحمد أنور قائداً عاماً للقوات المسلحة.

٣- القبض على محمد نجيب ووضعه بميس المدفعية تحت الحراسة بصفة مؤقتة وكلف بذلك كمال رفعت وداود عويس وعبد الرحمن فريد وحسن التهامي.

٤- إعطاء إنذار للمعتصمين بسلاح الفرسان بأنهم إذا لم يخرجوا من ثكناتهم في الساعة الحادية عشرة من نفس اليوم للتوقيع بدفتر وضع بمدخل القيادة العامة بالولاء لمجلس قيادة الثورة سننسفه على من فيه.

وعلى الفور ترك وجيه أباظة القيادة العامة إلى سلاح الطيران، وأحمد شهيب إلى المدفعية، واستدعيت الكتيبة ١٣ من ثكناتها (وهي الكتيبة التي نفذت الثورة ليلة ٢٣ يوليو) وخلال نصف ساعة كان سلاح الفرسان محاصراً من جميع الجهات بالمدفعية المضادة للدبابات وبالمشاه الراكبة. وبدأت طائرات سلاح الطيران تظهر في الجو وتقوم بعمل طلعات طيران منخفض على ثكنات السلاح.. ودون إطلاق نيران طبعاً، ولكنها هجمات تهديدية، وقام كمال رفعت وعبد الرحمن فريد وداود عويس - من ضباط البوليس الحربي - بالذهاب إلى منزل محمد نجيب وألقوا القبض عليه ورافقوه إلى ميس سلاح المدفعية وتركو معه عبد الرحمن فريد - وكيل وزارة العمل الآن لمحافظة القاهرة - وعندما علم أعضاء مجلس قيادة الثورة بما حدث من إجراءات دخلوا جميعاً إلى مكتب عبد الحكيم عامر ودخل عليهم الزميلان حسن التهامي وكمال رفعت وأبلغوهم بالقرارات وأنه تم تنفيذها جميعاً وأن عليهم عدم مغادرة مكتب عبد الحكيم.

الصدمة: عامر هدد بالانتحار:

ودخلنا جميعاً إلى المكتب، وإذا بعبد الحكيم عامر يقف خلف مكتبه وكان بجواره عبد الناصر، وأخذ يصيح فينا أنا وأحمد أنور وكمال رفعت وحسن التهامي والموجودين:

- أنتم ناويين تعموا إيه في زملائكم ضباط السواري؟

فأجاب كمال رفعت:

- هم عندهم إنذار إن لم ينفذ فسننسف ثكناتهم على من فيها لأنهم خونة للثورة.

وهنا أخرج عبد الحكيم مسدسه من درج مكتبه ووضع فوهته على رأسه وقال:

- أنا سأضرب نفسي بالرصاص، ولا أقبل وأنا قائد عام أن تحدث حرب أهلية ويضرب الضباط بعضهم بعضاً.

وهجم أحمد أنور على عبد الحكيم عامر واستخلص المسدس من يده بصعوبة، وهنا بدأ الجميع يتصايحون ويصرخون.. واختلط الحابل بالنابل.. وراحوا جميعاً يبكون ويصرخون، وحتى جمال عبد النصر الذى كان معروفاً لدينا جميعاً أنه ثابت كالصخر وقف فى ركن الحجرة يبكي.. كان يبكى بضراوة وبحرقة شديدة، وكانت أول مرة فى حياتنا نراه فيها يبكى هذه الصورة، وإذا بنا جميعاً نصرخ ونجهش فى البكاء، وعلا صراخنا، وحاول جمال سالم وحاول البغدادى أن يعيدا الهدوء إلى الحجرة، بل إن أنور السادات وكان مجهشاً فى البكاء معنا حاول أيضاً أن يهدئ من روعنا ويعيد السكينة إلى نفوسنا، ولم تنجح كل هذه المحاولات.

وأفاق عبد الناصر من هذه المظاهرة العاطفية، وتمالك نفسه، ورأيناه يصعد فوق مكتب عبد الحكيم عامر وأخذ ينادى الجميع أن يسكتوا وأن يستمعوا إليه لحظة، ولكن ضاع صوته وسط الضجيج بالحجرة، حتى أننى وأنا أحمل مدفعى الرشاش على كتفى أمسكت برجله وهو يقف كالعملاق على مكتب عبد الحكيم عامر وصرخت فيه، وكنت فى قمة انفعالى. وبدأ عبد الناصر يخطب فى الجميع:

- يا خوانا.. أيها الزملاء.. يا خوانا.. وبدأ الجميع ينصتون: اسمعوا لى من فضلكم، لقد اتخذتم قراراتكم وأنا احترم هذه القرارات وأنا أول من سينفذها، لأنكم أنتم الذين نفذتم هذه الثورة، بل هذه ثورتكم أنتم، ولذلك فإننى أرجوكم أن تتركونا حتى نجتمع مرة أخرى ونراجع ما قررنا، وبناء على قراركم لن نترك هذه القاعة حتى نتخذ ما يرضيكم من قرارات. ولكن كل ما أرجوه منكم أن لا نستعمل العنف أو أن يحدث أى صدام بينكم وبين إخوانكم من ضباط الجيش مهما كانت الأسباب، ولقد كان الخوف من حدوث هذا هو السبب فى اتخاذنا هذه القرارت التى لم تعجبكم، والتى ثرتم عليها، فاتركونا وسنخبركم بكل ما يتخذ من قرارات وستعلمون بتفاصيل كل ما سنتناقش فيه لأن هذا من حقكم. وهناك أشياء لم تعرفوها بعد واكتشفناها ولكن لم نشأ أن نعلنها منعاً للصدام أيضاً. ولكن آن الأوان لكى تعرفوا كل شيء، فانصرفوا الآن لتنفيذ قرارتكم ولكن أكرر شرطى عليكم وهو عهد وميثاق أن لا نلجأ إلى العنف أو الصراع مع بعضنا بعضاً لأن هناك تآمر على ثورتكم وإذا حدث صراع فسيكون ذلك ذريعة للتدخل وأنتم تعلمون أن هناك جيش احتلال بريطانى فى القنال يهدد ثورتكم ومصيركم.

وهنا صمت الجميع.. ونظروا إلى عبد الناصر فى صمت، وبدأنا نغادر المكتب دون كلمة واحدة، وخرجنا جميعاً وتركنا كمال رفعت وحسن التهامي على باب الحجرة لكي يمنعوهم من الخروج، ونزلنا نحن إلى فناء القيادة وكنا قد أغلقنا شارع الخليفة المأمون بكردونات المدفعية المضادة للدبابات من عند بوابة السوارى حتى الكوبرى المواجه للمستشفى العام (الكوبرى الملاصق لضريح عبد الناصر الآن) ومنعنا دخول أى شخص إلى هذه المنطقة إلا بتصريح من البوليس الحربى، مع محاصرة سلاح الفرسان محاصرة كاملة، حتى الصحفيين الذين تسللوا - كعادتهم - حتى وصلوا إلى باب القيادة وضعتهم كلهم فى سيارة عسكرية وهددتهم بالاعتقال وأوصلتهم بالسيارة حتى مزلقان قشلاق العباسية (نفق العباسية الآن) وكان على رأسهم على ما أذكر: الأخ ممدوح طه مندوب الأهرام فى ذلك الوقت.

اللحظات الخطرة ونهاية الكابوس:

ومضى حوالى ساعة ونحن نقف فى فناء القيادة فى قمة انتباهنا وتسليحنا، وكان يحتل الفناء قوة من البولس الحربى مسلحة تسليحاً كاملاً، ويقف فى الفناء أحمد أنور قائد عام القوات المسلحة المنتخب من الجمعية العمومية للضباط الأحرار ومدير البوليس الحربى، وكنت أقف إلى جواره واضعاً فى كتفى مدفعاً رشاشاً، وإذا بباب القيادة للدور السفلى - وكنا قد أغلقناه منعاً لدخول أى شخص يحاول الصعود للدورى العلوى - يفتح ويخرج منه البكباشى حسين الشافعى ويقول إنه مكلف بالذهاب لسلاح الفرسان - وهو عضو مجلس قيادة الثورة وضابط بهذا السلاح - للتفاهم معهم. فإذا بأحمد أنور يتصدى له ويأمره بالعودة من حيث آتى. ويرفض أن يذهب حسين الشافعى إلى السوارى قائلاً:

- السوارى عندهم إنذار وإن لم ينفذوه حانطربقها على دماغهم.

ويطل عبد الحكيم عامر من شرفة مكتبه ويخاطب أحمد أنور:

- سيبه يا أحمد دا رايح بقرار من المجلس.

فيرد أحمد أنور مخاطبا عبد الحكيم:

- لا يا فندم مش حاسيبه يروح وخش سيادتك كمان، سيادتك دلوقت مش قائد عام، أنا القائد العام.. فيعود حسين إلى داخل مبنى القيادة، ويدخل عبد الحكيم إلى مكتبه راضخاً لما قاله أحمد أنور وهو يقول: «كده يا أحمد طيب متشكر».

لا يستطيع إنسان أن ينسى هذه اللحظات التاريخية، ولا أستطيع أن أنسى ما فعله هذا الرجل أحمد أنور من أجل الثورة فى هذا اليوم، فقد قادنا نحن ضباطه - ضباط البولس

الحربى - بل قاد الضباط الأحرار جميعاً بمنتهى الحزم والإخلاص والتفانى لحماية الثورة فى هذا اليوم، الثورة التى كانت تأكل نفسها.

ولذلك لا يستطيع إنسان أن ينكر أن أحمد أنور والبولس الحربى قد انقذا الثورة من الانهيار والضياع، لقد كنا تحت قيادته وكنا ننفذ أوامره دون مناقشة، وكان يستطيع فى ذلك اليوم أن يستولى على كل السلطات فى يده.

بل كان فى مقدوره أن يفعل أى شىء لأن جميع الضباط الأحرار نصبوه قائداً عاماً دون منازع، ولكن كان لأحمد أنور مبادؤه ووطنيته وثوريته.

وكانت الطائرات لا يزال يدوى صوتها وهديرها فوق ثكنات سلاح الفرسان فى طلعات متتالية، والمدافع تغطى الشارع خلف ثكنات السلاح وكنا ننتظر وأيدينا على قلوبنا، لأننا مهما كان زملاء سلاح، وكنا نخاف أن تأتى لحظة تضطرنا الظروف لضرب إخوان لنا، وكان هذا يعنى شيئاً واحداً وهو ضياع الثورة.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة، ومع كل ثانية كانت تنتابنا مشاعر متباينة، حتى جاءت الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق بالتمام، وإذا بباب سلاح الفرسان يفتح ويخرج منه ضباط السلاح فى طابور مفرد طويل بخطوة منتظمة ويتقدمون من باب القيادة العامة، وكان الطابور طويلاً وهم يتقدمون وفتحت أبواب القيادة العامة. وهللنا نحن بالفرح، حتى أن بعضنا أخذ يقفز فرحاً فى الهواء، وأخذ بعضنا الآخر يحتضن ضباط سلاح الفرسان ويقبلهم، وأخذوا يتقدمون من الدفتر الموضوع على منضدة على المدخل الداخلى للقيادة ويوقعون عليه وكان مكتوباً فيه على ما أذكر:

«نحن ضباط سلاح الفرسان نسجل على أنفسنا أن مجلس قيادة الثورة هو الذى يمثلنا فى قيادة وحكم البلاد طوال فترة الانتقال التى قررها المجلس. اننا بتوقيعنا على هذه الوثيقة نسجل ولاءنا له ولقيادته كمجلس سيادة ومجلس رئاسة».

وبعد أن انتهى طابور الضباط الهائل، وكان يضم حوالى ١٨٠ ضابطاً، صعد بعضهم إلى الطابق العلوى وعانقوا أعضاء مجلس قيادة الثورة، وكان بعضهم يبكى أسفاً، وانتهت هذه المظاهرة العاطفية أيضاً، وهنا صعد أحمد أنور للحجرة التى يجتمع بها المجلس وأدى التحية العسكرية لجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قائلاً:

- الآن يا سيدى الرئيس ويا سيدى القائد العام أرجو أن تقبلوا تسلم القيادة مرة أخرى وأنا أعود لقيادتى للبوليس الحربى فقط ومستعد لتلقى أوامركم بالكامل.

وهنا تعانق أحمد أنور مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، ولم يتمالك أنور السادات نفسه فعانق أحمد أنور وعانقنى أنا أيضاً.

وهكذا انتهى الكابوس الأول، ولكن هل انتهت الأزمة عند هذا الحد؟ على العكس، لقد انتهت الأزمة العسكرية وبدأت الأزمة السياسية بكل خلفياتها ومسبباتها.

كشف موقف خالد محيى الدين:

أفاق عبد الناصر من كابوس اصطدام القوات المسلحة ببعضها، وهو الموقف الذى كاد بسببه أن يتخلى عنها ويسلمها للرجعية واليمين مرة أخرى ممثلاً فى شخص محمد نجيب والذى كان الأخير - دون أن يعلم - أداة فى يد خالد محيى الدين قمة اليسار، والرجل الذكى والقوى والمسيطر الحقيقى على سلاح الفرسان.

أفاق عبد الناصر من الكابوس وأخذ المبادرة فى يده من جديد. وبدأ عملية الكشف الكبرى لكل العناصر المضادة التى حوله، وكما وعدنا - أى الضباط الأحرار - بأن نعلم بكل قرارات مجلس الثورة بعد ذلك.

واجتمع المجلس واتخذ القرارات الآتية:

١- عودة محمد نجيب لرئاسة الجمهورية فوراً ورئاسة مجلس قيادة الثورة.

٢- تكليف خالد محيى الدين بتشكيل الوزارة بشرط أن يوافق محمد نجيب على ذلك التكليف.

٣- تكليف خالد بإبلاغ محمد نجيب بهذه القرارات بمنزله ويظل المجلس فى حالة انعقاد حتى يعود بالجواب على أن يرافقه عباس رضوان مندوباً عن المجلس..

وحتى لا أنسى كنا قد أعدنا محمد نجيب إلى منزله، ولم يدم اعتقاله بميس المدفعية لأكثر من أربع ساعات على ما أذكر.

وغادر خالد محيى الدين مبنى القيادة وبرفقته عباس رضوان وعادا بعد نصف ساعة تقريباً ومعهما موافقة نجيب على هذه القرارات بالكامل.

وهنا انكشف كل شىء حتى أن بعضنا حاول الاعتداء على خالد، حتى أن الصاغ وحيد رمضان وكان رئيساً لتنظيم الشباب فى هيئة التحرير وكان أحد الضباط الأحرار البارزين المخلصين - فقد أعصابه واعتدى على خالد بالسب والشتم، وفرقنا بين الاثنين، واجتمع المجلس مرة أخرى.

وشرح عبد الناصر دور خالد محيى الدين وكيف أنه استغل محمد نجيب وكشف كل اتصالاته بضباط سلاح الفرسان وأهداف هذه الاتصالات تحت ستار الديمقراطية.

وهنا أراد خالد أن يستقيل ولكن المجلس رفض وأجبره على الاستمرار كعضو بالمجلس مع وضعه تحت المراقبة، وصدق المجلس على عودة نجيب لرئاسة الجمهورية والمجلس (الثورة).

وقرر المجلس بالإجماع أن يتولى عبد الناصر رئاسة الحكومة ونائباً لرئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة حتى يمتص سخط كل الكتل المعارضة وحتى يفوت الفرصة عليهم للوثوب على مجلس قيادة الثورة من جديد.. ولكن كان جمال عبد الناصر قد بدأ يعمل من جديد، ونفى خالد محيي الدين الى سويسرا.

مواجهة بيني وبين نجيب:

ذات صباح، كنا في قصر عابدين - حيث مكتب رئيس الجمهورية - وكان هناك أعضاء مجلس قيادة الثورة، كانوا قد بدأوا يدخلون إلى مكتب الرئيس ووقفت أنا على باب المكتب وكان الى جانبي زميلي أحمد شهيب. وبدأ نجيب وعبد الناصر يتقدمان ليدخلا إلى المكتب وإذا بمحمد نجيب يتجه إليّ ويضع يده على كتفي وهو يقول: إنت صحيح يا قاضي كنت جاي إمبارح بالليل في البيت علشان تقتلني؟

وطبعاً كنت خالي الذهن تماماً عن هذا الموضوع لأنه لم يحدث ولم أفكر فيه على الإطلاق، ولكنني وجدت نفسي دون تفكير ومن غيظي أجبت عليه:

- أيوه.. كنت رايح أقتلك لأن الثورة دي عجلة، والعجلة دارت خلاص ولازم تفضل دايرة واللي يحاول يعطلها أو يقف قصادها حندوسه.

علمت بعد ذلك أن ضابطاً برتبة صاغ من سلاح الفرسان يدعى محمد ابراهيم توجه لمنزل نجيب في مساء اليوم السابق ومعه سيارتين مصفحتين وأخبره أن جاء لحمايته من اليوزباشي جمال القاضي لأنه سيحضر لقتله.. وكان هذا الضباط يقصد بهذا العمل التقرب من نجيب فقط.

رد عليّ محمد نجيب قائلاً: ليه يا بني وأنا باحبك - فأجبته وأنا لازلت في وضع الاستفزاز والشحن وتوتر الأعصاب:

- ولكن أن باكرهك.

وتركته وانصرفت، ولكنني شعرت إنني أخطأت وإنني تعديت حدود الأدب العسكري فلقد كان الرجل قائداً لي في يوم من الأيام في حرب فلسطين سنة ٤٨، وكان معنا بمستشفى العجوزة وهو جريح وأنا جريح لمدة أربعة شهور ثم إنه كان يشغل في هذه اللحظة أكبر منصب في البلد، وقد شعرت لحظة أن نطقت بهذا الكلام أنني أحرجت جمال عبد الناصر، لأنه كان يقف إلى جواره وينظر إليّ نظرة رجاء أن لا أخطئ في إجاباتي حتى لا أحرجه وأوسع شقة الخلاف، ولكنني لم أنظر إلى وجه عبد الناصر إلا بعد فوات الأوان.

وتركت المكان وهبطت إلى الدور الأراضي وانتظرت حتى انتهى الاجتماع ثم رافقت عبد الناصر حتى منزله بمنشية البكرى.. وعندما نزلنا من السيارة إذا به ينظر إليّ، ولأول مرة يثور عليّ وهو يقول:

- كده برضه.. يعني أنا قاعد ألم من هنا، وأحوش من هنا، وأحوط من هنا عشان نلم المشاكل، وأنت جاي تبوظ لي كل حاجة، الواحد فيكم مش قادر يمسك أعصابه، أمال أنا أعمل إيه، إنت شايفني ماشي على حساب أعصابي معاه، لازم تمسكو أعصابكم شوية.

وقلت لعبد الناصر:

- والله يا فندم أنا متأسف، ولكنني عبرت عما يجول في نفسي وأنا لم أقصد أن أغضبك، ولكن إذا كنت أحرجت سيادتك فأنا مستعد أن أقدم استقالتي وأخرج لأنني سببت لسيادتك هذا الحرج..

فإذا به يستشيط غضباً ويقول:

- هو أنا بقولك الكلام ده علشان تقولي استقيل.. هو أنت ملك نفسك واللا أنا ملك نفسي علشان لما نعوز نروح نأخذ بعضنا ونروح، هي دي ثورة واللي دي وزارة البلديات، أنا مش عايز دوشة من ناحيتكم، وكل يوم يقولي ضباطك بيعملوا وضباطك بيهينوني، وده قدرنا ومش عاوزكم تغلطوا.. مفهوم، ولازم نديله احترامه الكافي أما نشوف أخرتها معاه إيه.

✪✪✪

وتوالت الأحداث بعدها.. ونزل الستار على قصة محمد نجيب وأزمة مارس..

وقد أردت أن أقول شهادة حق عن الأحداث التي عشتها، ولوجه الحقيقة والتاريخ، وحتى لا يحيق الظلم أو التجني على أحد من الرجال الذين ذهبوا في رحاب الله.. ولا يملكون الدفاع عن أنفسهم..

«آخر ساعة» ٢١ ديسمبر ١٩٨٣.

الإذاعى القديم على خليل يرد على جمال القاضى

لم أعتقل طيلة حياتى!

السيد المحترم الأستاذ مفيد فوزى رئيس تحرير مجلة «صباح الخير».

جاء فى مقال بعنوان «اعترافات الرجل الذى قبض على باشوات مصر» فى صفحة ٦٥ من العدد ١٧٥١ من مجلتكم الغراء الصادر بتاريخ ٢٧ يوليو ١٩٨٩ أن صاحب الاعترافات قبض عليَّ ووضعنى فى الأزبكية عند اللواء عبد الواحد عمار!!.

وهذا غير صحيح والدليل القاطع وارد مع المقال نفسه فى صفحة ٢٦ حيث نشر صورة للرئيس الراحل محمد نجيب وبعض رجال الثورة، وأنا معهم جالس إلى يمين محمد نجيب. وجاء فى الكلام الذى يسمى الظاهرين فى الصورة، وقد أعطى كل شخص رقماً يشير إليه «٥» وعلى خليل مراقب الإذاعة، ومناسبة الصورة زيارة محمد نجيب للإذاعة بعد احتلالها، وورد فى نفس الكلام الموضح للصورة صورة نادرة نشرتها جريدة المصرى على صفحتها الأولى يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ وهذا صحيح، فإن الصورة التقطت داخل استوديو الإذاعة الكبير (رقم ١) يوم ٢٤ يوليو فى المساء، وهكذا نشرتها جريدة المصرى يوم ٢٥ يوليو، فكيف يستقيم أن يقبض عليّ يوم ٢٣ يوليو ثم أكون فى استقبال قائد الثورة فى دار الإذاعة يوم ٢٤ يوليو.

والواقع أنه - طيلة حياتى - لم يحدث أن قبض عليَّ أو اعتقلت والحمد لله.

بالإضافة إلى هذا. معروف أن عملى وكيلاً للإذاعة ومديراً لبرامجها، قد استمر فى عهد الثورة حتى يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٥٣، أى ستة عشر شهراً بعد قيامها.

وحين طلبتنى الأمم المتحدة للعمل بها، سألت المنظمة الدولية حكومة الثورة واستأذنتها فى تعيينى، ووافقت قيادة الثورة بخطاب وقعه صلاح سالم بوصفه وزيراً للإرشاد القومى والمشرف على الإذاعة، كال لى فيه رحمه الله المديح والتقدير وقال «إننا نتمنى له التوفيق فى هذا العمل الجديد»، وأعطانى شهادة

خلو طرف جاء فيها «أن إنهاء عقد وتسوية حالة السيد / على خليل الوكيل السابق للرذاعة المصرية لم يكن لأسباب تتصل بالوطنية أو النزاهة أو الشرف» وقد صدرت هذه الشهادة بعد موافقة مجلس الدولة، وإنى أحتفظ بهذه الوثائق ميراثاً طيباً لابنتي الوحيدة ولأحفادى.

أما فى فجر الثورة.. وقبل أن يذاع بيان الثورة الأول، فإنى أشهد الأخ الصديق الرجل الشريف الأستاذ فهمى عمر، وكان هو مذيع الصباح. أشهده على أننى طلبته تليفونياً وأمرت بأن يترك الاستوديو ليكلمنى (كان على الهواء ما تيسر من القرآن الكريم فى شريط مسجل) وقلت له بالحرف الواحد: «الجيش عندك.. واوعى تعارض فى أى شىء وإلا يقتلوك». وإحقاقاً للحق وشهادة للتاريخ أقول إن ترك الإذاعة للجيش يذيع ما يشاء كان بناء على تعليمات من حكومة نجيب الهلالى باشا رحمه الله.

بعد هذا ذهبت إلى مكتبى بدار الإذاعة - وكان رئيس الإذاعة المرحوم حسنى نجيب بك خارج القاهرة، فأصدرت أمراً بوصفى وكيل الإذاعة ومدير برامجها بإلغاء جميع الإجازات واستدعاء من كانوا فى إجازات.

ثم دعوت إلى اجتماع عقد فى الساعة العاشرة من صباح ٢٣ يوليو ضم جميع مراقبى الإذاعة ومساعدى المراقبين ومديرى الإدارات ورؤساء الأقسام وكل من أمكن الاتصال به من المذيعين والمسئولين عن تنفيذ البرامج وإذاعتها وأصدرت فى هذا الاجتماع تعليمات فى عبارة واحدة قلت وما زلت أذكر ألفاظى بالنص: «السلطات الآن فى أيدى جيش الثورة وعلينا جميعاً أن ننفذ كل ما يطلبون دون أدنى معارضة». وشهودى العدول على هذا الأصدقاء الزملاء الذين حضروا الاجتماع، وعشرات منهم على قيد الحياة والحمد الله. أمد الله فى أعمارهم.

وبعد ظهر يوم ٢٣ يوليو فى حوالى الساعة الرابعة حين ذهب محمد نجيب ومعه نفر من قادة الثورة إلى منزل المرحوم على ماهر باشا فى الجيزة ليعرضوا عليه برئاسة الوزارة، ذهبت إلى بيت على ماهر لأشرف بنفسى على نقل الأأخبار الصحيحة.

وفى اختصار شديد - بعيداً عن التفاصيل - أقول: إنه عندما انتقل مجلس قيادة الثورة إلى الأسكندرية لعزل الملك سافرت إلى الإسكندرية لأشرف على تغطية التطورات إذاعياً، وبعد خروج الملك من البلاد فى الساعة السادسة بعد ظهر ٢٦ يوليو، وكان قادة الثورة فى توديعه برأس التين، ثم توجهوا إلى مقر الحكومة الصيفى ببولكلى بالإسكندرية، حيث عقدوا اجتماعاً مع رئيس الوزراء، وكنت هناك. وعند خروج قائد الثورة محمد نجيب رحمه الله، من الاجتماع اصطحبنى معه فى سيارته، وكان معنا فى نفس السيارة المرحوم جمال سالم، إلى ثكنات مصطفى باشا، حيث سجلنا بياناً لمحمد نجيب، وكان ذلك بحضور جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة.

ثم طلبنى المرحوم على ماهر باشا، فذهبت إليه فى بولكلى، وهناك طلب منى أن أذيع بصوتى من مكتبه الوثائق التى كان ينوى إذاعتها بنفسه، لولا أن برداً أصاب صوته. وطلب إلى أن أعتذر للمواطنين عن عدم تمكنه من إذاعة الوثائق بنفسه وكانت هذه الوثائق هى: تنازل الملك عن العرش، المناداة بابنه ملكاً، تعيين مجلس وصاية على العرش، إذ كان الملك الجديد طفلاً قاصراً.

هذه فى اختصار شديد بعض الحقائق المتصلة بعدم صحة القول أنه قد قبض عليّ.

أما مسألة محاولة تعطيل الإذاعة، فهذه قصة أخرى، وأنا على استعداد لأن أرويها لكم إذا رغبتم فى نشرها.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

• مذكرات د. محسن عبد الخالق

المتهم بانقلاب المدفعية !

• أحمد لطفى السيد كان مرشحاً لرئاسة الجمهورية !

• برقية ملكية عاجلة: إشحنوا البقر إلى المزارع الملكية !

• جمال منصور لا عبد الناصر صاحب تسمية الضباط الأحرار !

• موظف فى السكة الحديد كان يطبع منشورات الضباط الأحرار !

• فؤاد سراج الدين كان يشاهد السينما فى غرفته بالمعتقل !

• حكايات وباشوات فى بيت جمال عبد الناصر !

• هيكل انبهر بعبد الناصر وآمن بفكره وأفاده سياسياً !

• عبد الناصر يطلب منى أن نقلل من نشر صور البغدادى !

• عندما فكر عبد الناصر فى شراء جريدة الأهرام !

• سر اتصالات الضباط الأحرار بالوفد قبل الثورة !

حكاية د. محسن عبد الخالق !

«صباح يوم ١٧ يناير ١٩٥٣ صدر البيان التالى من مجلس قيادة الثورة:
صدرت الأوامر مساء أمس الأول بالتحفظ على ٣٥ ضابطاً من الجيش حامت الشبهات حول بعض تصرفاتهم، وتقوم الجهات المختصة بالتحقيق السريع لإظهار الحقائق، وسيعود البرئ إلى عمله، وسيلقى من تثبت إدانته جزاءه».

وكان اسم «محسن عبد الخالق» ضمن قائمة هذه الأسماء التى حامت الشبهات حول تصرفاتها!!

وفى مساء اليوم نفسه عقد اللواء محمد نجيب - وكان لا يزال هو الواجهة الوحيدة لثورة ٢٣ يوليو - مؤتمراً صحفياً شرح فيه ما جرى إلى أن قال عن الضباط الـ ٣٥ الذين تم التحفظ عليهم ما يلى:

«تأكد لنا أن بعض الضباط حاولوا أن يبثوا فى صفوف إخوانهم روح التشكيك فى النظام. محاولين بذلك إرضاء غرور وحسد، وظهر أن محاولاتهم لم يكن لها من أثر إلا كشفهم وأن الجيش بقى كما كان صفاً واحداً وقلباً واحداً يمثل المواقع التى اختارها بنفسه فى معركة الإصلاح، ورغم أن تلك المحاولات ذهبت عبثاً إلا أن واجبنا نحو الوطن ونحو الجيش يقتضى بداهة أن نضع هؤلاء تحت التحفظ لكى يبقوا بعيداً ولكى يبقى الجو دائماً صافياً لا يكدره طامع أو حاسد أو حقود»!

وأضاف محمد نجيب بلهجته الواثقة: «ويجرى الآن تحقيق نزيه سوف يبين منه البرئ ويخلى سبيله، والمذنب فيلقى جزاءه»!

وبعد شهرين بالضبط صدرت الأحكام على هؤلاء الضباط. وكانت المفاجأة فى الأحكام التى نشرتها صحف وجرائد ٣١ مارس ١٩٥٣، كانت الأحكام كما يلى:

١- قائمقام «عقيد» محمد رشاد مهنا بالسجن المؤبد.

٢- يوزباشى «نقيب» محسن عبد الخالق ١٥ سنة سجن وطرد من الخدمة العسكرية!

⊛⊛⊛.

ولكن ما هى حكاية محسن عبد الخالق بالضبط فيما نسب إليه من اتهامات وقتها ؟ !

وما هى قصته مع ٢٣ يوليو ؟ ! وما دوره فى تنظيم الضباط الأحرار ؟ !

فى أوراق ومذكرات عدد كبير من ثوار يوليو تكمن الإجابة ! وما علينا سوى تقليب هذه الأوراق والمذكرات بهدوء وعقل بارد ، وبعدها نقول من هو محسن عبد الخالق المتهم الثانى فيما سمى وقتها بانقلاب المدفعية !

لقد جرى ما جرى وأصبح أول رئيس لمصر «محمد نجيب» فى ذمة التاريخ له ما له ، وعليه ما عليه ، وننقب فى مذكراته «كنت رئيساً لمصر» ، ونقرأ معاً شهادته عن محسن عبد الخالق ورفاقه ضباط المدفعية !

يقول اللواء نجيب : كنت أتصور أن الأمر داخل الجيش سيعود إلى طبيعته بعد القبض على ضباط المدفعية ، لكن هذا لم يحدث ! كان عددهم حوالى ٣٥ ضابطاً وكانوا جميعاً من الضباط الأحرار الذين كان لهم دور بارز فى تحركات ليلة ٢٣ يوليو ، وبعد تحديد إقامة رشاد مهنا فى أكتوبر ١٩٥٢ بدأ هؤلاء الضباط يوجهون الانتقادات العلنية لضباط القيادة ، ويتهمون العديد من رجالها أمثال عبد المنعم أمين وصلاح سالم وأنور السادات باستغلال نفوذهم لتحقيق مصالحهم الخاصة ، وقاموا بتجميع ضباط من أسلحة أخرى وضمهم إليهم ، ومدوا جسوراً مع المدنيين ورجال الأحزاب ، ومرشد الأخوان ، وقرروا أن يقبضوا علينا بالقوة ، وأن يجبرونى على إعلان بيان يتضمن ما يريدون إعلانه» .

وخلال الشهور الثلاثة التى سبقت القبض عليهم فى منتصف يناير ١٩٥٣ فشلت كل جهونا فى إعادتهم الى حظيرة الثورة والانضباط ، فلم نجد مفراً من القبض عليهم ، وبعد القبض عليهم جاء يوسف صديق (عضو مجلس قيادة الثورة) وسألنى : لماذا قبضتهم عليهم ؟ فقلت له :

– والله يا يوسف المعلومات التى وضعت أمامى تؤكد أنهم دبروا عملاً عنيفاً للتخلص منا وهناك أكثر من دليل ضدهم . . وقد أردت أن أضعهم داخل ميس أحدى الوحدات كما ينص قانون الجيش ، إلا أنك تعرف جيداً أن باقى ضباط القيادة رفضوا ذلك ، وأكدوا أننا لو لم ندخلهم السجن ، فأنهم سيقبلون الدنيا

حولنا، فما كان على إلا أن أمرت بإخلاء سجن الأجانب من نزلائه ليكون أشبه بمعتقل خاص لهؤلاء الضباط فقط!

قال يوسف صديق: «أنا لا أعتقد أنهم كانوا يدبرون انقلاباً ضدنا، وإلا لما جاءوا بحسن نية الى مجلس القيادة وتناقشوا مع بعضنا بصراحة ووضوح وطالبوا بتمثيل الجيش فى مجلس القيادة عن طريق الانتخابات»!

ويكمل اللواء نجيب: وكان عند يوسف صديق حق فعلاً.. فقد عقد ضباط المدفعية الذين أذكر الآن منهم «محسن عبد الخالق» و«فتح الله رفعت» جلسة عاجلة وقدموا اقتراحاتهم لعبد االناصر ولكمال الدين حسين وبعد أن أنصرفوا عقد ضباط القيادة جلسة عاجلة لمناقشة اقتراحاتهم، وفى هذه الجلسة وضح لنا أن يوسف صديق كان من المؤيدين للانتخابات. وأذكر أن أحد أعضاء المجلس سأله: هل تضمن أنت النجاح فى الانتخابات؟

فقال: هذا لا يهم.. المهم هو المبدأ؟

ولم يؤخذ باقتراحات ضباط المدفعية فى هذا الاجتماع، بل تقرر فيه القبض عليهم..

وقدموا إلى محاكمة عسكرية كانت مشكلة من مجلس قيادة الثورة نفسه.. وحكم عليهم أحكاماً تتراوح ما بين المؤبد والبراءة.. وظلوا فى السجن حتى وقع تمرد الفرسان فى مارس ١٩٥٤، فطلب عبد الناصر الإفراج عنهم حتى يساعدوا الجيش فى القضاء على تمرد الفرسان! وخرج ضباط المدفعية من السجن.

انتهت سطور شهادة محمد نجيب، والتى نفهم من سطورها أن مجمل القضية التى كان يتبناها محسن عبد الخالق ورفاقه من ضباط المدفعية هى «الديمقراطية»!

✪✪✪

والسطور التالية لصاحبها «أحمد كامل» والذى شغل لفترة طويلة منصب رئيس المخابرات العامة.

وشهادة أحمد كامل جاءت ضمن كتاب «شهور يوليو» للكاتب الاستاذ «أحمد حمروش» الذى هو أيضاً من الضباط الأحرار.

يقول أحمد كامل : اتصل بى للانضمام للضباط الأحرار ثلاثة أشخاص هم يوزباشى «محسن عبد الخالق» فى العريش، ويوزباشى «زغلول عبد الرحمن» من المشاه في القاهرة، ثم البكباشى «محمد فوزى» (وزير الحربية فيما بعد).

قبل الحركة بثلاثة أيام حدث اجتماعان أحدهما فى منزل اليوزباشى محمد أبو الفضل الجيزاوى، وكنا حوالى ٣٠ ضابطاً من ضباط المدفعية، والاجتماع الثانى فى منزل «محسن عبد الخالق» وأبلغنا بأن هناك حركة وعلينا البقاء بالمنازل لأى استدعاء تليفونى، وفعلاً استدعيت يوم ٢٢ يوليو الساعة ٩ مساء لمنزل محسن عبد الخالق حيث أخذت التلقين النهائى، وطلب منى الذهاب لكمال الدين حسين فى منزله المواجه لكلية أركان الحرب، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ليلاً حضر «جمال عبد الناصر» وكان مرتدياً ملابسه العسكرية.

ويكمل أحمد كامل شهادته عن الفترة التى تلت قيام الثورة بقوله :

فى صباح ١٦ يناير فوجئنا بالقبض على محسن عبد الخالق، وفتح الله رفعت وأحمد حمروش ورشاد مهنا، الذى كان جمال عبد الناصر قد طلب منى أنا ومحسن عبد الخالق، وفتح الله رفعت وعيسى سراج الدين الذهاب إليه لمعرفة طلباته حيث إنه مختلف معنا ! وبدأنا نتساءل عن سبب اعتقال زملائنا ودعينا لاجتماع فى ميس المدفعية وحضر حوالى (٣٠٠ - ٤٠٠) ضابط وحاولوا إقناعنا بإحضار عبد المنعم أمين ثم محمد حسين قائد المدفعية ثم كمال حسين ومعه أبو الفضل الجيزاوى، وكنت البارز فى التصدى لهم جميعاً دفاعاً عن زملائنا المعتقلين. وفوجئنا أخيراً بحضور جمال عبد الناصر الذى سأل عنى فور دخوله، ثم قال لى : هل تثق بى ؟ !

- فقلت : نعم.
- فقال : هل تعرف صلتى بمحسن عبد الخالق ؟
- فقلت : نعم.
- فقال : هل يرضيك أن أشرف أنا على التحقيق ؟
- فوافقت طبعاً، وانتهى حديثه معنا بوعد بسرعة التحقيق.

وبعد يومين استدعيت مع مبارك رفاعى، ومصطفى فهمى عبد المحسن الذى أرسل الى سجن الأجانب، بينما ذهبت أنا ومبارك إلى إدارة الجيش حيث بقى

كل منا فى غرفة خاصة مغلقة علينا حتى الساعة السادسة بعد الظهر، حيث نقلنا البوليس الحربي إلى ثكنات قصر النيل حيث حقق معى زكريا محى الدين وعبد اللطيف البغدادى وكمال حسين. وفهمت منهم أن التهمة الموجهة للمعتقلين هى محاولتهم القيام بأنقلاب.

ولم يكن هذا صحيحاً. لأنه كانت هناك اجتماعات لمجموعة الضباط الأحرار بالمدفعية مع كمال الدين حسين كل يوم أربعاء، ثم وسع كمال حسين هذه المجموعة بإضافة ضباط آخرين ليسوا من الضباط الأحرار مثل سعد زايد «محافظ القاهرة فيما بعد» وأبو اليسر الأنصارى وعماد رشدى وغيرهم، وعندئذ بدأنا نتخلف عن حضورها عندما زاد عدد المشتركين فيها، وكنا نكتفى باجتماع مصغر مع جمال عبد الناصر ويحضره محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وأنا ومصطفى فهمى ونناقشه حول ما يدور حول ألسنة الضباط، فكان يواجهنا بالضابط الذى يدور حوله الحديث من أعضاء مجلس القيادة، وضمرت هذه الاجتماعات حتى تلاشت مع انشغال جمال عبد الناصر!

واستمرت اجتماعاتنا كمجموعة منفصلة وهى التى اتهمت بأنها محاولة انقلاب!!

✪✪✪

«وفى مذكراته»..

قبل ليلة ٢٣ يوليو بثلاثة أيام تم ترتيب اجتماعين، كان الأول فى منزل اليوزباشي أبو الفضل الجيزاوى وقد ضم الاجتماع حوالى عشرين ضابطاً من ضباط المدفعية، وفيما أذكر فقد انتظم أمام الرصيف المواجه لبيت الجيزاوى فى منشية البكرى رتل من العربات العسكرية رغم أن ذلك كان تحللاً من أبسط قواعد الأمن والتأمين.

وقد تكرر المشهد نفسه أمام بيت محسن عبد الخالق الذى شهد الاجتماع الثانى، كان كل ما أبلغنا به أن نبقى فى منازلنا خلال الأيام القادمة فى انتظار استدعاء تليفونى للقيام بالثورة.

وحوالى الساعة الخامسة من عصر يوم ٢٢ / ٧ استدعيت إلى منزل محسن عبد الخالق حيث أخذت التلقين الأخير، وطلب منى الذهاب إلى كمال الدين

حسين فى منزله فى مواجهة كلية أركان الحرب وذهبت فى الموعد المحدد، حيث لم يلبث أن حضر جمال عبد الناصر فى حوالى الساعة الحادية عشرة ليلاً، وكان يرتدى ملابسه العسكرية.

وفي اجتماعاتنا الأسبوعية في كل يوم أربعاء - كانت مجموعة المدفعية تناقش كل التطورات بوضوح وصراحة، فلم نكن نشعر بفارق بيننا أو بين أى منا، وبين من أطلقوا على أنفسهم مجلس قيادة الثورة، كان جمال عبد الناصر من بين الجميع هو موضع ثقتنا بغير حدود. وكانت اجتماعات المجلس تنقل إلينا بأمانة ودقة من خلاله أو من خلال عبد الحكيم عامر، وأعتقد أيضاً أننا كنا بنفس القدر موضع ثقة جمال عبد الناصر.

أريد أن أقول إن العلاقة بيننا وبين مجلس قيادة الثورة كانت أساساً بيننا وبين جمال عبد الناصر.

كانت مجموعة المدفعية، متآلفة القلوب والإرادات، فقد كنا جميعاً محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وأنا ومصطفى فهمى عبد المحسن ومحمد المصرى دائمي الاتصال واللقاء.

أما عن صلتي برشاد مهنا، ففي الحقيقة أنني لم أكن أعرفه إلا اسماً مشرقاً في المدفعية - من أكفأ ضباطها - وصاحب مواقف وطنية ناصعة بينهم، وقد قابلته أثناء حرب ١٩٤٨ عندما نقل إلى العريش بناء على رغبته لكنه لم يكن ضمن مجموعتنا، ولم يكن لنا به أى اتصال ولذلك فإن ضمه إلى قائمة قضية المدفعية كان - كما أعتقد عن يقين - من قبيل التمويه، وهذا ما ينطبق تماماً على أحمد حمروش، فلم يكن لنا به كمجموعة مدفعية أى اتصال. اللهم إلا ما تفرضه الزمالة، وقد كان ضمن هيئة التدريس من مجموعة المدفعية (م/ط) عندما تم نقلها إلى الإسكندرية، ولذلك فإن ضمه إلى قضية مجموعة المدفعية كان خلطاً لا مبرر له.

ولم يكن هدف مجموعة المدفعية أن تقوم بانقلاب، فقد كانت دروس انقلابات سوريا. حسني الزعيم ثم الشيشكلي حاضرة في أذهاننا، ولم نكن نريد أن تدخل بلدنا دائرة الانقلابات العسكرية، إنما كان هدفنا بوضوح ألا ينفرد مجموعة من الضباط الذين أطلقوا على أنفسهم مجلس قيادة الثورة بالسلطة.

كان ما ينشر في الصحف في هذه الأيام أيضاً، مستفزاً، فقد امتلأت الصفحات بمسلسلات طويلة يروى فيها بعض أعضاء المجلس أدوارهم في الثورة كالدخان. كل واحد قام بالثورة منفرداً، وكما لو كان قد قام بثورة أخرى غير تلك التي انخرطنا في مقدمة صفوفها.

كانت مجموعة المدفعية - إذن - متماسكة إلى حد كبير، وكانت تناقش فيما بينها وبشكل علني كل التطورات التي تحدث، وكانت مناقشاتها تتم عالياً بروح نقدية واضحة، ولذلك فقد تحول النقد العلني بعد فترة إلى صراع مع الضباط الأحرار ومع مجلس قيادة الثورة قبل أن يتحول إلى صدام، ولكن العلاقة بيننا وبين عبد الناصر شخصياً ظلت متصلة سواء في مرحلة النقد العلني أو الصراع أو حتى الصدام بعد ذلك.

كان جوهر الصراع يدور حول الديمقراطية، فقد كانت مجموعة المدفعية تريد أن تفرض شكلاً ديمقراطياً لعمل الضباط الأحرار، لكي يثمر هذا الشكل في النهاية، تشكيل مجلس قيادة الثورة بالانتخاب وبتمثيل أسلحة القوات المسلحة المختلفة.

وكانت العناصر الأساسية في مجموعة المدفعية مثل عبد المحسن عبد الخالق، ومثلي أو فتح الله رفعت تلتقي بعبد الناصر أسبوعياً كل يوم جمعة في تمام العاشرة صباحاً في مكتبه بالقيادة العامة. كنا نطرق الباب في هذا الموعد لنجده في انتظارنا قبل أن نتحلق من حوله، ونمارس نقداً قاسياً لكل شيء ولكل شخص ولكل متغير جديد. وكان عبد الناصر يجلس في قلب الدائرة يسمع بعقله قبل أذنيه، وحينما كان النقد يتركز حول شخص بعينه من الضباط الأحرار أو من أعضاء المجلس كان عبد الناصر يحضره إلى مكتبه لنجده في الأسبوع التالي منتظراً كي نصب نقدنا بشكل مباشر في أذنيه قبل أن يرد وتبدأ المواجهة بيننا.

وحين تصاعد الصراع ووصل إلى هذا الحد، قررنا أن نلوح بالقوة، فتدخلنا ضد قائمة مجلس قيادة الثورة في انتخابات نادي الضباط، وقدمنا قائمة أخرى، وفرضنا نجاحها بالفعل ووصلت رسالتنا بوضوح إلى مجلس قيادة الثورة، وكان رده أكثر وضوحاً، فقد تم اعتقال عدد من ضباط مجموعة المدفعية في مقدمتهم

محسن عبد الخالق، وفتح الله رفعت، وانتهى الأمر إلى أننا قررنا الاعتصام فى ميس المدفعية لمناقشة التطور الجديد.

جاء إلينا عبد المنعم أمين ولم نقبل منه كلاماً، لأنه كان صديقاً حميماً لرشاد مهنا هاجمه فى جولات بسلاح المدفعية بصفته عضواً بمجلس قيادة الثورة، ثم جاء إلينا كمال الدين حسين وأبو الفضل الجيزاوى، ثم جاء صلاح سالم ولكن الحوار فى كل مرة لم يصل إلى نتيجة، ولم يكن ثمة بديل على أن يحضر إلينا جمال عبد الناصر بنفسه.

أخبروا عبد الناصر قبل أن يأتى أننى أقود التمرد، وبدأ جمال عبد الناصر حواره وسط مجموعة المدفعية بحكمته وهدوئه. وقال: إن هناك وجهات نظر متعارضة، ولا سبيل سوى تشكيل لجنة تحقيق تقيم الموقف وتفرز الحقائق التى فى ضوئها يمكن أن يتخذ القرار.

وهتف أحد الضباط: نوافق بشرط أن يضم أحمد كامل إلى لجنة التحقيق كمندوب عن مجموعة المدفعية.

وقفت، خاطبنى جمال عبد الناصر أمام المجموعة قائلاً: يا أحمد أنت بالذات تعرف صلتى بمحسن عبد الخالق، وتعرف مدى عمق وخصوصية صداقتنا.

قلت: نعم.

قال: سأسألك أمام الجميع هل تثق بى؟

قلت: بالتأكيد.

قال: إذن هل تثق أن أكون المسئول عن هذا الوضع؟

قلت: بالطبع.

قال: إذن فأنا مفوض أن أكون المسئول عن الموضوع، وأنا أعدك أن أتابعه بنفسى، المهم أن تستمر الثورة، أما المشكلات والخلافات فهى قابلة للحل، وهذا ما سوف يحدث.

أسرنا جمال عبد الناصر بمنطقة الهادئ مستثمراً كل رصيد ثقتنا فيه ففضضنا الاعتصام وخرجنا.

وفى اليوم التالى كانت فى انتظارنا مفاجأة مدهشة، فقد تم القبض على أنا ومبارك رفاعى - أصبح محافظاً لكفر الشيخ ثم الإسماعيلية - وتم اقتيادنا إلى إدارة الجيش بواسطة البوليس الحربى.

قابلنا في إدارة الجيش اللواء حسن حمدى - كان مدرسنا في الكلية الحربية، قال لنا إنه لا يعرف لماذا جيء بنا . . لكن المفروض أن يتم التحفظ علينا، وظللنا قيد التحفظ من الصباح إلى المساء بعد أن وضع كل منا في مكتب منفرد، وفي المساء أخذنا إلى ثكنات قصر النيل (مكان مقر الجامعة العربية الآن) حيث وجدنا مفاجأة أخرى في انتظارنا في شكل مجلس تحقيق يتكون من ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة، هم زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى لمحاكمتنا.

كان زكريا محيى الدين مدرسنا في الكلية الحربية، وكان يعرفني جيداً، وكان كمال الدين حسين مسئول الاتصال بين مجموعة المدفعية وبين مجلس القيادة الثورة وبالتالي فإن معرفتنا المشتركة كانت كاملة، أما عبد اللطيف البغدادى - الذى كان أحد ضباط سلاح الطيران - فلم يكن بيننا رصيد خبرة أو معرفة يساعد على اجتياز الموقف في مجلس التحقيق الذى شكله مجلس قيادة الثورة لنا.

وبدأ عبد اللطيف البغدادى منفعلاً يسألني: ماذا حدث؟

قلت: لم يحدث شيء . . إننا كضباط أحرار في سلاح المدفعية تصرفنا دفاعاً عن الثورة وعن الديمقراطية وعن زملائنا، وهذا واجبنا.

قال وقد تضاعف انفعاله: ماذا تقول؟ ألا تدرك أن هذا الكلام يقودك إلى السجن.

انتقلت حمى الانفعال لى، ووجدتني أقول: «هذا كلام غير مقبول . . سجن؟ أى سجن، وهل قمنا بالثورة لنوضع بعد ذلك في السجن؟ لو كنا نعلم أن هذا هو مصير الثورة ما شاركنا فيها».

وازدادت حدة الاحتكاك . . لولا محاولات حكيمة من زكريا محيى الدين لامتصاص الحدة والانفعال . . ثم انتهى التحقيق بزوبعة كما بدأ.

سألت كمال الدين حسين في النهاية: ما تعليماتكم . . هل أنا مقبوض على؟

قال: لا . . أنت غير مقبوض عليك.

قلت: طيب أنا ذاهب إلى الاسكندرية.

قال: هناك طائرة سوف تقلع إلى هناك ويمكن أن تكون على متنها . .

قلت : لا .. أفضل أن أذهب بوسائلي الخاصة ..

لم يكن حماسنا مفتعلاً أو مبالغاً فيه ، فقد كان نابعاً من إحساس حقيقى عميق بأننا ندافع عن الثورة التى شاركنا فى صنعها والتى تتهددها المخاطر من كل جانب ، وكانت أهم المخاطر حقيقية أيضاً .. فقد بدا أن الثورة تتآكل من داخلها ..

خرجنا من التحقيق وذهبنا إلي سجن الأجانب - بعد أن اشترينا كتباً وطعاماً وحلوى لزملائنا المعتقلين ، لم يكن لدينا فكرة عن نظم السجون فطرقنا الباب وأمرنا بتوصيل ما نحمل إلى زملائنا ، ولم يستطع ضباط الشرطة منعنا فاتصلوا بمجلس قيادة الثورة وتلقوا رداً بأن يأخذوا منا ما نحمل ويعدوا بتسليمها إلى المعتقلين ، ثم ذهبنا إلي قائد المدفعية فى هذا الوقت محمد حسين وحرضناه على أن يسلك سلوكاً مماثلاً لما فعلنا واقتنع ولكننا تسببنا فى لومه .

فى الطريق إلى الإسكندرية اكتشفت أننى موضوع تحت مراقبة مشددة من الشرطة العسكرية ، ورأيت على طول الطريق عملية مطاردة واضحة ، ثم نجحت فى الاختفاء بعيداً عن أعين المطاردين ، وقد ملأنى ذلك بمزيج غريب من الأسى والحنق والغضب .

مع ذلك فإن صلتى بجمال عبد الناصر لم تنقطع ، ظللت محافظاً على موعدنا الأسبوعى صباح كل يوم جمعة ، وظللت أضع رصيدى المتجدد من الأسى والغضب بين يديه ، وظل يسمع ويمتص ويتحمل بطاقة لا تنفد .. ومهما يكن حجم غضبى فقد كانت أخرج من عنده كأننى اغتسلت تماماً من كل شىء ، فقد كان يحدثنى عن الوقت والظروف والضغوط فى إشارات سريعة ولكنها موحية .. بينما كانت ثقتى فى فهمه وحكمته وإنحيازه إلى المصلحة العامة بلا حدود .

تمت بعد ذلك محاكمة ضباط المدفعية المعتقلين وصدرت بحقهم أحكام قاسية جداً ، فوق أنها جائرة تماما ، فقد كان محسن عبد الخالق أو فتح الله رفعت من أكثر الضباط رجولة ووطنية وشرفاً ، ولذلك فقد لحق بهما ظلم بيّن لم يرفعه إلا جمال عبد الناصر - كعادته - وقف حائلاً دون تنفيذ هذه الأحكام ، وأطلق سراحهما بعد عام وبضعة أشهر فى أوج أزمة سلاح الفرسان .

أريد أن أضيف أن موقف مجموعة المدفعية لم يتأسس فوق قاعدة ذاتية مطلقاً، فقد كان النقاء الثورى والمصلحة الوطنية والتمسك بالديمقراطية تشكل عماد وقاعدة هذا الموقف.

أما عن الأحكام المتشددة الجائرة التى صدرت بحق بعض قيادات مجموعة المدفعية في محاكمات أشرف عليها زملاؤهم فى مجلس قيادة الثورة فإنها لم تعد تحتاج إلى تفسير.. فقد كان الهدف الواضح هو إجهاض مبكر لجماعات الضغط وتصفية سريعة لأى تجمعات يمكن أن تمارس ضغوطاً على مجلس قيادة الثورة.

ورغم أننى علمت بعد ذلك بسنوات طويلة، وعندما كنت مسجوناً على ذمة قضية ١٥ مايو ١٩٧١ والتقيت بعباس رضوان فى السجن، وكان يعمل فى مكتب القائد العام للقوات المسلحة فى ذروة أزمة المدفعية، أن هناك من نقل إلى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر مؤكداً أن محسن عبد الخالق إنما يسعى - عكس كل الوقائع الصحيحة إلى القيام بانقلاب عسكرى ضد مجلس قيادة الثورة.

إلا أنه من المؤكد أيضاً أن المجلس لم يكن يريد مراجعاً ولا رقيباً، ولا قوى ضغط حتى ولو كانت من قلب معسكر الثورة، وكانت الثورة - كما قلت - تتآكل مبكراً جداً من داخلها». انتهى ما كتبه «أحمد كامل»!

✪✪✪

ولا يحتاج «جمال منصور» إلى تعريف فهو أحد ألمع الضباط الأحرار، بل إنه صاحب هذه التسمية وهو الذى كتب أول منشور يصدر به، وشهادته عن «محسن عبد الخالق» لها أهميتها، وهذه شهادته وكما كتبها فى مذكراته المهمة «فى الثورة والدبلوماسية» حيث يقول:

منذ الأيام الأولى للثورة ظهر الخلاف بين «القيادة الجديدة» ومجموعات الضباط الأحرار، واتخذت القيادة قرارها فى أحد أوليات اجتماعاتها بتصفية هذه المجموعات بعد أن أطلقت عليها اسم «الصف الثانى»، وكانت هناك رغبة جامحة، بل إصرار قاطع لدى القيادة الجديدة على طمس المعالم التى وضعها الضباط الثوار الأحرار، ومحو كل الخطى التى ساروا بها على الطريق فى فترة

الإعداد للثورة وإلى حين وقوعها ونجاحها.. ثم ظهر عنف الخلاف بين القيادة و«الصف الثانى»، حينما طالب الضباط الثوار الأحرار فى كل الأسلحة بعودة الحياة الديمقراطية للبلاد.. إعمالاً للمبدأ السادس من مبادئ «الضباط الأحرار»!

فبعد شهرين من قيام الثورة - طالبت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان.. طالبت بالديمقراطية وقالت بأعلى صوتها «إننا لم نخلع فاروق حتى نأتى بـ١٣ فاروقاً...»، فكان نصيبهم الإبعاد والتشتيت (جمال منصور وزملاؤه).

بعد إبعاد اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان ونقلهم إلى خارج السلاح، استمر نشاط مجموعة الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية، وقد تصدر هذه المجموعة الزملاء: محسن عبد الخالق، وفتح الله رفعت، ومحمد أبو الفضل الجيزاوى، وغيرهم. وكان الزميل محسن عبد الخالق هو الذى يقود الرأى الحر فى سلاح المدفعية، وهو الذى ذهب إلى عبد الناصر ليطلب منه بكل إصرار تفسيراً عن أسباب إبعاد الضباط الأحرار بسلاح الفرسان، وكان محسن قادراً فى - ذلك الوقت - على أن يتحدث مع عبد الناصر بكل ثبات وإقدام باعتبار كل منهما زميلاً للآخر فى حركة التحرير.

وبعد تحديد إقامة رشاد مهنا فى أكتوبر ١٩٥٢، بدأ ضباط المدفعية بتوجيه الانتقادات العلنية لضباط القيادة، واتهام العديد منهم مثل عبد المنعم أمين وصلاح سالم وأنور السادات باستغلال نفوذهم لتحقيق مصالحهم الشخصية. واجتمع ضباط المدفعية وفى مقدمتهم محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت، وقدموا اقتراحاتهم لعبد الناصر وكمال الدين حسين بشأن عودة الحياة الديمقراطية وإجراء الانتخابات. وبعد أن انصرف ضباط المدفعية عقد مجلس الثورة اجتماعاً عاجلاً رفض فيه اقتراحات ضباط المدفعية، بل تقرر القبض عليهم وتمت محاكمتهم وصدرت ضدهم أحكام تتراوح بين الإعدام والسجن المؤبد. وعلى أثر ذلك قدم عضو مجلس الثورة البكباشى يوسف صديق، استقالته اعتراضاً على القبض على ضباط المدفعية ومحاكمتهم.

ويمضى «جمال منصور» فى مذكراته حتى يقول:

وبعد بضعة شهور من تعييني في الخارجية حدد لي عبد الناصر موعداً في الصباح في مجلس الثورة بالجزيرة، ودعاني على الإفطار معه (شاي، لبن، بسكوت ماري). وعند بداية الحديث قلت لعبد الناصر: إن إبعادي عن سلاح الفرسان ربما كان نتيجة لأحداث أسيئ فهمها من جانب القيادة مما أثر على عامل الثقة التي كانت بيننا قبل الثورة. فأجابني على الفور: «من قال لك هذا؟»، ثم أردف قائلاً: «لكي أوكد لك أن الثقة مازالت باقية فإني أعرض عليك أن تعود إلي الجيش الآن». فقلت له: إنني قد التحقت بالسلك الدبلوماسي كما تعلم وقد كان العمل الدبلوماسي يراودني حتى قبل التحاقي بالكلية الحربية، وكنت أرى مثلي الأعلى في عمي الدكتور محمد صبري منصور الذي كان دبلوماسياً ناجحاً. ثم انتقلنا إلى الحديث عن العمل الدبلوماسي وسألني: «ما رأيك في أن يتم تعيينك في العراق نظراً للظروف القائمة في المنطقة، وأن تكون على صلة مباشرة بي وليس لك شأن مع السفير، أخذاً بالنظام الذي تتبعه أمريكا في تعيين أحد أفراد السفارة ليكون له الاتصال المباشر مع السلطات في واشنطن، أما السفير فليس إلا واجهة للسفارة». فاعتذرت وقلت له: إنني أود أن أعمل في جهات أخرى حتى استطيع أن أستزيد من المعرفة في تلك البلاد مما يساعدني على ترسيخ عملي في الحقل الدبلوماسي.

ثم تحدث عبد الناصر عن سلاح المدفعية، وقال إنه شعر بحالة من القلق وعدم الاستقرار في سلاح المدفعية.

ولما جاء ذكر سلاح المدفعية قلت لجمال عبد الناصر: «لقد ذهبت إلى سجن الأجانب مرتين لأزور الزملاء محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وسعد عبد الحفيظ ومحيي الخولي، ولم أكن أتصور في يوم ما أن يقوم ضابط حر بمحاكمة ضابط حر آخر، لأننا نعرف جميعاً أن العلاقة بين الضباط الأحرار كانت علاقة مقدسة، فالكل عمل تحت جناح الظلام، وفي ظروف غاية في الدقة والحرج، وإن أي خطأ أو وشاية كان يمكن أن تقضي على هؤلاء الأحرار بل على الحركة نفسها». فرد عبد الناصر قائلاً: «إنهم جميعاً في السجن، ولكنني أراعيهم كل الرعاية وأمرت بصرف مرتباتهم وإرسالها إلى عائلاتهم وتصلني تقارير دورية عن أحوالهم». فقلت له: «هل لي أن أسأل عن وقت الإفراج عنهم؟» (وكنت

أعلم أنهم لم يقضوا سوى عدة شهور فى سجن الأجانب) . فأجابنى عبد الناصر: «إننى أعدك بأنه سوف يتم الإفراج عنهم جميعاً، ولكن لا تسألنى عن موعد هذا الإفراج». ورغم عدم إفصاح عبد الناصر عن موعد الإفراج عن الزملاء إلا أننى شعرت بشيء من الراحة النفسية عندما قال لى عبد الناصر «إنه سوف يتم الإفراج عنهم».

وانتهت المقابلة بعد ساعة من الزمن مع تمنياته لى بالنجاح فى عملى الجديد وذهبت مرة ثالثة إلى سجن الأجانب والتقيت بالزميلين محسن عبد الخالق وسعد عبد الحفيظ وأبلغتهما بالحديث الذى دار بين عبد الناصر وبينى. ورغم أنهما ارتاحا نفسياً من سماع ذلك الحديث، إلا أن الزميل سعد عبد الحفيظ كان فى غاية الضيق حين قال لى: «إن أمامى أحد أمرين، إما الهروب إلى السودان وإما أن أبعث الى لجنة حقوق الإنسان للتحقيق فى أوضاعنا خاصة بعد أن توفى الزميل «وصفى» فى السجن نتيجة للتعذيب والإهمال فى العلاج». وأضاف أنه عند التحقيق مع اليوزباشى محمد وصفى قام صلاح سالم بضربه بالحذاء على رأسه حتى أصيب بنزيف ومات بعد ذلك. ثم قال «سعد» بانفعال: «وإذا لم ينفع أى من الحلين فليس أمامى سوى الانتحار»..

وأخيراً يروى «جمال منصور» واقعة بالغة الدلالة عن «محسن عبد الخالق» حين يقول:

«وكان قد تم تعيين «أنور السادات» رئيساً لمجلس إدارة جريدة الجمهورية، وفى لقاء بين جمال عبد الناصر وثروت عكاشة، قال الأخير: إن جريدة الجمهورية التى خلقتها الثورة لكى تعبر عن آمالها العريضة التى تريد أن تحققها من أجل الشعب، تحتاج إلى كثير من التطوير والتحسين وتزويدها بكل البيانات عن الثورة وبرامجها المستقبلية حتى تصبح بجدارة الجريدة الناطقة فعلاً باسم الثورة.. ثم أضاف ثروت قائلاً: إنها مناسبة طيبة أن يوجد معنا الأخ أنور السادات وهو المشرف على الجريدة لكى نتحدث فى هذا الموضوع بأمل أن تأتى الجريدة فى ثوب جديد. فأجاب عبد الناصر موجهاً كلامه إلى ثروت عكاشة: «هو أنت فاكر أن أنور هو اللى ماسك الجريدة ده أنور ده.. دا اللى ماسك الجريدة هو محسن عبد الخالق». وضحك أنور السادات، وكأن شيئاً لم يحدث،

وتحمل ما سمعه دون تعليق وظل ملازماً لعبد الناصر دون معارضة أو إثارة، وسار على الدرب الطويل عدة سنين إلى أن أصبح نائباً للرئيس.. ثم جاءت به الأقدار إلى قمة الرئاسة».

✪✪✪

ونأتى لشهادة كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة (وعشرات المناصب الهامة بعد ذلك):

يقول كما الدين حسين، وهو يروى ذكرياته عن حرب فلسطين ١٩٤٨: أثناء العمليات الحربية فى هذه الجولة برزت قيادات شابة ببطولاتها واقتدارها خلال الحرب، ومن المدفعية ظهر كثيرون أمثال «محسن عبد الخالق» و«أبو الفضل الجيزاوى» و«فتح الله رفعت» و«جمال نظيم» و«محمد غانم» وقد حصلوا وآخرون على ترقيات استثنائية ونجمة فؤاد العسكرية لبطولاتهم، كما كانوا من أوائل خلايا الضباط الأحرار بعد ذلك!

ويكمل كمال حسين قائلاً:

وفى مساء ٢١ يوليو ١٩٥٢ عقدنا اجتماعاً موسعاً لضباط المدفعية فى بيت أبو الفضل الجيزاوى أحد الضباط الأحرار بالسلاح، وحضر هذا الاجتماع حسين الشافعى ممثلاً لسلاح الفرسان، وقررنا تأجيل الثورة ٢٤ ساعة أخرى حتى تستكمل بقية الأسلحة استعداداتها للتحرك. ولاعتبارات الأمن تقرر فى آخر لحظة أن يكون الاجتماع التالى بعد ظهر ٢٢ يوليو موزعاً بين منزلى محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت من أحرار المدفعية، ولقد حضر هذا الاجتماع المرحوم جمال عبد الناصر، وتمت عملية توزيع الواجبات على قطاعات المدفعية.

ثم يشرح كمال الدين حسين تفاصيل خطة الثورة إلى أن يقول:

كانت بقية وحدات المدفعية بقيادة فتح الله رفعت ومحسن عبد الخالق وعيسى سراج الدين وعلى شرف وعبد الستار أمين قد تحركت من هايكستب بعد القبض على البكباشى المعتز بالله أركان حرب الفرقة المتمركزة بالمعسكر، وقطعت طريقها لتحتل أماكنها حسب الخطة.

✪✪✪

ونصل لشهادة «عبد اللطيف البغدادى» عضو مجلس قيادة الثورة، الذى يقول فى مذكراته:

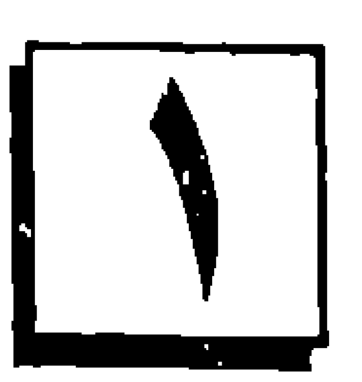
وكان كمال الدين حسين مسئولاً مع عبد المنعم أمين عن تحريك قوات المدفعية يعاونهما فى ذلك مجموعة ضباط منهم مصطفى مراد وأبو الفضل الجيزاوى وفتح الله رفعت ومحسن عبد الخالق.

ويصل البغدادى الى مناقشات اجتماع مجلس قيادة الثورة يوم الأحد ١١ إبريل ١٩٥٤ وشرح أن محور المناقشة كان تصفية الجو بين عبد الناصر وبينه، إلى أن يسأل البغدادى عبد الناصر قائلاً: ألم تذكر لضباط المدفعية أنك كل شيء في هذا المجلس ومن إنك قادر على تمرير أى شيء فيه دون صعوبة؟! وأنك قلت لهم أيضاً: لا يهمكم أعضاء هذا المجلس فما هم إلا «صورة داخل المجلس»!

وكان هذا الكلام قد أتى على ألسنة بعض من ضباط المدفعية الذين حقق معهم فى يناير ١٩٥٣ (محسن عبد الخالق ومجموعته) فحاول جمال الرد ولكنه لم يعرف.

✪✪✪

والآن إلى ذكريات د. محسن عبد الخالق نفسه!!



٢٣ يوليو ولماذا انضممت إلى الوفد؟

العودة للوراء واعادة رواية ما جرى وتأمله وفهمه وتحليله هو تأمل للماضى وفهم للحاضر واستقراء للمستقبل.

والدكتور محسن عبد الخالق الذى نجرى معه هذا الحوار الطويل - واحد من الضباط الأحرار، وهو قبل ذلك واحد من أبطال حرب فلسطين ١٩٤٨.

وحاصل على نجمة فؤاد العسكرية، ونيشان محمد على وميدالية فلسطين.

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعددت المناصب التى شغلها الدكتور محسن عبد الخالق، وكان من بينها المستشار السياسى لجمال عبد الناصر والمسئول عن شئون مكتبه. ثم اصبح مسئولاً عن دار التحرير للطبع والنشر.

عاش الدكتور محسن عبد الخالق ٢٥ سنة فى الخارج متنقلاً فى مناصب عديدة من بينها وزيرنا المفوض فى لندن ثم سفير فى اليابان.

تخصص الدكتور محسن عبد الخالق فى العلوم السياسية فحصل على الماجستير من جامعة القاهرة ثم الدكتوراه من جامعة لندن.

وكانت المفاجأة أن ينضم الدكتور محسن عبد الخالق (٦٢ سنة) إلى حزب الوفد الجديد فى عام ١٩٨٦.

الوفد..وأنا!

فى البداية سألته: أنا واحد من الذين اندهشوا وفوجئوا بخبر انضمامك لحزب الوفد الجديد عند عودته صيف ١٩٨٤. فأنت أحد ثوار يوليو الذين قاموا بالثورة، ولا يزال الوفد خصم يوليو وعدوها الحقيقى حتى الآن! من فاتحك فى أمر الانضمام للوفد؟ ولماذا كان الوفد دون غيره من الأحزاب؟!

قال الدكتور محسن عبد الخالق: لم يفاتحنى أحد، ولكنى تقدمت بنفسى بطلب الانضمام للوفد، وقررت دخول حزب الوفد لأنى من المؤمنين بما يمكن أن

نسميه «التطور السلمي» والتعايش السلمي بين القوى السياسية المختلفة، فمصر لا تحتاج إلى التطور العنيف والاضطراب مثلما حدث في مارس ١٩٥٤، وما زال أمامي نموذج الثورة الفرنسية، فقد قامت الثورة الفرنسية في سنة ١٧٧٩ وحتى عام ١٨٧١ (٨٢ عاما) وتقاذفها العديد من التيارات السياسية والاجتماعية وكانت محصلة هذا التضارب وهذه التيارات ما يلي:

- خمس ثورات (١٧٨٩ - ١٨٣٠ - ١٨٤٨ - ١٨٧٠ - ١٨٧١).
- سبعة انظمة ملكية (ما قبل ١٧٨٩ ثم نابليون (١٧٩٩ - ١٨١٤) ثم عودة أسرة البوربون (١٨١٤ - ١٨١٥) ثم عودة نابليون (فبراير ١٨١٥ - يونيو ١٨١٥) ثم البوربون (١٨١٥ - ١٨٣٠) ثم لويس فيليب (١٨٣٠ - ١٨٤٨) ثم نابليون الثالث (١٨٥١ - ١٨٧٠).
- نظامان جمهوريان (الجمهورية الأولى ١٨٤٨ - ١٨٥١) والثانية ١٨٧١ حتى الآن.
- ثلاث فترات رعب: الأولى ١٧٨٩ - ١٨٩٩ - ثم حكومة الدفاع الوطني سبتمبر ١٨٧٠ - ١٨٧١) وأسبوع الدم ٢١ - ٢٨ مايو ١٨٧١.

هذه هي الحصيلة فهل نريد لمصر أن تمر فيما يشبه هذه المرحلة (١٧ نظاماً سياسياً في ٨٢ عاماً).

وهل هذا ما تريد القوى السياسية والاجتماعية التي تشد مستقبل الأجيال المصرية القادمة في شتى الاتجاهات، مشحونة بأهداف شخصية وثارات قديمة! فلتكن الأهداف.. ولتكن التيارات! لكن ما ذنب الأجيال القادمة في هذا كله؟

لذلك فما كنت أطمع فيه وآمل في المساهمة في تحقيقه هو التآلف والتعايش بين هذه التيارات بأسلوب التطور السلمي، أما إذا اصطدم الوفد مع مبادئ يوليو فأنا جزء أصيل وعضوى من هذه الثورة ومبادئها، ويصبح انضمامي لحزب الوفد بلا هدف أو مضمون!!.

وأحب هنا أن أشير أن والدى - رحمه الله - وقد كان عالماً ازهرياً - هو من أبناء ثورة ١٩ وممن جرحوا برصاص الإنجليز فيها.

وأعود بك إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان لي رأى واضح ومحدد منذ البداية وكان جمال عبد الناصر يتفق فيه معى إلى حين. وهو أن البلد بعد الثورة تحتاج

إلى حكومة ائتلافية، بمعنى أن يمثل فيها كل التيارات السياسية الموجودة، واتفقنا على تمثيل الوفد باثنين والإخوان المسلمين باثنين والحزب الوطنى باثنين، والباقي من الوزراء الوطنيين ذوى السمعة الطيبة والكفاءة الكبيرة.

وقال عبد الناصر: على بركة الله.

وبدأت الثورة من جانبها تجرى الاتصالت لتحقيق هذه الفكرة، اتصل جمال عبد الناصر بالإخوان المسلمين، ورفض الإخوان التعاون معنا، لكن الشيخ أحمد حسن الباقورى - رحمه الله - وافق وحاول بدوره أن يقنع الإخوان بمد جسور التعاون مع الثورة لكنهم رفضوا، وأذكر أن الأخ فتح الله رفعت وأنا قابلنا المرشد العام للإخوان «حسن الهضيبى» رحمه الله، وحاولنا معه كثيراً ولكنا فشلنا. وكان منطق رفض الإخوان غريباً جداً، فقد طلبوا إلغاء وحل الأحزاب (حتى تخلو الساحة لهم تماماً) كما اشترطوا الا تصدر الثورة قانوناً أو تفكر فى مشروع إلا بعد عرضه على الإخوان ليوافقوا عليه!.

قلت له: ربما بحجم الدور الذى لعبوه فى القيام بالثورة! على الأقل هكذا تروى مذكرات حسن العشماوى «الإخوان والثورة» وصفحات من التاريخ «لصلاح شادى»! فماذا تقول:

قال الدكتور محسن عبد الخالق: أى دور هذا الذى تتكلم عنه؟! الإخوان المسلمون اشتركوا فى ثورة يوليو كقوة شعبية مساندة لاشك فى هذا، وبصفتهم الوطنية .كما اشتركت تيازات أخرى كثيرة معنا بصفتها الوطنية وليس بصفتها الحزبية أو السياسية.

وعندما استثنت الثورة جماعة الإخوان المسلمين من قرار إلغاء وحل الأحزاب الصادر عام ١٩٥٣ لم يكن ذلك عن خوف أو ضعف من الثورة ولكن لإيمان ٢٣ يوليو بأن الإخوان المسلمين مدرسة كبيرة ولها دور لا ينكره أحد. خصوصاً الضابط الأحرار فى بناء الانسان المصرى على القيم، قيم الاخلاص والصدق والتعاون والمحبة، ولا تنس ان ٨٠ ٪ على الاقل من الذين قاموا بالثورة تربوا وتخرجوا فى مدرسة الاخوان المسلمين، اختلفنا معهم سياسياً هذا صحيح، وكلنا لا ننكر ان مدرسة الاخوان هى التى غرست فينا المبادئ والقيم، وأنا اذكر ان جيلى كله كان يجلس كل اسبوع فى حديقة النادى الاهلى مع الصاغ

«محمود لبيب» - رحمه الله- عضو الهيئة التأسيسية للإخوان. نجلس معه بالساعات دون اجبار أو اكراه بل بكل الرغبة والحب، ليسقينا بطريقته العذبة القيم الوطنية والانسانية الرائعة.

ودعنى اقول للاخوان المسلمين اليوم أن عليهم أن يعيدوا النظر فى اشياء كثيرة، وان يتلفتوا لبناء الانسان المصرى، على قيم الاخوان الاصيلة التى جذبتنا جميعاً وهو ما يحتاجه شباب مصر اليوم اكثر من اى شيء آخر، وهو ما سبق ان قلنا للاخوان منذ قيام الثورة ولذلك تم استثناؤهم من قرار حل الاحزاب كما قلت عام ١٩٥٣ ولكنهم رفضوا التعاون.

لطفى السيد رئيس للجمهورية:

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: اعلن أن الثورة دخلت فى حوار مع الوفد أيضاً وان الحوار وصل إلى طريق مسود، كيف بدأ الحوار مع الوفد بالضبط؟

قال: إننى ممن يؤمنون بالديمقراطية وطالبت بان تتحقق خلال عام من قيامنا بالثورة، ثم قيل لى فى مجلس قيادة الثورة إن الخطوة نحو الديمقراطية تحتاج إلى ثلاث سنوات، وعلى اساس انه خلال هذه السنوات يوضع نظام سياسى يتسم بالتوازن ولا يسمح بالانحراف نحو «الديكتاتورية» وقد فكرنا مثلاً ان يكون أول رئيس للجمهورية هو استاذ الجيل أحمد لطفى السيد ليضع التقاليد والأعراف فهو أستاذ الجيل ويجمع الكل على احترامه وتقديره.

ولكن رجال الاحزاب القديمة بدأوا يناورون، ولم يكن لديهم البصيرة السياسية الحكيمة التى تنفذ إلى آفاق المستقبل.

والثورة لم تنكر أبداً ان حزب الوفد كان قوة سياسية كبيرة، ولذلك دعونا الوفد ليشترك فى تلك الحكومة الائتلافية لكنه رفض ايضاً. لقد ذهبت إلى الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية الوفدى - اطال الله فى عمره - فى بيته بالمعادى وناقشته اياماً، ولا انسى أنه قال لى:

- أنا - كوفدى - اعرف عن أخطاء وعيوب الوفد اكثر مما تعرفونه انتم كرجال الثورة، ولكننى لا اتخلى عن حزبى أبداً، خصوصاً إذا كان يمر بمحنة، واتصلت أيضا بعبد الفتاح باشا حسن - رحمه الله - لكى يشترك فى الحكومة

الائتلافية وقابلته فى منزله بالعمارة التى كان يسكن فيها أمام السفارة البريطانية. فشكر ورفض !!

إذن الوفد رفض ... الاخوان رفضوا..

ولم يقبل سوى الحزب الوطنى، والشيخ الباقورى رحمه الله.

وليت الحكومة الائتلافية قد تكونت ونجحت فى إجراء الحوار السياسى الذى كان ضرورياً فى هذه الفترة من تاريخ مصر، بدل ان يتركوا الثوار وحدهم يتلمسون الطريق دون دراية أو ممارسة سابقة أو خبرة !! ليت الوفد قبل الاشتراك بدل ان يترك الساحة.

كان الاخوان يعتقدون انهم الثورة وانهم الورثة الشرعيون.. وكان الوفد يطالب بتسليم حكم مصر لهم، وكان هذا كله غير ممكن! فالاخوان لم يتقدموا بسياسة لحكم مصر أو حتى برؤية سياسية، والوفد كانت سياسته هى سياسة ما قبل ١٩٥٢!!.

فهل كان ذلك مقبولاً أو ممكنا؟! والا فلماذا قامت الثورة إذن! ولم قامت ولأى هدف!!

لقد اعلنت ٢٣ يوليو مبادئها بكل الوضوح فى منشوراتها التى كانت توزعها! فهل ناقش الوفد مع الثورة هذه المبادئ ام انه طلب تسليم الحكم فقط؟! وإذا كان الأمر بالنسبة للوفد هو موضوع الحكم! فلماذا لم يقد المظاهرات السياسية ولماذا استكان للملك بعد حريق القاهرة؟!.

هل كان هناك اتصال بين الوفد والضباط الاحرار قبل ٢٣ يوليو؟

اجاب: نعم.. لقد ألغت حكومة الوفد معاهدة ٣٦ فى عام ١٩٥١، ولا ادخل فى تفصيلات الإلغاء ودوافعه، ولكنا تعاملنا مع الواقع الذى فرض نفسه، وهذا الواقع تبلور فى قيام معركة تحرير فى القنال ضد القوات الانجليزية، فماذا كان دور الوفد فى المعركة؟ لقد تمثل هذا الدور فى الاجراءات المدنية.. ومن بينها سحب العمال الذين كانوا يعملون فى المعسكرات البريطانية.. منع تموين القوات البريطانية.. وهو دور مشكور للوفد!.

ولكن المعركة الساخنة نفسها، وهى صلب معركة التحرير كانت تتمثل فى المواجهة التى ازعجت القوات البريطانية عسكرياً. وجعلت من قاعدة القنال

امراً محفوظاً بالمخاطر، وقد قامت هذه المعركة الساخنة على أكتاف الضباط الاحرار والاخوان المسملين والمتطوعين الوطنيين.

وكان الضباط الاحرار هم الذين احضروا السلاح والذخيرة ودربوا القوات في مسعكرات صحراء العباسية وحلوان.. وقادوا أغلب العمليات الفدائية.

قلت: بالمناسبة هل اقتصر اتصالكم بالوفد في فترة ما بعد قيام الثورة مباشرة أي خلال عام ١٩٥٢؟ أم أن الاتصالات والحوار امتدا لما بعد ذلك؟!

أجاب الدكتور محسن عبد الخالق: لقد عاودنا الاتصال بالوفد في ازمة مارس ١٩٥٤ فاتصلت بالاستاذ احمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة المصري واتصلت بالاستاذ عمر عمر رحمه الله وكان نقيباً للمحامين، وكان الغرض من الاتصالات هو امتصاص الانفعال وسخونة الكلمة وعنف الهجوم لصالح مستقبل مصر والدعوة إلى حوار سياسي هادئ بعيداً عن الانفعال، وذلك لتطبيق ما اعلنه مجلس الثورة وقتها تطبيقاً عملياً وموضوعياً وذكياً، ولكن للاسف ساد الموقف الكلمة الساخنة والانفعال المتزايد مع قصور امكانية العودة بمصر إلى الوراء ونسوا أن الثورة لا زالت في عنفوانها، وما لا يستطيع تحقيقه بالعقل والحكمة والتجرد، لا يستطيع احد تطبيقه بالرؤية العنيفة والعودة إلى ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ورفض الوفد!!

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: أوضحت لي حوار يوليو مع الوفد ثم فكرة الحكومة الائتلافية ويبقى أن أسالك هل كان في مقدوركم تنفيذها؟!

قال: أظن ذلك.. واحيلك إلى كتاب «الحكومة الخفية» لجمال حماد، وبالتحديد إلى صفحتي ٨ و٩ وفيهما يقول بالحرف الواحد: ونظراً لأن مجموعتي ضباط المدفعية والفرسان كانتا أقوى مجموعات الضباط الأحرار، وأكثرها عدداً وأشدها صلابة وتكتلاً، لذلك تم ضرب مجموعة المدفعية وتشتيت ضباطها والقاء زعاماتها في السجن في ١٥ يناير ١٩٥٣ فيما عرف باسم

«قضية المدفعية» كما حاقت الضربة بمجموعة سلاح الفرسان فى أعقاب أحداث فبراير ومارس ١٩٥٤ .

وفى صفحة ١٠ من نفس الكتاب يقول جمال حماد، وقد اضطر مجلس الثورة تحت الضغط الشعبى وتحت ضغط الرأى العام فى الجيش إلى اصدار قرارات ٥ و٢٥ مارس الديمقراطية والتى تقرر فيها عودة الحريات والاحزاب والحياة الدستورية للبلاد - انتهى ما كتبه جمال حماد..

إذن كان الرأى العام فى الجيش مع الحياة الديمقراطية الدستورية بشكل أو بآخر، وصدقنى أنه ما كان فى مقدور أحد ولا مجلس الثورة ان يفعل ذلك بمجموعتي المدفعية أو الفرسان لو كانت القوى السياسية - أعنى الوفد وكذلك الاخوان قد اتفقوا مع ممثلى هذه الاسلحة على حوار سياسى يصلون من خلاله إلى اقرار نظام سياسى لفترة انتقال تقودنا إلى الديمقراطية الصحيحة وعلى اساس عدم المساس بجوهر مبادئ الثورة التى قامت لتحقيقها. وكان المقدر أنه بعد فترة الانتقال وكفالة حرية الناخب. أن تتحقق الديمقراطية الليبرالية كما قلت.

كانت مبادئ الثورة التى قامت من أجلها تهدف إلى: تحديد الملكية - وهو ما رفضه الوفد - منع سيطرة رأس المال، إنهاء الاستعمار، إقامة عدالة اجتماعية، إنشاء جيش قوى، إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

وإذا كانت الثورة قد نجحت فى تنفيذ خمس من مبادئها فى السنوات القليلة التى اعقبتها وتعثرت فى المبدأ السادس وهو إقامة الحياة الديمقراطية السليمة فلا يكون ذلك معناه - فى نظر البعض - القيام بتطليخ ثورة يوليو. وعلى كل حال فمن عباءة الثورة إذا صح لنا التعبير بدأت لنا مسيرة الديمقراطية.

وأملى أن أنشر قريباً قصة الارض فى مصر، وفيها إشارة إلى علاقة الارض الزراعية بالحياة السياسية وسيطرة ملاك الارض قبل ١٩٥٢ على مقدرات الحياة السياسية بكاملها فى مصر وليس فقط على مجلس النواب، بحيث اصبحت الديمقراطية التى كانت قائمة لا أكثر من «ديمقراطية أو ليجاركية» أى ديمقراطية القلة أو ديمقراطية الطبقة المميزة.

فهل ينكر أحد أن الناخب لم يكن حراً، بل كانت تملى عليه إرادة مالك الارض، وإذن فقد كان تحرير إرادة الناخب بجانب العدالة الاجتماعية كانا من أهداف تحديد الملكية، وهى الركيزة الاولى الأساسية فى تحرير إرادة الناخب.

هل تعلم أن الملك فؤاد عندما تولى الحكم كان يمتلك ٨٠٠ فدان وعندما مات كان يمتلك ٢٨ الف فدان، والملك فاروق كان عنده اكثر من اربعين ألف فدان.

ولم يكن الاصلاح الزراعى بدعة اخترعناها، فقد كنا الدولة رقم ٦٧ التى تأخذ به أى ان هناك ٦٦ دولة سبقتنا فى تطبيقه.

وما نسعى إليه اليوم ليس الديمقراطية بأى صورة كانت. ولكن نسعى إلى الديمقراطية الليبرالية والتى تقوم أساساً على حرية الناخب وحرية ارادته بجانب الأسس الهيكلية الاخرى لاستكمال بناء هذه الديمقراطية.

تسألنى بعد ذلك لماذا انضمت للوفد منذ عام ونصف تقريباً فأقول لك: كان هدفى ان يكون هناك التقاء بين الوفد وثورة يوليو لنجنب مصر والاجيال القادمة صراعات وثارات نحن فى غنى عنها تماماً، وأمامك نموذج الثورة الفرنسية «٨٢ عاما» من التوتر السياسى!.

وكنت أتصور أننى واحد من الذين يعرفون فكر ٢٣ يوليو فاستطيع ان اوضحه للوفد، ولمعرفتى وصداقتى بفؤاد سراج الدين تصورت ايضا أننى يمكن أن أكون صوتا عاقلاً داخل الوفد. ولكنى فوجئت بالوفد يعادى ٢٣ يوليو على طول الخط، وليس هناك أى نقط للالتقاء. ومن هنا وجدت نفسى مجرد وفدى على الورق، بل إننى ارسلت للجريدة اكثر من مقال اوضح فيها وجهات نظر ولم تنشر!.

إذن كيف استمر فى عضوية حزب يعادينى ويتخذ منى موقفاً عدائياً! ولا تنس اننى مع ٢٣ يوليو.. أنا ابن ٢٣ يوليو وهذا ما يشرفنى وأفخر به!.



الضباط الاحرار والنحاس باشا وجها لوجه:

ما حقيقة الاتصالات التى جرت قبل الثورة بين الضباط الأحرار والوفد لكى يفعل شيئاً إزاء الفساد والتردى الذى ساد مصر؟!

وماذا كان رأى فؤاد سراج الدين، والنحاس باشا من قبله، إزاء هذه الاتصالات؟!

لماذا استقر الرأى على اللواء «محمد نجيب» لكى يقود الثورة، وما العوامل التى ساندت هذا الاختيار؟!

وهل كانت ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ انقلاباً قاده العسكر، أم كانت ثورة شعبية.. و... و..

قلت: رغم مضى ٣٤ عاماً مازالت «٢٣ يوليو» تحير الكثيرين؟! هناك من يراها ثورة غيرت وجه مصر السياسى والاجتماعى للأبد! وهناك من يراها انقلاباً عسكرياً أو حركة إصلاحية! كيف تراها أنت بعقل أستاذ العلوم السياسية؟!

قال: فى البداية لابد أن نتفق على الأسس والقواعد التى تحكمنا فى التصدى للحديث عن ٢٣ يوليو، وما يحكم هذه القواعد والأسس هو الاسلوب العلمى لانه يخرجنا من دائرة الانفعال، بل ومن دائرة المهاترات.

وحتى الآن مازالت ٢٣ يوليو حائرة فى كتابات الكثيرين، الاغلبية ترى انها «ثورة» والبعض الآخر يصفها بأنها انقلاب.. وبين هؤلاء وهؤلاء تجد من يصر على أنها مجرد «حركة»!

ومع ذلك فإنى أرى أن كل هذه الآراء هى قضايا علمية يحكمها المنهج العلمى، فمن يقول إنها ثورة عليه أن يقدم تعريفه العلمى للثورة، ومن يقول إنها انقلاب فليعرف لنا «الانقلاب»! ومن يصر على أنها «حركة» فما هو مضمون الحركة فى نظره؟ أما أن نطلق العنان لدوافعنا الشخصية فهذا هو الخطأ المرفوض!.

إذن هناك من يراها ثورة، وهناك من يراها انقلاباً، وهناك من يراها حركة! وللأسف الشديد ففي كل هذه الكتابات عن ثورة ٢٣ يوليو لم اجد كاتباً واحداً يحدد لي بشكل علمي ما الذي يعنيه بالثورة أو الانقلاب أو الحركة، ففي كل هذه الكتابات غاب المنهج العلمي!!

إن التعريف العلمي «للانقلاب هو» انه صراع على السلطة من داخل السلطة وليس من خارجها، مثلما حدث في «١٥ مايو ١٩٧١» كان هناك رئيس جمهورية «أنور السادات» وكان هناك الوزراء العديدون الذين يتولون قمة المسئوليات والسلطة، فهذا وزير الحربية «الفريق أول محمد فوزى» وهذا وزير الاعلام «محمد فائق» وهذا وزير ئاسة الجمهورية «سامي شرف» وهذا وزير الداخلية «شعراوى جمعة» والكل يتصارع على السلطة وهم في داخل السلطة إذن فإن ما حدث في ١٥ مايو ١٩٧١ طبقاً للتعريف العلمي هو «انقلاب»!!.

أما ما حدث في ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فلم يكن صراعاً على السلطة من داخل السلطة كالحال في الانقلاب، وهذا يقودنا إلى تعريف الثورة طبقاً للمنهج العلمي، فالثورة: هي صدام مع السلطة القائمة من خارج دائرتها بقصد إحداث تغيير جذرى. سواء أكان هذا التغيير كلياً أو جزئياً، وهذا يحدث عندما يصعب أو يستحيل إحداث هذا التغيير بالطرق السلمية السائدة قبل قيام الثورة وعلى أساس أن يكون التغيير تحقيقاً لمطلب جماهيرى عام تقتضيه الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... إلخ ومشروعية الثورة مستمدة من تأييد الشعب صاحب السيادة المطلقة لها عند قيامها

أما إذا كانت الثورة هي لتحقيق مطالب فئوية خاصة فهنا ينظر اليها المحلل السياسي من زاوية أخرى. فيقوم بتكييفها العلمي على أساس سعة هذه الفئة، فإذا كانت مثلا لإقرار حقوق أو مطالب جذرية لأوضاع جماهير الفلاحين والعمال والذين يشكلون في مصر قبل ١٩٥٢ حوالى ٨٠ ٪ من السكان فهنا تعتبر ثورة..

كذلك قد يكون تعريف الثورة بمدى التغيير الجذرى والهيكلى الذى تحدثه في بناء المجتمع الاجتماعي للمجتمعات الصناعية.

إذن الثورة تحكمها ركائز علمية بعيدة تماماً عن انفعالات بعض الكتاب، وعن الانسياق وراء التيارات السياسية المتصارعة وألخص هذه الركائز في:

- انهـا صـدام مع السـلطة بعـد العـجـز المطلق عن إحداث التـغـيـيـر بـالطرق السلمية المتواصلة.
- وهدفها إحداث تغيير جذرى فى بناء المجتمع.
- وهى ليست صراعاً على السلطة من داخل السلطة.

يوليو ثورة سياسية شاملة:

سألت الدكتور محسن عبد الخالق: فى ضوء هذه الركائز العلمية كيف ننظر إلى ما قام به أحمد عرابى وسعد زغلول وجمال عبد الناصر فى سنوات ١٨٨١، ١٩١٩، ١٩٥٢؟!!

أجاب: ما قام به أحـمـد عـرابى كان ثورة لكونها صـداما مع الخديوى وهو السلطة لمطلقة فى مصر بقصد إحداث تغييرات جذرية فى مجتمع ذلك الزمان وإقرار حقوق المصرى فى وطنه.

وثورة ١٩ كانت أيضاً ثورة لأنها اصطدمت مع السلطة القائمة «الاحتلال الانجليزى والملك» بقصد إحداث تغيير سياسى جذرى فى وضع وشكل مصر السياسى، بإنهاء الحماية التى فرضت عليها عند قيام الحرب العالمية الاولى والحصول على الاستقلال. فهى إذن ثورة سياسية قامت لتغيير الوضع السياسى فى مصر وقد نجحت فى ذلك، وصدر بيان فبراير ١٩٢٢.

أما ثورة ٢٣ يوليو فكانت ثورة شاملة: ثورة سياسية واقتصادية واجتماعية وثورة غيرت تغييراً جذرياً وكلياً النسيج الاجتماعى فى مصر كلها، والذين يصفون ثورة يوليو بأنها «حركة عسكرية» مخطئون تماماً، فهى ثورة سياسية ولكن من داخل الجيش، وذلك عندما عجزت القوى السياسية التى كانت موجودة وقتها عن القيام باى تحرك سياسى مؤثر ومهما كانت ضآلته. واود أن أقول، وقد عشت وعايشت مصر السياسية قبل ١٩٥٢ بأن القوى السياسية التى كانت موجودة وقتها كانت قد فقدت تماماً إرادة التغيير وإرادة الرفض، وانساقت فى تيارات بعيدة تماماً عن آلام جماهير الشعب وضرورة التغيير الجذرى لبناء المجتمع المصرى.

تساءلت: هل يمكن المقارنة بين هذه الثورات الثلاث؟!

بحسم أجاب: أود أن أشير بإيمان كامل بأن الثورات المصرية الثلاث «عرابى ١٩-٥٢» لا تناقض فيما بينها، ولكنها ثورات متواصلة، املتها الظروف القائمة في ذلك الوقت، وهي دلالة على حيوية الشعب. ولذلك فالمقارنة بينها هي مقارنة لا يستقيم معها المنطق العلمي، فكل واحدة منها حدثت في زمان مختلف، وتحت ظروف سياسية واجتماعية مختلفة. فثورة ١٩ ظروفها الزمنية والفكرية والسياسية مختلفة تماماً عن ثورة عرابى، وثورة ٥٢ تختلف بقدر أكبر عن أوضاع ثورة ١٩.

وفى رأيى أن أى مقارنة بين هذه الثورات الثلاث بدون النظر إلى الاسباب التى دفعت إلى قيامها تعتبر مقارنة خاطئة، كذلك علينا أن نفرق فى دراستنا لأى واحدة من هذه الثورات الثلاث بين مبادئ الثورة واسلوب القيام بها وبين الممارسات التى حدثت بعد قيامها، فكثيراً ما نتفق على المبادئ والأسلوب، ولكن نختلف تماماً على الممارسة التى حدثت بعدها.

سامى شرف ليس ٢٣ يوليو!!

قلت: مازال سؤالى حائرا يبحث عن إجابة: لماذا هذه الحملات المكثفة للهجوم على ثورة ٢٣ يوليو وعلى كل ما نسب إليها!.

قال: وأنا أسأل نفس السؤال: لماذا الهجوم على ثورة يوليو؟ ولماذا الهجوم على الضباط الأحرار؟

إن الهجوم على ثورة يوليو معناه الهجوم على مبادئها.. وعلى من يهاجمونها أن يقولوا ذلك صراحة، حتى يدور حوار موضوعى بين الأطراف المختلفة.

فهل من المنطق مثلا أن نحمل ثورة يوليو ما حدث من سامى شرف أو غيره؟

ولماذا الهجوم على الضباط الاحرار؟ هل كان المفروض ان يبقى الملك والانجليز فى لعبتهم السياسية وترسيخ الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تقهر المواطن المصرى البسيط والذى كان يكون ٨٠٪ على الاقل من تعداد السكان.

واغرب من ذلك أن سعد زغلول رحمه الله، وصف اللجنة التى وضعت دستور ٢٣ بأنها لجنة الاشقياء. كما ورد فى بعض نصوص الدستور ما يجعل من

حق الملك إقالة الوزارات وحل البرلمان - أى العبث بالحياة الديمقراطية كلها، ورغم ذلك لم نسمع أن أى حكومة من حكومات الاغلبية أو الأقلية طالبت بتغيير هذه النصوص، وهى نصوص لو عدلت لاستقرت الحياة السياسية فى مصر، ولربما تغيرت كافة الأبعاد الاجتماعية وتطورت تطوراً سلمياً بدون الحاجة إلى ثورة.

الضباط الاحرار يقترحون على النحاس !

وجدتنى أبتسم وأقوله له: نعود بقارب الحوار إلى ثورة يوليو التى مازال فؤاد سراج الدين لا يرى فيها سوى «انقلاب عسكرى».

قال الدكتور محسن عبد الخالق: نعم ياسيدى نعود إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فأقول إنها كانت ثورة لأنها اصطدمت مع السلطة القائمة وأزاحت هذه السلطة عن طريقها، ورحب الشعب كله بالثورة. فالظروف التى سادت مصر وقتها أملت علينا الثورة، فمنذ حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ كانت كل القوى السياسية فى مصر قد سقطت وفقدت - كما قلت - إرادة التحدى وارادة التغيير، فلم يرتفع صوت حزب ولا قامت مظاهرة سياسية واحدة تعبر عن الغضب والرفض، كانت الاحزاب قد شاخت وفقدت إرادة التحدى.

مثلا ماذا فعل الوفد يوم حريق القاهرة؟ لقد بدأ اضراب بلوكات النظام حوالى التاسعة صباحاً وذهب فؤاد سراج الدين «وزير الداخلية يومها» لمقابلة الملك يطلب الامر بالتدخل! وكان الملك من ناحيته يسوف ويماطل ومصر تحترق! فلماذا لم تتحد الوزارة الوفدية إرادة الملك وهى ترى القاهرة تحترق؟ لماذا لم يجتمع البرلمان؟ لماذا ظل الوفد يستجدى وينتظر رضاء الملك والحريق ينمو وينتشر!.

أكثر من ذلك أنه بعد الحريق ذهبت مجموعة من الضباط الاحرار لمقابلة النحاس باشا فى قصره تطلب منه معرفة ما الذى يريده حتى تنفذه! ورفض الرجل مقابلة المجموعة، فجلست فى صالة القصر، والنحاس بالطابق الأعلى، وكان ابن شقيقه «محمد النحاس» ينقل له الرأى ثم يعود ثانية، واخيراً رفض الباشا! وكان الهدف من الذهاب للنحاس باشا هو ابلاغه انه بعد إعلان الاحكام

العرفية اصبح الجيش يسيطر تماماً على البلد، ومن هنا كان اقتراح الضباط الأحرار على النحاس: إذا أردت أن تفعل شيئاً تنقذ به مصر فسوف نضمن لك أن الجيش لن يتدخل لحماية العرش أو فاروق!

ثم خطا الضباط الأحرار خطوة أخرى فسألوا النحاس عما يريده منهم - أي من الضباط الأحرار - أن يفعلوه، فالبلد في قبضة الجيش والملك يلهو في نادي السيارات، ويمكن القبض عليه وتكون هذه إشارة لتحرك الوفد. ولا اود ان اطيل، وأنا لا اقول اليوم إن موقف النحاس باشا من اقتراحات الضباط الأحرار كان خطأ أو صواباً، فالرجل له تقديره الخاص، فهو زعيم وقبل ذلك رجل قانون ينظر للامور من زاويا مختلفة، بينما نحن الضباط الاحرار لنا آراؤنا الثورية، ومن هنا لا اقول ان الرجل خاف أو جبن!

ولكن ماذا يفعل الضباط الأحرار وكل الوسائل الدستورية للتغيير مقفولة في وجه مصر؟

وبعد مقابلة النحاس باشا تأكد لنا أن القوى السياسية المصرية وعلى رأسها الوفد كانت قد فقدت إرادة التحدي وإرادة التغيير، وفكرنا ان نقوم بالثورة في ذلك الوقت، ولكن وجدنا أنفسنا غير مستعدين تماماً فقد كنا - كضباط احرار- منظمين كخلايا سرية ولم نكن منظمين كأسلحة تستطيع تحريك الجيش كله، ومن هنا أعاد الضباط الاحرار توزيع انفسهم على الوحدات، وبدأنا العد التنازلي للقيام بالثورة معتمدين على أنفسنا. وقد كان حريق القاهرة نفسه قد احدث انشقاقاً كبيراً في صفوفنا نحن الضباط الأحرار، فلقد اقترح البعض منا في انفعال شديد أنه لا بد من ضرب الملك، وكنا سنتسرع وسنقوم ببعض الاعمال المتهورة، ولكن الحكماء والعقلاء فينا قالوا إن حريق القاهرة اعطانا الإشارة للبدء بالثورة، وبدأ التفكير في وضع الخطة التطبيقية للقيام بها.

وساعة بعد ساعة، ويوما بعد يوم كان الوضع العام يزداد سوءاً، الوزارات تسقط وراء بعضها، لدرجة انه خلال ٤٨ ساعة تغيرت وسقطت وزارتان، الجو في مصر كلها اصبح مشحونا ومتوتراً،.واستمر الضباط - الذين قد اصبحوا القوة الوحيدة المنظمة والباقية - في تحدي الملك، وانتهى الامر إلى التحدي السافر، وكان قد بدأ التحدي يأخذ شكله وموضوعيته في انتخابات نادي

الضباط بدءاً من الأنتخابات الفرعية للاسلحة وانتهاء بانتخابات النادى نفسه. وحدثت ازمة النادى المعروفة، ودخل الملك معنا فى سباق التحدى.

ملحوظة من صباح الخير:

نجح الضباط الاحرار فى انتخابات نادى الضباط (ديسمبر ١٩٥١) نجاحاً مذهلاً، واصبح مجلس ادارة النادى يضم خمسة منهم وهم: زكريا محيى الدين، حمدى عبيد وجمال حماد وحسن ابراهيم وأمين شاكر، والطريف ان «محمد فوزى» - وزير الحربية فيما بعد - لم يحصل إلا على ٣٧ صوتاً وفشل فى هذه الانتخابات وكذلك جمال سالم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد) أما اللواء محمد نجيب فقد فاز برئاسة مجلس إدارة النادى نفسه.

موعد الثورة حدده الملك!

سألت الدكتور محسن عبد الخالق: ولماذا تحدد يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بالذات للقيام بالثورة؟ إن الأستاذ أحمد أبو الفتح قال لى فى حوار من قبل إن السبت الثالث من نوفمبر ١٩٥٢ كان موعد تنفيذ حركة الجيش كى يفرضوا على الملك عودة الحياة النيابية فيمكنون البرلمان من الانعقاد، ولكن تطور الاحداث السياسية خصوصاً فى شهر يوليو ٥٢ وإصرار الملك على تعيين اللواء حسين سرى عامر وزيراً للحربية ليقضى على الضباط الاحرار عجل بقيام حركة الجيش.

وقال الرئيس الراحل أنور السادات فى البحث عن الذات ص ١٣٨ «جمعنا الهيئة التأسيسية فى فبراير ١٩٥٢ وقررنا قيام الثورة فى نوفمبر ١٩٥٢ بدلا من نوفمبر ١٩٥٥».

قال الدكتور محسن عبد الخالق: بداية أقول لك إن الملك فاروق هو الذى حدد موعد قيام الثورة فى ذلك التاريخ وليس الضباط الاحرار، فالملك تحدى الضباط الاحرار فى انتخابات نادى الضباط ثم قام بحل مجلس الادارة، وعين مجلسا مؤقتا، ولعل الكثيرين لا يعلمون انه كان لنا اصدقاء ضمن اعضاء هذا المجلس المؤقت الذى عينه فاروق. اذكر منهم المرحوم حافظ صدقى قائد السجن الحربى

وكان يبلغني أنا بالذات - ويوميا - لصداقتي به بكل ما يدور في اجتماعات المجلس وأذكر أنه قال لي:

- إذا كنتم جاهزين وتريدون عمل شيء ما فلا تترددوا لانهم سوف يلقون القبض عليكم!

إذن وجدنا أنفسنا في سباق مع الزمن والملك: نحن أو الملك!

وجدتني أعيد على مسامع الدكتور محسن عبد الخالق ما يردده الوفد خاصة وأعداء الثورة عامة من أن يوليو سرقت الثورة من قائدها الفعلى ورأسها المفكر «محمد نجيب»؟!

قال: المرحوم اللواء محمد نجيب أدى دوراً لا ينكر، ومن لم يقل بغير ذلك فهو رجل مخطئ في حق محمد نجيب وحق الواقع، فقد كان تنظيم الضباط الاحرار يحتاج إلى لواء كبير السن، شجاع مشهود له بالكفاءة والنزاهة يحمل الثورة على كتفية امام الشعب. أما نحن فكانت اعمارنا فى العشرينيات واوائل الثلاثينيات ونحن شعب تعود على احترام السن الكبيرة ولهذا اخترنا «نجيب» إذ إنه من غير المعقول أن يكون قائد ثورة بهذا الحجم شابا عمره ٢٨ سنة أو ٣٢ سنة!.

ولقد كانت هناك أسماء اخرى مطروحة قبل محمد نجيب من جانبى مثلا كنت ممن يتصلون باللواء «فؤاد صادق» وقد كنت ابنا له من أيام حرب فلسطين ومعركة تبة لطفى.

سألته: هل جمال عبد الناصر هو ثورة يوليو؟!

قال: ثورة ٢٣ يوليو حدث تاريخي قائم بذاته، كما أن الضباط الاحرار تجمع وطنى قائم بذاته، صحيح ان عبد الناصر قاد الضباط الاحرار وقاد القيام بالثورة، ولكن دعنى أقول: لو أن عبد الناصر رفض؟ هل كان يعنى ذلك عدم القيام بالثورة! أم كنا سنبحث عن غيره فلقد كان المد الشورى جارفا ويتجاوز الافراد لقد رفض فؤاد صادق قيادة الثورة وكان هو الخيار الاول، فبحثنا عن بديل أو عن قائد آخر وهو «محمد نجيب» رغم ان الثورة لم تكن ثورة عسكرية يقودها قائد برتبتة العسكرية، ويعطى الامر لضباطه كما هو الحال فى امريكا اللاتينية ولكنها ثورة سياسية قامت على الحس الوطنى والفدائية الوطنية، ولا أكون

مخطئاً إذا قلت إن عبد الناصر كان بلا شك زعيم ثورة ٢٣ يوليو وزعيم الضباط الاحرار، وبلا منازع.

ولكن بعد قيام الثورة اختلف الامر. فقد تولى عبد الناصر السلطة ولكنه وإن كان قد خرج من عباءة الثورة، إلا أن ذلك كان بداية عهد مستقل وأسلوب ذاتى مستقل، فعهد عبد الناصر هو عهد ينسب اليه وحده. كما أن عهد السادات هو عهد السادات وحده، وعهد حسنى مبارك - وقد خرج أيضا من إحدى فصائل يوليو - هو عهد حسنى مبارك، وكل من هذه العهود هو واقع سياسى وكيان قائم بذاته له ما له، وعليه ما عليه. وخلاصة القول هو أن ثورة يوليو حدث قائم بذاته والضباط الاحرار تجمع وطنى قائم بذاته، وعهود عبد الناصر والسادات ومبارك عهود سياسية كل عهد منها قائم بذاته.

حكاية الاتصال بأمريكا!!

وجدتنى أستوضحه: الكثيرون يعتبرون أن ثورة ٢٣ يوليو هى ثورة عسكرية فكيف تراها ثورة سياسية؟!

قال: ثورة يوليو سياسية من خلال الجيش وليست ثورة عسكرية. فالثورة العسكرية معناها أن قائد الجيش يذهب إلى مكتبه وبموجب سلطاته - كقائد - يعطى الامر فيتحرك الجيش ويستولى على السلطة - بينما كان هدف الضباط الاحرار هو القيام بثورة سياسية شاملة تكون أداتها الجيش بعد ان سدت امام مصر كل القنوات الدستورية والشرعية للاصلاح، والثورة السياسية معناها إذن الاتفاق ووحدة الهدف وليس الامر، لان الضابط الذى تحرك فى ليلة الثورة قام باتفاق ورضا واقتناع بمبادئ.

حتى أن خطة تنفيذ الثورة وهى خطة عسكرية كانت اتفاقية تخللها الكثير من الحوار والنقاش!

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: الآن فقط ازيح الستار عن وثائق الخارجية البريطانية فإننا نعرف مثلا أن أول اشارة عن الثورة تلقتها الخارجية البريطانية كانت من سفارتها فى بيروت وليس من القاهرة، حيث تقول كلمات البرقية التى خرجت من بيروت إلى وزارة الخارجية

البريطانية فى الساعة العاشرة وأربع وأربعين دقيقة ما يلى: تسود اشاعات قوية وغير مؤكدة عن وقوع انقلاب عسكرى فى مصر فى الساعات الاولى من صباح اليوم.

وسؤالى إليك ينسحب إلى ليلة الثورة نفسها. فأسألك هل وضعت الثورة فى «بالها» امكانية تدخل الانجليز وقتها لحماية الملك وإجهاض الثورة؟!

قال الدكتور محسن عبد الخالق: هل تتصور مثلا ان اجتماعات الضباط الاحرار التى كانوا يعقدونها قبل الثورة، كانت اجتماعات يدخنون فيها الحشيش مثلا أو يلعبون القمار أو يسكرون كما حاول مرتضى المراغى باشا وكان آخر وزير داخلية قبل قيام الثورة - أن يصور بعضنا فيما كتبه من ذكريات فى مجلة أكتوبر مؤخراً، ياعزيزى لقد كان احد الاسئلة الدائمة المطروحة فى اجتماعاتنا هو: حول امكانية التدخل الانجليزى لاجهاض الثورة كما سبق وفعلت لثورة «احمد عرابى» وكان كل منا يقدم رؤيته وتصوره فى هذا الشأن، وعن نفسى فقد قدمت دراسة بهذا المعنى. لقد كان هذا الامر يشغل بالنا دائما، وحدثت فيه مناقشات ودراسات متعددة وعرضت حلول وبدائل!.

قلت ثانية: رغم ان رجل المخابرات الامريكية الشهير «مايلز كوبلاند» اشار فى كتابه لعبة الامم إلى أن الحكومة الأمريكية عرفت بأنباء الانقلاب كما عرفه الجميع من الصحف «إلا أن البعض يفسر اتصال الثورة بامريكا فى الساعات الأولى لقيامها بأنها كانت «امريكانية»!! فماذا تقول؟!

أجاب: أقول عن اتهام الثورة بانها «امريكانية» لأنها اتصلت بامريكا. أرجو لمن يقول هذا أن يسأل الاستاذ محسن محمد وهو المهتم بامر الوثائق البريطانية والأمريكية التى ازيح عنها الستار مؤخرا، هل وجد فى هذه الوثائق ما يدل أو يفيد - من قريب أو بعيد - على أمريكية الثورة؟ بالعكس إن مستر إيفانز نفسه - مساعد الملحق الجوى الأمريكى علم بالثورة حوالى الساعة الرابعة أو الخامسة صباحاً، بينما كان تحرك قوات الضباط الأحرار قد تم فعلا قبل ذلك بساعات!!

وتسأل عن حكمة ايفاد الثورة «لعلى صبرى» ولم يكن من الضابط الأحرار للاتصال بمستر ايفانز بالسفارة الأمريكية، واقول إن الاتصال بالسفارة الأمريكية كان ضرورة سياسية لتحييد إنجلترا بكسب أمريكا لجانب الثورة

وتطمينها على نواياها . بل وأردنا أن تتعاطف امريكا مع الثورة الوليدة، وأمريكا نفسها - كما يعلم الجميع - لم تكن راضية عن حكم فاروق فى سنواته الاخيرة، بل ونصحته بالثورة البيضاء وتوزيع الأرض والعدالة الاجتماعية.. إلخ فقد كانت تخشى على استراتيجيتها فى المنطقة من التسلل الشيوعى، والذى يمهد له فساد الحكم الملكى والملكيات الكبيرة وتصرفات غالبية الطبقة الحاكمة والقوى السياسية فى ذلك الوقت.

لماذا لم يعزلوا الملك!

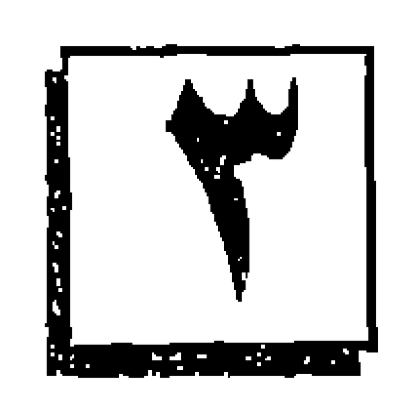
قلت للدكتور محسن عبد الخالق: قرأت اخيراً فى المذكرات التى نشرها الاستاذ ابراهيم فرج احد اعمدة الوفد وسكرتيره العام يقول: كنا نعم - أى الوفد - ان الملك هو العدو الاول، وخطط الوفد لعزلة عن العرش، وتفاصيل ذلك مكتوبة فى محضر يحتفظ به سليمان غنام باشا، ولم ينفذ الوفد قرار عزل الملك لأن الثورة سبقت الوفد فى ذلك (ص ٧٩) فماذا تقول؟!

ابتسم الدكتور محسن عبد الخالق - ربما للمرة الاولى فى حوارنا الطويل وقال لى:

- دعنى أقول للاخ والصديق ابراهيم فرج: فلنترك وفد ما قبل ١٩٥٠ ولنناقش الوفد بعد ذلك التاريخ. فقد جاء إلى الحكم باغلبية ساحقة فى الانتخابات، وحصل على الاغلبية البرلمانية، فلماذا لم يعدل الدستور؟! ولماذا لم يقف فى وجه تصرفات الملك العابثة بالدستور والحياة النيابية؟

وبالتالى لماذا لم يعزل الملك! ولماذا فقد الوفد عضلاته وقوته فى مواجهة الملك فى واقعة حريق القاهرة، وكانت الفرصة امامه مواتية.

وأرجو ان نشطب من قاموس حياتنا كلمة «حا» وكلمة «كنا»..



فلسطين ٤٨

ماذا جرى بالضبط فى حرب فلسطين ؟ !

لقد كان عدد كبير من الضباط الاحرار أبطال ونجوم هذه الحرب . . استشهد من استشهد ! ! وحارب من حارب ! ! وفى نهاية المطاف عادوا من الحرب لتختمر فى نفوسهم فكرة الخلاص من كل الأوضاع القائمة . . وقد كان ! !

وفى هذه الحرب أنقذ محسن عبد الخالق البكباشي جمال عبد الناصر ، وكان محسن أحد الأبطال الذين تحدثت عنهم صحف ما قبل الثورة ! !

عرفت عبد الناصر:

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: ما ظروف تعرفك على جمال عبد الناصر؟ وكيف ومتى بدأت العلاقة مع رجل غير وجه مصر وتاريخها السياسى والاجتماعى؟

قال : عندما التحقت بالكلية الحربية عام ١٩٤٢ كان جمال عبد الناصر يدرس لنا ، وكان وقتها برتبة «يوزباشى» ولا استطيع ان ازعم ان علاقة ما قد نشأت ، فلم تكن سوى علاقة طالب بالكلية بأحد اساتذته الذى يكن له كل التقدير والاحترام، هكذا كان شكل العلاقة مع جمال عبد الناصر .

اما العلاقة الوثيقة معه فقد بدأت ونمت فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وبالتحديد فى معركة «تقاطع الطرق» وكان ذلك بعد الهدنة الاولى أو الثانية على ما اذكر ، فحتى ذلك الوقت كان الجيش المصرى يحتل النقب ، وايضاً المجدل ، والخليل ، وبيت لحم ، بل ووصلت وحدات المدفعية إلى منطقة «اسدود» وهى على مسافة حوالى ٣٥ كيلو متراً من بلدة يافا ، وكانت مدافعها (٢٥ رطلا) يصل ضربها إلى ضواحى تل ابيب نفسها ، وكنت احد افراد المدفعية التى وصلت إلى اسدود وكان معى الزملاء فتح الله رفعت وعلى فهمى شريف وآخرون .

والذى أذكره جيداً أنه بعد الهدنة مباشرة حاولت القوات اليهودية ان تهجم على «تقاطع الطرق» بهدف فتح ثغرة أو منفذ يستطيعون بواسطته ان يتصلوا بمستعمراتهم في الجنوب والتى كان الجيش المصرى يحاصرها (على ما اعتقد كان عدد هذه المستعمرات ٥٤ مستعمرة) وأذكر ان الاسرائيليين طلبوا المفاوضة على الانسحاب من هذه المستعمرات، ولكن اصرت القيادة المصرية على التسليم الكامل، وكنت حاضراً عندما طلب مندوب الامم المتحدة السماح لليهود بتموين مستعمراتهم في منطقة النقب إلى ان تنتهى المفاوضات الخاصة بهذه المستعمرات.

وفى أحد أيام الراحة توجهت لزيارة زميل لي في منطقة «عراق سويدان» التى كانت إحدى نقاط البوليس التى اقامها الانجليز ويومها كانت الكتيبة التاسعة - كتيبة الاميرالاى «كامل الرحمانى» تهجم على مستعمرة «نجبة» اليهودية، وفى نفس الوقت كانت الكتيبة السادسة - مكلفة بحماية يسار الكتيبة التاسعة - وكان جمال عبد الناصر هو اركان حرب الكتيبة السادسة، واستمر الهجوم المصرى حتى ما بعد الظهر تقريباً حينما صدرت الاوامر للكتيبة التاسعة بالانسحاب حتى تستطيع أن تعيد تنظيم صفوفها من جديد وان تضع خطة اخرى.

وكما قلت لك فقد كنت ذاهباً لزيارة زميلى الموجود في منطقة «عراق سويدان» وبمرورى على تقاطع الطرق تقابلت مع مركز قيادة الكتيبة السادسة الموجودة على التباب شمال مستعمرة «نجبة» وساعتها كانت القوات اليهودية تتحرك من عراق المنشية لمحاصرة مواقع الكتيبة ومنع انسحابها.

وهنا اتصلت بمركز قيادة مدفعية الميدان «احمد حسن الفقى» الذى قام بوضع وحدات مدفعية المجدل واسدود تحت قيادتى «كضابط موقع امامى» بهدف حماية الانسحاب، وكانت الخطة تقضى بان نغطى قوات الكتيبة السادسة بغلالة من النيران واخرى من الدخان لتأمين الانسحاب، وكان لزاماً على ان اتحرك إلى موقع اتمكن منه من اعطاء الاوامر للمدفعية لتنفيذ خطة النيران المطلوبة لتأمين هذا الانسحاب، ورافقنى الصاغ جمال عبد الناصر «الجريح» والذى كان قد اصيب قبل ساعات في إحدى هجمات اليهود، رافقنى جمال عبد الناصر فى

عربتي المدرعة واخترقنا خطوط اليهود في معركة شرسة، وتمكنا من حماية الانسحاب.

هذه كانت بداية المعرفة، رحلة موت على ارض فلسطين وعدنا بعدها واصبحنا نتقابل يومياً تقريباً، وبدأت صداقة كبيرة قامت على علاقة السلاح والدم والمصير الواحد.

اشحنوا البقر للمزارع الملكية!

حاولت استفزاز ذاكرة الدكتور محسن عبد الخالق كي تبوح لي بالمزيد من التفاصيل التي لا يعملها الكثيرون من أبناء جيلي وقرأت عليه سطوراً من كتاب «يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين» اعداد الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل، وكان عبد الناصر يروى بعض ذكرياته عن حرب فلسطين فقال: لقد اتضح لي عندئذ ان المعركة الحقيقية هي بالفعل في مصر، كما كان يقول البطل احمد عبد العزيز، فبينما كنا ورفاقي نحارب في فلسطين، كان السياسيون المصريون يكدسون الأموال من أرباح مشتريات الاسلحة، ولقد كان من الضروري ان نركز جهودنا على ضرب «اسرة محمد على» فكان الملك «فاروق» هو هدفنا الاول من نهاية عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢».

انتهى ما نسبه هيكل إلى جمال عبد اناصر، وعدت أسأل الدكتور محسن عبد الخالق: كيف اكتشفتم بالضبط أن المعركة الحقيقية مكانها مصر أولاً، وليس مسرح العمليات على أرض فلسطين؟! وماذا جرى بالضبط في حرب ١٩٤٨ ثم لماذا كانت الهزيمة في النهاية؟!

بعد لحظة صمت: قال لي الدكتور محسن عبد الخالق:

- نعم رأينا في فلسطين صورة مصر الحقيقية، إن الحرب في النهاية هي عبارة عن نظام دولة كامل في مواجهة نظام آخر، والنظام القوى المتكامل هو الذى يفرز جيشاً قوياً متكاملاً، والعكس صحيح!.

لذلك أقول إن أحداث حرب ١٩٤٨ كانت هزيمة للنظام السياسي الموجود أولاً، فلقد أدى الضباط والجندى المصرى واجبهما بكفاءة وبطولة، وتقدم

للتضحية والموت بكل جرأة وشجاعة، وأذكر ان معركة «تبة لطفى» التى تطوعت لقيادتها فى اخر يوم من ايام حرب ١٩٤٨ والتى استمرت حوالى ١٢ ساعة متواصلة ومات فيها نصف القوة المصرية، وكل الكتيبة اليهودية التى كانت تهاجمنا فى هذه المعركة، طلبت من المدفعية المصرية ان تضرب على مواقعنا نحن.. وبسبب ما قمنا به فى هذه المعركة توثقت علاقتى مع الاميرالاى «محمد كامل الرحمانى» بل ومع اللواء «فؤاد صادق» قائد عام الجيش.

واحب ان اقول هنا إن حرب فلسطين هى أطول حرب نظامية خاضتها مصر، فقد بدأت الحرب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وانتهت فى ٥ يناير ١٩٤٩، أى أنها استمرت حوالى سبعة شهور، صحيح أنها لم تحقق الهدف العشوائى لها كما تخيله السياسيون والذى تلخص يومها وببساطة فى (انهاء الدولة الاسرائيلية) ولكنه كان هدفاً غير واقعى بالمرة كما تصوره ساسة مصر فى ذلك الوقت خصوصاً وسط الظروف الدولية التى كانت قائمة فى وقتها، بالاضافة إلى مساندة القوى الدولية لقيام الدولة الاسرائيلية.

وعلى العموم فقد انتهت الحرب، وقطاع غزة لا يزال موجوداً تحت السيطرة المصرية!!

وللأسف الشديد فقد بدأت المعركة على ارض فلسطين وانتهت، ولم يدرك سياسيونا لا ابعاد المشكلة، ولا متطلبات المعركة. بل كانوا فى عالم آخر تماماً.. اللهم إلا من التصريحات الكلامية!!

وأذكر اننى كنت ضمن القوات المصرية التى دخلت أول مستعمرة إسرائيلية وهى «دير سنيد» ولأول مرة فى حياتنا نرى «البقر الفريزيان» ودجاج المزارع، وإذا ببرقية سرية عاجلة تصل من السراى الملكية تقول كلماتها:

- اشحنوا البقر والفراخ إلى المزارع الملكية!

ولذلك قررنا وقتها أن نذبح الدجاج ونوزعه على الجنود دون الضباط.

حكاية الأسلحة الفاسدة!!

وجدتنى أستوضحه المزيد فى مسألة.. «الاسلحة الفاسدة» حيث طلع علينا حزب الوفد - عبر صفحات جريدته - بسلسلة مقالات ذهب فيها

إلى أن الاسلحة الفاسدة لم تكن سوى أسطورة أثبت القضاء كذبها قبل وبعد قيام الثورة (الوفد ٢٧ ديسمبر ١٩٨٤) وانها «زوبعة في فنجان هدفها الاثارة والتجريح» (الوفد ٣ يناير ١٩٨٥) رغم أن الدكتور ابراهيم عبده أحد اقلام الوفد المتخصصة الآن في الهجوم على ٢٣ يوليو سبق له ان قال عام ١٩٦١ في كتابه «روزاليوسف سيرة وصحيفة» إن الاسلحة الفاسدة كانت تجارة الملك واعوانه، وهذه الاسلحة التي كانت سبب النكبات التي شهدناها».

وقلت للدكتور محسن عبد الخالق: ما هي بالضبط حكاية الاسلحة الفاسدة كما عشتها ولمستها على أرض المعركة وفي فلسطين؟!

قال لي: سبق أن قلت لك إن الحرب هي نظام دولة في مواجهة نظام دولة اخرى. ومن هنا لابد أن تهيئ القيادة السياسية للدولة كل السبل التي تمكن قواتها العسكرية من تحقيق النصر، ولذلك فلا يوجد نظام سياسي لدولة محترمة إلا ويدرك ما نسميه نحن متخصصي العلوم السياسية نظرية القوة وأبعادها، ومن بين عناصر القوة الشاملة للدولة تأتي القوة المجردة ونقصد بها القوة العسكرية.

إنني اسوق هذه المقدمة لاقول لك إن الاسلحة ليست تجارة فقط بل لها بعد سياسي في المرتبة الاولى، ومن هنا فإن على أي مشتغل بأمور السياسة الدولية ان يعرف كل ما يتعلق بالسلاح والتسليح، إذ ليس السلاح سلعة تموينية مثلا! وهنا أسأل كيف سمح النظام السياسي الموجود قبل ١٩٥٢ «لادمون جهلان» التاجر اليهودي وغيره أن يتولى شراء السلاح والذخيرة التي كان جيش مصر يحارب بها اسرائيل؟ كيف يعقل هذا ياسيدي؟ وكيف امن النظام إمداد الجيش بالاسلحة؟

ومع ذلك فالثابت امامنا ان الاسلحة التي كانت لدى الجيش لكي يخوض بها حرب فلسطين كانت إما غير مناسبة لطبيعة المعركة، أو غير صالحة للاستعمال أو قديمة، اما الكثير من الاسلحة التي تم شراؤها اثناء المعركة فلم تشتر من مصادرها الاصلية، ولكن من سماسرة السلاح الذين يتجرون في مخلفات الجيوش ومخزونها القديم وكذلك من مخلفات الحرب العالمية الثانية، والنتيجة في النهاية واحدة. وهي أن الجيش كان يعاني من نقص شديد في الاسلحة

والذخائر ومن عدم صلاحيتها للمعركة، اما القول بامداد الجيش باسلحة فاسدة وبتعمد فهو قول يحتاج لايضاح آخر.

لقد سلح الاسرائيليون انفسهم اثناء الحرب وبالذات بعد الهدنة الاولى والثانية، واشتروا الاسلحة من الكتلة الشرقية! فلماذا غاب ذلك عن فكرنا؟! والخلاصة انه في نهاية الامر فإن الاسرائيليين اشتروا الاسلحة لجيشهم، بينما مصر لم تكن على مستوى كاف من الفعالية مما اثر على قدرة جيشها القتالية على ارض المعركة، ومن هنا يحق لنا التساؤل: اين كان السياسيون الذين يقودون مصر؟ واين كانت القوى السياسية اثناء المعركة، وما الذى كان يشغلها عن معرفة الحقائق. هذا من ناحية متطلبات المعركة، ومن ناحية اخرى واعنى بها الناحية المعنوية، فقد كان الواحد منا عندما يرجع إلى القاهرة فى إجازة، فقد كان يعود حزيناً كسيف البال، فقد كانت الحياة فى شارع الهرم والاوبرج والكازينوهات والاضواء والموسيقى على ما هى عليه من العبث واغتراف المتعة، وكأن مصر لا تحارب معركة مصير على حدودها، وكأن جيشها وزهرة ابنائها لا يحاربون معركة شرسة.

لقد عشنا سنوات الحرب العالمية الثانية، ورأينا كيف كانت مصر تحارب مظهريا على الاقل إلى جانب انجلترا «هناك حظر تجول، الاحكام العرفية، تخفيض الاضاءة ليلاً... الخ» فالاحساس النفسى كان يشير إلى ان هناك حرباً دائرة، أما فى حرب فلسطين، فلقد ارسلت الحكومة الجيش إلى ميدان المعركة، أما ما عدا ذلك فلا شأن لها به.

ولذلك قلت لك إن حرب فلسطين جعلتنا ندرك أن ميدان المعركة هو القاهرة، لقد كان تأثير هذه الحالة شديد أعلى معنويات الضباط إلى درجة أننى شخصياً عندما حان موعد إجازتى التالية وجدت نفسى لا أريد النزول للقاهرة، رغم اننى كنت وحيد والدىّ، فقد تغير ما بداخلى تغييراً كاملاً، واصبحت احس بان انتمائى وولائى الحقيقى هو لمن يوجدون على ارض المعركة فى فلسطين وليس لمن يوجدون فى القاهرة.

وما أريد قوله هو أن حرب فلسطين اصبحت الاب الشرعى للضباط الاحرار، حيث كنا نجتمع ونتحاور ونتناقش كل يوم حول الاوضاع السائدة فى الجيش

وفي المعركة، وفي القاهرة، وبدأ وعينا السياسي ينضج أكثر، بل اصبح اكثر عمقاً، وبدأنا ندرك حتمية تغيير النظام السياسي الذى لا يعبر عن حقيقة مصر وابنائها من الجنود والفلاحين والبسطاء، وبدأ يولد في نفوسنا واقع جديد انضجه وعمقه حجم المأساة التي نعيشها!.

حوار عبد الناصر مع «آلون»:

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: نشرت الصحافة الغربية اخيرا أن لقاءات عديدة جرت بين جمال عبد الناصر وبعض قادة اسرائيل اثناء حرب فلسطين، وجرت بينهم حوارات ومناقشات، بل إن محمد نجيب ألمح في مذكراته «ص ٨٢» إلى ذلك بقوله: «في اثناء الهدنة مع اليهود جاء ضباط يهودى اسمه كوهين يسأل عنه - يقصد عبد الناصر - ولم يكن موجوداً»، فكتب له خطاباً وتركه مع ضابط كان من الاخوان المسملين اسمه «معروف الحضرى» فما حقيقة هذه الاتصالات بالفعل؟!

قال لي: حدث نوع من «التحادث» فعلا بين جمال عبد الناصر وبين شخصيات اسرائيلية وبالتحديد مع «إيجال آلون» فى الفالوجة، ولم يكن حواراً سياسياً أو عسكرياً ولكن كان بشأن طلب اسرائيل سحب قتلاها الذين قتلوا قبل ذلك بايام، ووافق عبد الناصر على هذا المطلب الانساني، وهذا ما اعرفه من هذه الواقعة، وللعلم والتاريخ فإن محمد نجيب - رحمه الله - لم يكن فى الفالوجة.

قلت: هل حدثت اتصالات بين الضباط الاحرار وجهات اخرى بشأن حرب فلسطين ١٩٤٨؟!

قال الدكتور محسن عبد الخالق: نعم، اذكر عندما قدم برنادوت مشروعه الشهير بتقسيم جديد لفلسطين كان رأينا أن نقبل هذا المشروع ونجلس لنتفاوض حيث كان الجيش المصرى يمتلك بيده اسدود والنقب وبيت لحم، ولم يكن لدى الجيش القوة الكافية أو القدرة للدفاع عن هذه الجبهة الطويلة، وانتدبت للنزول إلى القاهرة لأتصل بالسياسيين «متخفياً»، وفشلت في مقابلة احد، فقررت التوجه إلى السيدة «امينة السعيد» وكانت تكتب باباً شهيراً فى المصور هو «أسألونى» ووجدت نفسي اصعد إلى مكتبها، وحكيت لها عن سبب

مجيئى، وشرحت لها كل شىء على الورق والخرائط واذكر أننى قلت لها: إحنا مش لاقيين راجل في البلد غيرك نقدر نكلمه.

وتحمست السيدة امينة وقالت لى: هل تقصد ان المفاوضة في صالح مصر وقلت لها: إن التفاوض أفضل من ان تضيع فلسطين كلها من بين ايدينا، ووعدتنى السيدة امينة من جانبها بأنها ستحاول بذل كل ما في وسعها (كان زوجها المرحوم الدكتور عبد الله زين العابدين استاذى فى كلية الزراعة).

ومشيت من عندها على أن اعود إليها بعد ايام، وحاولت السيدة امينة ان تقنع السياسيين وعلى رأسهم «عبد الرحمن باشا عزام» امين جامعة الدول العربية ليتفهم حقيقة الوضع فى فلسطين ولكنها فشلت، وعندما زرتها لاعرف منها ما وصلت اليه قالت لى بأسى وحزن:

ارجع تأنى يا ابنى على الجبهة، ما حدش هنا فاضي يسمع شيء، ولاحد فاهم حاجة!.

اذن كانت القيادة السياسية فى واد وطبيعة معركة فلسطين فى واد آخر تماماً، وفيما بعد لم يحاول احد ان يفهم مغزى ان ٩٠ ٪ من الضباط الاحرار اشتركوا في حرب فلسطين، ولم تدرس القوى السياسية مدى انعكاس هذه الحرب على نفسية هؤلاء الضباط الذين ضاعت منهم الحرب بسبب النظام القائم في مصر التى كانت لاهية تماماً، فلم تنتبه إلى تلك الشعلة الوطنية القادمة من فلسطين.

من ناحية اخرى كانت حرب فلسطين هى قمة النضج السياسى للضباط الأحرار، ففيها بدأت حواراتنا السياسية تأخذ أبعاداً مختلفة، وعلى ارض معاركها وعلى صوت طلقات الرصاص فيها أدركنا ان المعركة الحقيقية تبدأ من مصر.

ولم ينتبه أحد إلى خطبة الوداع التى ألقاها اللواء «احمد فؤاد صادق» فى رفح وما تضمنته كلمته من عبارات نارية ختمها بقوله: إذا كان من اسرائيل حاربنا موسى شرتوك فمن القاهرة المئات من موسى شرتوك.

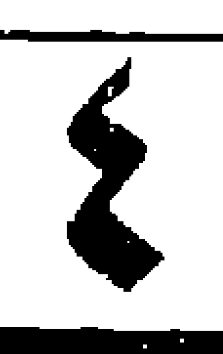
وعلى ذكر خطبة الوداع هذه فقد كنا قد اتفقنا - الضباط الشبان - على طلب تعيين اللواء «فؤاد صادق» رئيساً لأركان حرب الجيش ووقع على الاختيار

لاعلان ذلك الطلب بعد ان ينتهي الرجل من إلقاء كلمته، فيومها بدأ الرجل بقوله: لنقف تحية للابطال الشهداء، ولنقف أيضاً لأبطال الفالوجة ولكنني ارفع «الكاب» تحية لمن دافع عن شرف الجيش المصرى فى معركة «تبة لطفى».

أشار فؤاد صادق ناحيتي المهم أنني عندما ذهبت لاشكر الرجل علي كلمته وأعلن ما سبق ان اتفقنا عليه نحن الضباط من أمر طلب تعيينه رئيساً لاركان حرب الجيش، فوجئت بالاميرالى محمد كامل الرحماني يجذبني من يدى ويمنعني من الصعود علي المنصة ويبدو ان اتفاقنا كان قد تسرب، وأراد الرجل ألا يزيد الموقف تعقيداً مع الملك وقتها.

باختصار شديد دعني اقرر لك أن النظام السياسى الذى كان يحكم مصر قبل ١٩٥٢ هو الذى انهزم فى تلك الحرب، وأن الضباط الأحرار عادوا من حرب فلسطين وقد انضجبتهم المأساة التى عاشوها ولمسوها..

وخلال ثلاث سنوات بالضبط كانوا قد قاموا بثورتهم.



سر الضباط الأحرار!

حتى الآن لا يزال تنظيم الضباط الأحرار لغزاً من الألغاز!

هل كان عبد الناصر هو صاحب الفضل الأول والرئيسي في تكوينه أم كان الرئيس أنور السادات؟!

وماذا جرى بالضبط ليلة الثورة؟! وما سر ذهاب السادات إلى سينما منيل الروضة؟!

وحقيقة اتصال السادات بالحرس الحديدي وموقف عبد الناصر من هذه الاتصالات!

ومن صاحب تسمية «الضباط الأحرار» على وجه التحديد؟!

و... و... و...

وجدتني أسأل الدكتور محسن عبد الخالق - بصفته من الضابط الأحرار الذين غيروا وجه مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ما حكاية تنظيم الضابط الأحرار بالضبط؟! إن من يقرأ مذكرات وأحاديث قادة وثوار يوليو يتصور على الفور أنه كان هناك أكثر من تنظيم للضباط الأحرار!.

هناك مثلا حكاية الضباط الأحرار كما رواها الرئيس السادات! وهناك قصة الضباط الأحرار كما رواها عبد اللطيف البغدادي! وهناك رواية الضابط الأحرار كما رواها هيكل منسوبة لجمال عبد الناصر! ثم حكاية الضابط الأحرار كما جاءت على لسان الرئيس محمد نجيب.

قال الدكتور محسن عبد الخالق: دعني أعود بك إلى ما بعد معاهدة ١٩٣٦ فبعد هذا التاريخ التحق بالكلية الحربية أبناء الطبقة المتوسطة في مصر، وعلى نطاق واسع وكبير، وبالتالي حدث تطور فكري من خلال نوعية هذا الضابط الجديد، بالإضافة إلى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وما لازمها من أحداث وفورات وطنية، وخلال هذه السنوات كان قد تخرج عدد كبير من

الكلية الحربية من هذا الجيل الجديد، وانعكاساً وصدى لما كان يمر بمصر من حركات وطنية. ظهرت بالتبعية داخل الجيش مثل هذه الحركات الوطنية المتعددة.

وقد كان من أبرز هذه المظاهر الوطنية مثلا امتناع الضباط في مرسى مطروح عن تسليم أسلحتهم للجيش الانجليزى، بعد أن صدرت إليهم الأوامر بذلك، وكذلك اشترك الضباط في حادثة عزيز باشا المصرى حيث حاولوا تهريبه إلى خارج مصر، وهروب بعض الضباط إلى الخطوط الأمامية، واعتقال بعض الضباط عام ١٩٤٢ .. وغيرها وغيرها من الحوادث.

ويمكننا القول إذن أنه ظهرت في الجيش حركات وطنية، وتجمعات وطنية، وكانت كلها صدى وتجاوباً بطريقة أو بأخرى مع الأحداث الوطنية العامة.

أما بالنسبة لى فقد تخرجت في الكلية الحربية في ويوليو ١٩٤٤، وأذكر أنه بعد ذلك بفترة قصيرة، بدأنا ننتظم في حضور ندوات جماعة الإخوان المسلمين، ثم بدأنا بعدها مرحلة تكوين مجموعاتنا الوطنية الخاصة بنا، وكان من رعيلها أصدقاء العمر: فتح الله رفعت، أبو الفضل الجيزاوى، عبد الحميد كفافى، جمال منصور، سعد عبد الحفيظ، مصطفى نصير، عباس رضوان.. وغيرهم.

ومازلت أذكر أول اجتماع لنا في منزل الصديق عبد الفتاح أبو الفضل في شارع البرامونى بعابدين، وكانت الاجتماعات تعقد إما في هذا العنوان في غرفة على سطح البيت، أو في منزل مصطفى نصير بالسيدة زينب!.

وأرجو أن تعود إلى كتاب عبد الفتاح أبو الفضل الذى صدر منذ أيام واسمه «كنت نائباً لرئيس المخابرات، حيث يقول (ص ٣٠) وما بعدها كنا نتناول في هذه الاجتماعات شبه السرية الأمور الوطنية العامة، والامور الخاصة بالجيش».

وقد قبض على عدد منا (٢٧) في عام ١٩٤٧ في أول حركة إصلاحية لنا وكانت هذه الحركة تطالب وقتها بإبعاد اللواء إبراهيم عطا الله رئيس الأركان، وتعتبر هذه أول صحوة لضباط الجيش المصرى والتى سايرنا فيها الملك فأحيل اللواء عطا الله إلى المعاش، ومازلت أذكر كيف كنا تقوم بجمع الأموال لإرسالها لأسرة الضباط المقبوض عليهم بمعدل ضعف المرتب الذى كان يتقاضاه كل منهم، كما لم تتوقف المنشورات بل تابعنا نشرها وإرسالها.

إذن كنا نجتمع ونتناقش ونتحاور فى القضايا العامة التى تهم مصر، وللتاريخ أقول إن الذى اشترى الآلة الكاتبة التى كنا نكتب بها المنشورات هو الاخ «جمال منصور» مساعد وزير الخارجية فيما بعد - وقد اشتراها له شقيقه سعد منصور، وكان ثمنها فى ذلك الوقت ٣٣ جنيها، وكان جمال هو الذى يكتب المنشورات بنفسه ويقوم بطبعها موظف بالسكة الحديد اسمه «شوقى عزيز» وكانت المنشورات فى ذلك الوقت نوقعها باسم «الضباط الوطنيين».

وللتاريخ أيضا أقول إن «جمال منصور» (ومجموعته من ضباط سلاح الفرسان هم أصحاب اسم «الضباط الأحرار»، فقد كان اسم «الضباط الوطنيين» اسماً ثقيلاً بعض الشيء وبالمناسبة فقد كنت أقرأ أخيراً أحد الكتب الهامة عن أحمد عرابى، وجدت أن التنظيم الذى كان ينتمى إليه عرابى كان اسمه «الضباط الأحرار»).

ولقد ظلت الالة الكاتبة فى حوزة جمال منصور فترة طويلة من الزمن، إلى أن طلب إليه جمال عبد الناصر عام ١٩٥٠، ١٩٥١ أن تكون الآلة الكاتبة عنده، ومن هنا قام جمال منصور بتسليمها إلى حسن إبراهيم - عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد - بمطعم سفير فى مصر الجديدة!.

ومن الضرورى أن أقول لك إن مجموعتنا لم تكن المجموعة الوحيدة فى الجيش، بل كان هناك تجمعات أخرى فى مواقع مختلفة، مجموعات سبقتنا وأخرى لحقت بنا.

ونعود لعام ١٩٤٧ حينما اجتاحت الكوليرا مصر، وشارك الجيش بمجهود كبير فى الإنقاذ من الوباء، وكنا بين وحدات الجيش التى وصلت إلى منطقة الوباء فى «القرين».. وفى نفس العام صدر قرار تقسيم فلسطين، وبدأت الحركات الوطنية فى الجيش تأخذ اتجاهات وطنية اكثر عمقاً من الناحية السياسة، واتصلنا بالمجاهدين الفلسطينيين ومتطوعى جماعة الإخوان، وكنت مع الزميل فتح الله رفعت من بين الذين قاموا بتدريب المتطوعين تدريباً عسكرياً، وكنا فى ذلك الوقت قد انتقلنا إلى العريش، وكنا نقوم أيضا بإحضار السلاح من الصحراء الغربية - من مخلفات الحرب العالمية الثانية - ونبعث به إلى الحركة الوطنية الفلسطينية ووفرنا لهم بعض إمدادات الوقود والبنزين.

أما عن تدريب المتطوعين من الإخوان المسلمين، فقد أقمنا لهم معسكراً للتدريب على شاطئ البحر في العريش، وكان الشيخ «سيد سابق» هو القائد الروحي لهذا المعسكر الذي كان يرأسه الأستاذ فريد عبد الخالق، وفي العريش بدأت تنمو بذور استقلالنا الفكري والتي أدت بنا بطبيعة الحال إلى نمو رؤيتنا السياسية، ومن ثم استقلالنا عن أية تنظيمات أخرى ومن بينها تنظيم جمعية الإخوان المسلمين!.

إذن - وكما سبق أن قلت لك فإن حرب فلسطين كانت بمثابة أداة النضج السياسي لتنظيمات الضباط الوطنية العديدة في الجيش المصري حينذاك، فبدأ مثلاً حوارهم السياسي يأخذ شكلاً أعمق وأنضج، وعلى أرض فلسطين بدأت تتجمع كل الحركات الوطنية التي كان يموج بها الجيش في ذلك الوقت، كما أوجدت هذه الحركات الوطنية رأياً عاماً قوياً داخل الجيش.

وانتهت الحرب في ٥ يناير ١٩٤٩ وعدنا للقاهرة، وبدأنا نجتمع بانتظام ونتحاور ونتناقش، وأصدرنا المنشورات والتي عجز البولس السياسي وقتها أن يحدد من وراءها ومن يطبعها ويقوم بتوزيعها، بل ووصل الأمر إلى أن هذه المنشورات كانت تخترق قصر الملك فاروق نفسه دون أن يكتشف أيضاً من وراءها؟! وكان أنور السادات كما أبلغني جمال عبد الناصر - أحد الذين أوصلوا هذه المنشورات إلى القصر الملكي لصلته بطبيب الملك يوسف رشاد!!.

اتصال السادات بالحرس الحديدي:

وعند هذه النقطة بالضبط وجدتني أقاطع الدكتور محسن عبد الخالق وأستأذنه في سؤال طال الجدل حوله، حكاية تنظيم الحرس الحديدي الذي كان يتزعمه الدكتور يوسف رشاد طبيب الملك الخاص، وقد كان أنور السادات عضواً فيه! وما قيل وشاع عن دور الحرس الحديدي في الفتك بأعداء القصر والملك؟ ومدى علم جمال عبد الناصر ومعرفته بصلة السادات بهذا التنظيم، كان هدفي من هذه الأسئلة وضع كثير من النقط فوق كل الحروف والكلمات!!.

قال الدكتور محسن عبد الخالق : هذا الموضوع برمته بحثته بنفسي ، والذى كلفني بذلك هو جمال عبد الناصر شخصياً ، وقمت بإعداد تقرير شامل حول هذا الموضوع ، وأذكر انني سألت جمال عبد الناصر سؤالاً واضحاً لا يحتمل اللبس .

هل كلفت أنور السادات بالاتصال بالحرس الحديدى ؟

وكانت إجابة عبد الناصر على سؤالي : نعم أنا الذى كلفت السادات بهذا ؟

وهنا لابد أن اقف قليلا وأتساءل : إما أن أثق فى كلام عبد الناصر لى وهو الرجل الذى أعطيناه أمانة قيادة تنظيم الضباط الأحرار ومنحناه ثقتنا الثورية ، وإما أن نصدق الشائعات وقد تسألنى التقييم لرئاسة جمال عبد الناصر لتنظيم الضباط الأحرار ، فأقول لك على الفور : من ناحيتى ومن ناحية مجموعتنا ، فإن جمال عبد الناصر لم يفرض علينا بقوة الرتبة التى كان يحملها ، ولكننا اخترناه اختياراً حراً واعياً لقيادة الضابط الأحرار .

قلت له : دعنى أسألك ولماذا عبد الناصر وحده دون غيره من الضباط الأحرار؟

قال الدكتور محسن عبد الخالق : أقول لمن يسأل مثل هذا السؤال إن جمال عبد الناصر كان رجلاً هادئاً ، تميز بالاحترام المطلق بيننا . قوى الشخصية ، متزناً عميق التفكير ، مع امتلاكه قدرة فائقة على تحليل المواقف برؤية صافية ، كما كان يتمتع بجاذبية شخصيته والقدرة على استقطاب جماعات الضباط الأحرار ، وهو رجل ليس له نزوات تشينه أو تدينه . واسع الأفق ، مستمعاً ممتازاً ، قارئا عميقاً ، قادراً على الفهم والتحليل ببراعة كبيرة ، ومتعدد الجوانب والأبعاد ، وباختصار كان جمال عبد الناصر يمتلك كل مقومات الزعامة ، ولهذا اتفقت كافة الجماعات الوطنية التى انضمت إلى بعضها بعد حرب فلسطين على اختياره قائداً وزعيماً ، أو على الأقل لم تعارض هذا الاختيار .

وليس معنى أن يختلف بعضنا مع جمال عبد الناصر لأى سبب من الأسباب أن ننكر عليه أنه كان زعيم الضباط الأحرار وكان زعيم ثورة ٢٣ يوليو .

اعود إلى تنظيم الضباط الأحرار ، فأقول لك إن هذا التنظيم هو فى واقعه تجمع من تجمعات وطنية أخرى كانت موجودة فى الجيش وقتذاك .

قلت له : عقب خلاف الأستاذ أحمد أبو الفتح مع ثورة يوليو وجمال عبد الناصر سافر إلى الخارج وكتب كتاباً اسمه «عبد الناصر» اتهم فيه الضباط الأحرار عامة وعبد الناصر خاصة بإحراق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، إلا أن أبو الفتح عاد في ١٩٧٧ وقال : «إن اتهام عبد الناصر وإتهام الضباط الأحرار هو اتهام لا يمكن أخذه على سبيل المثال» فماذا تقول أنت ياسيدى ! .

قال الدكتور محسن عبد الخالق : لقد قرأت هذا الكتاب الذى كتبه «أحمد ابو الفتح» . . ولقد حزنت حقيقة من أجل الأستاذ «أبو الفتح» الذى له في نفوسنا نحن الضباط الأحرار اعتبار وقدر كبيران ، وأنني أسأله الآن .

- ألم تكن قبل ١٩٥٢ من دعاة التشدد الوطنى بمقالاتك وكتاباتك النارية في المصرى؟ ! فهل لمجرد أن سلطة ٢٣ يوليو - ولا أقول ثوار يوليو - اتخذت إجراءات في حق أسرة أبو الفتح ، فيكون موقفك منها كل هذا التجريح وهذه التهم العشوائية التى تصف بها الثورة بأنها ثورة السلب والنهب والحرامية ! ! لقد كان الاستاذ احمد - في مقالاته المنشورة - من دعاة الاشتراكية والتأميم . . إلخ . فماذا حدث ؟ ! ألم تطبق الثورة ما كان ينادى به .

فليهاجم الأستاذ أبو الفتح ولينتقد وليوضح خطأ هذه الإجراءات وممارسات السلطة وتعسفها مثلاً ، ولكن أن يمتد الهجوم فيشمل ثورة ٢٣ يوليو بكل ما فيها فهذا هو الخطأ بعينه .

وعندما قرأت كتاب «أبو الفتح» لاحظت أمراً ملفتاً للنظر ! فهو يقول : لقد قلت لعبد الناصر أن يفعل كذا ! ! ولم يسمع عبد الناصر كلامي ! ! وأشرت عليه أن يفعل «كيت» فلم يأخذ باقتراحي ، وهذا منطق مرفوض بطبيعة الحال ، ومن ثم أسأل : بأى حق يضع أى إنسان نفسه في موقف الآمر الناهي للثورة ؟ ! لقد دعت يوليو كل القوى السياسية للحوار معها كما سبق أن شرحت ودعونا بعض قادة الثورة السياسية للحوار الهادئ حول مبادئ الثورة ولم يستجب أحد لدعوة الحوار ! .

وخطأ البعض - للأسف - أنهم تصوروا واعتقدوا أن دور الثورة هو في إخراج الملك ثم ترك الأمور للقوى السياسية المتواجدة على الساحة حينذاك ، ولو حدث

هذا، لا نحصر هدف الثورة في إخراج الملك فقط ليس إلا : وأقول بكل صراحة إنه بعد أزمة مارس ١٩٥٤ ذهبت لأحمد أبو الفتح بنفسي وطالبته بتهدئة نبرة مقالاته الهجومية الحادة، إذ كان من الممكن وقتها أن نحقق مرحلة من مراحل الديموقراطية وهو موقف كان يتبناه كثير من الضباط.

ثم أنني أقول للكاتب الكبير أحمد ابو الفتح إن الضباط الأحرار لم يكونوا في حاجة إلى حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، فالحريق لم يحقق لهم شيئاً. كما أن الضباط الأحرار كانوا في صدام منذ عام ١٩٤٩ مع الملك، واتخذ هذا الصدام وهذا التحدى مظاهر عديدة من رفض الضباط إهداء الملك عصا المارشالية، ورفضهم السافر للذهاب إلى قصر عابدين للتوقيع في سجل التشريفات. بل وأكثر من ذلك أننا ذهبنا لإبلاغ النحاس باشا - بعد حريق القاهرة باستعدادنا لضمان حياد الجيش إذا فعل شيئاً ينقذ به مصر.

عبد الناصر.. والسادات وليلة الثورة:

استأذنت الدكتور محسن عبد الخالق أن أعيد على مسامعه سطوراً من مذكرات محمد نجيب «كنت رئيساً لمصر» ص ١١٥ يقول فيها : «أذكر أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لم يقتربا من القيادة إلا بعد الاستيلاء عليها.. كان يقفان في مكان جانبي قريب، أمام سيارة عبد الناصر الأوستن السوداء وقد ارتديا الملابس المدنية، ووضعا ملابسهما العسكرية وطبنجتين داخل السيارة، وبمجرد أن أحسا بنجاح الاقتحام ارتديا الملابس العسكرية ودخلا القيادة، أما أنور السادات فكان أكثر منهما ذكاء، إذ دخل ليلتها السينما وتشاجر مشاجرة مفتعلة. وحرر محضراً بالواقعة حتى إذا ما فشلت الحركة نجح في الخروج منها كالشعرة من العجين» انتهى ما كتبه محمد نجيب. ويضيف المؤرخ أحمد عطية الله «إن سينما الروضة الصيفية التي تبدأ العرض من الساعة الثامنة مساء حتى الواحدة صباحاً كنت في تلك الليلة تعرض ثلاثة أفلام هي القطة المتوحشة وغرام ثائر، ولعبة الست بطولة تحية كاريوكا ونجيب الريحاني».

وعدت لأسأل الدكتور محسن: ما الذى تعرفه من وقائع عن هذه الليلة بالضبط؟ وما حقيقة الطور التي أعدتها على مسامعك؟!

قال: من معرفتي بجمال عبد الناصر والتي تعود إلى عام ١٩٤٨ في حرب فلسطين - وأيضاً بعبد الحكيم عامر فإن عبد الناصر لم يعرف عنه الجبن أو الخوف ولا داعي لتصوير ما جرى ليلة ٢٣ يوليو على أنه رواية بوليسية أو مسلسل تليفزيوني مثير، لقد كان ما جرى في هذه الليلة قمة الانضباط والتنظيم، فخبر الثورة كان قد تسرب إبتداء من الساعة التاسعة مساء، وأصبحنا في سباق مع الزمن للقيام بها، لا الهروب منها نفاذا بجلدنا، فحينما عرفت أخبار الثورة تحولت بيوت الضباط الأحرار إلى مراكز اتصال ومعلومات فقد كان إذا مر ضابط على مركز من مراكز التجمع كان يجد ورقة مكتوباً بها ما هو المطلوب منه بالضبط.

وكنت في منزل كمال الدين حسين الساعة التاسعة مساء عندما قابلت الضابط «حسن محمود صلاح» - رحمه الله - والذي عن طريقه تسرب خبر الثورة، فمررنا على كل منازل الضباط ليخرجوا فوراً وينفذوا المهام والأدوار المكلفين بها من قبل لاغين ساعة الصفر! و«حسن صالح هو الذي أنقذ الثورة».

وأعود لحكاية يوسف صديق «وأقول إنه عندما خرج على رأس قواته الساعة الثانية عشرة «منتصف الليل» كانت القوات الاخرى تتحرك أيضاً، فقوات مدفعية «هايكستيب» مثلا كانت مشتبكة في معركة مع البوليس الحربي على بوابة المعسكر، واستسلم بالفعل ٨٠ جنديا من البوليس الحربي، وقد قاد هذه المعركة «عبد الستار أمين» مسؤول التكامل بين مصر والسودان فيما بعد.

أقول هذا لأنني كنت شخصياً المسؤول عن قوة التصادم التي تشتبك مع أي قوات معادية تتدخل وتعرقل تحركاتِ قوات الثورة، وعندما وصل يوسف صديق إلى مقر القيادة حوالي الواحدة صباحاً وبدأ الهجوم - حيث كان المكلف في الخطة - بهذا الهجوم - كان عبد الحكيم عامر مشتركاً في هذا الهجوم، أما جمال عبد الناصر فقد كان يقود ويوجه قوات الثورة خارج المبنى.

وفي تلك اللحظة وصل أنور السادات، وكان حسن إبراهيم قد سافر إليه في العريش وأبلغه أن جمال عبد الناصر يطلب منه ضرورة الحضور إلى القاهرة وكان المفروض أن الثورة هي يوم ٢٢ وليس ٢٣ وعندما عاد السادات توجه في الحال إلى بيت عبد الناصر فلم يجد أية رسالة منه، وفي يوم ٢٣ أخبر السادات

البواب أنه سيكون موجوداً في سينما منيل الروضة مع زوجته حتى إذا سأل عنه أحد فليخبره بأنه توجه للسينما، وسيجد خبرا مع مدير السينما وأخبر السادات مدير السينما وأبلغه أنه ينتظر صديقاً مهماً أو رسالة هامة فإذا حضر من يسأل عنه فهو يرجوه أن يبلغه بذلك! ودخل السينما، وهذا في الواقع جزء من شخصية السادات، وذهب عبد الناصر إلى بيت السادات فلم يجده وترك مع البواب رسالة له، ونسي البواب تماماً أن يقول لعبد الناصر إن السادات وزوجته في سينما منيل الروضة.

وبعد الساعة الثانية عشرة عاد السادات إلى منزله، فأعطاه البواب رسالة عبد الناصر، وما أن قرأها حتى قام باستبدال ملابسه المدنية وارتدى الملابس العسكرية وذهب فوراً إلى كوبرى القبة.

لحظة وصوله كان الملازم أول «محمود عباس» كما سبق أن ذكرت - وهو من كتيبة يوسف صديق هو المسئول عن تأمين القوات فقام بإلقاء القبض على السادات وذلك لعدم معرفته به وفجأة سمع السادات صوت جمال عبد الناصر وهو يتحدث مع عبد الحكيم عامر، فطلب السادات من محمود عباس «أن يأخذه لعبد الناصر، وفعلا تقابل السادات مع عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وتوجهوا معاً إلى مبنى القيادة وكان ذلك قبل بدء الهجوم.

باختصار شديد ودون بلبلة للحقائق - نحن لم نكن مجموعة «حواة» أو كنا نؤلف رواية بوليسية لها حبكتها الدرامية، نحن كنا ثواراً، وعبد الناصر كان ثائراً وليس حاوياً يقوم بتخبئة ملابسه العسكرية ثم يخلعها فيعود ويرتديها إلى آخر هذه الروايات.

كذلك على من يقول إن هناك محضراً في قسم البوليس لواقعة حادثة السينما افتعلها السادات أن يأتي بصورة من هذا المحضر، بدل أن يلقي الاتهامات جزافاً، وعلينا أن نتقي الله فيما نقول وألا نغلب انفعالاتنا الشخصية على جوهر الحقيقة، علينا أن نتعامل دائماً مع الله والحق.

السادات كما عرفته!

قلت: دعني أستعير ما كتبه الأستاذ الكبير صلاح حافظ على صفحات صباح الخير عندما قال: «تعاقب على حكم مصر فيما يبدو رئيسان، كان

كل منهما يحمل اسم أنور السادات ، كتب تاريخ الأول موسى صبرى فى كتابه «الحقيقة والأسطورة» وكتب تاريخ الثانى محمد حسنين هيكل فى كتاب «خريف الغضب» والسادات الذى عرفته وتعاملت معه بين وقت وآخر ، لم يكن هذا ولا ذاك ، كان رجلا ثالثا . . لم يصدر عنه كتاب بعد» .

وعدت أسأل الدكتور محسن عبد الخالق : أنا لا اسألك رأيك في الكتابين ولكنى أسألك ما هو تقييمك للرئيس السادات ؟ !

قال : ماذا تقصد بتقييمى للرئيس السادات ؟ هل تقصد تقييمى لفترة حكمه ؟ لشخصه ، لسياساته ؟ على أى حال أود أن أقول لك إن الرئيس السادات تعرض لحملة ظالمة تعريه من كل ميزه ، وهذا ظلم ! ! ولا تفهمنى خطأ ، فالجميع يعرفون أنه كان هناك خلاف بينى وبين السادات بدأ عام ١٩٥٢ . عندما رأست مجلساً لمساءلته عما نسب إليه من بعض الامور بحضور جمال عبد الناصر ، ومع ذلك أقول إن عهد السادات كان مليئاً بالأحداث الوطنية التى تكون فى مجموعها منعطفات تاريخية لأمتنا المصرية والعربية ، وتقييم هذه الفترة يحتاج إلى دراسة أكاديمية متأنية ، وعن نفسى فأنا الآن أكتب كتاباً أو بحثاً كبيراً بعنوان «أوراق كامب ديفيد» فقد اتيح لى معرفة الكثير سواء عن طريق الاطلاع او المناقشة والحوار ، فقد سألت مثلا «وليم كوانت» مساعد مستشار الأمن القومى الامريكى عن السادات والقرار الأميركى ، كما استمعت لبعض مسؤولى وزارة الخارجية الامريكية والسفير الامريكى السابق فى القاهرة «هيرمان أيليتس» وغيرهم وغيرهم . . وكى ننصف الرجل لابد ان نعيد القراءة بهدوء وموضوعية ومن كافة زواياها ومؤثراتها .

وأعتقد أننى كمتخصص فى السياسة الدولية - فى موقف من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة وهذا هو ردى على تقييم عهد السادات .

أما ما أعرفه أو أحسه فهو أن جزءاً كبيراً من الهجوم على السادات هو نتيجة إحساس البعض أنه أخذ ماليس من حقه ، إذ إنه فى نظر هؤلاء لم يكن الأحق برئاسة الجمهورية ، وأقول لهؤلاء إن السادات كان الإفراز الطبيعى لنظام سياسى سار عليه ورسخه جمال عبد الناصر . فقد كان السادات وقت وفاة عبد الناصر - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ - رحمه الله - النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وبذلك

فالذى رشحه لرئاسة الجمهورية، هو فى الواقع جمال عبد الناصر، ولو كان النائب الأول لرئيس الجمهورية وقت الوفاة هو عبد اللطيف البغدادى مثلا، لكان هو رئيس الجمهورية، وكذلك لو كان زكريا محيى الدين أو حسن إبراهيم.. إلخ.

وإذا كان هناك - إذن - اعتراض من البعض أو عدم تقبل من البعض الآخر فعليهم أن يكون رفضهم للنظام السياسى الذى من خلاله يتم الترشيح وانتخاب رئيس الجمهورية فى مصر.

وبهذه المناسبة فأنا من المؤيدين والمقتنعين بخطأ وجود نائب رئيس جمهورية فى مصر، حتى لا تكون رئاسة الجمهورية ميراثاً سياسياً أو إدارياً!!.

بقيت نقطة أخيرة لا بد من ذكرها إنصافا للرجل، إذ لا جدال ان السادات حقق ثلاثة أمور هامة هى:

- بدايات الديمقراطية بعد غياب طويل. وهذا فى حد ذاته إنجاز سياسى كبير.

- فتح الباب الاقتصادى لسياسة سيادة عوامل السوق، وهذا إنجاز اقتصادى محمود، فقد كان الاقتصاد - فى الأعم، اقتصاداً إملائياً، تفرضه البيروقراطية الحكومية، فأصبح لتفاعلات السوق اعتبار فى إدارته واتجاهاته وإنى من الذين يعتبرون أن اقتصاديات السوق هى الوضع الاقتصادى الطبيعى لاقتصاديات طيبة، كما لا يعنى هذا الاتجاه غياب الدولة، بل هى دائماً - فى ظله - قوة اقتصادية محركة وموجهة.

- الأمر الثالث هو تحرير الأرض المصرية من البداية العسكرية إلى النهاية السلمية، وياليتنا نكون موضوعيين فى تحليلنا وعرضنا لهذا الإنجاز، فنترك سياسة القبول المطلق أو الرفض المطلق. فالرجل اجتهد وتصرف، وما نشر وما ينشر فى الخارج عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها، يفرض علينا قراءته لكى نلم إلماما حسنا بالأبعاد الدولية، وحدود الممكن والمستحيل، قبل أن نشجب أو نؤيد ملء حناجرنا، كأنما نحن نسير فى مظاهرة صاحبة محورها، «أنور السادات» وليست موضوعية عهد أنور السادات وسياساته وإنجازاته.



باشوات فى بيت عبد الناصر !

لم يكن عبد الناصر - على المستوى الإنسانى - معادياً لكل الطبقة التى هدمتها ثورة ٢٣ يوليو !

كما لم يكن كل الباشوات معادون للثورة.. البعض هاجمها، نعم، لكن البعض الآخر أيدها وساندها، ووقف إلى جوارها !!

وهناك عشرات الحكايات والمواقف بين هؤلاء الباشوات ورموز عصر الملكية مع الثورة وعبد الناصر !

وإذا كان القضاء على الإقطاع واحداً من أهداف الثورة. ومع ذلك كان بعض الإقطاعيين صديقاً لعبد الناصر، ومنهم عرف الكثير من خبايا ما كان يجرى قبل الثورة !

عبد الناصر والباشا حوارات فاشلة !

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: لفت انتباهى وأنا أقرأ مذكرات عبد الفتاح حسن الوزير الوفدى السابق وكان عنوانها «ذكريات سياسية» أنه قال (ص ١٣٤) إنه فى حوالى الواحدة صباحاً دق طارق باب مسكنى، وفتحت الباب حيث وجدت محسن عبد الخالق «سفير مصر فى اليابان بعد ذلك» ومعه زميل له من ضباط الجيش وأبلغانى أنهما أوفدا يعرضان على الاشتراك فى الوزارة بعد أن تقرر تعديلها.

وعدت أسأل د. محسن عن رأيه فيما رواه عبد الفتاح حسن - رحمه الله - وهل كان ذلك العرض له ضمن حوار يوليو مع الوفد فى الأيام والأسابيع الأولى للثورة؟!

قال د. محسن عبد الخالق: هذه الأسماء الوفدية التى تحاورنا معها سياسياً مثل عبد الفتاح حسن - رحمه الله - أو محمد صلاح الدين وزير الخارجية الوفدية أو عبد السلام فهمى جمعة الذى طرح اسمه لفترة أن يكون رئيساً لحزب

الوفد. ولم يكن هناك غبار سياسى حول هذه الأسماء، ولم تهاجم من الصحافة، بل ومقبولة من الرأى العام.. أكثر من ذلك على سبيل المثال أن محمد صلاح الدين هو الذى اقترح على جمال عبد الناصر اسم المرحوم «محمود فوزى» ليكون وزيراً للخارجية.

ولكن المشكلة أن قيادات الوفد ظلت تعتقد أنها هى القوة الدستورية والسياسية التى لها الحق فى حكم مصر، وأن الضباط الأحرار بعد أن قاموا بالثورة وخلعوا الملك فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ عليهم أن يسلموا للوفد الثورة، ويهمنى فى هذا المقام أن أوضح لشبابنا أن الثورة لم تكن ذلك «البولدوزر» القاسى الذى يهدم كل ما كان فى طرقه، كما يحاول خصوم يوليو أن يصوروها. بل كانت الثورة تخطو خطوات منطقية ومتتابعة، فالقوانين الاشتراكية مثلاً لم تصدر إلا عام ١٩٦١ أى بعد ٩ سنوات من قيام الثورة، وبعد أن مهدت الطريق إليها لكى تأتى مخففة، وسواء قبل بعضنا منطق هذه القوانين أو رفض هذا المنطق، إلا أنه روعى أن تكون الخسائر الإنسانية لهذه القوانين فى أضيق نطاق.

كما أود أن أشير إلى أنه عندما اقترح بعد الثورة أو خرج الرأى الذى يحبذ أن يكون عبد السلام فهمى جمعه رئيساً لحزب الوفد، واقترح أيضاً وقتها تكريم مصطفى النحاس باشا بالطريقة اللائقة والأسلوب الكريم الذى يتناسب مع كفاحه الوطنى الطويل.

قلت له: ولماذا حوكم «فؤاد سراج الدين» أمام محكمة الثورة؟!

قال د. محسن عبد الخالق: فؤاد سراج الدين يا سيدى كان وضعه يختلف، حيث كان أحد الرموز السياسية التى تمثل وضعاً خاصاً قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولم يكن له كفاح وطنى يحسب له، ومع ذلك فالثورة لم تمس فؤاد سراج الدين بشكل شخصى أبداً، فقانون الإصلاح الزراعى طبق عليه كما طبق على الآخرين.. وأول اعتقال لفؤاد سراج الدين جرى لتأمين صدور قانون الإصلاح الزراعى الذى صدر فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢، وحتى عندما حوكم فؤاد سراج الدين أمام محكمة الثورة وحكم عليه بالسجن، لم يمس اعتباره أحد، فقد كان يقيم فى غرفة خاصة بسجن المحطة، وكانت غرفته تقع بجوار غرفتى حيث كنت معتقلاً منذ ١٥ يناير ١٩٥٣ فى قضية المدفعية وكان فؤاد سراج الدين يشاهد

السينما بشكل يومى تقريباً، كما كان يأتى إليه الطعام من منزله ورغم إلغاء الألقاب رسمياً، فقد كنا نناديه بلقبه المحبب إليه وهو «الباشا».

ولقد نشر أخيراً أن جمال عبد الناصر اجتمع بفؤاد سراج الدين أربعة اجتماعات بعد قيام الثورة، ولكننى أعلم عن ثلاثة اجتماعات من هذه الأربعة، وفي هذه الاجتماعات حاول عبد الناصر أن يقنع فؤاد سراج الدين بقانون الإصلاح الزراعى، وكان فؤاد باشا من جانبه.. متمسكاً بعناد بفكرة الضرائب التصاعدية وكيف أنها ستزيد من موارد خزينة الدولة، وعارض بإصرار الإصلاح الزراعى.

كان منطق عبد الناصر فى المناقشة التى لم يحاول فؤاد سراج الدين استيعابها هو تحرير إرادة الفلاح، وكان منطق الباشا هو الدفاع المستميت عن الملكيات الكبيرة.. وللتاريخ فقد كان حاضراً هذه الاجتماعات مع عبد الناصر كل من عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى، ومن الوفد حضر المحامى، ابراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح.

إذن كانت الثورة تريد الحوار منذ قيامها، وعندما ظهرت نوايا فؤاد سراج الدين فى المناورة والمراوغة، لم يكن أمام الثورة مفر إلا إعلان قانون الإصلاح الزراعى، خصوصاً بعد أن نشرت جريدة «المصرى» الوفدية قانوناً للإصلاح الزراعى يعبر عن رأى الوفد، وإذا كان الوفد قد أصدر بياناً بعد ذلك - ٩ سبتمبر ١٩٥٢ - يعلن فيه موافقته على قانون الإصلاح الزراعى فقد كان فى وضع لا يسمح له إلا بالموافقة.. ويظل التساؤل قائماً: هل حقيقة أقتنع الوفد وآمن بفكرة الإصلاح الزراعى؟! أم كانت مجرد مناورة سياسية من جانبه فلعل الأيام تحقق له ما فى باطنه!

ورغم صداقتى لفؤاد سراج الدين فإننى أقول له بصدق إن المحاولة التى يتزعمها لهدم ٢٣ يوليو هى محاولة فاشلة، ذلك لأن التاريخ وأن كان يصحح نفسه باستمرار، إلا أنه لا يعود إلى الوراء أبداً.. وإن ٢٣ يوليو أصبحت واقعاً تاريخياً تعيشه مصر كلها الآن! وسوف تعيشه أجيال وأجيال فى إطار مبادئها وإنجازاتها لسنوات طويلة قادمة.

ومن ثم أقول له أن سياسة التصعيد التى يقودها الوفد هذه الأيام ستقود مصر إلى جو سياسى ساخن وأزمة سياسية لا يستطيع أحد أن يتحكم فى إبعادها ولا

في إيقافها. وهذا الهجوم المستمر وغير الموضوعي من الوفد على ثورة يوليو لا هدف له في رأيي واعتقادي إلا أنه يعمل على إسقاط النظام الحالي، ومن هنا أفهم مغزى ذلك الحوار الغريب الذي أدلى به الأمير السابق «أحمد فؤاد» لإحدى المجلات العربية المهاجرة في أوروبا والذي يقول فيه إنه كان حريصاً على أن يولد أبناؤه في مصر. بل يصل الى التأكيد على أنه سيكون في مصر بأقرب مما يتصور الكثيرون!

وهنا أقف لأتأمل مغزى كلمات أحمد فؤاد في إطار الهجوم الوفدي على ثورة يوليو، واستنتج على الفور أن هدف الوفد هو اسقاط نظام «حسني مبارك» الذي هو امتداد لثورة ٢٣ يوليو، وبعدها هل تعود الملكية بأحمد فؤاد؟ هذا سؤال أطرحه على الفور وفي انتظار إجابته!

المحامي الصغير ونصائحه لعبد الناصر!

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: في حديث سابق ذكرت لي أن ثوار يوليو رشحوا أحمد لطفي السيد أستاذ الجيل ليكون رئيساً لأول جمهورية برلمانية، ومع ذلك فقد قرأت أخيراً في كتاب الأستاذ «حمدي لطفي: ثوار يوليو.. الوجه الآخر» أن جمال عبد الناصر طلب من المحامي محمود رشيد - كان المتهم رقم ١٤ في قضية المدفعية والتي كنت أنت المتهم الثاني فيها - طلب منه إعداد بحث قانوني حول شرعية إسقاط النظام الملكي وإعلان الجمهورية، وبعد أن انتهى من بحثه وتسلمه عبد الناصر قال محمود رشيد له: من في ذهنك يصلح ليكون أول رئيس للجمهورية؟! فقال عبد الناصر: علي ماهر باشا إنه أصلح الموجودين!

وعدت أسأل د. محسن: من هو محمود رشيد؟ وما حكاية بحثه الذي أعجب به عبد الناصر؟

ابتسم د. محسن عبد الخالق ربما للمرة الثالثة عبر حوارنا الطويل كله ثم قال لي:

- دعني أسألك هل تتصور مثلاً أن يكون حول جمال عبد الناصر كبار القانونيين في مصر من أمثال د. عبد الرزاق السنهوري باشا، وسليمان حافظ

وغيرهما من هؤلاء الكبار ثم يطلب المشورة من محام يكاد لا يعرف اسمه وهو محمود رشيد. هذا غير معقول بالطبع. ولكن محمود رشيد كان رجلاً لطيفاً وابن ذوات وشغل وظيفة - على ما أظن الآن - مدير الأمن العام أو مدير الموظفين فى وزارة الداخلية فى عهد إحدى حكومات الأقلية، وبعد الثورة تقدم من تلقاء نفسه وأتى إليها بمعلومات عن الملفات والتقارير الموجودة فى وزارة الداخلية عن زعماء ورؤساء الأحزاب وكبار الشخصيات فى مصر، ونفس الشيء فعله بعض ضباط البوليس السياسى، ومعلومات الثورة عن رموز الحياة الحزبية والسياسية قبل ١٩٥٢ أتى بها هؤلاء فلم نكن بالفعل نعلم عنها شيئاً.

المهم أن محمود رشيد كان شخصية طريفة ومسلية، وكان يفتتح - وقتها - مكتباً للمحاماة، وعندما قبضت عليه الثورة مع مجموعة المدفعية فى منتصف يناير عام ١٩٥٣ فليس بسبب تهمة محددة. ولأنه كان يدعى أشياء كثيرة، مثل حكاية ذلك البحث القانونى الذى يقول إنه قدمه لجمال عبد الناصر، وأؤكد لك أن عقلية جمال عبد الناصر لم تكن بهذه الدرجة من الهيافة التى تجعله يلجأ لمحام صغير ليرشح له اسم رئيس الجمهورية، ويترك مشورة أساطين القانون فى مصر وفى مقدمتهم السنهورى وسليمان حافظ.

ولعلك قرأت أخيراً مذكرات د. عبد المنعم القيسونى التى نشرها فى جريدة «الأخبار»، وروى فيها كيف أن جمال عبد الناصر سأله عمن يصلح وزيراً للمالية فاقترح عليه د. قيسونى ثلاثة أسماء من كبار الاقتصاديين فى ذلك الوقت. وفى اليوم التالى مباشرة علم القيسونى أن عبد الناصر قد اختار اسماً رابعاً هو «عبد الحميد الشريف» الذى كان رئيس مجلس إدارة بنك مصر وقتها، وهذه الواقعة فى حد ذاتها دلالة على أن عبد الناصر لم يكن ذلك الشخص السهل إقناعه. وكانت ميزته الكبرى أنه مستمع ممتاز قليل الكلام، ويستمع لأكثر من شخص ثم يحلل ما سمعه ثم يتخذ القرار الأخير.

على ماهر كان الخيار الأول أمامنا!

قلت له - ولم أنجح فى إخفاء ابتسامتى: بمناسبة ما نسبه المحامى محمود رشيد إلى جمال عبد الناصر وكيف أنه - أى عبد الناصر - قال له: على ماهر أصلح الموجودين لرئاسة الجمهورية، دعنى أذكرك أنه كان واحداً من

الرموز السياسية لعصر ما قبل ١٩٥٢ ، ومع ذلك اختارته الثورة صباح يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ - اليوم الثاني للثورة ليرأس الوزارة ! فلماذا ؟ !

- قال د. محسن عبد الخالق لم يكن علي ماهر باشا ملتصقاً بحزب ما قبل ١٩٥٢ ، وكان ينظر إليه دائماً على أنه الحصان الذى يجر العربة فى أوقات الأزمات السياسية. فقد كون الرجل لنفسه سمعة ما - خطأ أو صواباً - فى الحزم والبت والجرأة. إلخ. ثم أنه كان واحداً من رجال ثورة ١٩١٩ وله باع طويل وخبرة وممارسة فى السياسة المصرية. إلي جانب قربه من الملك نفسه بحيث يمكن أن تسير الأمور بسهولة ويسر وبقدر بسيط من التعقيدات والمشاكل.

ولا تنسى أننا فى الأيام الأولى للثورة لم يكن لنا سند سياسى منظم نستند إليه. كما أن الثورة كانت بالمنطق والتاريخ ضد مصالح وامتيازات أغلب رجال الأحزاب.

من هنا أقول إن اختيار «علي ماهر» يكاد يكون وقتها هو الخيار الأول أمامنا ، ولا تنسى أنه هو الذى سافر إلي الإسكندرية وسلم الملك فاروق مسودة وثيقة التنازل. ولعب دوراً فى إقناعه بالتنازل السلمى عن عرش مصر.

* ملحوظة من صباح الخير على هامش الحوار:

قام علي مباهر بإبلاغ الملك فاروق شفاهة بأمر وثيقة التنازل عن العرش ، ورفض أن يقدمها إليه بالنص المكتوب عندما شعر بحدة لهجتها ، أما الوثيقة نفسها فقد كتبها د. عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة فى صيغة أمر ملكى. وذهب سليمان حافظ بالوثيقة إلى قصر رأس التين ليوقع عليها الملك. وحاول فاروق إضافة كلمة واحدة هى «وإرداتنا» بعد عبارة «ونزولاء على إرادة الشعب» التى كان قد اقترح إضافتها جمال سالم. ولكن سليمان حافظ طلب من الملك أن يوقع دون تعديل ، وارتبك الملك فاروق فجاء توقيعه الأول على الوثيقة مهزوزاً. فقام بالتوقيع مرة ثانية فى أعلى وثيقة التنازل عن عرش مصر لابنه الأمير أحمد فؤاد !

باشوات فى بيت عبد الناصر !

وعدت لأقول له : وفى الكتاب الذى كتبه محمد أحمد فرغلى باشا - ملك القطن - واسمه «عشت حياتى بين هؤلاء» يقول بالحرف الواحد ص

١٦٥ إن هذه الثورة كانت ضرورة حتمتها الظروف السياسية والاجتماعية في مصر، كما أنها كانت مرحلة طبيعية للتطور في حياة الأمة المصرية، ولقد شعرت أن قائد الثورة جمال عبد الناصر يتسم بالإخلاص، وبتأييد الحكم الديموقراطي وبرغبته الملحة في التغيير نحو الأفضل، ويقول فرغلي باشا أيضاً : ومن خلال متابعتي لسلوك الرئيس جمال عبد الناصر، ومتابعة مواقفه الخارجية والداخلية، وجدتنى معجباً بشخصيته. بل شعرت بأنه يمثل رمزاً للكرامة المصرية والاعتزاز والاعتداد بالنفس، وبالوطنية المصرية التى كان قد ضعف الإحساس بها في ظل الحكم الملكى.

ووجدتنى أسأل د. محسن عبد الخالق : كان عبد الناصر يجلس مع رموز الإقطاع قبل ١٩٥٢ وكان أحد أهداف الثورة القضاء على الإقطاع، فكيف تفسر هذا التناقض؟

قال لي : نعم يا سيدى. كان الكثير من رموز العهد الملكى أصدقاء لجمال عبد الناصر. وكان يحب الحوار والحديث معهم لسبب غريب قد لا تعرفه، هذا السبب هو أنه كان يعرف منهم الكثير من المعلومات التى لا يستطيع معرفتها بنفسه، وعلى سبيل المثال كان عبود باشا المليونير المعروف صديقاً لجمال عبد الناصر - وكان يستخف دمه، بل إن عبود باشا كان يزور عبد الناصر فى أى وقت، ومن خلال عبود عرف عبد الناصر كل الأسرار والخبايا السياسية التى كانت تحدث قبل الثورة. فمثلاً حكى عبود لعبد الناصر كيف دفع رشوة للملك مليون جنيه ليقيل وزارة نجيب الهلالى باشا. على ما أظن.

أذكر في إحدى المرات أن طلب عبود باشا من جمال عبد الناصر أن يسمح له بالسفر للخارج فوافق عبد الناصر وسأله فجأة : بصراحة يا عبود باشا عندك كام برة؟ فضحك عبود وقال له :

- ٢ مليون بس ياريس !!

وسأله عبد الناصر عن سبب سفره والى أين؟! فقال له : مسافر لندن لأكون وكيل بعض الشركات الأجنبية ومنها «الإنجليش اليكتريك» وسمح له عبد الناصر بالسفر.

وكان الرجل - عبود باشا - يزورني في لندن وكنت أيامها وزيراً مفوضاً هناك وطالما حكى عن مقابلاته لعبد الناصر وعن أسرار وخبايا الحياة السياسية والحزبية ما قبل ١٩٥٢.

أذكر حكاية أخرى سبق أن رواها لي المغفور له عبد الحميد بدوى باشا. قاضي مصر في محكمة العدل الدولية، فقد حدث وطلب بدوى باشا مقابلة عبد الناصر وتحدد له موعد للمقابلة، وعلم بذلك أحمد باشا عبد الغفار وزير الزراعة في العهد الملكي، فأصر على الذهاب مع عبد الحميد بدوى وحدث فعلاً أن ذهب الأثنان لمقابلة عبد الناصر، وبعد أن انتهى عبد الحميد بدوى من الحديث مع عبد الناصر قال أحمد باشا عبد الغفار فجأة لجمال عبد الناصر:

- قوللي يا ريس.. بقي أنت عملت الإصلاح الزراعي ده ليه؟ إيه ذنب أبويا إذا كان راجل شاطر وربنا فتحها عليه وبقي عنده أطيان وأراضي، وأبوك «خيبان» وفقير ومعندوش حاجة!

وصمت جمال عبد الناصر، وهز رأسه كعادته، ولم يعلق بحرف وبعدها بسنوات جاءت قوانين الحراسات، وكان أحمد باشا عبد الغفار ضمن الموضوعين تحت الحراسة، وكان وقتها موجوداً في لندن مع ابن ابنه الذي يعالج هناك، وزارني الرجل، كما زار على خشبة قنصلنا العام، ولم نتركه بل أحطنا به في هذه الظروف الصعبة، وأرسلنا لعبد الناصر برقية نطلب فيها موافقته على علاج حفيد أحمد باشا عبد الغفار، وفي الحال أرسل عبد الناصر بالموافقة.

كذلك كان هناك «على بك الشيشيني» رحمه الله، وقد كان أحد كبار نواب الوفد وأحد رموز كبار المزارعين ومن أصحاب الملكيات الكبيرة، وكان صديقاً لعبد الناصر، بل إن على بك الشيشيني كان يحضر لجمال عبد الناصر بعض فواكه حدائقه، كما كان يزرع له بعض أشجار الفاكهة «القليلة» حول بيته في منشية البكرى!

سؤال إلى مصطفى أمين!!

قلت له: ماذا تقول عن الحراسات إذن يا سيدى؟!

قال د. محسن عبد الخالق: كانت هناك بعض الممارسات الخاطئة لا أوافق عليها شخصياً ومن بينها الحراسات. فأنا أكره المساس بإنسانية الإنسان أيا كان

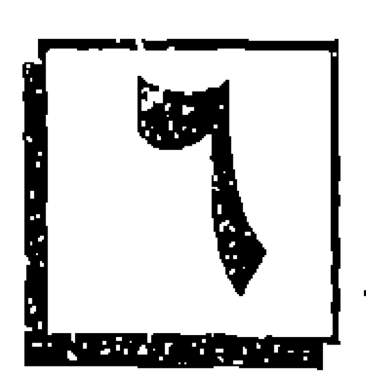
موقعه الاجتماعي، وأضيف أيضاً حول ما يقال إن الضباط الأحرار نهبوا القصور والجوهرات الملكية واستولوا على ڤيللات الحراسة - ٤١٧ ڤيللا كما يقولون - وهذا كله يدخل ضمن إطار المهاترات وتصفية الحسابات الشخصية، ومن يقول بهذا عليه أن يتقدم إلى المدعى العام الاشتراكى ببلاغات رسمية تتضمن اتهامات محددة باسماء محددة، ولا داعي للمهاترات التى نضيع فيها وقتنا ونتخذها مادة للتنفيس عن أزماتنا النفسية.

فنحن أولاً لم نكن نعلم شيئاً عن هذه القصور والجوهرات الملكية، وقد تسلمها رجل فاضل وأمين وهو «محمود يونس» المسئول فيما بعد عن إدارة قناة السويس، والتى اعتبرت مفخرة لمصر حتى الآن، وللعلم فقد مات الرجل فقيراً، وقد كان كل شيء في متناول يديه، وكان الرجل رحمه الله دقيقاً وحازماً وإدارياً من الطراز الأول.

ودعنى أسأل الاستاذ مصطفى أمين كيف ذهب إلى قصر عابدين بعد الثورة ليبحث عن خطاب كان محمود أبو الفتح قد أرسله إلى الملك فاروق. ربما لو قال لنا مصطفى أمين لألقى بعض الضوء على الظروف التى كانت تمر بها الأشياء بعد قيام ثورة بحجم ثورة يوليو!

إن الثورة تركت الملك فاروق يخرج معززاً مكرماً مساء ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وهو يحمل أمواله ومجوهراته وأغمضت عينيها عن الأميرة فايزة وبعض أفراد الأسرة المالكة عند خروجهم من مصر، عندما أشيع يومها أنهم يحملون بعض نفائسهم.

يا عزيزى لقد كانت ٢٣ يوليو ثورة مع ما يلازم الثورة فى أيامها الأولى من شيء ليس بالقليل من عدم المعرفة، وبعض الانفلات بل وبعض الفوضى!!



هيكل.. مصطفى أمين.. أحمد أبو الفتح..

أدوت عبد الناصر ضد نجيب

قبل السابعة صباحاً كان جمال عبد الناصر يستيقظ !

ومع كوب من الشاى يشربه بحبوب «السكارين» كانت تدخل له الطبعات الثلاث من صحف القاهرة، كان يقرأ الصحف جميعاً، أخبارها، مقالاتها، وتعليقاتها، وكان يقارن بين الطبعات المختلفة من كل صحيفة، وكثيراً ما كانت له ملاحظات عليها.

أحيانا كان يطلب إعادة نشر خبر صدر فى الطبعتين الثانية والثالثة من صحيفة ولم يظهر فى طبعتها الأولى، فيطلب إعادة نشره فى الطبعة الأولى من اليوم التالى ليطلع عليه قراء الصعيد الذين تصلهم الطبعة الأولى من الصحف، والذين فاتتهم قراءة الخبر فى اليوم السابق.

السطور السابقة أنقلها عن مقال كتبه «حاتم صادق» زوج ابنة جمال عبد الناصر وكان عنوان المقال «عبد الناصر.. كيف كان يعمل؟»، وربما كانت السطور السابقة مدخلاً مناسباً لمناقشة علاقة عبد الناصر بالصحافة ! قارئاً وحاكماً وزعيماً !!.

وكان الدكتور محسن عبد الخالق - ٦٢ سنة - أحد الذين اقتربوا من جمال عبد الناصر وعملوا معه لسنوات بدأت مع صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان فى مكانة المستشار السياسى لعبد الناصر والمسئول عن تصريف أمور مكتبه، ثم إنه تولى مسئولية الإدارة والإشراف على «دار التحرير» طوال أربع سنوات ونصف، أتيح له فيها أن يشاهد ويسمع ما كان يدور فى كواليس السلطة ودهاليز الصحافة.

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: في بداية الثورة - أخذت الصحف تنشر قصصاً ورواياًت عن فضائح الملك فاروق، وكان الأستاذ مصطفى أمين أحد الذين نشروا هذه الفضائح مسلسلة في جريدتي الأخبار وأخبار اليوم، وقد روى مصطفى أمين (في كتابه لكل مقال أزمة) أن عبد الناصر اتصل به وطلب منه نشر هذه السلسلة، ثم طلبه ثانية وقال له أن يكتب قصة الثورة، وأملاه أسماء التسعة الذين يتألف منهم مجلس الثورة، وروى له تفاصيل الثورة وأسرارها، وأخبره أن البكباشي أنور السادات سيجتمع به في بيته بمنيل الروضة ليراجع كل مقال قبل نشره، وراجع السادات المقال، ثم قرأته - أي مصطفى أمين - على جمال عبد الناصر في التليفون فوافق عليه بعد أن عدل فيه ثلاث كلمات، ونشرت صورة جمال عبد الناصر في الصفحة الأولى، ونشرت باقي صور أعضاء مجلس الثورة الثمانية في صفحة داخلية مع بقية المقال، وكان الأعضاء هم: جمال سالم، أنور السادات، عبد اللطيف البغدادي، كمال الدين حسين، حسن إبراهيم، صلاح سالم، عبد الحكيم عامر، خالد محيي الدين.

وما كادت المقالة تنشر حتى قامت قيامة عدد كبير من الضباط الأحرار! فقد كان كل واحد منهم، يتصور أنه عضو في مجلس الثورة! ولم يكن جمال عبد الناصر قد أبلغهم بأسماء أعضاء مجلس الثورة، واتصل بي جمال عبد الناصر تليفونيا - مازال الكلام على لسان مصطفى أمين - وقال لي إنه أصدر أمره بالتحقيق معي لأني تسببت بما نشرته في وقوع فتنة بالقوات المسلحة.

وعدت أسأل الدكتور مسحن عبد الخالق: لماذا أثار هذا المقال كل هذا الغضب والاستياء بين صفوف الضباط الأحرار؟! وهل كان كل واحد منكم - من الضباط الأحرار - يتصور أنه في مجلس الثورة؟

قال د. محسن عبد الخالق: دعني أؤكد لك أن الضباط الأحرار لم يكونوا بمثل هذه الدرجة من الهيافة أو السطحية التي حاول الكثيرون تصويرنا بها، بل

كان الضباط الأحرار من خيرة شباب مصر، وكانوا على درجة عالية من الثقافة والعلم، وعندما قرأنا مقال الاستاذ مصطفى أمين «سر الضباط التسعة» غضبنا غضباً شديداً وثرنا ثورة عارمة ليس لأن كلا منا كان يتصور أنه عضو مجلس ثورة، أو أن عبد الناصر لم يكن قد أبلغنا بأسماء أعضاء المجلس، هذا كله غير صحيح بالمرة، فقد قمنا بالثورة لتحقيق مبادئ وأهداف عظيمة وليس لتلميع أسمائنا ونشر صورنا في الصحف، كما أن الحكم لم يكن هدفنا من الثورة، بل كان الهدف ترسيخ هذه المبادئ التي ثرنا من أجلها من خلال الحوار السياسي الهادئ بين مختلف القوى السياسية، كما سبق أن أوضحت لك.

فلما قرأنا هذا المقال اجتمع ضباط المدفعية في منزلي، وحضر الاجتماع أحمد كامل، فتح الله رفعت، على فوزى يونس، كمال لطفى، على شريف وغيرهم واستدعينا جمال عبد الناصر في تلك الليلة، واستمر اجتماعنا به أكثر من أربع ساعات وحاسبناه حساباً عسيراً على ذلك المقال ليس لأنه لم يبلغنا باسماء مجلس الثورة كما كتب مصطفى امين، ولكن لأن الحقيقة غير ذلك كما نعلمها، وما نشر كان خروجاً على رومانسية الثورة. وبعد مناقشة عاصفة مع جمال عبد الناصر قال لى: أنا لم اقل شيئاً لمصطفى أمين، كما أن المقال كله من تأليفه!

وذهبت لمصطفى أمين استوضحه الأمر وهددته فأقسم لى هو أيضا أن جمال عبد الناصر هو صاحب فكرة هذا المقال وهو الذى أملاه كل المعلومات.

ابتسم الدكتور محسن عبد الخالق وقال: إذن تصدق من؟ وتكذب من؟ ومرت العاصفة بسلام لسبب بسيط هو أننا لا نريد إحداث شقاق أو انقلاب رغم أننا - كمدفعية وكضباط أحرار - كنا في مركز القوة الحقيقية، وكان أملنا في عملية الحوار السياسي يجعلنا نتغاضى عن أشياء كثيرة في ذلك الوقت.

وعلى فكرة لم يكن هناك مجلس بهذه الصورة قبل الثورة، ولكن كان المتفق عليه عموماً أن المجموعات المتقاربة في الرتب والميول تجتمع مع بعضها.

هيكل انبهر بعبد الناصر!

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل يقول: ما بين ١٨ يوليو ١٩٥٢ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كنت قريباً من

جمال عبد الناصر، وكانت بيننا صداقة وثيقة، وهي فترة كان لي فيها الحظ والشرف بملازمة جمال عبد الناصر، والحياة بالقرب منه ومتابعته على المسرح ووراء كواليسه بغير انقطاع، وكانت العلاقة من نوع متميز بين شخص يقود، وشخص إلى جانبه يتكلم أو يفكر.

كما كتب هيكل أيضاً يقول: «الذى صنع لى مركزى عند عبد الناصر شيء واحد هو قدرتى على خدمة الهدف العام» الذى كان يسعى إلى تحقيقه، لم أكن أقرب الناس إليه، كان هناك غيرى أقرب، كان هناك أحمد أبو الفتح، إحسان عبد القدوس، حلمى سلام، وكذلك لم أكن واحداً من الضباط الأحرار، وأى حيز أخذته من تقديره مرجعه شيء واحد هو قدرتى على خدمة الهدف الذى يسعى إليه (الحوادث ٢٥ يونيو ١٩٧١).

ووجدتنى أسأل الدكتور محسن عبد الخالق: هل سطور هيكل السابقة تكفى وحدها تفسيراً لظاهرة هيكل فى الحياة الصحفية والسياسية المصرية منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى الحد الذى جعله فى نظر البعض «صحفى العصر».

قال الدكتور محسن عبد الخالق: هناك بديهية بسيطة للغاية فى الديبلوماسية وعند المشتغل بالشئون السياسية، وهى أن الصحافة مكملة للدبلوماسية وللسياسة الخارجية والدولية والسياسية الداخلية أيضاً، وهو ما عبر عنه الأستاذ هيكل.. «بالهدف» وليست بدعة على الإطلاق أن يكون للرئيس أو للزعيم صحفى يساعده على تحقيق الهدف بالتعبير الواعى وبالكلمة المؤثرة، والزعيم والقائد مهما بلغ شأنه فهو يحتاج لصداقة الصحفى ولكسب الصحافة إلى جانبه، يغذيها وتغذية.. فالزعيم هنا ودائما يؤثر ويتأثر.

إذن فليس بدعة أن يكون جمال عبد الناصر على صلة بأحد كبار الصحفيين وهو الاستاذ «هيكل». كما ليس غريباً أو بدعة أن يكون نجم كبير من نجوم الصحافة على صلة بالزعيم، وفى يقينى أنه لا بد أن تكون هناك مقاييس لاختياره هيكل، منها مثلا التطابق والتقارب الفكرى.

وأنا من الذين سألوا جمال عبد الناصر فى بدايات الثورة سؤالا محدداً: لماذا جعلت هيكل قريباً منك إلى هذا الحد؟ وقال لى عبد الناصر وقتها: أنت تعلم

أننى لم أكن اعرف هيكل معرفة وثيقة، بل وكانت معرفتى وعلاقتى الوثيقة هى بالآخرين، ولكن هيكل هو الوحيد الذى فهمنى وفهم ما يدور فى عقلى قبل أن أترجم فكرى إلى كلمات.. وأذكر نص عبارة عبد الناصر الحرفية لى وهى: إنه ببساطة يجلس فى رأسى!

يضيف الدكتور محسن عبد الخالق: وفى نفس الوقت - بدايات الثورة - الذى كان فيه كل الصحفيين فى مصر يهتمون بأخبار وتصريحات ومقابلات محمد نجيب، كان هيكل قد ركز اهتمامه على عبد الناصر، ولم يكن عبد الناصر قد عرفه الناس بعد. سواء بوصفه رئيساً لمجلس قيادة الثورة أو القائد الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو، وأذكر فى تلك الأيام أن عبد الناصر أبلغنى أن هيكل - وكان هيكل رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة - كان يجلس فى المكتب الملحق لمكتب جمال عبد الناصر صباحاً وظهراً ومساء مما ضايق عبد الناصر من هذا الإلحاح - لازال الكلام على لسان عبد الناصر - وذات يوم اتجه عبد الناصر مباشرة إلى هيكل وسأله عما يريد؟!.

وأجاب هيكل بكل الثقة والكياسة: مجرد حديث معك!

ووافق عبد الناصر وقال لهيكل: إذن تعال معى: وذهب هيكل معه إلى منزله، وبعد دردشة وحوار انصرف هيكل من عند عبد الناصر، وفى المساء وعند عودة عبد الناصر إلى مكتبه كان هيكل يستأذن عبد الناصر فى أن يقرأ الحوار الذى كتبه عقب مقابلته له، وقرأ عبد الناصر ما كتبه هيكل، وكان تعليق عبد الناصر لى بعد ذلك: هيكل استطاع أن يقرأ - حتى - أفكارى التى كنت أتمنى أن أبوح بها. ومن يومها فقد صار هيكل قريباً من جمال عبد الناصر، وكما قلت فإن اختيار عبد الناصر ليهكل لم يأت بشكل عفوى، إلا أن السؤال الذى ينبغى طرحه هو: هل كان هيكل مؤمناً بفكر جمال عبد الناصر؟! أنا أقول: نعم كان هيكل منبهراً بشخص جمال عبد الناصر كزعيم وكان مؤمناً بفكره.

هيكل أفاد عبد الناصر!

قلت للدكتور محسن عبد الخالق، فى تلك الأيام من عام ١٩٥٣. صدر كتاب «فلسفة الثورة» لجمال عبد الناصر، ونحن نعلم الآن أن هذا الكتيب «٦٨ صفحة» أفكار عبد الناصر وصياغة هيكل.

قال : جمال عبد الناصر لم يكتب «فلسفة الثورة» وليس هذا عيباً أو خطأ، لأن الرئيس أو الزعيم أو القائد ليس كاتباً موهوباً أو متفرغاً، فهو مسئول عن مشاكل وإدارة دولة بأسرها، وبالتالى فليس عنده الوقت الكافى أو التركيز الفكرى ليؤلف الكتب، ولذلك وكما قلت - فمن الضرورى أن يكون بجواره كاتب صحفي يرتاح إليه ويتجاوب مع أفكاره التى يود طرحها.

وبالنسبة لجمال عبد الناصر على وجه التحديد فقد كان يمتلك أسلوباً وذهناً صافياً ومنطقاً مرتباً وبشكل ملفت، وعندما كان يكتب تأشيراته أو ملاحظاته على المكاتبات أو الملفات التي تعرض عليه، تأتي التأشيرة بالفعل معبرة عن كل ذلك وعن أسلوبه الرصين، كما كان قارئاً ممتازاً ولديه القدرة على هضم وامتصاص ما يقرأ، وكنا نعرف عنه قبل الثورة أنه شغوف بالقراءة الجادة الرصينة.

وبالنسبة لفسفة الثورة فإن تصورى أن جمال عبد الناصر كتب حوالى أربع أو خمس ورقات ضمنها أفكاره وفلسفته وتصوراته، ثم قام هيكل بصياغة هذه الأفكار والتصورات التى صدرت بعنوان «فلسفة الثورة».

وبالمناسبة فقد كنت مدعواً عند الأستاذ هيكل فى عزبته ببرقاش فى الستينيات - هى واحدة من بين أبرز أمزجته الاجتماعية - وقلت له بشكل عفوى تماماً : لم كتبت فلسفة الثورة؟.

وأذكر أن هيكل يومها ابتسم وسكت!

على أى حال ليس بدعة أن يكون للرئيس او الزعيم كاتب او صحفى، فقد كان لتشرشل - وهو أديب كبير - من كيتب له، وديجول أيضاً - وهو كاتب فحل - كان بجواره المثقف الكبير وزير الثقافة أندريه موروا، وميتران بجواره الكاتب الصحفي. «إيريك رولو» إذن البدعة هى ألا يكون للحاكم أو الزعيم كاتب يعبر عن فكره وآرائه. فالصحافة مكملة للسياسة وكما سبق أن قلت لك إن الأستاذ هيكل استطاع أن يعبر عن فكر عبد الناصر بعمق وحيوية، وكان مؤمناً بهذا الفكر.

وليس صدفة إن يوحى جمال عبد الناصر إلى أصحاب جريدة الأهرام فى ١٩٥٧ -أقول يوحى برضاه - لو أن هيكل يصبح مسئولا عن الأهرام وكان عبد الناصر رحمه الله زعيماً من زعماء الإيحاء، وبذهاب هيكل إلى الأهرام فى

أغسطس ١٩٥٧ لم يعد عبد الناصر فى حاجة إلى شراء الأهرام كما كان مطروحاً فى ذلك الوقت.

ويهمنى هنا أن أقول إن هيكل لم يكن إلا رجلاً محترماً وغير مسف أو مهاتر، وكان أمينا على ما يقوله عبد الناصر، بل وتصورى أنه من أكثر الناس فهماً لفكره إن لم يكن أكثرهم، وكان يعرف حدوده، ولم يتجاوز أبداً أدب الحوار مع عبد الناصر كزعيم وكصديق، وما يقال ويشاع أنه كان الصحفى الأوحد والأول، وأنه حجب الشمس عن الآخرين فهو كلام غير صحيح، ولا أجد لهذه الاتهامات من سند إلا كونها مهاترات ومنافسات. فعبد الناصر نفسه هو الذى اختار هيكل، ولم يكن باستطاعة هيكل أن يفرض نفسه على عبد الناصر، اللهم إلا إذا كان عبد الناصر مقتنعاً تماماً به، وإذا كنا نختلف مع هيكل حول بعض آرائه فلابد أن يكون الخلاف موضوعياً، ولا يجب أن يخرج عن إطاره الموضوعى.

وفى النهاية أقول لك إن هيكل يوم أن قامت الثورة فى عام ١٩٥٢ لم يكن صحفياً صغيراً أو ناشئاً. بل كان يشغل منصب رئاسة تحرير آخر ساعة. وكنا كشبان نقرأ له مقالات ممتعة عن أزمة إيران وحرب كوريا، كما كتب عدة تحقيقات عن حرب فلسطين، وأذكر مرة أنه كتب فى آخر ساعة عن الفرق بين اللواء المواوى ومونتجمرى (المواوى كان قائد الجيش المصرى فى حرب فلسطين) واحدثت هذه المقارنة تأثيرها، فتصور المواوى فعلا أنه مونتجمرى، وبدأ يتعامل معنا نحن الضابط على هذا الأساس.

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: فى مذكرات عبد اللطيف البغدادى أذكر أنه قال: علمت من جمال عبد الناصر أنه قد تكلم مع محمد حسنين هيكل وأحمد أبو الفتح وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب إلا فى الحدود الضيقة جداً، وأن أنور السادات لمح إلى أحمد الصاوى محمد بجريدة الاهرام - رئيس التحرير وقتها - لاتخاذ نفس الاتجاه، وأن هيكل قام بدوره بإبلاغ ذلك لمصطفى وعلى أمين. ما تعليقك على ما رواه البغدادى فى مذكراته؟

قال الدكتور محسن عبد الخالق: ما نسبه عبد اللطيف البغدادى إلى جمال عبد الناصر فى مذكراته كان جزءاً من الصراع السياسى الذى كان يخوضه عبد

الناصر - وبهدوئه المعروف - في ذلك الوقت ضد الرئيس محمد نجيب، وليس مستبعداً على جمال عبد الناصر أن يفعل ذلك، ويبدو أن هذا ليس مستغربا في عالم السياسة، لان سعد زغلول فعل شيئاً مشابهاً لذلك عندما كان الوفد المصرى في لندن يتفاوض مع الإنجليز، وفشلت المفاوضات، وبقى سعد زغلول في لندن، بينما عاد إلى مصر عدد من الأعضاء «عبد اللطيف المكباتي وغيره». وأرسل سعد من لندن ببرقيته الشهيرة والتي تسببت في حدوث أول انشقاق في الوفد وصراع الزعامة.

وكذلك عندما سافر النقراشي باشا إلى مجلس الأمن ليعرض قضية مصر هناك، وأحسن مصطفى النحاس باشا بأن النقراشى قد استحوذ على الانتباه الداخلي والخارجي، فأرسل النحاس برقيته الشهيرة إلى مجلس الأمن والتى يقول فيها: النقراشي لا يمثل مصر!!

وأريد أن أقول للأخ عبد اللطيف البغدادى وهو من خيرة الناس إنه هو شخصياً تعرض لمثل ذلك الموقف عندما كان يشغل منصب وزير الشئون البلدية والقروية، وكان وزيراً ناجحاً للغاية، وتم خلال عهده إنشاء كورنيش النيل وكان إنجازاً كبيراً تتحدث عنه مصر كلها، وجاءتنى توصية من جمال بعد الناصر شخصياً بأن نخفف ونقلل من نشر اخبار وصور عبد اللطيف البغدادى التى كانت تملأ الصحف في ذلك الوقت.

وكما قلت لك يبدو أن هذا جزء من «تركيبة» الزعامات وطبيعتها!!

قلت له: ربما كان الرئيس الراحل أنور السادات هو الوحيد بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى مارس الصحافة كمهنة، فقبل الثورة عمل في دار الهلال وروزاليوسف ونشر مذكراته في المصور، وبعد الثورة كان يكتب في الجمهورية مقالات يومية وأسبوعية جمعها بعد ذلك في كتب عديدة منها «قصة الثورة كاملة» و«ياولدى هذا عمك جمال»... إلخ. فهل كانت هذه المقالات بالفعل يكتبها أنور السادات أم كان هناك من يكتب له كما يذهب هيكل في خريف الغضب وحلمى سلام في مذكراته التى نشرتها صباح الخير؟!

قال الدكتور محسن عبد الخالق: ما شاهدته بنفسى هو أن أنور السادات كان يكتب مقالاته بنفسه، وكانت مقالاته هى مشكلة المشاكل بالنسبة لجريدة

الجمهورية، فقد كان طبع الجريدة يتأخر دائماً بسببها، فقد كان السادات كثيراً ما يصل إلي مكتبه فى دار التحرير متاخراً، ثم يبدأ فى كتابة المقال بعد انصراف الناس من عنده، وكانت سكرتارية تحرير الجمهورية تعين له ما يشبه الحارس ويستلم مقاله ويذهب به إلى قسم الجمع مباشرة، وكنت أرى بنفسي مقالاته بخط يده، كما كتبها، وهذه كانت شكوى المطبعة من جراء تأخر السادات فى كتابة مقالاته.

فإذا ظهر بعد ذلك أن هناك من كان يكتب له مقالاته.. فالأمر إذن يحتاج من هؤلاء إلى توضيح أكثر بأدلة لا تقبل الشك.



المواجهة بين الضباط والصحافة

كانت الصحافة هاجساً يشغل بال جمال عبد الناصر !

وكان يؤمن ويعتقد في قوة الصحافة وخطورة تأثيرها على الرأى العام وتشكيل هذا الرأى بعد ذلك . ورغم أن قرار تنظيم الصحافة قد صدر فى مايو ١٩٦٠ ولكن يبدو أن مسألة الصحافة والسيطرة عليها كانت تشغل بال عبد الناصر ومنذ الأيام الأولى للثورة !

هيكل يؤكد أنه دارت بينه وبين عبد الناصر مناقشات طويلة أمتدت من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ حول ملكية الصحافة فى مصر !

جلال الحمامصى أحد الذين اقتربوا من عبد الناصر في السنوات الأولى للثورة يعترف أن عبد الناصر سأله عام ١٩٥٥ سؤالاً محدداً : ما رأيه فى تأميم الصحافة ؟ ! بل إن كبار الصحفيين فى مصر مهدوا بمقالاتهم لصدور هذا القرار، فهيكل يكتب عام ١٩٥٩ مطالباً الاتحاد القومى - التنظيم السياسى وقتها - بأن يكون له دوره الإيجابى فى توجيه الصحافة .

ويعود فتحى غانم فيؤكد فى صفحات روز اليوسف عام ١٩٥٩ من حق الدولة فى العصر الحديث أن تتدخل لتوجيه حرية الرأى ، ودعا إحسان عبد القدوس إلى تنظيم الصحافة داخل الاتحاد القومى، بل إن «على أمين» هاجم انفلات بعض الكُتاب وأن هذا الانفلات ليس مظهراً من مظاهر حرية الفكر .

وتأتى شهادة د . محسن عبد الخالق وقد كان متصلاً بالعمل الصحفى لفترة بلغت حوالى أربع سنوات ونصف لتضيف أبعاداً جديدة حول علاقة الثورة بالصحافة .

وأنشأت الثورة صحافتها !

قلت له : أعتذر عن المقدمة السابقة وعد بى للوراء قليلاً ، وانبش ذاكرتك القوية ، وحاول أن ترسم صورة بالألوان والظلال لعلاقة الثورة بالصحافة !

قال د. محسن عبد الخالق: عندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، أيدتها الصحافة ورحبت بها، بل ونستطيع أن نقول - دون مبالغة - بأن الصحافة المصرية قد وقفت إلى جانب الثورة بالكامل! إلا أنه وفجأة وبسرعة بدأ الأستاذ «أحمد أبو الفتح» رئيس تحرير جريدة المصرى يكتب مقالات حادة الكلمات فى التعبير عن وجهة نظره، كما تبنى وجهة نظر الوفد بالكامل تقريباً، ومن هنا كان موقفه من قانون الإصلاح الزراعى، ودعوته إلى عودة الثورة إلى ثكناتها وتسليم الحكم للمدنيين، وبالطبع كان يقصد حزب الوفد!

ولقد كان أبو الفتح فى ذلك كله متجاهلاً لمنطق العصر، بل ومتناقضاً مع نفسه ومع ما كان يكتبه قبل الثورة، وبالتحديد خلال العامين الأخيرين قبل قيامها وهى فترة حكم حزب الوفد نفسه طوال ١٩٥٠ - ١٩٥٢، بل فى أوساطنا نحن الضباط الأحرار، كان أحمد أبو الفتح وإحسان عبد القدوس وفتحى رضوان وغيرهم يحتلون قمة تقديرنا واحترامنا، لذلك كان غريباً جداً بالنسبة لنا أن يقف أحمد أبو الفتح هذا الموقف متجاهلاً أن هناك مبادئ لثوار يوليو قد أعلنوها وأنه يجب على الأقل الاطمئنان إلى أن هناك أيد أمينة ستتولى حماية وتنفيذ هذه المبادئ ليست فقط بالكلمة والمناورة السياسية، ولكن بالإيمان بموضوعيتها ومحتواها.

ولقد قيل لأحمد أبو الفتح إن الثورة ليست شاغلها الأكبر أن يأتى الوفد إلى الحكم. كما أنها لم تقم لهدم الملكية - وهو لفظ استخدمه الكاتب فى ذلك الوقت - والذى لا يخفى حنينه إلى عودة الملكية.

باختصار شديد أريد أن أقول إن عبد الناصر فى ذلك الوقت المبكر تنبه إلى ضرورة إنشاء جريدة تعبر عن فكر ثورة يوليو، فأسس جريدة الجمهورية لتقف أمام «المصرى» الكلمة بالكلمة والفكرة بالفكرة.. والمقالة بالمقالة.. والرأى بالرأى.. ولكن للأسف عندما عرضت رئاسة تحريرها على من رشحوا لها اعتذروا جميعاً، وأخيراً قبل رئاسة تحريرها الأستاذ حسين فهمى.

فما معنى هذا الاعتذار؟ هذا سؤال كان يتردد كثيراً فى ذهن جمال عبد الناصر، بل إن إجابته كانت أيضاً تتردد في فكره وعقله، وهى أن هذا الاعتذار أو الرفض منهم كان إما لعدم الاطمئنان لمستقبل الثورة، وبالتالى كان من الأفضل عدم الالتصاق بها أو عدم الإيمان أصلاً بها!

وإيماني الشخصي أن جمال عبد الناصر بطبيعة شخصيته بدأ من يومها يفكر في موقف الصحافة منه، وتأتي أزمة مارس ١٩٥٤ الشهيرة، ويدخل المصري معركة شرسة مع ثورة يوليو، مقالات ملتهبة يكتبها أحمد أبو الفتح.. وتدخل روزاليوسف أيضاً المعركة مع غيرها من الصحف.

أزمة مارس وأشرس معركة صحفية!

قلت للدكتور محسن عبد الخالق: لن أنكأ الجراح القديمة، ولكنى أنبش في بعض الأوراق القديمة واستعيد معك على الأقل عناوين وبعض سطور مقالات تلك الفترة الملتهبة من تاريخ مصر، مثلاً «صيحة لص» لأحمد أبو الفتوح، «العهد الجديد» للدكتور وحيد رأفت، «أسطورة الكفاءات في مصر» الإخوان والشيوعيين، «الثورة» لخالد محمد خالد.. «الجمعية السرية التي تحكم مصر» لإحسان عبد القدوس.. ما تعيه ذاكرتك عن أحداث تلك الفترة وما تعلق منها بالصحافة.

قال د. محسن عبد الخالق معلقاً: أفكار كثيرة كانت تدور في ذهن جمال عبد الناصر، وكنت وقتها بجواره بعد أن أفرج عني أول مارس ١٩٥٤، وكان عبد الناصر يتساءل: ماذا يريدون بعد أن أعلن مجلس الثورة قرارات عودة الديمقراطية في ٥ مارس ١٩٥٤، ومن ضمن هذه القرارات كما تعلم إلغاء الأحكام العرفية وعودة الحياة النيابية وتأليف جمعية تأسيسية تعد الدستور وعودة الجيش لثكناته وإلغاء الرقابة على الصحف.

ملحوظة عامة:

روى عبد اللطيف البغدادي في مذكراته (ص١٣٠) تعليقاً على هذه القرارات بقوله: ولما كانت الرقابة على الصحف قد رفعت يوم ٦ مارس ١٩٥٤، فلقد تقدم جمال عبد الناصر باقتراح وهو أن نعمل على إبلاغ الصحفيين الذين نثق فيهم بمطالب محمد نجيب، وعليهم أن يقوموا بالتعليق عليها، ومهاجمته لمدة أسبوع حتى يتبين للرأى العام حقيقة الموقف، وعلى ضوء نتائج تلك الحملة يمكننا التصرف بعد ذلك، كما اتفق أيضاً على أن يقوم خالد محيى الدين بإعلان رأيه في الصحف في اليوم التالي وأن يهاجم مطالب محمد نجيب، وعلى

أن يقوم أنور السادات كذلك بنشر الحقيقة كاملة في جريدة الجمهورية - التي يرأس تحريرها - عن قصة محمد نجيب وكيف أصبح قائداً للثورة والخلافات التي حدثت في خلال تلك الفترة.

ويكمل د. محسن عبد الخالق قائلاً: وفي رأيي الشخصي أن مجلس قيادة الثورة كان يستحيل عليه تماماً الرجوع في هذه القرارات أو العدول عنها لو أحسنت المعالجة السياسية للموقف برمته في حينها، ولكن رغم صدور هذه القرارات كان الهجوم على الثورة مستمراً، والسخونة السياسية تتصاعد. والسؤال الحائر يتردد في عقل عبد الناصر: ما الهدف؟! وما النية من وراء ما يجرى على أرض مصر؟!

وأدرك عبد الناصر وقتها، وبات واضحاً أمامه أن اقتلاع الثورة نفسها ومن ثم مبادئ هذه الثورة وقوانينها وعلى رأسها الإصلاح الزراعي هو الهدف والنية المبيتة! وليس عودة ديمقراطية «الأوليجاركية» أي ديمقراطية القلة التي كانت تسود قبل ١٩٥٢ هذا هو ما ترسب في ذهن وعقل عبد الناصر!

وفي هذا الجو الساخن، والمعرفة الشاملة بكل هذه الظروف والملابسات، ذهبت إلى أحمد أبو الفتوح - ضمن كثيرين ذهبوا إليه في محاولة الحوار الهادئ - أقول ذهبت إلى أبو الفتوح أرجوه أن يخفف من لهجته الملتهبة، وأن يخفف من حدة المواجهة، لكي نخلق جواً طيباً للحوار لعودة الديمقراطية، وقلت له: إن موقفه وكتاباته تضعف من موقف عدد كبير جداً من ثوار يوليو ممن يضغطون وبقوة للإسراع بعودة الديمقراطية.. وبدا لي يومها أنه اقتنع بما أقول؛ بل ووعدني يومها بتفريغ سخونة الكلمة وإطفاء لهيبها والاتجاه بمقالاته ناحية الموضوعية الهادئة.

ولكن للأسف - أتت مقالة اليوم التالي - صباح ليلة لقائنا - بنفس درجة اللهيب والسخونة، فلما سألت عنه تليفونياً، فإذا به قد سافر إلى بيروت، وكانت «سفرته» التي غادر فيها مصر، وليته تعاون مع الثورة وتحاور معها بهدوء وموضوعية.

إذن دخلت الصحافة عبر أزمة مارس ١٩٥٤ معركة شرسة لتقويض الثورة وبالذات جريدة المصري، وهنا تنبه عبد الناصر لدور الصحافة وبدأ يتساءل: هل تترك الصحافة هكذا في أيدي أصحابها يحركون بها القضايا العامة والرأى العام

كما يحلو لهم، بحيث تتفق مع اتجاهاتهم السياسية وتخدم مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية!

ومن هنا، وتحديداً من أزمة مارس بدأ عبد الناصر يفكر تفكيراً جاداً في مستقبل الصحافة في مصر، ودورها في تغيير هيكل البناء الاجتماعي ونسيج المجتمع المصري، وكذلك سياسات التنمية.

اعتذار هيكل لعبد الناصر!

قلت له: أتذكر أن الاستاذ هيكل روى في كتابه «بين الصحافة والسياسة» سطوراً يقول فيها: حين فكرت الثورة في إصدار جريدة تعبر عنها وهي «الجمهورية» طلب إلي جمال عبد الناصر أن أتولى الإشراف على إصدارها واعتذرت وكانت وجهة نظري: أنني متمسك بأخبار اليوم وعملي فيها وصداقاتي مع أصحابها.. ثم إن الفارق بين الثورة والحكومة ضائع وفي النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وإنما عن الحكومة، وأنا لا أتصور نفسي في جريدة حكومية، وثالثاً فإن الثورة لا تحتاج إلى جريدة تعبر عنها لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشيء.

قال د. محسن عبد الخالق: من البداية كان عبد الناصر متنبهاً تماماً لخطورة الصحافة ودورها السياسي وقوة تأثيرها! فكان من الطبيعي أن تصدر الثورة الصحف والمجلات الخاصة بها، فصدرت في مجلة التحرير ثم جريدة الجمهورية، وكان جمال عبد الناصر هو صاحب الامتياز، ولا أذيع سراً إذا قلت لك إن عبد الناصر قبل أن يصدر صحيفة الجمهورية اتصل بكل كبار الصحفيين في مصر عارضاً عليهم رئاسة تحريرها وكلهم رفضوا ولم يوافق سوى الاستاذ حسين فهمي، ولا تتصور مدى الألم والضيق الذي أحسه عبد الناصر نتيجة هذا الرفض، إذ تصور أنهم بهذا الرفض يقفون ضده وضد الثورة كما سبق إن قلت لك!

المهم لقد بدا واضحاً تماماً أن من نتائج أزمة مارس أيضاً أن تفكير عبد الناصر اتجه إلى تدعيم صحافة الثورة، واستقطاب الصحافة الأخرى، فأسس جريدة الشعب ثم جريدة المساء، ولكن ذلك كله في نظر عبد الناصر لم يكن كافياً، خصوصاً وقد كان يعلم أن صحافة الحكومة أو (فلنقل صحافة السلطة) تعاني

ضعفاً جذرياً وطبيعياً. حيث إن مرونتها الفكرية محدودة بطبيعة الحال، وانعدام النقد فيها مسألة واضحة، كما أن دفاعها عن السلطة أمر مفروغ منه، باختصار يمكننا أن نحكم بأن المساحة الفكرية لهذه الصحف الحكومية ضيقة وغير مشبعة لرغبات القارئ وفكره. ومن هنا مد عبد الناصر بصره إلى الدور الصحفية الأخرى، وبدأ يفكر في شراء جريدة الأهرام، بل دخلنا في مفاوضات فعلية مع أصحابه، إلا أن عبد الناصر كان يخشى أن تلقى الأهرام نفس حظ جريدة الجمهورية في حالة وضع الأهرام تحت الملكية المباشرة للثورة، وبرزت فكرة أخرى في ذهن جمال عبد الناصر وهي أن وجود رئيس تحرير يطمئن إليه عبد الناصر شخصياً في الأهرام كافٍ جداً ودون الدخول في المشاكل الإدارية والمالية لدار الأهرام، وكذلك الخشية من انعكاس ملكية السلطة للأهرام على استقلاليته التي عرف واشتهر بها!!

ومن هنا كان هيكل - والذى سبق أن اعترف لى عبد الناصر قائلاً: هيكل ساكن في رأسي - كان هيكل إذن هو الاختيار الذكي جداً لقيادة الأهرام، فقد استطاع هيكل أن يحافظ على استقلالية الأهرام وكيانه وتواصله التاريخي، مع نقله نقلاً ليناً وناعماً وكاملاً داخل الإطار الثورى.

قلت له: ضمن أسلحة الأستاذ أحمد أبو الفتوح ضد ثورة ٢٣ يوليو عامة وجمال عبد الناصر خاصة ما جرى لصحيفة المصرى، فهو مثلاً فى كتابه «التحدى» الذى صدر عام ١٩٧٨ فى أعقاب عودته من الخارج يقول ص ١٤: «أوقفت الديكتاتورية إصدار المصرى ولم تكتف في انتقامها عند حد سحب رخصتها بل امتدت شهوة الانتقام تصادر كل ما يملكه صاحب المصرى، وكانت مصادرة أملاكه التى وصلت الى شركة الإعلانات التى نقل ملكيتها من إنجليز يهود ليجعلها مؤسسة مصرية، كما امتدت شهوة الانتقام إلى أمواله فى البنوك، وإلى أثاث شقته وحتى إلى ملابسه الخاصة». وعدت أضيف: بل إن أحمد أبو الفتح فى تقديمه لكتاب «جريدة المصرى والقضايا الوطنية» لسهير اسكندر يعود فيقول. وتمكيناً للانتقام وتأكيداً لحرمان صاحب المصرى من كل هذه المؤسسات الصحفية ومبانيها ومطابعها تم وضع نص فى دستور ١٩٥٦ يضفى حصانة على كل أحكام «محكمة الثورة» وكل قرارات «مجلس الثورة».

قال: عقب خروجى من السجن فى مارس ١٩٥٤ كنت أشرف على دار التحرير وبلا مرتب، وأمر بمرحلة التكييف القانونى أو مرحلة التقنين الوضعى العام أو الوظيفى، وذات يوم كنت أزور صديقى عبد الحميد سراج الدين - رحمه الله - وكان يشغل وقتها رئيس مجلس إدارة بنك القاهرة، وأثناء جلستنا دخل علينا الأمير «عبد المحسن بن عبد العزيز» - يرحمه الله - وتجولنا فى حديثنا يميناً ويساراً، وبعد فترة من الوقت همس لى بأن لديه محفظة مالية مدينة للبنك وينصحنى بشرائها، وسألته عن طبيعة هذه المحفظة، فقال لى إنها محفظة مدينة بمبلغ ١٢٥ ألف جنيه للبنك، وأنه اتصل كتابياً بإدارة الأموال المصادرة (عبد الشافى عبد المتعال باشا) التى ردت عليه بالتصرف فى المحفظة وتسديد المديونية، ونصحنى بشرائها، بل وأبدى استعداد البنك لإعطائى قرضاً بقيمة الدين (أى ١٢٥ ألف جنيه) وذلك بضمان هذه المحفظة مع الضمان الشخصى له. أى أن معنى كلامه أن أحل محل المدين فى التزاماته وفى ملكيته للمحفظة ووافقت بعد أن شرح لى عبد الحميد سراج الدين محتويات هذه المحفظة وقوة مكوناتها، وكان أهم ما فيها ٧ آلاف سهم من أسهم بنك القاهرة نفسه بسعر اسمى قدره أربعة جنيهات، ولكن كان من المتوقع أن يصل سعره فى السوق إلى ١٤ جنيهاً، وحوالى أربعة الاف سهم من أسهم بنك التجارة، وبضعة آلاف من أسهم الشركة الإنجليزية للزيت.

ولكن كان أهم ما فى هذا الموضوع برمته، أن من محتويات هذه المحفظة كافة أسهم شركة الإعلانات المصرية، وكافة أسهم شركة الإعلانات الشرقية وشركة التوزيع المصرية، بالطبع كانت شركتى الإعلانات المصرية والشرقية معروفتين لدينا فهما مملوكتان لليهود (عائلة ڤينى) وسبق أن ألقيت عليهما إحدى القنابل. واتفقت مع الصديق عبد الحميد سراج الدين على موعد للتوقيع بعد أن يقوم محامى البنك بإعداد كافة العقود والتنازلات حتى تصبح المسألة قانونية، إلا أننى فجأة تنبهت وسألته عن مالك هذه المحفظة فإذا به يخبرنى أنها ملك محمود أبو الفتح!

وعلى الفور ركبت سيارتى وذهبت إلى بيت جمال عبد الناصر، وأخبرته بحكاية هذه المحفظة وأننى سوف أشتريها لدار التحرير، وشرحت له كل

الامتيازات التي تضمنها ووافق عبد الناصر على ذلك، وذهبت إلى الدكتور حنفي أبو العلا المحامي والاستاذ حافظ راغب المحاسب وأتممنا شراء المحفظة.

وبالمناسبة فقد كانت دار التحرير وقتها (الجمهورية) تشغل داراً كئيبة في شارع الصحافة وقريبة من دار أخبار اليوم، وكانت الدار ملكاً لإدجار جلاد باشا رحمه الله واشتريت منه بحوالي ٢٥ ألف جنيه على ما أذكر.

أذكر هذه القصة لأنه غير صحيح بالمرة ما يقوله الصديق أحمد أبو الفتح من أن الثورة استولت على شركتي الإعلانات الشرقية والمصرية، وأن جمال عبد الناصر قد حصن نفسه في هذا الموضوع بقرارات وحصانات قانونية يصعب النفاذ إليها، وأظن أن بنكاً كبنك القاهرة لا يزال يحتفظ بمثل هذه المستندات.

حكاية موسى والسادات!

قلت له: يرى البعض - يا سيدى - أن كتابات هيكل حولت عبد الناصر إلى أسطورة وما يشبه الظاهرة، أما كتابات الأستاذ موسى صبرى فقد دفعت بالسادات إلى حادث المنصة، ورغم خلافي مع التفسيرين إلا أننى أريد سماع تفسيرك؟

قال د. محسن عبد الخالق: لا أود لحوارنا أن يخرج عن مساره الجدى! ولا أحب أن يكون السؤال عن ظاهرة هيكل وعبد الناصر أو ظاهرة موسى صبرى والسادات، فكما سبق أن قلت لك إنه من غير الطبيعى ألا يكون للزعيم أو الرئيس كاتب صحفي يرتاح إليه ويتجاوب مع أفكاره التي يود طرحها، هكذا كان هيكل وهكذا كان موسى صبرى، أما أن يقال إن مقالات موسى صبرى دفعت إلى النهاية المأساوية للرئيس السادات فهذا تبسيط وتسطيح شديد للأمور. فالسادات سواء قبلنا أو رفضنا أحدث انقلاباً تاريخياً شاملاً في المنطقة منذ حادثة إنشاء دولة إسرائيل، فقد قام بحرب أكتوبر ١٩٧٣ وهى حرب التحرير العربية، وانتهى بالصلح وهو منعطف خطير.

ومن غير الطبيعي ألا تتجمع قوى عربية ضده وألا تملأ سماء حياته السياسية سحب كثيفة من تيارات متباينة، ومن هذه السحب ومن هذه التيارات «انطلق النيزك» الذى صرعه في يوم عيد تحرير أرضه.

أما الأستاذ موسى صبرى فهو قد زامل السادات فى المعتقل وعرفه عن قرب وأحبه وآمن به وكانت بينهما صداقة وطيدة، ثم إنه كاتب كبير وهو صحفى من رأسه حتى أخمص قدميه، وهو كاتب سلس العبارة، يطوع الكلمة بيسر وسهولة، حاد النبرة ولاذع العبارة.

* قلت: ما رأيك وقد اتصلت بدنيا الصحافة وعرفت عن قرب أسماء لامعة، وقرأت لأسماء أخرى لامعة.. ما هى ذكرياتك عن بعض من عرفت! مثلاً إحسان عبد القدوس؟!

قال: له منزلة خاصة فى قلوب ثوار يوليو فهو من صناعها، كاتب كبير من قائمة الأفذاذ، فنان فى كتاباته السياسية، ومصور سياسى واجتماعى بارع فى معالجته القصصية!

* قلت: وأحمد بهاء الدين؟

قال: كاتب فحل يخاطب العقل، ويأخذك مقتنعاً إلى حيث يريد، شمولى المعرفة والنظرة والثقافة، قوته فى الكلمة الحلوة النفاذة والتسلسل المنطقى وسعة المعرفة، وأولاً وأخيراً تجرده وموضوعيته، ويؤسفنى جداً أنه مقل فى كتبه!

* قلت: وهيكل؟

قال: محاور بارع فى كتاباته، شيك، يستخدم الكلمة والجملة والعبارة بدهاء عميق، كتاباته وجبة تشبع، ولكن تترك القارئ بعدها للتساؤل من أقصى يمين الكلمة إلى أقصى يسارها، فارس من فرسان الصحافة فى مصر وفى قرنها العشرين كله.

ومهندس كبير من مهندسى الصحافة فى مصر والعالم العربى كله، عف، هادئ، ابتسامته حلوة ومن رواد تطوير الصحافة كمهنة وكفن!

* قلت: ومصطفى أمين؟

قال: نقلل من شأنه لو قيمناه، هو هرم من أهرامات الصنعة الصحفية، جرئ فى مهنته، أكبر مخبر صحفى فى مصر، يقف دائماً خلف الستار ليحرك شخوص اللعبة، وعلى رأسها اللعبة السياسية. أما على أمين رحمه الله فقد كنت أحبه، فقد عاش معى أغلب سنوات المنفى، طيب القلب، وكان يعبد مصطفى أمين، والاثنان يعبدان صفية زغلول «أم المصريين» ومن أجلها يدخلان كل المعارك خصوصاً مع الوفد!

* قلت : ومحمود السعدنى :

قال : الكاتب الساخر الأول فى العالم العربي كله، ومعروف على الصعيد العربى ربما أكثر من مصر، عرفته منذ ٣٢ عاماً، بالتمام والكمال، عرفته فى صحبة دائمة مع «الفلس» وزارنى كثيراً فى لندن ثم دخل عالم السياسة بأسلوب الشاطر حسن فسجن، فنان من رأسه إلى أصغر أصبع من أصابع رجليه، كذلك هو من جيل الظرفاء.

* قلت : وإبراهيم سعدة؟

قال : من الجيل الثانى للقيادة الصحفية، أعجبت به جداً من خلال عموده الأسبوعى «آخر عمود» يخطو بسرعة إلى النجومية المطلقة، أسلوبه طيع مع تسلسل منطقى وتواصل سنسمع عنه ومنه أكثر وأكثر، أريد منه كتباً أكثر مما كتب.



قائمة أخرى: بأسماء الضباط الأحرار

ما جرى يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ يستحق التأمل الهادئ والمناقشة العميقة !

فما جرى في ذلك اليوم وسمي وقتها بقضية انقلاب المدفعية كان أول صدام بين ثوار يوليو وبعضهم حول المستقبل: مستقبل الثورة نفسها !

وفي ذلك الوقت كان اللواء محمد نجيب على رأس الثورة أو واجهتها، بينما قنع ثوار يوليو وقادتها بالظل !!.

يروي محمد نجيب في كتابه «كنت رئيسا لمصر» تفاصيل ما جرى بقوله: عقد ضباط المدفعية الذين اذكر منهم الآن محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت جلسة عاجلة وقدموا اقتراحاتهم لعبد الناصر ولكمال الدين حسين، وبعد أن انصرفوا عقد ضباط القيادة جلسة عاجلة لمناقشة اقتراحاتهم، ولم يؤخذ باقتراحات ضباط المدفعية في هذا الاجتماع بل تقرر فيه القبض عليهم.. كان عددهم حوالي ٣٥ ضابطاً، وكانوا جميعاً من الضباط الأحرار الذين كان لهم دور بارز في تحركات ليلة ٢٣ يوليو.. وبعد تحديد إقامة «رشاد مهنا» في اكتوبر ١٩٥٢، بدأ هؤلاء الضباط يوجهون الانتقادات العلنية لضباط القيادة ويتهمون العديد من رجالها مثال «عبد المنعم أمين وصلاح سالم وأنور السادات» باستغلال نفوذهم لتحقيق مصالحهم الخاصة.. وقاموا بتجميع ضباط من أسلحة اخرى وضمهم إليهم، ومدوا جسوراً مع المدنيين ورجال الأحزاب ومرشد الاخوان، وقرروا أن يقبضوا علينا بالقوة، وأن يجبرونني على إعلان بيان يتضمن ما يريدون اعلانه».

أما «عبد المنعم أمين» نفسه فيؤكد أنه «لم يكن هناك تآمر بمعنى اعداد مؤامرة والاتفاق على انقلاب، البعض يعلن رفضه لما يحدث بصوت عال وفي ذهنهم أن أعضاء مجلس قيادة الثورة ضباط مثلهم تماماً ولكن المجلس كان يعمل بحساسية شديدة، فيلقي القبض عليهم خوفاً من تطور الأمور (ص١٤٣ ثوار يوليو.. الوجه الآخر - تأليف حمدى لطفي).

ويؤكد الاستاذ احمد حمروش.. كان ١٥ يناير ١٩٥٣ نقطة تحول فى تاريخ وتقاليد الجيش المصرى، إذ دخل الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية معتقلين إلى سجن الأجانب، بدعوى أنهم يدبرون مؤامرة لإغتيال أعضاء مجلس قيادة الثور (قصة ثورة ٢٣ يوليو)

حكاية رشاد مهنا..كيف..لماذا؟!

طويت أوراقى وعدت اسأل الدكتور محسن عبد الخالق: عندما نشرت الصحف اليومية الصادرة فى ٣١ مارس ١٩٥٣ أحكامها فى قضية المدفعية وكانت تقضى بالآتى: (١ • قائمقام «عقيد» رشاد مهنا السجن المؤبد ٢- يوزباشي «نقيب» محسن عبد الخالق ١٥ سنة سجن وطرد من الخدمة العسكرية».دعنى فى البداية أعرف منك حكاية رشاد مهنا؟ وماذا جرى فى تلك الأيام؟!

قال الدكتور محسن عبد الخالق: سبق أن قلت لك إننى ممن يعتبرون «رشاد مهنا» الشهيد الحي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فرشاد مهنا بلا شك، صاحب مدرسة فى الخلق العسكرى، ومدرسة النظافة فى كل أبعاد الخلق الإنسانى، رجل ريفى شهم، يعالج الأمور بالحق والعدل والصدق، وقد تربينا نحن الضباط الصغار في هذه المدرسة منذ تخرجنا من الكلية حيث لعبت مدرسة رشاد منها دوراً مؤثراً فى بناء ضباط المدفعية مع غيره من قادتنا المرموقين أمثال حافظ إسماعيل وأحمد حسن الفقى وأحمد فؤاد - رحمه الله - وغيرهم وغيرهم!

فى ليلة ٢٣ يوليو كان رشاد مهنا برتبة العقيد (القائمقام) وقائداً لمدفعية منطقة العريش، وقام ليلتها بقيادة سلاحى المدفعية والفرسان فور وصول الإشارة إليه من قوات القاهرة الساعة ٢,٤٠ صباح ٢٣ يوليو، المهم أنه عندما تحركت الوحدات فى القاهرة، تحركت بعدها مباشرة وحدات رشاد مهنا فى العريش وبالكامل (الساعة ٣,٣٠) وأهمية تحركه أنه علاوة على المساندة الثورية لقوات القاهرة، فهو أيضاً دلالة موضوعية على الشمولية الثورية فى أهم منطقتين لتمركز القوات المسلحة.

وفى اليوم التالى للثورة أرسل «عبد المنعم أمين» برقية لرشاد مهنا لكى يحضر إلى القاهرة، وبعدها بيوم أرسل عبد المنعم برقية أخرى له، وفعلا حضر

رشاد واستقبله ضباط المدفعية بحفاوة بالغة بلغت حد المظاهرة، وكان هذا الاستقبال سبباً في انزعاج مجلس قيادة الثورة، فقد كان رشاد مهنا يتمتع بشعبية وسط واحد من أكبر التجمعات العسكرية الثورية وهي المدفعية. وفي الوقت نفسه فهو شخصية آمرة وذو حضور عنيد!

المهم أنه تم تعيين رشاد مهنا وزيراً للمواصلات، ومن ثم عضواً بمجلس الوصاية على العرش، ومن هنا بالضبط بدأت المشاكل والمتاعب!! فقد اصطدم رشاد بمحمد نجيب، وكان رشاد لا يكن لمحمد نجيب احتراماً كبيراً.

ومالبث أن انتقل الصدام إلى مجلس قيادة الثورة نفسه. وأصبحت العلاقة بينهما متوترة بدلاً من أن يكمل كل منهما الآخر (أى مجلس الوصاية ومجلس قيادة الثورة). وأحس جمال عبد الناصر بخطورة الموقف. ولأنه كان يعرف موقع رشاد مهنا في قلوب مجموعة المدفعية فقد اجتمع معنا (فتح الله رفعت وأنا) وشرح لنا هذه الازمات وناقشنا معه كافة الحلول المقترحة لإنقاذ الموقف الذى يزداد توتراً، وذهبت مع فتح الله رفعت لمقابلة رشاد مهنا والتفاهم معه، وكنا بالفعل على وشك الوصول إلى «حل تنظيمى» يريح الجميع، إلا أن بهى الدين بركات باشا - وكان عضواً بمجلس الوصاية - كان دائم الاتصال برشاد مهنا ويشجعه على أخذ موقف متصلب من محمد نجيب ومن مجلس الثورة نفسه!.

وقمت بالاتصال بصديق عمرى «عيسى سراج الدين» وهو أحد الضبايط الاحرار ومن قادة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو ابن عم فؤاد سراج الدين وابن خالة رشاد مهنا، وأفهمت عيسى الموقف والوضع السياسى كاملاً، واتفقنا على الحلول، كما شكلنا لجنة من مجموعة المدفعية ضمت كل من فتح الله رفعت، كمال لطفى، على فهمى شريف، أحمد كامل، على فوزى يونس وغيرهم كثيرون، وذهبنا لرشاد مهنا إلا أننا لم نوفق، وازداد الموقف تأزماً.. وازدادت العلاقة توتراً.

واقترحنا أن يتم تعيين رشاد مهنا سفيراً لمصر فى باكستان إلى أن تنتهى فترة الانتقال المقترحة، وتعود الحياة الطبيعية، وبالتالى يعود معها رشاد ويختار لنفسه ما يشاء، ويتدخل القدر ليلعب دوره، فيذهب عبد الناصر إلى منزل رشاد

لكي يبلغه شخصياً ورسميا بترشيحه سفيراً لمصر في باكستان، فلم يجده في المنزل، وعندما علم رشاد بأمر الزيارة ذهب لمنزل عبد الناصر فلم يجده.

ومع كل ساعة ودقيقة تمر كانت الأزمة تشتد، والجو المشحون يزداد توتراً، وأطراف الأزمة تفكر بأعصابها لا بعقولها.. وللأسف لعب الأخوان سالم «صلاح وجمال رحمهما الله» دوراً في اشتداد التوتر وكانا بدورهما لا يستلطفان رشاد مهنا!.

وسرت الشائعات بين وحدات المدفعية، وأصبح وجود رشاد يشكل خطراً على الثورة، فتم تحديد إقامته، وبعدها بشهور تم تقديمه للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ٢٥ عاماً.

صحيح أن رشاد مهنا حوكم معنا فيما سمي بقضية المدفعية، ولكن لم يكن له أية علاقة بهذه القضية، ومن يومها ظل رشاد مهنا بين سجين ومعتقل أو محدد الإقامة، لهذا أقول أنه شهيد مؤمن ورع أعطاه الله الصبر والهدوء على تحمل المحنة سنوات وسنوات!.

حاكمني عبد الناصر في خمس دقائق!!

قلت: دعنا نعود لقضية المدفعية. ودعني أستشهد بما رواه «أحمد كامل» الذى شغل لفترة من الوقت مناصب رئيس المخابرات العامة. ومحافظ الإسكندرية، وأمين منظمة الشباب، حيث قال: فى صباح ١٦ يناير فوجئنا بالقبض على محسن عبد الخالق، فتح الله رفعت، وأحمد حمروش ورشاد مهنا الذى كان جمال عبد الناصر قد طلب منى أنا ومحسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وعيسى سراج الدين الذهاب إليه لمعرفة طلباته حيث إنه مختلف معنا.. وبدأنا نتساءل عن سبب اعتقال زملائنا، ودعينا لاجتماع فى ميس المدفعية وحضر حوالى «٣٠٠ - ٤٠٠» ضابط وحاولوا إقناعنا بإحضار عبد المنعم أمين ثم محمد حسين قائد المدفعية ثم كمال حسين ومعه أبو الفضل الجيزاوى، وكنت البارز فى التصدى لهم دفاعاً عن زملائنا المعتقلين، وقررنا بعد ما ذهب هؤلاء الضباط أن نعتصم، وأن تشكل لجنة تحقيق انتخبنى الضابط لأكون عضواً بها لسلامة الإجراءات، وفوجئنا أخيراً بحضور جمال عبد اناصر الذى سأل عنى فور دخوله ثم قال لى: هل تثق بى؟ فقلت نعم. فقال: هل تعرف صلتى بمحسن

عبد الخالق؟! فقلت نعم، فقال هل يرضيك أن أشرف أنا على التحقيق فوافقت طبعاً.. (شهود يوليو تأليف أحمد حمروش ص ٦٤).

وعدت أقول للدكتور محسن: ٣٣ عاماً مضت على أحداث ووقائع قضية المدفعية ما هي بالضبط قضية المدفعية؟

قال: لقد سبق أن ذكرتها منذ سنتين ولا أحب أن أسميها قضية، ولكن الأدق أنها كانت موقفاً سياسياً لغالبية ثوار المدفعية، ويتلخص هذا الموقف ببساطة شديدة في:

أولاً: تحديد فترة انتقال معقولة تسمح بإفراز المناخ الأفضل للبناء الديموقراطي الليبرالي الصحيح.

ثانيا: وضع نظام سياسي بسيط ذي فعالية تسير عليه مصر خلال فترة الانتقال من حيث التكييف السياسي والقانوني السليم لأجهزة الحكم «مجلس الوصاية، ورئيس الجمهورية، مجلس قيادة الثورة، الوزراة... إلخ» فقد كانت هناك تعرضات أو تناقضات فيما يختص بمسألة السيادة ومسئولية الحكم وعلاقة الأجهزة ببعضها.

ثالثاً: تحديد عدد أعضاء مجلس الثورة بأقل عدد ممكن، وقد أقترح بأن يكون عدد أعضاء هذا المجلس بين خمسة إلى سبعة أعضاء بدلا من ١٤ عضواً.

رابعاً: أن ننتخب جمعية وطنية بطريقة ما، حتى تكون هناك مساءلة ما، وبحيث لا تسمح بالاتجاه بالنظام السياسي في مصر إلى الدكتاتورية، وقد اقترح أن يكون عدد أعضاء الجمعية حوالي ٣٠ عضواً أو أكثر على أن تضم ممثلين عن الثورة والقوى السياسية والقوى الوطنية.

وكدنا ننجح لولا أن الهيستريا الثورية والسياسية تغلبت على التفكير الهادئ والرؤية السياسية السليمة.

هذه باختصار أبرز وأهم نقاط موقف ثوار المدفعية. ولقد كان جمال عبد الناصر نفسه على دراية بكل اتجاهاتنا، بل كان يناقشني دائما في الشكل السياسي لفترة الانتقال، كنا نتبادل الرأى وكان موافقاً معي، أو كنا نختلف ثم نتفق، فمثلا وافق عبد الناصر على أن يكون عدد أعضاء مجلس الثورة خمسة اعضاء فقط وتم الانتخاب فعلاً، وفي هذه الفترة كان يتصل بنا «صلاح سالم» رحمه الله لنؤيد انتخابه، وقد طلب منا أن نقابله بهذا الخصوص، فتقابلت معه

في كازينو الجمال بشارع الهرم بحضور فتح الله رفعت «عضو مجلس الشعب الآن».

أما عن المحاكمة نفسها - أقصد محاكمتي - فإذا نحينا جانبا المظهرية والأضواء الخافتة والجانبية المسلطة والاستدعاء بعد منتصف الليل، ومنظر المسدسات، ومدافع الماكينة، فلم يكن هناك شيء ذو بال، في محاكمة لم تستغرق أكثر من خمس دقائق سألني يومها جمال عبد الناصر: هل أنا - أي عبد الناصر - كنت مشتركاً معكم؟!

ورفضت هذا الاتهام لأنني اعتبرته انتقاص من مبادئنا ومنطقنا ودوافعنا، فقد حكمتنا وحركتنا مبادئ ورؤى سياسة ولم تحركنا تكتلات الأفراد. وأعود لأوكد لك، أن عبد الناصر كان على علم بكل اتجاهاتنا.

ولكنني أعود فأقول إن الهيستريا الثورية كانت أقوى من كل منطق، وكان الخوف الشديد على الثورة، والحرص على أن تتجنب الثورة المصرية مسار انقلابات حسني الزعيم والحناوي وأديب الشيشكلي.. إلخ، وهي الانقلابات السورية المتتالية أوجد مواضع للشك والريبة والحذر رغم ما بيننا من ثقة!!

ابتسمت وقلت له: كان المفروض إذن وسنوات العقوبة «١٥ عاما أن تخرج من المعتقل عام ١٩٦٨ فما هي ظروف خروجك من المعتقل بعد «١٤ شهراً»؟!

قال الدكتور محسن عبد الخالق: في يوم أول مارس عام ١٩٥٤ فوجئت بعربة رئاسة الجمهورية تحضر إلى السجن، وتأخذني لمقابلة جمال عبد الناصر، قابلته، وتكلمنا وشرح لي قرارات مجلس الثورة الخاصة بعودة الديموقراطية! وبذلك لم يعد هناك مبرر لاستمراري في السجن، وبدلا من أن يقوم محمد نجيب كرئيس للجمهورية بالإفراج عنا جميعا كما اشيع وقتها، أفرج عنا جمال عبد الناصر بصفته رئيس مجلس الثورة الذي حاكمنا!!

الضباط الأحرار: القصة الكاملة!!

قلت: كثر الكلام عن الضباط الأحرار. وعمن قاموا بثورة ٢٣ يوليو!! وعندما نشر «محمود الجيار» مدير مكتب عبد الناصر مذكراته في روزاليوسف (١٢ يناير ١٩٧٦) روى حكاية لها دلالتها البالغة تعود إلى عام ١٩٦٣ عندما.

تلقى خطاباً من سعد عبد الحفيظ ضابط المدرعات وأحد الضباط الأحرار يقترح فيه «ضرورة عمل حصر شامل دقيق للضابط الأحرار الأوائل ودور كل منهم حتى قيام الثورة.. ثم بحث الظروف التى تمر بكل منهم حالياً - أى عام ١٩٦٣-» ووصلت رسالة سعد عبد الحفيظ إلى جمال عبد الناصرعن طريق سامي شرف سكرتيره لشؤون المعلومات.. وكتب عبد الناصر بخط يده على الخطاب مايلى:

الجيار.. أوافق علي الاقتراح، ويمكنك مع شمس عمل المطلوب. أولاً حصر الضباط الأحرار. ثانياً: ما هو موقفهم الآن.. جمال عبد الناصر.

يقول الجيار بعد ذلك: إن التأشيرة لم تنفذ، فقد تهرب شمس بدران من عقد أى اجتماع لإنجاز المهمة.

عدت أسأل الدكتور محسن: عندما نشرت أسماء الضباط الأحرار فى أواخر عام ١٩٧٢ اتخذت ترقيماً.. فهل كان لنشر الأسماء بهذا الترتيب دلالة على الأولوية أو الأسبقية فى العمل الوطنى أو مكانتهم داخل تنظيم الضباط الأحرار!!.

قال: معك حق فى سؤالك. فعندما نشرت أسماء الضباط الأحرار فى جريدة الوقائع الرسمية رقم ٤٦ مكرر بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٢ تصور البعض نفس ما سألتنى عنه.. إننى قرأت وقتها في مجلة المصور أن فلاناًيأتى على قائمة الضباط الأحرار وهذا خطأ جملة وتفصيلاً، فقائمة الأسماء وضعت أولاً باقدمية الأسلحة أى سلاح المشاة يسبق فى الأقدمية سلاح المدفعية، ويليها سلاح الفرسان «المدرعات» وهكذا.. إذن هى أقدمية السلاح التاريخية، ثم رتبت اسماء كل مجموعة حسب أقدمية الرتبة.. وبغض النظر عن الأقدمية فى التنظيم وفى العمل الوطنى.. وهذا الانضباط والالتزام كان هو ما تميز به تنظيم الضابط الأحرار.

والذى أريد تأكيده هو أن كل الأوضاع فى مصر كانت تدعو إلى ثورة.. ولو لم يكن هناك «ضباط أحرار» لكان هناك آخرون تبنتهم التربة الثورية، فالمد الثورى كان جارفاً وكثر الكلام عن أولئك الذين قاموا بالثورة، عن اسمائهم وميولهم ووحداتهم العسكرية.. والذى أريد أن أوكده انهم ربما قد يكون لبعضهم ميول، ولكنهم جميعاً جماعة وطنية من أنقى المعادن إخلاصاً

وتضحية، ويكفي كما قلت أن الثورة كان قد عرف خبرها منذ حوالى الساعة التاسعة مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ فإذا بهم وبكل الإصرار والعناد والوطنية يذهبون إلى ثكناتهم ويقودون وحداتهم غير مبالين بشيء مما قد يحدث لهم. اللهم إلا أداء الواجب الوطنى، وأظن الجميع يعلم أن القانون العسكرى واضح هنا.. فجزاء التمرد - مجرد تمرد - الإعدام رمياً بالرصاص.. واخف الجزاءات الطرد والتشرد، ورغم علمهم بكل هذا تقدموا ولم يترددوا وهذا يكفى!!

وأظن أن من حق هؤلاء أن تعرف أسماؤهم والتى اهديها لابنائهم واسرهم حيث ان الكثير من هؤلاء قد إنتقلوا إلى جوار ربهم! كان للثورة خطة عمليات كاملة كخطة أى معرك كاملة التفاصيل والاهداف والواجبات والتحركات.. إلخ.. وقد وزعت هذه الواجبات على الوحدات المشتركة، وقام بوضع الخطة «زكريا محيى الدين» بتكليف من قيادة الضباط الأحرار والتى قامت بمناقشتها وإقرارها.. كما قامت قيادات الأسلحة بدراستها وتفهمها.. بل وأدخلت عليها بعض التعديلات كما حدث بالنسبة لسلاح المدفعية..

وانقسمت القوات المشتركة إلى قسمين: (قوات ضاربة) وهى قوات القاهرة التى تحركت عند ساعة الصفر. و(قوات مساندة) اى القوات التى ساندت قوات القاهرة وهى قوات المناطق العسكرية الخارجية وتكونت من قوات القاهرة وهى قوات المناطق العسكرية الخارجية وتكونت من قوات القنال ورفح والعريش والإسكندرية. وتتحرك هذه القوات المساندة بعد إبلاغها بتحرك ونجاح قوات القاهرة الضاربة..

ولم تجد صعوبة فى حصر قوات القاهرة، ولكن الصعوبة قائمة وحتى الآن فى حصر أسماء افراد القوات المساندة.. فقوات القاهرة تحركت عند ساعة الصفر وهذا حدد الأمور، أما القوات المساندة فتحركت فى أوقات مختلفة وبخطط متباينة.

والوحدات التى تحركت والضباط الذين قادوها هم هؤلاء الضباط الذين سأذكر اسماءهم، ولا أدعى لنفسى العصمة من الخطأ.. ويسعدنى ان اتلقى تعليقاً على ما اذكره، وذلك حتى نعد سجلاً صحيحاً عن ليلة ٢٣ يوليو نتركه وراءنا للتاريخ، كما ان الأسماء التى سأذكرها رتبت حسب الأقدمية فى الغالب الأعم، وكذلك لا فضل ولا أسبقية لأحد على غيره، فالثورة بطبيعتها عمل جماعى وليست علماً فردياً..

وما هو كشف أسماء الضباط الأحرار:

أسماء الضباط الأحرار

القوات الضاربة (قوات القاهرة)

أولاً: سلاح المشاة (٣٦ ضابطا)

١ - الكتيبة ١٣

قائمقام	أحمد شوقي
صاغ	صلاح نصر
صاغ	محمد صلاح الدين سعده
صاغ	محمود جمال الدين حماد
يوزباشي	عمر محمود علي
يوزباشي	محمد جمال الدين القاضي
م. أول	محمد نهاد منير
م. أول	سعيد عبد العزيز حليم
م. أول	محمد السيد عفيفي
م. أول	واصف لطفي حنين
م. ثاني	محمد علي كامل
م. ثاني	مصطفى أبو القاسم
م. ثاني	أحمد فؤاد عبد الحي

٢ - تدريب اللواء السابع

بكباشي	أحمد حمدى عبيد
بكباشي	أحمد أنور
يوزباشي	علي محمود الصغير
يوزباشي	حسن أحمد دسوقي
يوزباشي	محمد عبد الرحمن نصير
يوزباشي	حسين السيد عبد القادر
يوزباشي	محمود عبد اللطيف الجيار
يوزباشي	محمد عبد الوهاب العفيفى

٣ - لواء ٦ مشاة (لك ١٦)

يوزباشي	محمود أحمد الإتربى
يوزباشي	شمس الدين علي بدران
م. أول	نبيل سعيد مصطفى
م. ثاني	عباس محمد عباس

٤ - كتيبة (١)

مدافع ماكينة (يوسف منصور صديق)

يوزباشي	عبد المجيد شديد رضوان
يوزباشي	زغلول عبد الرحمن
م. أول	محمود عباس عبد الهاذى
م. أول	حسن ابراهيم شكرى
م. ثاني	عبد الخالق صبحى عبد الرحمن
م. ثاني	إسماعيل طه الشريف
م. ثاني	محمود حسنى عبد القادر
م. ثاني	محمد علي متولي غنيم
م. ثاني	صلاح الدين جاد عثمان
م. ثاني	محمد أحمد عرفة
م. ثاني	عمر أبو جليل يونس

ثانياً : سلاح الفرسان (٤٠ ضابطا)

١- القيادة والعمليات

صاغ ثروت عكاشة
صاغ عثمان فوزى

٢- قوة الدبابات

يوزباشي أحمد سامي تركى
يوزباشي عبد الله فهمي حسن
يوزباشي أحمد رؤوف أسعد
م. أول توفيق عبده أسماعيل
م. أول أحمد إبراهيم حمودة
م. أول حسن رفعت الدمنهورى
م. أول على محمد على
م. أول محمد أحمد المغربى
م. أول محمد إبراهيم عطية
م. أول محمد بهاء الدين الحينى
م. ثانى عبد المنعم فؤاد عانوس
م. ثانى فؤاد محمود عمر

٣- قوة السيارات المدرعة

صاغ سعد حسن حمزه
يوزباشي عبد الفتاح علي أحمد
م. أول محمد صبرى مأمون القاضى
م. أول إبراهيم عبد الغفور العربى
م. أول أحمد على المصرى
محمود عبد اللطيف حجازى

م. أول ممدوح شوقى أحمد شوقى
م. أول أمال فتح الله المرصفى
م. ثانى فاروق عزت الأنصارى
م. ثانى أحمد ممدوح إسماعيل
م. ثانى فكرى محمد بطاح
م. ثانى كمال أحمد صالح
م. ثانى وفيق أبو الفتوح دراز
م. ثانى أحمد حلمى حسين

٤- قوات أخرى

صاغ محمد صلاح الدين عيدروس
صاغ حسن ابراهيم حسنين
يوزباشي وجيه محمد رشدى
يوزباشي مصطفى حسن حمزة
م. أول محمد عثمان الكتبى
م. أول فاروق توفيق
يوزباشي محمود محمد التهامى
يوزباشي مهندس/ أحمد جمال علام نصار

٥- ملحوظة

صدرت الأوامر قبل القيام بالثورة بعدة أيام لكل من :

يوزباشي محمد سعد الدين عبد الحفيظ
يوزباشي جمال الدين محمد محفوظ
يوزباشي مصطفى عبد المجيد نصير
يوزباشي عبد الحميد عبد السلام كفافى

بالابتعاد عن أى نشاط لأن هناك معلومات تفيد بمراقبة البوليس السياسى لهم، وفى الصباح الباكر يوم ٢٣ يوليو انضموا إلى وحداتهم وهؤلاء الاربعة كان لهم دور أساسى وبارز فى الإعداد للثورة.

ثالثا : سلاح المدفعية (٤٦ ضابطا)

١- العمليات

يوزباشي فتح الله رفعت محمد
يوزباشي محمد أبو الفضل الجيزاوى
يوزباشي محسن عبد الخالق السيد

٢- الآلاى الرابع المدرع

يوزباشي حسن عبد الغفار زكي
يوزباشي محمد صلاح الدين عبده
يوزباشي مصطفى كامل مراد
م. أول محمد عصمت رضا
م. ثاني عبد السلام عثمان أبو المجد
م. أول فاروق محمد عجاج

٣- الآلاى الخامس المدرع

صاغ محمود ربيع عبد الغنى
يوزباشي حسين جمال نظيم
يوزباشي محمد حمدى محمود
م. أول محمد كامل رشدان
م. أول جميل هلال عمر
م. ثاني محمد شاور داود
م. ثاني محيى الدين خليل رجب
م. ثاني فاروق عبد القادر السيد
م. أول صلاح الدين عباس حمودة

٤- الآلاى الثاني م/د

م. أول بدر حميد بدر
م. أول يوسف زين العابدين خليفة
م. أول حسن محمود صالح
م. ثاني محمد محمد المكاوى

٥- مدفعية الفرق المشاه

يوزباشي مصطفى كمال لطفى
يوزباشي علي فهمي شريف
يوزباشي أحمد عبد اللطيف شهيب
يوزباشي عبد الستار أمين عز الدين
م. أول أحمد شوقي المتينى
م. أول منير أحمد شاش
م. أول عبد الرحمن حبيب

٦- مدرسة المدفعية

يوزباشي علي فوزى يونس
يوزباشي محمد مبارك رفاعى
يوزباشي أحمد كامل
يوزباشي مصطفى فهمي عبد المحسن
يوزباشي سيد ماجد علي
م. ثاني علي إسماعيل الإمبابى
يوزباشي فؤاد حسن صالح

٧- مركز التدريب

صاغ مصطفى راغب السيد
صاغ صلاح الدين أحمد كامل
يوزباشي حسن ضياء الدين سليمان
م. أول حامد السيد حامد
يوزباشي سعيد السيد شحاتة
م. أول محمود حلمى عبد الخالق

٨- قوة الأمن

يوزباشي	عيسى عبد اللطيف سراج الدين
يوزباشي	محمد عزت عبد الغني
يوزباشي	خالد فوزي
م. أول	جمال الدين فؤاد الليثي

رابعا : سلاح الطيران (٤ ضباط)

محطة مصر الجديدة :	قائد جناح	محمد وجيه أباظة
محطة غرب القاهرة :	قائد جناح	عمر الجمال
محطة الماظة	قائد أسراب	محمد صادق القرموطي
	قائد أسراب	محمد شوكت

خامسا : قوة الأعمال الخاصة (١٠ ضباط)

صاغ	محمد البلتاجي
صاغ	عبد الحليم عبد العال
يوزباشي	إسماعيل فريد
يوزباشي	عباس رضوان
صاغ	محمد حمدي عاشور
يوزباشي	حسين محمد أحمد حموده
يوزباشي	كمال الدين رفعت
يوزباشي	سعد حسن توفيق
يوزباشي	حسن محمد التهامي
يوزباشي	كمال الدين الحناوي

سادساً : سلاح خدمة الجيش (ضابطان)

صاغ	إبراهيم توفيق الطماوي
صاغ	محمد مجدي حسنين

وبذلك فقد بلغ عدد الضباط الذين قادوا تشكيلاتهم المقاتلة وقاموا بالضربة الأولى عند ساعة الصفر :

سلاح المشاه	٣٦ ضابطاً
سلاح الفرسان	٤٠ ضابطاً
سلاح المدفعية	٤٦ ضابطاً
سلاح الطيران	٤ ضباط
قوة الأعمال الخاصة	١٠ ضباط
سلاح خدمة الجيش	ضابطان
	١٣٨ ضابطاً

القوات المساندة

وهي المناطق الخارجية التي تحركت لمساندة قوات القاهرة، وكذلك للسيطرة على القوات المسلحة في تلك المناطق كما أن بعض وحدات من القاهرة قامت بواجبات المساندة والخدمات للقوات الضاربة أيضا . والقوات التي اشتركت في هذه العمليات .

أولاً: قوات القاهرة (٣١)

١- اللواء الأول مشاة (١١)

صاغ	عبد القادر محمود مهنا
صاغ	حسن محمد أحمد عبد النبي
م. أول	يوسف صلاح الدين محمد
م. أول	فؤاد حسن المهداوي

يوزباشي	محمد أمين محمد فريد
م. أول	محمد همام السيد غنيمة
م. أول	محمد سعيد شتا
م. أول	كمال شكرى الجندى
م. أول	حسن بغدادى
م. أول	محمد مختار ابراهيم رضوان عمر
م. أول	سمير محمد غانم

٢- سلاح خدمة الجيش (٩)

صاغ	معروف أحمد الحضرى
صاغ	سيد عبد الحميد مرسى
صاغ	سيد حمزة البسيونى
صاغ	كمال الدين صادق الموجى
صاغ	محمد إبراهيم على
يوزباشي	محمد كامل نور
يوزباشي	عبد الرحمن حسنى
م. أول	محمد عبده الشناوى
م. أول	إبراهيم إسماعيل إبراهيم

٣- سلاح الطيران (١١)

قائد أسراب	محمد حمدى أبو زيد
قائد أسراب	محمد سعيد الشال
قائد أسراب	جلال محمد زيد
	يحيى محمد حسين
	مسلم محمد نوفل

محمد عز الدين العيادى

يوسف سعودى

محمد سعيد شرابى

على لبيب

فوزى دسوقى

محمد صفوت

ثانيا: قوات رفح (٢٣)

١- سلاح المشاه (١٩)

بكباشي	عبد الفتاح حسن فؤاد
صاغ	محمد الحسينى عبد الوهاب
يوزباشي	محمد كامل حسين
يوزباشي	محمد محمد أبو نار
صاغ	وحيد الدين جوده رمضان
صاغ	صلاح الدين محمود بدر
صاغ	أمين حامد على هويدى
صاغ	محمد فتحى عبد الرحمن خضير
صاغ	صلاح الدين محمود بدر
يوزباشي	صلاح الدين عبد اللطيف زعزوع
يوزباشي	محمد حسن رأفت
م. أول	محمود عبد الله إسماعيل
م. أول	محمود عبد السلام
م. أول	عبد القادر عبد الوهاب
صاغ	أحمد عصمت محمود
م. أول	محمد يسرى محمد الشامى
م. أول	محمد عبد الحليم منير المحتسب
م. أول	الحسينى حسن منصور
م. ثانى	ممدوح يوسف مرسى شلبى

٢- سلاح الإشارة (٤)

يوزباشي	جمال الدين السيد إبراهيم
يوزباشي	فتحي محمد حمدى
يوزباشي	حسن عبد العال نايل
يوزباشي	محمد حسين فهمي شوكت

ثالثا: قوات العريش (٣٤)

١- سلاح المشاه (٧)

صاغ	محمد حلمي عباس السورة
يوزباشي	أحمد كمال أبو الفتوح
يوزباشي	محمود عبد الحميد التلت
يوزباشي	أحمد متولي عبد العزيز
يوزباشي	محمد محمود السقا
يوزباشي	جابر محمد عبد الله
م. أول	أحمد صلاح الدين عبد الحليم

٢- سلاح الإشارة (١)

م. أول	منير محمد المهدى

٣- سلاح الحدود (١)

يوزباشي	محمد علي بشير

٤- سلاح الفرسان (٨)

صاغ	أحمد كمال حنفي
يوزباشي	محمد منير سامي
م. أول	عزت السيد الألفي
م. أول	سيد عبد الوهاب خلاف
م. أول	السيد متولي سلامة
م. أول	محمد سامي عامر
م. أول	حسام الدين سرى
م. ثاني	ممدوح حلمي

٥- سلاح المدفعية (١٧)

قائمقام	محمد رشاد مهنا
صاغ	أحمد عزت حسن علي زايد
يوزباشي	محمد عز الدين ابراهيم محمد ربيع
يوزباشي	محمد مصطفى عوف العشرى
يوزباشي	محمد وفاء الدين جلال
يوزباشي	بهى الدين محمود فهمي بدر
يوزباشي	عبد العزيز هندى مخيمر
يوزباشي	عبد الرحمن محمد فريد
يوزباشي	عمر طاهر الموجي
يوزباشي	مختار محمد عطية
م. أول	سميح التهامي حسن
م. أول	مصطفى اسماعى علي
م. أول	أحمد إبراهيم سليم
م. أول	عدلي كامل حنفي
م. أول	عماد الدين رشدى
م. أول	محمد عبد الحليم أبو غزالة
م. أول	أحمد عباس عمر البحيرى

رابعا: قوات شرق القناة (١٧)

١- سلاح المشاه (١٦)

صاغ	محمد توفيق عبد الفتاح
صاغ	أحمد عبد الله طعيمة
صاغ	محمود أحمد على أبو زيد المنياوى
يوزباشي	عبد العزيز عبد الله فكرى سليم
يوزباشي	عبد المنعم خليل عطية
يوزباشي	عمر محمد بدر الدين
يوزباشي	محمد عثمان محمد
يوزباشي	أنور صادق عبد الحميد المشنب
م. أول	محمد سعيد محمد شعراوى
م. أول	أحمد محمود أحمد
م. أول	محمود المرسى حسين
م. أول	شرف إسماعيل ترك
م. أول	محمد على يوسف
م. أول	عبد المنعم مصطفى عبد ربه
م. أول	بهجت عبد العزيز
م. أول	عبد الحميد زيدان

٢- سلاح الحدود (١)

يوزباشي	أحمد لطفى السيد واكد

خامسا: قوات الإسكندرية (١٧)

بكباشي	أحمد عاطف نصار
بكباشي	عبد الرؤوف حسن نافع
بكباشي	صلاح الدين السيد قنصوه الشافعى
صاغ	مصطفى محمد فهمى العيسوى
صاغ	إبراهيم محمود إبراهيم محمد
صاغ	محمود محمود غراب
صاغ	عبد الحليم سليمان الأعصر
صاغ	محمد على محمد الوردانى
يوزباشي	إبراهيم بغدادى
يوزباشي بحرى	عبد الخطى أحمد إسماعيل العربى
يوزباشي بحرى	محمود عبد الرحمن فهمى
يوزباشي	احمد حسن نافع
يوزباشي	محمد حبيب حمزة
يوزباشي	عبد الله رضا أباظة
م. أول	محمد فوزى عبد الرحمن فهمى
م. أول	أحمد إبراهيم السعدنى
م. أول	محمد حسن محمد مبروك

وعلى ذلك، فقد بلغ عدد ضباط القوات المساندة كالآتي:

قوات القاهرة	٣١ ضابطاً
قوات رفح	٢٣ ضابطاً
قوات العريش	٣٤ ضابطاً
قوات شرق القناة	١٧ ضابطاً
قوات الإسكندرية	١٧ ضابطاً
	١٣٢ ضابطاً

وأكرر أن فى مثل هذا العمل، لابد أن تكون هناك بعض الأخطاء، وأظن أنه ليسعد الجميع أن نصححها حتى نصل إلى سجل بأسماء من شاركوا فى ليلة ٢٣ يوليو.

وأحمد حمروش يرد هذا الكشف المزيف!

أحمد حمروش واحد من الضباط الأحرار الذين ساهموا فى القيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وبعد أسابيع قليلة كلفه جمال عبد الناصر بإصدار مجلة «التحرير» أول مطبوعة تتحدث بلسان ٢٣ يوليو.

تولى «أحمد حمروش» عشرات المناصب الصحفية المهمة، كما ساهم بكتاباته فى التأريخ لثورة ٢٣ يوليو بعدد مهم من الكتب منها «شهود ثورة يوليو» و«خريف عبد الناصر» إلخ.

قرأ «أحمد حمروش» ما كتبه ونشره «د. محسن عبد الخالق» عن تنظيم الضباط الأحرار.. وكتب هذا الرد الذى نشرته مجلة «صباح الخير» كاملاً فى ٣٠ سبتمبر ١٩٨٦.

٭٭٭

فكرت كثيراً قبل أن أحمل القلم للتعقيب على الحديث الطويل.. أو الطويل جداً الذى أدلى به الزميل الصديق محسن عبد الخالق فى ثمانية أعداد متتالية.

وهذا المقال يعتبر تداعياً للأفكار أكثر مما هو تعقيب على أقوال معينة وردت فى الحديث..

فكرت كثيراً.. لأننى كنت قد اتخذت قراراً بألا أبدد الوقت فى الرد على بعض ما ينشر عن ثورة يوليو، بعد أن جنحت بعض الكتابات إلى الإثارة، وأحياناً إلى التفاهة، بعيداً عن الاهتمام بالبحث عن الحقيقة.

شجعنى على هذا الموقف أنى قلت كلمتى فى مجموعة كتب قصة ثورة ٢٣ يوليو، التى يصدر الجزء الثامن والأخير منها بعد أسابيع تحت اسم «غروب يوليو».

وشجعنى أيضاً - أن هناك من لا يزال يملك طاقة من الدأب والجهد لتعقب هؤلاء الذين يريدون أن يجتثوا ثورة يوليو من الجذور، وأن يهدروا قيمتها، ويسيئوا إلى انجازاتها وإلى زعيمها جمال عبد الناصر.

ولذا مضت سنوات، وأنا أكظم الغيظ، وأتشبث بالصبر، كلما هل علينا كاتب، لا يجد مجالاً للتقرب والزالفى لبعض من كانوا فى السلطة إلا بهجوم على الفترة الناصرية من ثورة يوليو، ولكن.. عندما يتحدث زميل وصديق مثل محسن عبد الخالق، فإن الأمر عندئذ يختلف.. فمحسن زميل سلاح فى المدفعية، وهو أحد الضباط الأحرار الذين عرفت عنهم الشجاعة خلال حرب فلسطين. وكان له رأى ورؤية فيما يجب أن تمضى عليه الأمور بعد انتصار الثورة. وقد زاملنى فى سجن الأجانب خلال شهر يناير ١٩٥٣ حيث اعتقلنا معاً. وقدم للمحاكمة مع مجموعة من ضباط المدفعية. وخرجت بعد التحقيق دون محاكمة.. فلم تكن لى بهذه المجموعة علاقة تنظيمية أو فكرية.

ويذكر أنه كان معنا خلال هذه الفترة فى سجن الأجانب كل من فؤاد سراج الدين، ورشاد مهنا، والأمير عباس حليم وغيرهم من السياسيين القدامى إلى جانب عدد من الضباط قدموا للمحاكمة. ولعل أكثر ما كان يحز فى نفسى خلال هذه الفترة إذا استثنينا أننى وبعض الزملاء قد وضعنا فى السجن بيد بعض الأصدقاء دون سبب، أن غرف سجن الأجانب قد أغلقت علينا ونحن فى ملابس الضباط الرسمية، وهو أمر كان من الكبائر التى تتنافى مع قانون الأحكام العسكرية المصرى الذى كان يحرم اعتقال الضباط فى السجون، وإنما يضعهم تحت التحفظ فى أماكن خارج السجون إلى أن تتم المحاكمة.

هذا التقليد كان سارياً قبل الثورة، ولكنه تحطم مع ما تحطم من تقاليد المجتمع السابق، فالثورة فيضان يكتسح ما يعترضه لفرض الحلم الذى راود دعاتها وقادتها، والهدف الذى تحركت من أجله.

على أية حال، كان سجن الأجانب يضم خلف أسواره فى هذا الوقت المبكر من الثورة، سياسيين من أعداء الثورة وتغييراتها الاجتماعية المبكرة التى ظهرت فى قانون الإصلاح الزراعى، وضباطاً من الضباط الأحرار الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو، وضباطاً لا صلة لهم بالضباط الأحرار ولكنهم تجمعوا عندما وجدوا أن زملاءهم قد وصلوا إلى مراكز القيادة وأرادوا أن يقوموا بدور جديد عله يرفعهم إلى مقاعد القيادة أو السلطة.

ويعلم الزميل الصديق محسن عبد الخالق أن هذه المجموعة التي اطلق عليها في ذلك الوقت اسم «مجموعة المدفعية» لم تكن تضم إلا عدداً محدوداً من الضباط الأحرار، والباقين من الذين نما طموحهم إلى دور من أدوار البطولة. وهو يعلم أيضاً ولا شك أن تنظيم الضباط الأحرار قد توقفت حركته بعد قيام الثورة بفترة قصيرة، ربما لانشغال القيادات في الأعباء الثقيلة التي واجهتهم، وربما رغبة في عدم وجود تنظيم عسكري يمكن له أن يكرر حركة عسكرية مضادة.

النتيجة أن تنظيم الضباط الأحرار كحركة تنظيمية قد توقفت فعاليته نتيجة إقبال عدد كبير من الضباط على تأييد حركة الجيش والوقوف بجانبها، البعض عن إيمان واقتناع، والبعض عن مجاراة ومسايرة، والبعض عن نفاق وانتهازية.

اختلطت الأوراق إذن، وأصبح صعباً تحديداً من هو الضابط الحر؟

ومن هم المجموعة التي قادت الثورة بفضل نضال أعضائها من الضباط خلال ظروف شديدة القسوة والخطر؟

ولكن، أيعني ذلك أن الحواجز قد هدمت بين الضباط الأحرار وغيرهم حتى يصعب تحديد كل فئة؟

الأحرار..والآخرون:

نخطيء كثيراً إذا حاولنا هدم كافة الحواجز بين الضباط الأحرار الذين اجتمعوا في تنظيم واحد قبل الثورة. وبين الضباط الذين هرعوا للوقوف إلى جانبها والالتفاف حول قادتها بعد انتصار الثورة، أو الذين شاركوا فيها لتواجدهم في الثكنات ليلة الحركة.

قد لا يكون هناك فارق في الوطنية والتضحية. وإنما الفارق في الفرصة التي أتاحت تجنيد ضابط لتنظيم الضباط الأحرار، وعدم توافر هذه الفرصة لضابط آخر.

ومعظم الضباط الأحرار لم يجتمعوا صدفة، ولم يشكلوا تنظيمهم ارتجالاً، ولم يشتعل الغضب في صدورهم من قوات الاحتلال البريطاني وتصرفات السراي دون إدراك ووعي ناضج.

الضباط الأحرار اجتمعوا فكرا وتنظيماً حول المنشورات التي كانت تصدرها قيادتهم، وحول الأهداف الستة التي تبلورت فيها رؤيتهم في التغيير.

وهم القلة من الضباط الذين بادروا بالتفكير فى مأساة الآخرين، ولم يركزوا أفكارهم وأحلامهم على مصالحهم الذاتية.

وهم القلة التى عرضت نفسها لأخطار الاعتقال والمحاكمة فيما لو فشلت الحركة ليلة ٢٣ يوليو، وبعض الضباط كانت اسماؤهم معروفة لدى أجهزة الأمن.

أذكر فى هذا السبيل أن جمال عبد الناصر كانت الشكوك قد نبتت حوله لنشاطه الشديد فى تجميع وتنظيم الضباط الأحرار، وأن إبراهيم باشا عبد الهادى قد طلبه للمقابلة.

وأذكر أن محمد نجيب كانت قد سلطت عليه الأضواء بعد نجاحه رئيساً لمجلس إدارة نادى الضباط، وأن اللواء فؤاد صادق قد أبلغه همسا ما سمعه من الدكتور يوسف رشاد باور الملك والمسئول عن تنظيم الحرس الحديدى من احتمال القبض عليه لتزعمه الحركة الثورية فى الجيش. وأذكر أيضاً مداهمة منزل كاتب هذه السطور فى مدينة الاسكندرية عام ١٩٥٠ للتفتيش على منشورات أو اشياء مخالفة للقانون. وكان وكيل النيابة مصطفى سليم الذى أصبح فيما بعد محافظاً لأسيوط ونائباً لرئيس محكمة النقض هو الذى يقود مجموعة التفتيش التى ضمت عدداً من البوليس الحربى والبوليس السياسى. وأنه كانت له مواقف وطنية ليس هنا مجال سردها بالتفصيل!

ولعل عدداً آخر من الضباط قد تعرض لهذه المواقف، ومعذرة إذا لم أكن قد أحطت بها جميعاً.

بعض الضباط الأحرار إذن كانوا عرضة للاعتقال والتحقيق، فيما لو سبقت السراى فى سباق الزمن، الذى دفع الضباط الأحرار إلى تحديد ليلة ٢٢ - ٢٣ يوليو للقيام بالحركة العسكرية قبل موعدها المقرر بشهور، تفادياً لإجهاضها بالاعتقالات، وقد تقرر ذلك فعلاً يوم ١٩ يوليو.

وهنا نقف قليلاً عند طبيعة تكوين الضباط الأحرار، فإنهم كانوا ينتمون إلى عدة مدارس وتنظيمات واتجاهات سياسية مختلفة، وكانت هذه هى براعة جمال عبد الناصر وقدرته الفائقة فى حشد هذه المجموعة الجبهوية، والتى لم تكن تنتمى لحزب أو تنظيم واحد.

ليسوا باشوات:

كانت الثقة فى شخصية جمال عبد الناصر هى المحور الذى تبلورت حوله كل الاتجاهات .

ولذا حرص جمال عبد الناصر على استقلالية التنظيم . وعدم تبعيته لأى حزب أو قوة سياسية .

وهناك قضية أخرى أود أن أعرضها قبل أن أتعرض لما قاله الزميل الصديق محسن عبد الخالق .

هل أطلت ؟

لا بأس ، فالقضية لم يكتب عنها بصراحة كاملة وافية .

الضباط الأحرار كانوا من طبقة اجتماعية مختلفة ، كانوا أبناء الطبقة الوسطى الصغيرة المطحونة فى مجتمع كانت فيه مشروعات لمقاومة الحفاء .

وكان الفقر والجهل والمرض على حسب التعبيرات الشائعة فى ذلك الوقت هى القيود التى تكبل المجتمع وبسطاء الناس من القوى العاملة .

ولذا كان الضباط الأحرار متطلعين . ليس فقط لتحرير مصر من الاستعمار ، وإنما لتحرير الشعب أيضاً من القهر والاستغلال والتخلف . ولذا كان أول قرار للثورة هو قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد الملكية وصدر يوم ٩ سبتمبر بعد أقل من خمسين يوماً على انتصار الثورة .

لم يكن هناك من الضباط الأحرار ابن لأسرة اقطاعية ولم يكن من بينهم من يحمل والده رتبة بك أو باشا . بل الواقع أن قيادات الجيش العليا من كبار الضباط أيضاً لم يكونوا من ابناء الأسر الاقطاعية الحاكمة . ولكنهم كانوا من الذين ارتضوا واقع الحياة بلا غضب ولا ثورة .

وإلى جانب هذا الواقع الاجتماعى كانت هناك حقيقة أخرى وهى تميز الضباط الأحرار بأنهم من اصحاب الرتب الصغيرة «إذا استثنينا محمد نجيب – رتبة لواء» . أى من جيل الشباب

وكانت هذه هى السابقة الأولى فى تاريخ الحركات العسكرية سواء من الوطن العربى أو خارجه التى ينقض فيها على النظام أبناء طبقة لا تحكم ، وهم يحملون رتباً صغيرة تتراوح بين الملازم والبكباشى (أى المقدم) ، مما جعل الأمر

يتجاوز دائرة الاتصالات العسكرية الكلاسيكية التى كان يقوم بها الضباط من رتبة اللواء أو الجنرال، ويبقى سؤال مهم، لعله هو الذى دفعنى إلى كتابة هذا الرد على الزميل الصديق محسن عبد الخلاق.

ما هو هذا الكشف الذى نشر حاملاً اسماء الضباط الأحرار؟

هل هو كشف صحيح أم من اجتهادات بعض الضباط؟

وهل يفرق فعلاً بين الضباط الأحرار المنظمين، وبين الضباط الذين هرعوا لتأييد الثورة بعد انتصارها، أو اشتركوا فيها ليلة حدوثها؟

لا يوجد تنظيم مستقر إلا إذا كان العضو فيه مرتبطاً ببرنامجه، دافعاً لاشتراكاته، مؤمناً بأهدافه، متعرضاً لكل أخطاره.

ولا يوجد أحد لا يمكن له الادعاء بمعرفة كل الضباط الأحرار إلا رئيس جمعيتهم التأسيسية جمال عبد الناصر.. فهو المؤهل الوحيد لمعرفتهم جميعاً لأنه كان شديد الحرص على التعرف عليهم قبل انضمامهم، وكان دوره عاملاً فعالاً فى اجتذابهم وحشد صفوفهم.

ومن أسف أن القدر قد لحق بجمال عبد الناصر قبل أن تتاح له فرصة إصدار كشف يحوى أسماء هؤلاء الضباط، فقد لاحقته المؤامرات الامبريالية، وآخرها العدوان في يونيو ١٩٦٧ حتى لم تدع له فرصة الاهتمام بهذه القضية التى تعتبر فرعية إلى جانب حرصه على بناء المجتمع، ثم مواجهة الهزيمة بإعادة بناء القوات المسلحة لتحرير الأرض العربية وإعادة حقوق شعب فلسطين.

ولذا ما تمنيت أن يهرع محسن عبد الخالق إلى نشر مثل هذا الكشف الذى صدر مع أحاديثه.. فمعروف أنه فى عهد أنور السادات قد أوكل أمر إعداد كشف بالضباط الأحرار إلى عدد محدود منهم لم يكن لأى منهم دور مرموق.

لم يسأل أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة عن رأيه فى هذا الكشف.

كشف أنور السادات:

ولم يسأل الضباط الأحرار الأصلاء عن الاسماء التى كانت منضمة فعلاً، ودفعت الاشتراكات، وساهمت بالرأى والارتباط بما صدر فى المنشورات، وتحركت ليلة الثورة!

ومعروف أن أنور السادات وقد كان عضواً في اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار إلا أنه لم يجند أى ضابط ولم يكن له خلية، ولم يكن مسئولاً عن أى من الضباط الأحرار، ومعروف أن صلته التنظيمية حتى الثورة كانت قائمة ومستمرة بالحرس الحديدى.

ولذا تحيط الشبهات منذ البداية بهذا الكشف الذى صدر فى عهد أنور السادات، لأنه صدر من غير المسئولين فى ظل ظروف كانت تتغير فيها سياسة مصر كما بناها الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر.

كانت المحاولة قاصرة وغير جادة، تماماً مثل المحاولات التى تمت لإعادة كتابة تاريخ الثورة! تدخلت الأهواء والخلافات السياسية.

ويكفى مثال وجيه، ما رغبت في أن أتعرض له لأنه شخصى.

ولكن مسئولية الصدق والحقيقة وعدم تزييف التاريخ تقتضى أن يكتب الإنسان أحياناً عن دافع شخصى.

ضباط الاسكندرية:

الأسماء التى وردت فى الكشف عن منطقة الاسكندرية ليست صحيحة، فالبعض منهم لم يكن منتمياً لتنظيم الضباط الأحرار، بقواعده المعروفة، من انتظام فى الاجتماعات ودفع الاشتراكات، وارتباط بما ورد فى المنشورات والأهداف. وإنما كانوا من هؤلاء الضباط الذين هرعوا فعلاً بعد انتصار الثورة لتقديم خدماتهم، وهو ما يدعو إلى التقدير والاحترام، ولكنه لا يدعو إلى تزييف اسماء الضباط الأحرار.

ولست فى ذلك مدعياً، ولا صاحب مصلحة، فقد كنت الضابط الذى وقع عليه اختيار جمال عبد الناصر لمقابلته فى القاهرة لإبلاغه خطة الحركة ومسئولية التنفيذ فى منطقة الاسكندرية.

أرسل لى جمال عبد الناصر شقيقيه عز العرب وشوقى عبد الناصر إلى منزلى فى شارع طيبة بسبورتنج لإبلاغى رغبته فى الذهاب إلى القاهرة لمقابلته.

وذهبت فعلاً والتقيت به عصر يوم ٢٢ يوليو أمام منزله حيث وقفت انتظره عندما لم أجده بالمنزل فى كوبرى القبة، وكان فى عربته الأوستن الصغيرة السوداء، ومعه كمال حسين، وأحمد شوقى وصلاح نصر.

وحملت معى تعليمات جمال عبد الناصر إلى الاسكندرية التى وصلتها مع منتصف الليل، حيث نفذت التعليمات التى كانت تقضى بعدم تحريك أى قوات أو حدوث أى صدام مع القوات الموالية للملك والتى كانت هناك متجسدة فى وجود الوزارة وحيدر باشا والسلاح البحرى وخفر السواحل.

ولكن ما أن أذيع البيان الأول حتى انتقل معظم الضباط إلى موقع الثورة، ووقفوا فى تأييدها موقفاً رائعاً ولعل هذا هو ما أحدث الخلط عند المجموعة التى أشرفت على إعداد هذا الكشف، فلم تفرق بين الضباط الأحرار تنظيماً، والضباط المؤيدين اندفاعاً وعاطفة.

ومن أسف أن محسن عبد الخالق قد نشر هذا الكشف متحملاً مسئولية أدبية عن ذلك، وهو يعرف تماماً أن جمال عبد الناصر ما كان ليعطى مسئولية إصدار ورئاسة تحرير مجلة الثورة الأولى (التحرير) التى صدرت يوم ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ إلا لواحد من الضباط الأحرار، ومع ذلك لم يكلف محسن خاطره بمراجعة الكشف وتصحيح ما ورد فيه.

ولا شك أنه لا يعلم أن جمال عبد الناصر كان قد بدأ فى إعطاء معاش خاص للضباط الأحرار بطريقة فردية كنت واحداً من الذين تشرفوا بالحصول عليه بموافقة من جمال عبد الناصر.

والمفاجأة أن القرار الجمهورى المنفذ لموافقة جمال عبد الناصر قد صدر بتوقيع أنور السادات!

ألا يسقط هذا سلامة الكشف الذى سمعت أنه قد نشر فى الجريدة الرسمية؟

ألا يظهر ذلك استهانة متعمدة؟

تزييف الضباط الأحرار أمر صعب وعسير ولا يصح إلا الصحيح..

أحمد حمروش

وشهادة أخرى من د. محسن عبد الخالق

إنى لا أكتب التاريخ
ولكنى أقدم المادة التاريخية !

قرأ د. محسن عبد الخالق رد الكاتب الصحفى وعضو تنظيم الضباط الأحرار «أحمد حمروش» المنشور على الصفحات السابقة، وجلس ليكتب رداً على الرد.. وجاء رده بمثابة شهادة ووثيقة تاريخية وفيها يكشف أسراراً جديدة، ومعلومات لم تكن معروفة عن تنظيم الضباط الأحرار، وتأسيسه، واختيار جمال عبد الناصر رئيساً له.

وعشرات الأسرار الأخرى.

وفيما يلى المقال الوثيقة الذى كتبه د. محسن عبد الخالق.

✪✪✪

أعتذر لك أيها الصديق وللقراء أيضاً، وأقدم أسفى عن تأخرى فى الرد عما نشرته فى «صباح الخير» فى عددها رقم ١٦٠٨ بتاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٦.

ولعلنا نتفق أولاً، على أن ما نقوله جميعاً أو ما نكتبه، لا يعدو أن يكون جزءاً من العملية التاريخية المعاصرة.

وهى عملية بالغة الضرورة، لا يؤدى أى منا إلا دوراً محدداً مهما كان موقعه، ومن هذه الكتابات، بل ومن هذه الروايات والأقاويل، وأيضاً الادعاءات، تتكون المادة التاريخية، التى نتركها وراءنا لمن سيأتى بعد جيلنا، من أجيال المؤرخين والباحثين والمفكرين.

فهؤلاء وحدهم وليس غيرهم ممن سبقوهم، هم القادرون على كتابة تاريخ ثورة يوليو، ما لها وما عليها، فالتأريخ، يا صديقى شىء، وتقديم المادة التاريخية، بكل أهوائها، شىء آخر.

واسمح لى هنا أن أضيف، أنه مهما كان حيادنا، فنحن لا نصلح لكى نكون مؤرخين لحدث عاصرناه واشتركنا فى صنعه، وارتبطنا به وبأشخاصه بأربطة عاطفية، مهما كان نوع هذه العاطفة ودرجة حرارتها ونصيبها من الغضب أو التعاطف أو من الرفض أو القبول.

نحن إذن مطالبون، بتقديم المادة التاريخية، إذ كلما تعددت الآراء والاجتهادات فيها، وكلما تباينت التحليلات والاستقراءات والرؤى، كلما كان

فى ذلك، ضماناً لاستقراء أفضل للأحداث بدوافعها ونتائجها وظروفها، وبالتالى يكون التوصل للحقائق أكثر صدقاً واطمئناناً للنفس والعقل.

ولا يداخلك الخوف يا صديقى، مما يقال من أن كثرة المادة التاريخية فيها تشويش على المضمون وإظلام للحقيقة. فالمؤرخ فى كتاباته يستخدم المناهج العلمية مع حس صادق وشفافية علمية قادرة على حسن الاستقراء والاستنباط والغوص والقياس. ودعك من هؤلاء الذين حملوا أقلام التاريخ ورتبه، وسارعوا الى تأريخ أحداث هم أنفسهم من جيلها ولازالوا يعيشونها. وكما قال لى أحدهم، فى موقف معاتبة معه، إنه يكتب التاريخ «طازة»، دعك تماماً من هؤلاء، فأحداث عصرنا لا تؤرخ الآن.

نخرج من هذا كله، الى أن ما نعمله الآن جميعاً ليس تأريخا، ولكنه تقديم المادة التاريخية فقط. ولهذا، فأنا أختلف معك عندما تقول إن غيظاً كبيراً يصيبك مما تقرأ من كتابات، تناولت ثورة يوليو. لماذا يكون غيظك؟ كل إنسان حر فى أن يكتب ما يشاء، ونحن أيضاً أحرار فى أن نعلق وفى أن نعقب، وفى أن نقبل ما يكتب أو نرفضه، إن كثرة الكتابة فى نظرى، فيها إثراء للمادة التاريخية، وفيها تعددية لزوايا الرؤية والاجتهادات.

فلا تشغل بالك كثيراً بهذا الأمر، فأسلوب التأريخ ومناهجه العلمية، فيها كل ضمان لتصفية هذا كله مع قدرة الغوص وراء الحقيقة.

✪✪✪

وأظنك أيضاً توافقنى، على أن ثورة يوليو ليست حدثاً فقط من أحداث التاريخ، كقتل سليمان الحلبى للجنرال كليبر مثلاً. فهى - بكل المقاييس - ليس حدثاً نذكر قصته بتواريخها وأشخاصها وحبكتها الدرامية، ولكنها ثورة، ذات مساحة عريضة، من الفكر الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والعقائدى، وشغلت أحداثها وتفاعلاتها كل طبقات المجتمع المصرى على مختلف انتماءاتهم الاجتماعية.

هذه المساحة العريضة، كانت وستظل، منعطفاً تاريخياً واجتماعياً شديد الوهج، فى تاريخ مصر الحديث بل وفى تاريخها كله، فثورة يوليو، بداية عصر من عصور مصر التى تعد على أصابع اليد.

ولهذا أقول، إن هذه المساحة الحدثية والفكرية العريضة، لا يمكن أن يلم بها إنسان فرد مهما ادعى، ومهما كان موقعه، بل ولا يمكن أن يلم بها كلها إلا قلة من الناس، ورأيى أن كل شريحة من شرائح الثورة المتعددة، فى أشد الحاجة إلى الكثير من الكتابات بما فيها من اختلاف الرأى والتباين.

وهذا كله لا يزعج.. بل هو إثراء وثراء.

كما علينا ألا نغمض أعيننا أو يضيق صدرنا من النقد والرأى المخالف، والتفسير المعارض، فالمسيرة الثورية أو العهد الثورى كما اسميه، ارتكب خطايا وذنوبا، لا يستطيع منصف أن يدافع عنها أو يبررها، وما يجب على الصادقين أن يقولوه، هو الاعتراف بها، فالخطايا والذنوب، قد يكون بعضها، سمة من سمات البشر، لعلنا ندرك هذا ونضىء للأجيال القادمة مصباحاً أو مصابيح ترشدهم صادقة، إلى الطريق، وتجنبهم ما وقعنا نحن فيه.

✪✪✪

لا يصح إلا الصحيح، هذا ما كتبته فى كلمتك. ومن منا يخالفك فى هذا؟

وثق تماماً، أن ما نشرته أنا فى «صباح الخير» لم يداخله هوى، وإن كان كل اجتهاد يحتمل الرأى الآخر بل هو فى الحقيقة جزء منه.. وعلى أى.. تعال.. بنا أيها الصديق نبحث معاً، ويشاركنا القراء أيضاً، عن هذا الصحيح.

بداية، شممت من كلمتك المنشورة، محاولتك الدائمة والدءوبة، لإعطاء الثورة مضموناً اجتماعياً خاصاً، ومذاقاً أيديولوجياً يتفق مع رؤيتك أنت للأمور، ولا عيب أبداً فى ذلك، ولا اعتراض لى عليه، وإن كان الخطأ الذى آخذه عليك هو تعميمك للأشياء. فليس معنى أن ينتمى الذين قاموا بالثورة إلى طبقة اجتماعية واحدة، أن تكون بالضرورة، انتماءاتهم الفكرية والفلسفية والعقائدية واحدة.

لا أنكر أبداً، أن لثورة يوليو مضموناً اجتماعياً وفكرياً شاملاً، آمن به من قاموا بها، وإلا تكون الثورة مغامرة قام بها مغامرون، وهى لم تكن كذلك، لا بالصفة ولا بالقيم ولا بالنشأة.

نحن جميعاً من طبقة اجتماعية واحدة، ولا خلاف على ذلك، ونقف على منصة اجتماعية واحدة، وتروينا بحيرة اجتماعية واحدة. إلا أن روافدها

تختلف، لأن عقولنا وأفكارنا وفلسفاتنا، ليست أنماطاً مرصوصة، ولكنها عقول مشتعلة بالإبداع، والخلق والتساؤل والتصور.

إن مواقعنا على المنصة الاجتماعية الواحدة تختلف إذن، فمنا من هو على يمينها ومنا من هو في وسطها ومنا من كان على يسارها. بل إن هذه المواقع لم ولن تكون ثابتة أبداً، لأنها وليدة عناصر متفاعلة من الفكر الإنساني ومصالح الأفراد والطبقات.. المهم أن تكون الحركة ذاتية وإلى الأمام، وألا تؤدى أفعال البعض وسياساتهم، إلى خلق انهيارات وفجوات اجتماعية، تقودنا إلى صراع طبقي مرة أخرى.

وشخصياً كان موقعي ولا يزال، وسط هذه المنصة الاجتماعية، فإيماني كان وسيظل في الاشتراكية الليبرالية، بمعنى العدالة الاجتماعية بواقعية مضمونها، عدالة متحررة من الأنماط والقوالب، ومرتكزة على جوهر الإسلام وحقيقته الروحية والموضوعية، ومرتكزة أيضاً على تقاليد البيئة المصرية ومفاهيمها وإنسانياتها، أما البعض فقد يكون إيمانه في غير ذلك.

والفرق بين شخوص المنصة، هو أن منا من يتحرك فوقها بحرية «براجماتية» من يمينها إلى يسارها، والبعض ألزم نفسه بالقواقع الايديولوجية والبعض الآخر حبس نفسه داخل فكر حذر شديد التحفظ.

وعيبنا في مصر، أننا لا نناقش هذه التيارات الفكرية بموضوعية وسعة أفق، إذ إننا دائماً بين شاجب رافض وعنيد، أو مؤيد شديد التحمس يلقى الاتهام على معارضيه - جزافاً - بالرجعية والتخلف.

ولازلت أذكر، كلمة استاذنا في العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة لندن - الذى كان دائماً يقول عند كلامه عن المذاهب: «هاتوا لى المذهب الرأسمالي الخالص. وهاتوا لى الاشتراكية العلمية الخالصة، أين هما الآن من أصولهما الأولى؟ وماذا جرى لهما؟ إن كلا من المذهبين أصبح رافداً للآخر. أما الانسان نفسه، بفكره، ورغباته، وطموحاته، وقيمه، ومزاجه، ومكوناته الطبيعية، فسيبقى دائماً نبع الاثنين معاً». والغريب في مصر، هو أننا نريد أن نخضع الإنسان للمذهب، لا أن نطور المذهب ليتناغم مع الإنسان المصرى، بكل ما ينطوى عليه وجدانه من قيم وديانات ورواسب حضارية.

نحن . . ياصديقى ، نعيش حياة هى كالبوتقة دائمة التفاعل والحركة تتشابك فيها كل المكونات ، والأفكار ، لتعطينا دائماً ناتجا جديداً ، يتواكب مع المعاصرة ، ومع كل المتغيرات والمستجدات .

فى حالتنا هذه ، تستمد البوتقة السياسية عناصرها المتفاعلة من الانتماء الاجتماعى الواحد ، من طبقتنا المتوسطة ، وهى الطبقة ، التى بحكم تكوينها وثقافتها وامكانياتها ، قادرة على الإحساس بالمعاناة والظلم الاجتماعى ، ومالكة فى الوقت نفسه لمكونات إرادة التغيير .

ويسميها البعض «بالبورجوازية» ، اتهاما لمعتقداتها ، والتى لا أرى كيف نتهمها ، ولا ما هو وجه الاتهام ، وهى التى تقدم لنا التربة التى تفسح المجال دائماً ، لنمو كل المذاهب والتيارات الفكرية .

وعلى كل ، فداخل هذه الطبقة ، نبتت وكبرت تيارات ثورة يوليو الفكرية .

وأمامنا سؤال علينا أن نتفق عليه أولاً ، وهو :

هل ما نشرته «صباح الخير» ، كان اسماء ثوار يوليو ، أم كان اسماء الضباط الأحرار؟

وأعنى بالثوار ، أولئك الذين تحركوا ثائرين - ساعة الصفر - وقادوا وحداتهم ليلة ٢٣ يوليو .

ما نشر هو اسماء الثوار وليس اسماء الضباط الأحرار . والفرق بين الاثنين واضح تماماً .

لست أنكر على الأحرار وطنيتهم وجهادهم ، وما بذلوه من جهد مشكور ، ولكن ، هل لمجرد أن يكون الإنسان منتمياً الى هذه الجماعة ، غاية فى حد ذاته ، أم أن هذا الانتماء ، كان فقط الطريق والاسلوب الى هدف أسمى وأكبر ؟

كانت غاياتنا جميعاً ، هى القيام بثورة تسقط النظام برمته ، ولنكن واضحين تماماً فى ذلك ونجيب : هل كانت هناك وسيلة متاحة أمام المصلحين الذين تمنوا التغيير ونادوا به ، إلا عن طريق ثورة ؟

وهل كان التطور ، كما يدعى البعض الآن ، ممكنا من خلال الظروف والأوضاع التى كانت قائمة وقتها ؟

وهل ننكر الحقيقة التى عشناها نحن أبناء ذلك الجيل؟

وفى هذه الظروف لم يتعد دور جماعة الضباط الأحرار فى نظرى، دور المقدمات الفكرية الواجبة لتسوية الأرض ورشها، ليتقدم عليها، العمل التاريخى العظيم. ولكن الثوار، والثوار وحدهم، هم الذين قاموا بالثورة، وجسدوا المقدمات والأفكار فى حقائق ومضامين حية نابضة. لا أحد ينكر على الأحرار دورهم. ولكن يجب ألا نخلط بين الأحرار والثوار.

ثم تعال معى - أيها الصديق العزيز - ألست توافقنى على أن جماعة الضباط الأحرار، لم تكن فى واقعها إلا تحالفاً بين القوى والتيارات الوطنية التى كانت قائمة فى القوات المسلحة آنذاك. وعلى اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الفكرية. وأن هذا التحالف لم يظهر إلى الوجود إلا فى النصف الثانى من عام ١٩٤٩؟. وأتذكر أنه كان من بين أحد أبرز وأهم الاجتماعات التى تبنت هذا التحالف، اجتماع شارع الأسود بمصر الجديدة، والذى حضره جمال عبد الناصر مع رموز جماعة المدفعية. ولست أشك فى أن اجتماعات مماثلة قد عقدت أيضاً. ولم يكن خافياً علينا جميعاً أن أبرز تيارات هذا التحالف، كانت التيار الوطنى الليبرالى والتيار الإخوانى والتيار اليسارى.

وفى يقينى أن أبرز سمات هذا التحالف، أنه مع كونه منتدى لتيارات فكرية وانتماية مختلفة، إلا أن هذه التيارات كانت فى ذات الوقت مترابطة ومتفاهمة وتحترم بعضها البعض. كما تحركت كلها فى إطار وطنى متفق عليه. وقائم على أرض حملتها أعمدة ستة، وهى مبادئ هذا التحالف وقتها وبغض النظر عن مدى نصيب هذه المبادئ من التنفيذ فيما بعد.

وهنا يذكر بالفضل الكبير، دور جمال عبد الناصر الذى رأس هذا التحالف، وامتص بقوة عقله وشخصيته. ما قد يحتمل أن ينشأ من خلاف بين تياراته، ثم قاده بمقدرة إلى القيام بثورة يوليو.

ونقع جميعاً فى خطأ كبير - كما وقع الاستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه الشيق عن ملفات السويس - إذا ادعينا بأن هناك من أسس الضباط الأحرار.

يقول الاستاذ هيكل فى أهرام ٨ / ١٠ / ٨٦، بالحرف الواحد: «كان تنظيم الضباط الأحرار، قد انشئ بفكر وجهد ضابط شاب ولد سنة ١٩١٨، لأب من أقصى صعيد مصر، هو جمال عبد الناصر..»، وهذا بيان (STATEMENT) لا تقود إليه طبائع الأمور ولا تطورها.

فالضباط الأحرار، لم يكونوا سوى تحالف بين تيارات وطنية نشأت داخل القوات المسلحة، ومن الصعب على أى مؤرخ أن يصل الى أصول هذه التيارات منعزلاً عن البحث فى جذورها داخل التربة الوطنية العامة.

كما أن التحالف نفسه، تخلقت مقدماته تلقائياً فى رحم الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨، إذ كان وليد معاناة واجتماعات وتصورات وطرح أفكار من جماعة المجتمعين، ولم يكن بحال اجتهاداً لفرد واحد، ومن ناحيتى، فرموز جماعة المدفعية يتذكرون اجتماعات «أسدود» والتى طرحت فيها العديد من الآراء، وحضرها جمال عبد الناصر بدعوة منى، لصلتى به، والتى توثقت من خلال معركة تقاطع الطرق (عراق سويدان). كذلك، فإن اسم الضباط الأحرار نفسه والذى عرف به التحالف وأصبح اسماً تاريخياً الآن، أطلقه جمال منصور (يوزباشى وقتذاك) أو فلنقل جماعة ضباط الفرسان، إذ أردنا تعميماً يجنبنا خطأ التحديد والتخصيص.

إذن فالثابت أن جماعة الضباط الأحرار، لم تكن سوى تحالف بين تيارات وطنية مختلفة داخل القوات المسلحة. وفى تقديرى أن هذه التيارات الرئيسية لم يتعد عددها ثلاثة تيارات.

* التيار الإخوانى: وقد نشأ فصيلاً من حركة الإخوان التى تأسست عام ١٩٢٩.

* والتيار اليسارى: وكان تفريعاً أو جناحا من الحركة اليسارية العامة فى مصر، والتى تبلورت أفكارها وتجمعاتها الى حد ما، بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ الروسية، وقد قرأت بعض الكتابات، ومن بينها بعض المنشورات (المطرقة والمنجل)، أعطانيها الشيخ عبد الحميد ترة رحمه الله، وخرجت بقراءاتى هذه المبكرة، بهذا الانطباع.

* ويبقى أمامنا التيار الثالث، وهو التيار الوطنى الليبرالى: وهو بلا منازع كان أقوى هذه التيارات، وبحكم محتوى هذا التيار الفكرى، فقد أصبح محل اختلاف تاريخي وادعاءات كثيرة.

فالبعض يرجع نشأته إلى ما حدث فى الصحراء الغربية، عندما طالب الإنجليز بسحب القوات المصرية من مرسى مطروح مع تسليم أسلحتهم، وقد قاد بعض الضباط الصغار (يوزباشي فما دون) حركة رفض تسليم السلاح.

والبعض الآخر يرى أن هذا التيار، اشتد عوده وتبلورت أفكاره وأصبح مسيرة وطنية واقعية، داخل جماعة «البرامونى»، وهى الجماعة التى كانت تجتمع فى بيت عبد الفتاح أبو الفضل، وتبادلياً فى بيت مصطفى نصير وبيت محسن الوسيمى.

وجماعة ثالثة، ترى أن هذا التيار بدأ مع جماعة «ميس الضباط» فى منقباد، وهكذا.. وهكذا.

ورأيي فى هذا كله، ورغم أننى من جماعة «البرامونى» الأوائل أو اتجاوزها إلى الادعاء بأننى وصحبة من المدفعية، كنا من بين المؤسسين، أقول وبكل الاطمئنان إن كل هذه الآراء صحيحة، وهذا يدلنا على أن حسنا الوطنى العام داخل القوات المسلحة كان واحداً وإن نبت اقليمياً، حسب أماكن تجمعات الوحدات العسكرية. كما تدلنا أيضاً على مدى ما كان هناك من تواصل فكرى بين الأجيال وبصورة انتشارية عامة، لم يكن للتخطيط الفردى فيها النصيب الأول، بل للظروف الوطنية العامة التى كانت تمر بها البلاد، من استعمار يمتهن سيادتنا، الى قبضة عنيفة على رقابنا من الباشوات وكبار ملاك الأرض والمال. كانت مصر ببساطة بلداً للفقر والجهل والمرض. وليس هذا من قولى، بل كان ذلك هو القول الشائع فى تلك الأيام، والذى أطلقه كبار كتابنا ومفكرينا.

وفى النصف الثانى من الأربعينيات، أو بالتحديد منذ عام ٤٥ / ٤٦ بدأ التيار الليبرالى يصدر منشورات - متقطعة - تنتقد الأوضاع فى الجيش. ووجود البعثة العسكرية البريطانية، وكان للفريق ابراهيم عطا الله، رئيس أركان الحرب نصيب من هذا النقد.

هذه المنشورات على قلتها فى ذلك الوقت، أحدثت إزعاجاً شديداً للمسئولين، حيث كانت سابقة خطيرة، تؤذن ببداية اهتمام ضباط الجيش بقضايا أخرى غير ما يصدر إليهم من أوامر. وما يجب أن ينطبعوا عليه من ولاء محدد لشخص فاروق ولمن يحيطون به. وتعددت التفسيرات والشروحات. وانتهى الأمر بتفتيش مساكن بعض الضباط سواء من كان منها فى ميس الضباط أو خارجه. واعتقل عدد منا (٢٧ على ما أذكر) وكان ذلك فى عام ١٩٤٧، وبدأ التحدى.. أصدر جمال منصور (جماعة الفرسان) منشورا، ساخن الكلمات.

واجتمع الضباط وقرروا دفع ضعف المرتبات لأسر الضباط المعتقلين.

ولَمْ الملك فاروق خيوطه، وأعفى الفريق عطا الله، وعين الفريق حيدر بدلاً منه. وصور الأمر كله على أنه موضوع يتمحور حول عطا الله لا أكثر ولا أقل، ومن ثم اختفت الجمرات تحت السطح لبعض الوقت، وانشغلت وحدات الجيش بمقاومة الكوليرا (٤٧) وبعدها رحلنا الى العريش لنعسكر هناك، فقرار تقسيم فلسطين كان قد صدر، وأصبح الجو مليئاً بشتى التصورات، وضاغطاً ومنادياً بدخول مصر الحرب (أول مايو ١٩٤٨).

وعلى أرض المعركة، امتزجت دماء شهدائنا بكثير من أفكارنا، وتكشفت أمام أعيننا كثير من حقائق واقعنا المؤلم. فالحرب فى معناها العام والبسيط هى مواجهة ساخنة بين نظام بكامله، ونظام آخر بكامله، وليس فى خسران المعركة دلالة فساد محدود للنظام فقط. ليس هذا ما أقصده، ولكن إدارة المعركة والبلاد بكل شموليتها وأبعادها، هى ما أقصد.

هذه ياصديقى العزيز، إضاءات سريعة، ولا أقول دراسة كاملة، ولكنها على أى حال، تعفينا من القفزات التى نراها بين حين وحين، وتعفينا أيضاً من كثير من الادعاءات، التى تحاول تجسيد مشوار طويل فى فرد أو فى بضعة أفراد.

وإن كنت قد أطلت، وأنت لا تحب الإطالة، إلا أنها - فى رأيى إطالة واجبة - لأننا بصدد عملية إعطاء المادة التاريخية، وليس فقط مجرد رد على مقالة لك.

أنت أيها الصديق، تردد دائماً موضوع الضباط الأحرار.. وبداية اسألك، ما هو مفهوم الضباط الأحرار هؤلاء؟

هل هم جماعة الضباط الذين كانوا يدفعون خمسة وعشرين قرشاً فى الشهر ؟

هل هم الذين كانوا يوزعون المنشورات ؟

هل هم الذين كانوا يطبعونها ؟

وهل هم الذين كانوا يقرأونها ؟

من هم هؤلاء الضباط الأحرار بالضبط ؟

وهل كان التنظيم تنظيماً ثورياً ؟ أم تنظيماً سلمياً ، تبادل الرأى والحديث وشرب القهوة والشاى ، ولا شىء غير ذلك . . من هم هؤلاء ؟

وما هو هذا التنظيم ؟

ربما أدعى مع غيرى أننا من المؤسسين فى الضباط الأحرار ، أو على أقل تقدير من القدمى ، ولا أذكر أبداً أننى دفعت الخمسة والعشرين قرشاً الشهرية ، ولا أذكر أننا فى محيطنا داخل المدفعية قد جمعنا من أحد هذا الاشتراك ، ولا أتذكر أن من أعرفهم من جماعة الفرسان كانوا يلتزمون بذلك أيضاً . وفى الوقت نفسه . أتذكر أننى دفعت مبالغ تبلغ بضعة من العشرات من الجنيهات لمواجهة بعض الالتزامات التى كانت تضطلع بها الجماعة ، وكذلك فعل جمال منصور حينما اشترى للجماعة الآلة الكاتبة وما كانت تحتاجه من ورق وأظرف للمنشورات . وإذن فتسديد الاشتراكات كدليل على الانتماء للجماعة ، هو سند ضعيف .

ومن ناحية أخرى - وهى الأهم - فأنت تعلم أننا واجهنا تنظيمين للضباط الأحرار ، الأول تنظيم ما قبل ثورة يوليو ، والذى صدر قرار مجلس القيادة بحله بعد قيام الثورة ، بل والأغرب ، أنه كان من بين القرارات التى اتخذت فى الأيام الأولى للثورة .

وفى ذلك وعن ذلك يقول زكريا محيى الدين : «لا نستطيع أن نسمح باستمرار تنظيم فى قدرته أن يضغط علينا » ، أى على مجلس قيادة الثورة ، هذا ما قاله زكريا لى شخصياً فى مكتبه فى كوبرى القبة .

وبدلاً من الضباط الأحرار الذين قادوا الثورة وصدر القرار السرى بحلهم ، أو على الأقل بتفكيكهم . أنشئت جماعة جديدة جديدة تحمل الاسم نفسه .

وانطلقت الكثير من الادعاءات، حتى اختلط الحابل النابل ولم نعد نعرف من هو حسن ومن هو الحاج حسن. وللأسف العميق، فقد قاد زملاء كفاحنا من أعضاء مجلس قيادة الثورة هذا الاتجاه. فحشد الكثير منهم أصدقاءه وزملاء دفعته في الجماعة الجديدة. وفي محيطنا نحن جماعة المدفعية أتي كمال الدين حسن بزملاء الدفعة وكساهم ثوب الأحرار، وحكمهم في رقابنا، وكذلك فعل صلاح سالم - رحمه الله - حينما أخرج من عباءته وجوهاً جديدة علينا وغريبة في الوقت نفسه، خطة مدبرة إذن.

ومرت المدفعية بظروف عائقة وقاتمة ضاع فيها الرجل الجاد والملتزم والمجاهد، وسط هذا الحشد من الأدعياء الذين عجزوا عن التواجد يوم كانت الدعوة لا يابيها إلا الرجال. والفرق كبير بين دعوة الى التضحية والبذل ودعوة الى التأييد والتصفيق وهز الرؤوس بالموافقة.

واعتقلنا.. ونتساءل يا صديقي :لم اعتقلت أنت. ولماذا لم يحققوا معك؟ يا أخي لم تكن هناك مؤامرة كما صورت، وكما صورت أغلب الخلافات بعد ذلك. اعتقلنا جميعاً لأننا كنا رموزاً لتيارات فكرية، دخل القوات المسلحة، فكان منا الليبراليون، والإخوان واليسار، هل فهمت الآن أيها الصديق؟ كان القصد أن تضرب هذه الأفكار في المرتبة الأولى، ومن ثم تتمهد الأرض لنظام من الحكم انتهى الى حكم الفرد.

كان اعتقالنا جزءاً من الهستيريا الثورية التي تسيدت المسرح، ولكن مما حز في النفس - نفسي على الأقل - أن يعتقلوا معاً، بضعة أفراد ممن لا وزن لهم ... و... و... بل ممن لهم ذاتية خاصة، حتى يلقوا ظلالاً غير مستحبة على اتجاهاتنا الوطنية، ونحن الذين كنا قبلها بساعات قد هزمنا هم - بالرأى والأنصار - فى أكبر تجمع في ميس المدفعية، واضطر يومها كمال الدين حسن وصلاح سالم وعبد المنعم أمين الى الانسحاب.

ومجمل القول أيها الصديق العزيز أن مجلس قيادة الثورة أراد أن يخفى معالم الضباط الأحرار القدامى فأتى بأنصاره وألبسهم ثوب الأحرار. وأصبح الانتماء الى الجماعة ليس بماضيك فيها، ولكن بقرار يصدره أعضاء المجلس.. أصبح

الانتماء وساماً يمنح لا جهاداً اشتركت فيه. بل وقد وصل بنا الحال. إلى حد أن قتل عضو مدلل من هذه الجماعة الجديدة، المرحوم محمد عزت عبد الغنى فى مكتبه وهو من الأحرار القدماء ومن ثوار يوليو.

من زاوية ثانية، فقد واجهتنا صعوبة أخرى فى حصر أسماء الضباط الأحرار، وهو أمر قد حاولناه فعلاً، فكما شرحت، كانت جماعة الضباط الأحرار تحالفاً ضم تيارات فكرية مختلفة، داخل القوات المسلحة. وإن كان التيار الليبرالى يتمتع بالغالبية الكبرى - ولا أظنك تعترض على ذلك - إلا أن كلا من التيار الإخوانى واليسارى حاول تضخيم دوره أكثر من واقع الحال، حتى أننى قرأت منذ سنة كتابا خرجت منه بانطباع، وهو أن أغلب الضباط الأحرار، كانوا من الإخوان.

وقد فرض هذا الواقع نفسه، أو كان يجب أن يفرض نفسه، على كل من يحاول معالجة موضوع الضباط الأحرار، فمن ناحية حاول أعضاء مجلس قيادة الثورة تخفيف ضغط الضباط الأحرار القدامى عليهم، أو بالأصح التقليل من شأنهم، وسط هذا الحشد من أنصارهم الذين أتوابهم بدعوى أنهم من الضباط الأحرار.

ومن ناحية أخرى، قام كل من التيار الإخوانى واليسارى بتضخيم أدوارهم بشتى الصور والإدعاءات.

فمثلاً: التيار الإخوانى فى المدفعية، وكان أقوى تياراتهم. وهذا التيار كان يمثله أمامنا الصاغ مصطفى راغب السيد وقد كنت أنا بالذات المتصل به. ومدى معرفتى أن منْ كانوا مع مصطفى، لم يتعد عددهم الآحاد. بل وظلت هذه المجموعة مترددة فى الاشتراك معنا فى الثورة لغياب المواقع من رئاستها، والتى لم تصل حتى قيام الثورة. واشتركت فقط تحت ضغط شديد منا وحوار مكثف معهم، إلا أنهم وبعد قيام الثورة، واجهونا بحشد من اسماء صحابهم الأحرار.

وكذلك أيضاً التيار اليسارى الذى حاول ويحاول بشتى الوسائل وحتى الآن تضخيم دوره وبديهى أن يستتبع ذلك تضخيم عدد أفراده من بين الضباط الأحرار، ومدى علمى أنه لم يكن هناك من بين اليساريين الذين اشتركوا فى

الثورة سواء أكانوا من بين الضباط الأحرار أو من غيرهم - وهو ما سأتناوله فيما بعد. من يزيد عن أصابع اليد الواحدة، أو مع نصف أصابع اليد الأخرى. ومع ذلك، فقد ضخموا حادثة المنشور الواحد فأصبحوا وكأنهم هم الذين كانوا يقومون بتحرير وطبع وتوزيع منشورات الجماعة كلها، ويعلم الله، أننا داخل الضباط الأحرار، لم نكن نعلم بها. بل إننا اعتبرنا هذا الواقع فى حد ذاته خروجاً على مبادئ وسياسات الضباط الأحرار، الذين التزموا بسياسة الحياد والبعد عن أى تنظيمات سياسية، ولم نعلم بها إذن إلا بعد قيام الثورة، وقد فاتحت جمال عبد الناصر فيها، فقال بالحرف الواحد، إن الآلة الكاتبة كانت معطلة، فاضطر الى بالاستعانة باليساريين (حدتو) فى كتابة وطبع منشور واحد فقط. وسواء أكانت هذه الاجابة تمثل الواقع أولاً تمثله، إلا أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن فى حاجة إلى معاونة أى تنظيمات خارج تنظيمه، فقد كان لديه الاكتفاء الذاتى الكامل، من حيث النسخ والطباعة والتوزيع والقدرة المالية.

فهل أمام هذه الملابسات كلها يستطيع أحد أن يحصر عدد الضباط الأحرار الحقيقيين.

بعدما أضاع أعضاء مجلس قيادة الثورة الكثير من المعالم الحقيقية لهذا التنظيم بما حشدوه بعد الثورة من أنصار وموالي؟

وبعدما حاول كل من التيار الإخوانى واليسارى حشد عدد من اسماء تنظيماتهم من ضباط القوات المسلحة، فى محاولة لتضخيم أدوارهم.

✪✪✪

ومع هذا كله، أتساءل عما هو بالضبط مقصدنا من هذا البحث؟

هل نبحث عن تنظيم الضباط الأحرار كتنظيم أم نبحث عنه كأفراد؟

ورغم أنك - أيها الصديق العزيز - لا تنكر علىّ أننى من قدامى اعضاء تنظيم الضباط الأحرار بل وممن كان لهم دور إيجابى فيه، إلا أننى لا استطيع معرفتهم، إلا بالقدر الذى عايشته، وحتى هذا، فما أنا متأكد منه، محل جدل كبير وإدعاء موثق، فماذا يكون الحال لو قلت إن فلاناً لم يكن منا وأتى كمال الدين حسين، وشهد بأنه كان من جماعته؟

وقد كان رأيى دائماً ولا يزال، هو أن الانتماء الى جماعة الضباط الأحرار، لم يكن غاية فى ذاتها، ولكنه كان فقط طريق عمل وطنى ينتهى بنا الى القيام بثورة، حيث إن إعادة صياغة شكل المجتمع المصرى بكل أبعاده ومضامينه لم يكن ممكناً بغيرها.

فإذا انتمى إذن فرد منا إلى الجماعة، ولم يشترك معنا فى تحقيق الهدف، فماذا تصبح صفته؟

وهل يظل ضابطاً حراً؟

إنى أعترف بأن هناك قلة من الحالات منعتها ظروف لا دخل لها فيها من الاشتراك رغم انتمائها الصحيح، ولكنها كما قلت قلة، والعدالة تحتم علينا بحث هذه الحالات، بدافع مجرد من الحق والضمير، ومن ثم يجيء تبنينا الرأى بأن الضباط الأحرار الذين لم يشتركوا فى ثورة يوليو، عليهم هم أن يبرروا عدم اشتراكهم بالأدلة الثابتة، وهذا رغم علمهم جميعاً قبل قيام الثورة بعدة أيام، بأن يمكثوا فى منازلهم، لانتظار أوامر قد تكون ثورية.

وأظنك تعلم أيها الصديق، أن فترة ما قبل الثورة، كانت فترة مشحونة بالتوتر والازمات والتوقعات، فمن هو ذلك الضابط، الذى يكون حراً وتفوته معرفة مدلولات هذا الموقف الساخن؟

وأقولها وبكل الاطمئنان، أن التنظيم بكل عناصره النشطة قد أرسل كلمته الى كل أعضائه، وقد راعنى شخصياً أن بعضاً ليس بالقليل من الضباط الأحرار، أصروا على القيام بأجازاتهم السنوية فى هذا الوقت بالذات، مدعين الأعذار القهرية، وكأنما كان هناك من الأسباب ما هو أكثر إلحاحا من بقائهم للقيام بثورة أو من التواجد وسط الاحداث الساخنة التى كنا نمر بها.

أيها الصديق، أنا لا أذكر اسماء، فغايتنا جميعاً هى الحقيقة وليس تجريح أحد أو النيل منه، أنت وضعت أربعة شروط لتعريف الضباط الأحرار:

* دفع الاشتراكات.
* المساهمة بالرأى وتجنيد الآخرين.
* المنشورات.
* التحرك ليلة الثورة.

وأنا أوافقك تماماً، فهذه الشروط هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الضابط الحر الثائر، ولكن ما قولك في هؤلاء الذين عاشوا معنا كضباط أحرار ولم يشتركوا معنا ليلة ٢٣ يوليو؟

فمفهومي هنا في الاشتراك والتحرك، هو أن يكون الضابط قد كلف بعمل أو قام بعمل، يعاقب عليه، فيما إذا فشلت الثورة، بتهمة جسيمة كتهمة التمرد العسكرى أو الاشتراك فيه على الأقل، أو تهمة أخرى، تنتهى به الى الإعدام أو السجن والطرد، تهمة جسيمة يستحق عليها جزاء ثقيلا!

وما حكمك إذن في ضابط حر، انطبقت عليه الشروط الثلاثة الأولى ولم يتحرك ليلة الثورة، ثم أتى بعدها يدعى بأنه من الضباط الأحرار لقد وجدنا - وأنت تعلم - هذا الصنف من الناس.

في ليلة ٢٣ يوليو، كانت التعليمات الأخيرة تعطى لرموز ضباط المدفعية إما في منزلى أو منزل فتح الله رفعت، وكان علينا أيضاً أن نمر على بعض الضباط في منازلهم، وممن مررنا عليهم، اعتذر واحد، وتجمد على كرسيه آخر، وهرب اثنان، اربعة يقصمون الظهر في ليلة تتحكم في مستقبل ما يأتى بعدها من أيام.

فهل تعتبر هولاء من الضباط الأحرار؟

وما قولك في عدد آخر من الضباط لم يكونوا من الضباط الأحرار، ولكنهم انضموا إلينا قبل الثورة بأيام، وكان ذلك أثناء تصعيد أزمة النادى في مشوارها الأخير، وكنا قد نشطنا وقتها للاتصال بالضباط لتجنيدهم.

فتعاطف معنا بعض منهم.. واشتركوا في الثورة وقادوا وحداتهم ليلتها ليلقها.. اذكر من هؤلاء الصاغ محمود ربيع عبد الغنى واليوزباشى حسن عبد الغفار زكى. الأول قاد الآلاى الخامس المدرع والثانى قاد الآلاى الرابع المدرع.

ومن هؤلاء أيضاً، الضباط النوبتجية الذين انضموا إلينا، والذين لم يتجاوز عددهم ١٥ (خمسة عشر) ضابطاً في القاهرة من بين المائة والثمانية والثلاثين ضابطا (١٣٨). وكنا - كما قلت - قد نشطنا في تجنيدهم من يوم ٢٢ يوليو.

وأظنك تتفق معى - أيها الصديق - في أنه لأمر صعب بل ويجافى الصواب، إذا لم نعتبر هؤلاء من بين ضباط الثورة، صحيح أن القدامى منا لهم سبق وفضل

لا ينكر، ولكن هؤلاء الجدد أيضاً تقدموا بكل الشجاعة - والوطنية للاشتراك معنا في عمل أقل عقوبة له هي الطرد من القوات المسلحة، اشتركوا دون أن يكون لهم سابق دراية كافية بمدى امكانية تنظيمنا للقيام بمثل هذا العمل الكبير والخطير في الوقت نفسه.

وهنا أذكر عبد المنعم أمين، وهو بكل المقاييس ضابط من خيرة ضباط المدفعية، بل وعلى مستوى القوات المسلحة كلها.. ولكنه لم يكن من الضباط الأحرار، فلعبد المنعم أمين ذاتية خاصة ودائرة اجتماعية خاصة، أبعدتنا عنه.. وسواء أكان خطأ منا أم صواباً عدم الاتصال به في وقت مبكر، إلا أن هذا هو ما حدث.. وأنا هنا أقرر الواقعة فقط.

وقد ذكر الاستاذ هيكل، واقعة عبد المنعم أمين (ملفات السويس - أهرام ١٤ / ١٠ / ٨٦) بطريقة مغايرة. فقد كتب بالحرف الواحد: «كان القائمقام عبد المنعم أمين واحداً من كبار الضباط في سلاح المدفعية، وكانت حياته الاجتماعية نشطة، وربما من هنا لا يفكر «جمال عبد الناصر» في دعوته مبكراً للانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار، رغم أن التنظيم كان يحتاج إلى تدعيم أعضائه في هذا السلاح الحيوى والمؤثر.

وفي ليلة ٢٣ يوليو، وفي اللحظات الحرجة من عملية الاستيلاء على السلطة، أحس القائمقام عبد المنعم بما يحدث، وانضم بلا تردد، وكان دوره في تأكيد مساندة المدفعية للثورة كبيراً ومؤثراً، وقرر جمال عبد الناصر دعوته إلى عضوية مجلس قيادة الثورة مباشرة، ودون المرور على مستويات التنظيم المتصاعده..».

ولا تعليق لي على ما كتبه هيكل، إلا أن الواقعة على حقيقتها هي:

١- بلغ عدد ضباط المدفعية المشتركين في الثورة من قوات القاهرة فقط ستة وأربعين (٤٦) ضابطاً من مجموع الضباط الذين بلغ عددهم مائة وثمانية وثلاثين (١٣٨) أى بنسبة مئوية ٣٣,٣٣ ٪ ومعنى هذا أن ثلث الثورة الضاربة كلها كانت من المدفعية.

٢- ليس معقولاً أن يحس عبد المنعم أمين ليلة ٢٣ وفي لحظاتها الحرجة فينضم هكذا.. ومن ثم تتأكد مساندة المدفعية بانضمامه هذا.. الثورة لم تكن

عجلة مغامرة. وكان لا يمكن أن يتقرر القيام بها في غياب بعض أركانها الأساسية والتي يأتي على رأسها :

اشتراك سلاح المدفعية (٣٣,٦ ٪) وسلاح الفرسان (٢٩,٢٪) وبعض وحدات سلاح المشاة (٢٦,٢ ٪) ، وتجنيد سلاح الطيران ، وهذا ما كان قد تم فعلا قبل الثورة بأيام . بل وهذا ما ركز عليه التنظيم بعد حريق القاهرة إلى أن قامت الثورة .

٣- حدثت مفاتحة عبد المنعم أمين في أمر اشتراكه ، بعد اعتذار رتبة مماثلة من المدفعية يوم ٢٠ يوليو ، فهذا الاعتذار تم ظهر ذلك اليوم وتأكد في مقابلة ثانية مسائية .

ومن ثم اقترحت بعض الاسماء البديلة ومن بينها اسم عبد المنعم أمين ، والذى استقر الرأى عليه ، وعلى ذلك فالمفاتحة تمت مساء يوم ٢١ يوليو في منزله .

٤- الحرص على ضم رتبة مثل رتبة عبد المنعم أمين (قائمقام) ليس كما قال الاستاذ هيكل لتأكيد مساندة المدفعية للثورة أو تدعيم أعضاء التنظيم في السلاح .. فقبل كل شيئ ، فإن سلاح المدفعية سلاح مؤسس للضباط الأحرار منذ البداية ، ففي منزل أحد ضباطة تمت الموافقة على تكوين التحالف وعلى ترشيح جمال عبد الناصر رئيساً له ..... وفي منزل أحد ضباطة أيضاً (محمد أبو الفضل الجيزاوى) اتخذ قرار القيام بالثورة وكان ذلك يوم ٢٢ يوليو حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكان حاضراً هذا الاجتماع حسين الشافعي .

هذه هي الحقيقة المجردة التي أتركها مطمئنا للتاريخ ، ... انضمام عبد المنعم ، وانضمام رتبه كبيرة كرتبتة ، كان مكسباً لنا جميعاً وسنداً يقوى ظهر الضباط الصغار .

٥- السيدة الوحيدة التي عرفت بأمر الثورة قبل قيامها ، كانت حرم عبد المنعم أمين ، بل وأوصلته بعربتها إلى الثكنات العسكرية - أى كانت هي السيدة الوحيدة التي اشتركت أيضاً في الثورة ، ولقد قلت أنا يومها ، الحمد الله ...

٦- واقعة انضمام عبد المنعم أمين لمجلس الشورة ، لم تكن بسبب دوره ليلة الثورة ولا كما قال الاستاذ هيكل بسبب دوره في تأكيد مساندة المدفعية

للثورة.. فالمدفعية مع الفرسان، كانا هما صلب الثورة منذ البداية.. ولا تحتاج الثورة إلى مساندة نفسها.. كما لم يكن ضمه إلى المجلس، بسبب رتبته، فقد كانت ظروف وملابسات واشتراك القائمقام أحمد شوقي تكاد تكون مطابقة تماماً لحالة عبد المنعم أمين.. زد على ذلك أن اشتراك القائمقام أحمد شوقي كان هو فعلاً تأكيداً لمساندة الكتيبة ١٣ للثورة، حين كان موقف الكتيبة صعباً للغاية لوجودها في ثكنات العباسية ولوجود رئاسة قسم القاهرة (اللواء على نجيب) قريباً منها في هذه الثكنات.

كما يضاف إلى رصيد القائمقام أحمد شوقي - يرحمه الله - أن ابنه م. أول ممدوح شوقي كان ضمن ضباط قوة السيارات المدرعة التى كلفت بأعمال باهرة ليلة الثورة، كما قد لا يعلم البعض أن أحمد شوقي هو قريب أحمد طلعت - ابن أخته على ما أظن - وأحمد طلعت كان في ذلك الوقت قومندان بوليس السراى الملكية أو البوليس السياسى أو شيئاً هاماً جداً من هذا القبيل. ومعنى هذا أن خاله كان من رجالات الملك، ومع ذلك اشترك هو وابنه في الثورة. ألا يستحق منا هذا الرجل - يرحمه الله - الاعجاب والتقدير وكل التحية؟.

أما حقيقة واقعة ضم عبد المنعم أمين للمجلس، فكانت مرتبة كتكتيك لإبعاد القائمقام رشاد مهنا عن مجلس قيادة الثورة.. فالمجلس كان به ثلاثة أعضاء من المشاة وثلاثة من الطيران.. ومن البديهى والمتوقع أن سلاح المدفعية، كان لن يسكت على وجود عضوين فقط له في المجلس هما: الصاغ كمال حسين والصاغ صلاح سالم، وارتفعت فعلاً أصوات بترشيح رشاد، وكان من بين هذه الأصوات، صوت محمد أبو الفضل الجيزاوى، وهو وقتها قوة في سلاح المدفعية يحسب لها حساب كبير، ومحمد هو الذى استقبل رشاد مهنا بقول عسكرى مسلح من محطة مصر إلى رئاسة المدفعية مخترقاً شارع الملكة نازلي (رمسيس الآن) ومنشية الكبرى وكوبرى القبة وشارع الماظة، بل والأدهى أن هذا الموكب العسكرى المهيب مر أمام مجلس قيادة الثورة تحت سمع وبصر وأنف اعضاء المجلس..

وساعتها أتى إلى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، واجتمعنا في منزلى ١ شارع المكس - مصر الجديدة، مع غالبية رموز المدفعية وعلى رأسهم: فتح الله

رفعت - كمال لطفي - علي فهمي شريف - أحمد كامل - علي فوزي يونس - مبارك رفاعي.. وآخرون غيرهم.

ووافقنا على ألا يكون رشاد ضمن أعضاء المجلس. فرشاد كان بلا شك قوة قادرة على السيطرة، وقلب الموازين داخل المجلس.. وأقولها الآن - وكنت من معارضيه - أن رشاد كان يتمتع بيننا بهيبة واحترام وتقدير عظيم.. قوة طاغية قد تعطل مسيرة الديموقراطية التي كنا نعمل وقتذاك من أجلها، ولم يكن مفروضاً فينا أن نعلم الغيب، وأضيف إلى هذا كله أيضاً، أن رشاد كان اسلامي النزعة، بل كان متعصباً في فكره الاسلامي وإذا الشيئ بالشيئ يذكر، فبعد إبعاده عن المجلس، ورفعه إلى أعلى كرئيس لمجلس الوصاية، كانت الخشية الحقيقية منه، هي في احتمال تحالفه مع الاخوان، بل وترددت اقاويل حينذاك، بأنه مرشح كمرشد عام للجماعة وهذا ما كان يقلق بال الكثيرين.

ومن هنا، فلم يكن اختيار عبد المنعم أمين عضوا بالمجلس تقديراً لدوره في الثورة أو لمكانته في سلاح المدفعية، ولكن كأن تكتيكاً فرضته الظروف.

٧- وأيضاً عندما نذكر عبد المنعم أمين - أطال الله عمره - نذكر معه ازمة عبد المنعم أمين، والتي اجتهد فيها وعنها العارفون والمجتهدون وذهبوا في تفسيرها شتى المذاهب، بينما الحقيقة فيها بسيطة.

فلم تكن هناك أزمة بالنسبة لعبد المنعم من بين صفوف ضباط المدفعية، إلى أن استدعاني جمال عبد الناصر في مكتبه بمنشية البكرى، وأبلغني بعض الأمور، وطلب من أن أتولى تحقيقها فرفضت بل واتذكر أنني كنت حادا معه، وكان عبد المنعم وقتها رئيس المجلس العسكرى الذى حاكم العمال في كفر الدوار.

واعتقد بعد ذلك أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد، إلا أن كمال حسين تولى الموضوع وبدأ الشد والجذب ومن ثم بدأت سحب التوتر تتجمع مع تسرب بعض الأخبار المشوهه إلى ضباط المدفعية، وتتابع الإيقاع وعلا صوته، ووجدنا أنفسنا وسط أزمة، لم نكن السبب فيها، بل الذى فجرها في البداية هو جمال عبد الناصر نفسه ثم مسك الخيط بعده، كمال حسين. واليوم عندما أنظر خلفي

عبر هذه السنوات الماضية، لا اجد سببا مقنعاً لما حدث، اللهم الا أن يكون الأمر كله - وتلقائيا - حلقة من حلقات الصراع الثورى، الذى يلازم قيام أى ثورة، وهو صراع لم تنج منه الثورة المصرية، إلي أن بدأ يتلاشى فى النصف الثانى من عام ١٩٥٤، حينما حسم الأمر لصالح جمال عبد الناصر.

وفى كل الحالات فسيذكر لعبد المنعم أمين دائماً، اشتراكه - كرتبه كبيرة - في الثورة، بينما جبن يومها (٢١ يوليو) زميل له وبنفس الرتبة، ممن كانوا من تنظيم الضباط الأحرار القدماء، كما سيذكر له أيضاً، وبكل الفضل، دوره السياسى في الاتصالات التى تمت بين الثورة والولايات المتحدة، والتى كانت عاملاً توازنياً فعلاً لفرملة أية حدة متوقعة فى التصرفات البريطانية تجاه الثورة.

ستتهمنى ياصديقى بالإطالة.. فمعذرة لك. فأنا أعرف أن وقتك ثمين، ولكن تقديم المادة التاريخية، تفيدها الإطالة، بل ويغيرها كذلك، بعض الشىء من اللت والعجن، فمعرفة الخلفيات والملابسات والظروف، تعين المؤرخ على توسيع رؤيته التاريخية. ومن ثم استنشاق الحقيقة واستنباط الاحكام.

ولكن هل زلت أيها الصديق، متمسكا بمسمى الضابط الأحرار، وتنظيم الضباط الأحرار؟

أنا مثلك متمسك تماماً بهما، ولكن كمعنى لحركة وطنية وكصفحات تاريخيه، أما كأسماء فإنه يصعب علينا التحديد، بعد أن حدث ما حدث وادعى من أدعى.. كل منا يعرف فقط، اسماء زملاء له من الضباط الأحرار الذين قابلهم فى مشواره الوطنى.. ولكن هل نضمن فينا جميعاً، الأمانة والتجرد؟ أم أننا فى واقعنا وداخلنا بشر لنا أهواؤنا وتشدنا تيارات؟ وإذن فتسطير كشوف بأسماء الضباط الأحرار، هو فى واقعه فتح بوابة كبيرة لطريق مجهول من المتاهات والادعاءات. وعلى أى الحالات، فحركة الضباط الأحرار نفسها، لم تكن الا وسيلة ولم تكن الا بوتقة لانتاج الضابط الحر الثائر.. وحكمى فى هذا أن من لم يخرج ليلة ٢٣ يوليو ثائراً، فقد خلع عن نفسه ثوب الضابط الحر، قد أكون قاسياً بعض الشىء. فى ظاهر هذا الحكم، ولكن علينا أولاً أن نضع القاعدة الصلبة أمامنا، ثم نبحث فى استثناءاتها، بدل أن نفعل العكس وتصبح قاعدتنا هى الاستثناءات والادعاءات.

وقاعدة الضابط الثائر هي الأسلم والأكثر أماناً لواقعها المادى، إذ إنه من خلال هذا الواقع تتساقط الإدعاءات وتتداعى، وهذا بالضبط ما توصلنا رليه بعد قيام الثورة بشهرين تقريباً، وبعد ما كثرت الادعاءات ومجاملات الدفعة، وآسف إذا قلت، والتبجح أيضاً، وأمام هذا الزحف الطوفانى الهائل من الأدعياء لإضاعة اسماء الثوار الحقيقيين، اجتمعنا نحن جماعة من المدفعية وأخرى من الفرسان، وجمال عبد الناصر، لنبدأ مشوار التسجيل الحقيقى لثورة يوليو. صحيح أن العمل لم يتم كلية، إلا أنه عندما توقف، كنا عند ذلك الحد - قد أنجزنا معظم المراحل الهامة، فسجلنا مثلا قصة الحرس الحديدى كاملة.. وتحركات الوحدات العسكرية، التى شاركت فى الثورة.. واسماء ضباط القاهرة الثوار.. وقعطنا شوطاً محموداً عن تحركات الوحدات الخارجية والضباط الذين اشتركوا معها، وحققنا بعض القضايا التى أثيرت خصوصاً من صلاح سالم بالذات.. وبعض المهام الأخرى.

كل هذا ياصديقى أتممناه، وقدمت شخصياً كشفاً بالأسماء لجمال عبد الناصر، إذ كان يستحيل عليه بحكم موقعه وطبيعة مرحلة الإعداد للثورة ثم الثورة نفسها، أقول كان يستحيل عليه معرفة الاسماء، حتى أسماء الحرس الحديدى وملابسات إنشائه وأعماله لم يكن يعرفها كلها.. وشاهدى على ذلك كله، هم رفقاء العمر من ثوار سلاح المدفعية ورموز سلاح الفرسان، ومعروف تماماً أنه اثناء عملنا هذا، استدعى جمال عبد الناصر، أنور السادات للمثول أمامنا، وأقول للمثول أمامنا ولا أقول للاجتماع بنا، حيث كنا فى شكل مجلس (ودى) لاستيضاح بعض الوقائع، وقد أشرت إلى ذلك منذ حوالى أربع سنوات عندما هوجم أنور السادات بما يخالف واقع الحال، وهذا ما حدث أيضاً فى اتهامات صلاح سالم لبعض الضباط.

وقد لا تعلم ياصديقى، أنه بعد حرب فلسطين عام ٤٨، انتدبت مدرساً للمدفعية فى مدرسة المشاه، ومكثت بها من صيف عام ٤٩ حتى قيام الثورة، قرابة ثلاث سنوات كاملة، درست فيها المجموعة عظيمة من ضباط المشاة من رتبة القائمقام حتى رتبة الملازم، ودعنى أدعى أنه كان لى بينهم منزلة، مكنتنى من

خلق صداقات عظيمة معهم، وأذكر أن من بين تلامذتي في تلك الفترة، كان أنور السادات.

وعندما أقرأ - أيها الصديق - أسماء ضباط المشاة الثوار، يندر ألا أعرف أحدا منهم، بل وكان منهم زملاء لي في مدرسة المشاة نفسها مثل عباس رضوان ومحمد البلتاجي وصلاح نصر وأمين هويدى وغيرهم.

أضف إلى هذا كله أنه بعد الثورة، كان فتح الله رفعت وأنا من بين مندوبي جمال عبد الناصر الأساسيين إلى الوحدات الخارجية، إلى العريش ورفح ذهبنا.. والى الاسكندرية.. وغيرها.

إلى عبد الفتاح فؤاد ومحمد أبونار وغيرهم استمعنا وحققنا تحركات وحدات العريش ورفح. ومن عبد الرؤوف نافع، ومصطفي العيسوى، وعبد الحليم الأعصر وغيرهم، أخذنا معلوماتنا عن الاسكندرية.

وجلسنا بعد هذا كله مع جمال عبد الناصر، وتناقشنا، وأكمل لنا هو بعض النواقص، خاصة ما تعلق منها بقوات شرق القناة، وبمن كلفهم بمهام خاصة ليلة الثورة، وهؤلاء في حكم الضباط الثوار.

وكنت أنت ياصديقي - من بين كلفهم عبد الناصر بمهام ليلة الثورة، أنا أعرف ذلك، وقد قالها لي عبد الناصر بنفسه، ولكن هل استميحك أن تنتظر قليلاً حتى النهاية.. وقد قربت..

إذن وعند هذا الحد من البحث والتقصي وجمع المعلومات من منابعها، نكون قد انتهينا من المسودات وطلب مني جمال عبد الناصر أن أعيد كتابتها بخط اليد، وأعطيها له.

وكعادتي ذهبت الى محلة أبو علي (بلدتي)، وأعدت الكتابة ولحكمة من أحكام القدر، تركت كافة المسودات هناك، وبقيت لسنوات، وبالتحديد حتى آخر مايو عام ١٩٧١ عندما حضرت من انجلترا، وبحثت عن هذه الأوراق، ووجدتها، وأعدت كتابتها في كشف مبوب، وأرسلته الى أنور السادات، وعدت ثانية الى انجلترا، الى أن عدت نهائياً في ديسمبر ١٩٧١.

كان القدر وحده، هو الذى رتب كل ذلك، فلولا هذه الأوراق المنسية في الغربة، لما عرفنا بتاتاً، وأقولها بتاتاً، الطريق الصحيح الى اسماء ثوار يوليو ولا

اسماء الوحدات التى اشتركت، بعد ما مر عليها كل هذه السنوات. فلو كنت قد تركتها فى منزلى بمصر الجديدة مثلاً، لأخذها زكريا محيى الدين عندما اعتقلت ليلة ١٤ / ١٥ يناير ٥٣، ولضاعت، كما استولى على يوميات حرب فلسطين، التى كتبتها، وأضاعها مع كثير من الأوراق الأخرى، وكانت مدونة يوماً بيوم، ومعركة بمعركة. وشائعة بشائعة، ماذا كنا نقول، وماذا كنا نأكل، الجندى، والضابط، الصور الفوتوغرافية، والسلاح، كل هذا ضاع، وعندما اتذكره يصيبنى غم عظيم.

أقول إن القدر وحده، هو الذى أنقذ هذه الأوراق، وأعنى أوراق الثورة.

والذين عملوا بمكتب جمال عبدالناصر، وبالذات صديقى محمد أحمد، كانوا يعرفون، أننى ظللت لسنوات أكتب لجمال عبدالناصر، أياً كان مكانى، مذكراً له بثوار يوليو، وبالعهد الذى قطعناه على أنفسنا قبل الثورة، نحن هؤلاء.

وأخيراً، بعد يونيو ٦٧ وفى بداية ٦٨، وقد داهمه المرض، واقترب من الله، تذكر رفاقه الثوار، وكانت الدنيا قد ثقلت عليهم بأحمالها، حتى أن الكثيرين منهم لم يكن يعرف ما فى غده، ويأكل خبز يومه مغموساً فى الذل والمهانة ممن على شاكلة سامى شرف، وأصبح ثوار الأمس أجساداً ترتعد وتهتز أمام هذه الطواغيت.

وطلب عبدالناصر كشفا بأسماء هؤلاء الضباط، ويبدو لى أنه قد فاته أن لديه منذ عام ٥٢ كشفاً كاملاً بهم، أو ربما تكون هذه الأوراق قد ضاعت، وسط الكثير الذى فقدناه، أو أن الأمور قد اختلطت عليه وسط كشوف أخرى ولا أدرى الزمن ولا المناسبة التى قام فيها شمس بدران بتقديم كشف مماثل.

والأرجح، أن شمس بدران، كان قد قدم مثل هذا الكشف، عندما كان إله الجيش وملك الثورة المتوج فى الستينيات، وقد اطلعت شخصياً على هذا الكشف اثناء اجتماعاتنا فى صيف ٧٢، صحيح أن بالكشف بعض اسماء ضباط الثورة، ولكن حرص شمس بدران تماماً على ملئه باسماء دفعته من الضباط وبأنصاره وحوارييه.

وفى هذا التايرخ، سرت كلمة بين الضباط، أنه تقرر صرف معاش استثنائى للضباط الأحرار، وعلى من يريد هذا المعاش، أن يقدم طلباً أو بالأصح التماسا الى سامى شرف، والذى يقوم برفعه بمعرفته الى جمال عبدالناصر.

وهذا ما أشرت - أنت ياصديقى - إليه، فهل تعتقد أن هذا الاسلوب، هو الاسلوب السليم؟ ومن يستطيع التأكيد من صحة الاسماء، التى رفعها سامى شرف لجمال عبدالناصر؟ وهو بعد ما مر عليه من سنوات وتكالبت عليه من قضايا وخاض من معارك لا تستطيع ذاكرته أن تعى اسماء الضباط الثوار، أتفق معك أنه يعلم ويتذكر رموزهم ولكن كل الضباط، مستحيل وألف مرة مستحيل، ثم ما هو عدد الضباط الذين صرفوا هذا المعاش، ومن هم؟ ولماذا لم يكن الأمر معلنا؟

وهنا آتى إلى النهاية: أنت ياصديقى تصف الكشف الذى نشر فى «صباح الخير» عدد ١٦٠١ بتاريخ ١١ / ٩ / ٨٦، بأنه كشف أنور السادات، وبأن فيه زيف كثير.

كم أنت مخطئ، فأنور السادات لا دخل له به، فالكشف هو ما أقرته لجنة مثلت فيها كافة الأسلحة، وكانت الدعوة إليها مفتوحة، وكان الحديث والحوار حراً للجميع.

ولم تعمل اللجنة من فراغ، فأنور السادات، أرسل خطاباً الى أحمد عبدالله طعيمة، لدعوة لجنة - أكون أنا من بينها - لبحث موضوع الضباط الأحرار الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو (الثوار)، وعلى أن تبحث اللجنة الكشف المقدم من الدكتور محسن عبد الخالق (وهو ما أرسلته له فى صيف ٧١ وما أشرت اليه)، وكذلك الكشف الذى تركه شمس بدران.

واستبعدت اللجنة كشف شمس بدران، لأسباب كثيرة، وبدأت فى تحقيق ما جاء بكشف الدكتور محسن عبد الخالق، ويملأ النفس الاطمئنان لأن هذه اللجنة المفتوحة، وبعد عدة اجتماعات واستدعاءات لم تعدل فى الكشف الذى قدمته إلا اسماً أو اسمين، نقلتهما فقط من مكان الى آخر.

أما أنا شخصياً، فقد انتهزت هذه الفرصة وراجعت الكشف مرة أخرى مع العديد من الضباط كل حسب الوحدة التى كان بها ليلة الثورة، سواء كانت

وحدات المدفعية أو الفرسان أو المشاة أو الوحدات الخارجية، وهؤلاء جميعهم شهود على ذلك.

وأسألك، في نهاية المطاف:

١ - ما هو الخطأ الذى اكتشفته

في كشف اسماء وحدات القاهرة؟

هل بين الاسماء اسم ضابط لم يشترك؟ وهل هناك اسم ضابط اشترك ولم يذكر؟ أريد منك تحديدا - لا تعميماً.

٢ - ما هو الخطأ الذى اكتشفته في كشف اسماء وحدات القوات الخارجية؟ وهل هناك اسم ضابط اشترك ولم يذكر؟ أريد منك تحديدا - لا تعميماً.

✪✪✪

إن الكشف أيها الصديق، ليس كشف السادات، بل هو كشف لجنة من ثوار يوليو، وإن كان عملها لم يبدأ من فراغ، ولكن كان امتداداً لعمل مكثف، بدأ وقارب النهاية في عام ٥٢.

إن السادات نفسه، لم يكن متحمساً لهذا العمل، بل اجتمعنا ومارسنا عليه ضغطاً هائلاً، وكانت الظروف وقتها مناسبة للقيام بهذا الضغط، وأذكر هنا بالرحمة والفضل المشير أحمد اسماعيل الذى تحمس لنا وعاوننا على نيل حق أخذ منا، وأذكر بالرحمة زميلاً عزيزاً فقدناه، كان معنا في كل خطوة، بشخصيته الحبيبة وابتسامته المشرقة وصلابته، أذكر آمال المرصفي، وأذكر رفيق حياتي عيسى سراج الدين الذى بذل جهداً عظيماً مستثمراً كل وقته في انجاز هذا العمل الكبير.

ولا يفوتني أيضاً اللواء محمود سليم (دفعتى) مدير شئون الضباط، الذى جند لنا ما أردناه، واحضر لنا القائمة العسكرية ARMYLIET لعام ٥٢ وما قبله وما بعده، وساعدنا بشخصه وبإدارته في مراجعة الاسماء الصحيحة للضباط.

إذن يا صديقي، لم يكن الكشف الذى نشر كشف أنور السادات، بل هو كشف لجنة الثوار، وقد أخذت منا مراجعته وتحقيقه ثلاثة أشهر على الأقل، رغم

أنه لم يكن من فراغ، وأخيراً وافق عليه أنور السادات في ليلة العيد من عام ١٩٧٢، وطلب من محمود الجيار أن يبلغني ذلك تليفونياً، وقمت بدوري بإبلاغه ليلتها لكل رفاق السلاح والثورة، ولم يضف أنور السادات الى كشفنا إلا سماً واحداً، هو اسم على شفيق صفوت - رحمه الله - وكان ذلك بخط يده.

ooo

ذكرت في ردك أيها الصديق، أننا لم نسترشد برأى أعضاء مجلس الثورة، وثق أننا استرشدنا بمن تطمئن اليهم النفس، وأعتذر عن قولي هذا، ولكن هذه حقيقة ما حدث. بل وإن الأخ الأكبر عبد اللطيف بغدادى والأخ حسن ابراهيم، صححا لنا وبكل التجرد قائمة ضابط الطيران، فقد كانت مسوداتنا الأولى تدمج بين ضباط قوات القاهرة الضاربة وضباط القوات المساندة في القاهرة، فصححاها لنا الى حقيقتها التي نشرت بها، كما لم يكن المرحوم يوسف منصور صديق بعيداً عنا، وكذلك خالد محيي الدين وغيرهم.

وإذا كان هناك الآن اعتراض من أحد فيلقله، بل إننا قلنا دائماً أننا نكون في غاية السعادة لتصحيح أى خطأ، ليعلوا الحق، فليس لنا مصلحة أو سبب من قريب أو بعيد في إبعاد أى اسم من الاسماء.

إلا أننا اشترطنا أن يذكر من يطلب التصحيح اسم الضابط ورتبته ليلة ٢٣ يوليو، والوحدة التي تحرك معها، واسماء مجموعة الضباط التي كانت معه، فالثورة لم تكن - بأى حال - عملاً فردياً بل كانت عملاً جماعياً، كل مشترك فيها تحرك مع وحدة عسكرية وتحرك وسط مجموعة من الضباط.

والآن، نأتي أيها العزيز، الى موضوع اشتراكك ليلة الثورة، وأولاً وقبل كل شيء، فأنا أقر أنك من الضباط الأحرار، وأن جمال عبدالناصر - وهو شاهدك - قد استدعاك عصر يوم ٢٢ يوليو، وأبلغك رسالة بالثورة الى وحدات الاسكندرية، كل هذا صحيح، ولقد أقر به جمال عبدالناصر نفسه.

فما هو الخلاف إذن؟

لقد سبق لي أن وضحت أن جمال عبدالناصر كلفني مع فتح الله بالذات ببعض المهام الخاصة بعد قيام الثورة، أذكر منها:

* موضوع الحرس الحديدى، وقد قدمنا التقرير الأساسي والوحيد عنهم.

* التحقيق فى بعض مسائل أثيرت وقتها، مثل مسألة اشتراك أنور السادات فى الثورة، وغيرها.

* بعض مسائل التطهير فى الجيش وفى الجهاز الحكومى. ويسعدنى أن أقول إننا نجحنا فى ايقاف الكثير من الأهواء.

* حصار متاعب العمال فى المطبعة الأميرية وفى شركة المحلة للغزل والنسيج ومحاولة حلها واكتسابهم الى صف الثورة بدلاً من تكرار ما حدث معهم فى كفر الدوار.

* الحوار السياسى مع بعض القوى السياسية.

* تسجيل ثورة يوليو.

* وغير ذلك الكثير من الموضوعات.

وأقف عند موضوع ثورة يوليو، فقد ذكر اسمك بطبيعة الحال، وثارت حوله تساؤلات، وأنا هنا أنقل إليك فقط ما دار فى هذا الموضوع، وبكل التجرد والأمانة.

أقر جمال عبدالناصر بأنك من الضباط الأحرار، وبأنه استدعاك يوم ٢٢ يوليو، وأرسلك برسالة الى وحدات الاسكندرية، وهنا تباينت الآراء، وأنت تعلم تماما بذلك.

فبعض آراء ضباط الاسكندرية أجمعت على أنهم لم يروك إلا ظهر يوم ٢٣ يوليو، وهذا طبعاً بعد تحرك الوحدات وتأييدها للثورة دون أن تصلها الرسالة، ورغم أن البكباشى عاطف نصار لم يكن من الضباط الأحرار إلا أنه كان له فضل مع زملائه الآخرين فى اكتساب تأييد وحدات الاسكندرية، رغم وجود الملك فى ذلك الوقت من السنة فيها، أى فى الاسكندرية.

وأشهد أن الوحيد الذى عارض ذلك، كان عبد الرؤوف نافع، الذى أقر بأنه قابلك ورآك فى الساعة العاشرة صباح يوم ٢٣ يوليو.

وأصبح الموضوع أمام جمال عبدالناصر، بهذه الصورة، فلم يبد رأياً فى شأنك، بل وأحسست من طريقة كلامه أنه كان للرسالة شقين، شق خاص بإبلاغ القوات، وشق آخر لم يفصح لنا عنه، وإن كان لى اجتهاد شخصى فيه،

إلا أن الشاهد الوحيد عليه هو جمال عبدالناصر، وما نملكه ليس إلا مجرد تخمينات.

وأقسم ثلاثاً وأشهد الله، أنني حاولت الوصول الى الحقيقة منه، وكان آخرها وقت اعتداء السويس عام ٥٦.

لقد استدعاني جمال عبدالناصر قبلها، وأبغلني بأمر تعيينك في دار التحرير، وكانت يومها قد انتقلت الى ٢٤ شارع جلال (مقرها الحالي) ثم اتذكر ياصديقي، يوم أن اتفقنا أن تصدر الجمهورية في عدة طبعات - إبان هذا الاعتداء - لملء الفراغ الإعلامي الذى أحدثه ضرب محطة الإذاعة؟ وأتذكر عندما طلبت مني أن تكون مسئولاً عن طبعة بعد الظهر ووافقت؟

وصدر العدد الأول واسمك عليه كرئيس أو سكرتير لتحريره على ما أذكر، وفي وسط فوران الأحداث التي كانت تعيشها مصر لم ينس جمال عبدالناصر، أن يتصل بي تلفونيا، ويبلغني وبحدة لم أعهدها في علاقتي به، بأن توقف هذه الطبعة أو أن يرفع اسمك من عليها، بل ويشهد الله أنه طلب مني إعفاءك من العمل، ولا أظن إلا وأنك تعلم ذلك، أو قد أحسست به حينها.

وقد أثار هذا انتباهي الشديد بلا شك، فعاودت الاتصال به لمعرفة السبب، فلم أنجح. بل وأحسست بأن هناك شيئاً بداخله يثيره عليك. وصدقني أنني قد أصبت بحيرة يومها، وبت أساءل نفسي، كيف يوصيني عليك قبلها ويطلب تعيينك ويحدد لك المرتب ثم يغضب عليك هذا الغضب، وبلا أدنى سبب من وجهة نظري، ؟قال يومها كلاماً كثيراً، ولكنه لم يجب أبداً على سؤالي: هل كانت الرسالة، التي كفلك بها ذات شقين وما هما.. أم ماذا؟ ولم يفصح ولم يشف غليلي.

ماذا أفعل أيها الصديق إذن؟

نعم قد تحركت أنت ليلة ٢٣ يوليو، وحملت رسالة من عبدالناصر الى ضباط الاسكندرية فما هي الرسالة بشقيها؟

أم أنها ذات شق واحد على عكس ما تولد لدى من ظن؟

ولماذا تأخرت في إبلاغها؟

فأنت باعترافك قابلت عبدالناصر بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو، وبشهادة عبد الرؤوف نافع لم تبلغ الرسالة إلا بعد الساعة العاشرة، بعد أن كانت القوات قد تحركت تلقائياً بقيادة ضباط التنظيم، ومن تعاطف معهم من الضباط الآخرين، وعلى رأس هذا كله البكباشى عاطف نصار (مدفعية) وهو لم يكن من الضباط الأحرار، وأعقب هذا الموقف المهيب من قوات الاسكندرية - والملك فاروق بينهم - موقف آخر أشد روعة، وهو موقف جامعة الاسكندرية بزعامة الدكتور رشوان رحمة الله عليه.

ولهذا كان للاسكندرية موقع خاص فى العملية الثورية، وفى قلب عبدالناصر بصفة خاصة.

فأين كنت - ياصديقى - من هذا كله؟

أفصح وإنى لأعلم تماماً بأن هناك رسائل أخرى أرسلت الى بعض القوى الوطنية، ومنها الإخوان المسلمون، لكى تتحرك فور نجاح الثورة (إعلان البيان) لمساندة الثورة شعبياً.

هناك إذن جانب فى موضوعك، لم يفصح عنه جمال عبدالناصر، ولم تفصح أنت عنه، وأمام هذا فأنا كما أوضحت لا أكتب التاريخ، ولكننى أقدم مادة تاريخية ليدرسها مع غيرها، من يأتى بعد جيلنا من أجيال المؤرخين والدارسين والمهتمين بأمر الوطن من المفكرين والكتاب.

وسياقاً مع هذا أيضاً، أرى أن من واجبى أن أعرض موضوعين آخرين، موضوع أمين شاكر وموضوع عبد الفتاح أبو الفضل، أمين شاكر من الضباط الأحرار، ومن الضباط الأكفاء، والمشهود لهم بذلك، فوق هذا فهو ضابط شجاع، حارب معنا معركة رفح الشرسة (ديسمبر ٤٨ ويناير ٤٩) بكل الجسارة والشجاعة. ونال نجمة فؤاد العسكرية وهى أعلى وسام عسكرى فى حينه. وبكل المقاييس التقديرية يكون أمر اشتراكه فى ثورة يوليو من المسلمات، وهذه الحقيقة أقر بها جمال عبدالناصر، ولكن أمين لم يشترك بسبب وجوده فى أوروبا فى ذلك الوقت، فى مهمة رسمية استغرقت عدة شهور وطبعاً وصل بعد الثورة مباشرة.

فماذا يكون تقييمه؟ لقد امتنعت عن تضمين اسمه الكشف الذى نشر، تاركاً موضوعه ليقرره من يكتبون التاريخ.

عبد الفتاح أبو الفضل، أحد المؤسسين لجماعة «البرامونى» بل وكانت اجتماعاتنا تتم فى غرفة على سطوح هذا البيت، لم يشترك فى الثورة.. لماذا؟

وأشهد أننى قصرت فى استجلاء الحقيقة منه

✪✪✪

وقد وصلنا الآن ياصديقى الى النهاية، أكرر مطالب ثلاثة، تقدمنا وتقدمت بها، وللأسف لم تجد قبولاً، بل وفى بعض الأحيان، كانت مادة لسخرية البعض من المسئولين بل وأحياناً لتندرهم علينا. ويشهد الله - أنه على المستوى الشخصى - لم يكن هؤلاء ليستطيعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا اليه، لولا ثورة يوليو، ولولا حفنة من الضباط آمنوا بالوطن، خطأ أم صواباً، وقادوا ثورة، هى بكل المقاييس علامة فى تاريخ مصر كله وفى كل أبعاد حياتها سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

طلبنا:

* أن يسلم لمجلس أمناء من ثوار يوليو وأحرارها، مبنى مجلس ثورتهم بالجزيرة، ليجمعوا فيه ويصنفوا كل المادة التاريخية عن ثورتهم، بما فى ذلك ما أنجزته وما أخطأت فيه، وما نشر عنه وما ينشر، وما هو فى الملفات الخاصة وفى قلوب الناس.

وقد اصبح الآن مستغرباً، أن تهاجم الثورة بهذا العنف، وهذا حق طبيعى لمن يريد، ولا يستطيع رجال يوليو الثوار الرد، نريد كياناً، وليكن مركزاً أو قطعة أرض، تتجمع حوله يوليو، نحن الثوار أقدر فى الدفاع عن ثورتنا من الذين يتكلمون عنها وباسمها كاسلوب للمناورات السياسية.

* طلبنا مراراً قطعة أرض، نبنى عليها مدافن لنا، يدفن فيها ثوار يوليو ليناموا راحتهم الأبدية بجوار بعضهم، ولم يرد على طلبنا رغم مرور سنوات عليه، ولو كنا جمعية تعاونية، من تلك الجمعيات الصورية ذات النفوذ، لأجبنا إلى طلبنا.

* وقد كنا بالأمس ثواراً، وأصبحنا الآن شيوخاً، تحاصرنا الأمراض، طلبنا أن نعالج في مستشفى المعادى، بالأجر، ولكن على أساس رتب رفقائنا العسكرية، رتب دفعتنا في التخرج، لا الرتب التى خرجنا عليها من القوات المسلحة بعد الثورة، وهذا حق، إذ لا نستطيع جميعاً أن نتحمل نحن وعائلاتنا تكلفة العلاج الباهظة، فى هذه المستشفيات الخاصة. ولكن متى كانت الحقوق مرعبة؟

✪✪✪

ويبدو لى أن ثوار يوليو، كتب عليهم أن تكون غالبيتهم أول من يقاسون من الثورة التى قاموا بها، وأن يكون جلادوهم. هم أولئك الذين لم يشاركوا فيها من قريب أو بعيد، أو من أولئك الذين تخلوا عنها بكل الجبن والتخاذل. بل إن ذكر اسماء الثوار حجبوه سنوات وسنوات، بنسبة إضاعتها مع الزمن، وحشر أسمائهم واسماء انصارهم كصناع لهذا الحدث التاريخى الكبير.

وقد قلت مراراً إننى متطوع لنشر سجل لثوار يوليو على نفقتى الخاصة، وكل ما طلبته أن يرسل كل من الثوار، بياناً كاملاً بمشوار حياته منذ قيام الثورة حتى الآن، عائلته، أولاده، المناصب التى تولاها.

وأيضاً يرسل كلمة عن مكانه ورتبته ليلة الثورة.. عن الوحدة العسكرية التى تحرك معها.. عن رفقائه من الضباط.. وثلاث صور له.

ووجهتها دعوة مفتوحة، أيضاً الى كل من يعلم شيئاً عن ليلة ٢٣ يوليو، أن يتكلم، وإلى كل من يعتقد أن اسمه قد سقط من هذه الكشوف التى نشرت أن يتكلم.

قلت ذلك مراراً.. وأكرره الآن.

والله وحده هو المعصوم من الخطأ، أما نحن فبشر نخطئ ونصيب، ولكن المهم أن تكون النوايا طيبة، والمقاصد خيرة.

«د. محسن عبد الخالق»

الفهرس

المقدمة: ٨

[١] ■ حكاية جمال القاضي ١٥
[٢] في بيتنا جمال عبد الناصر ٣١
[٣] عبد الناصر من الكلية إلى فلسطين ٤٢
[٤] حكايتي مع الضباط الأحرار. ٥٢
[٥] اغتيال فاروق في حالة فشل الثورة. ٦٢
[٦] أزمة مع محمد نجيب ٧٣
[٧] أنا ثُلت ملك ٨٤
[٨] ليلة القبض على زوجة النحاس باشا ٩٣
[٩] الثلاثة التي أزعجت عبد الناصر ١٠٣
[١٠] لماذا اختار عبد الناصر منصب وزير الداخلية ١١٢
[١١] صرخ عبد الناصر في وجهي. ١١٩
[١٢] البوليس الحربي يعتقل عبد الناصر. ١٢٨
[١٣] قصة تحديد إقامة محمد نجيب. ١٣٨
[١٤] خطفنا محمد نجيب ! ١٤٧
وثائق ١٥٥

■ مذكرات الدكتور محسن عبد الخالق

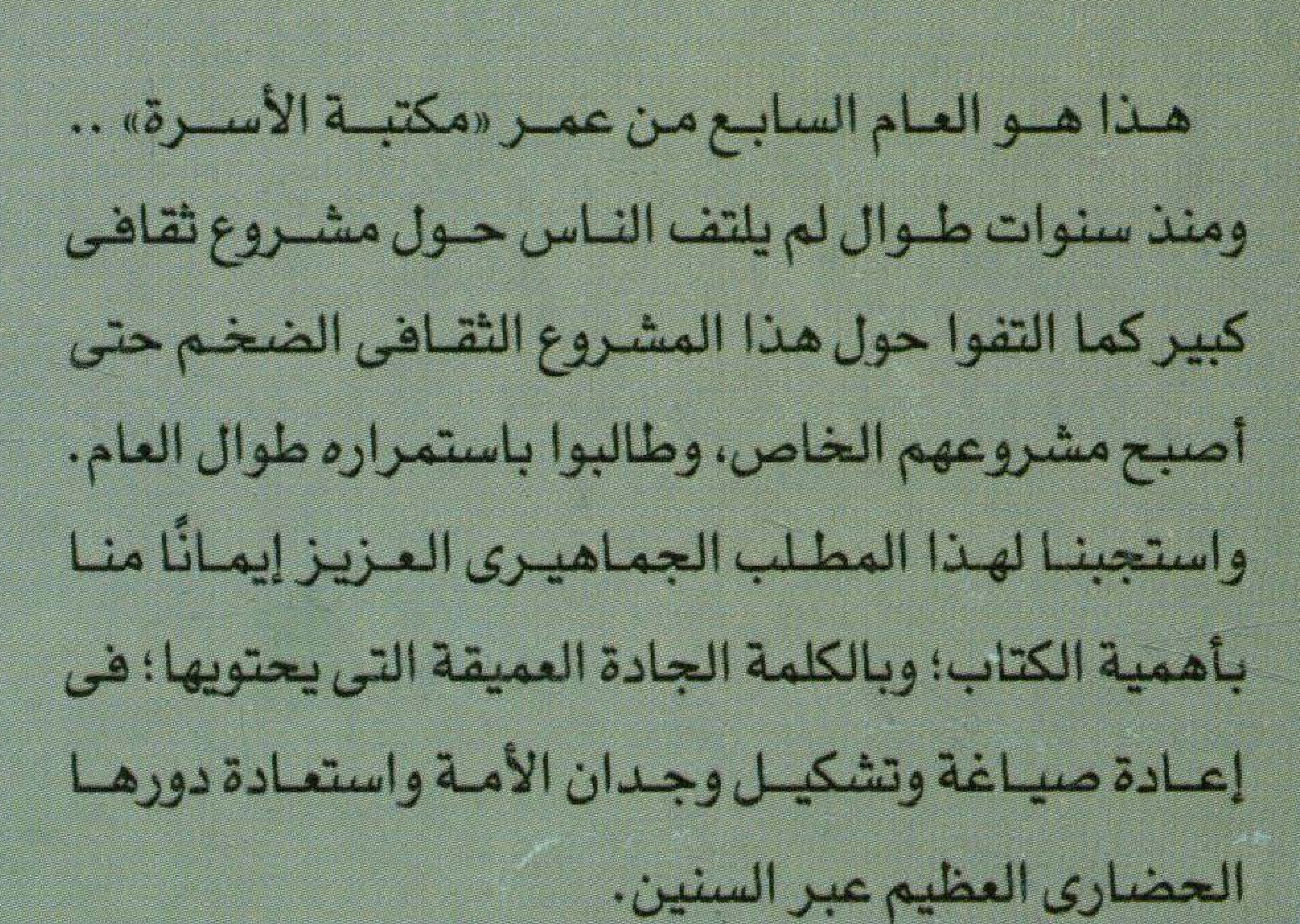
المتهم بانقلاب المدفعية ١٧٧
■ حكاية محسن عبد الخالق ١٧٩
[١] لماذا انضممت إلى الوفد؟ ١٩٥
[٢] الضباط والنحاس وجهاً لوجه ٢٠٣
[٣] فلسطين ٤٨ .... ٢١٤
[٤] سر الضباط الأحرار ٢٢٣
[٥] باشوات في بيت عبد الناصر ٢٣٤
[٦] أدوات عبد الناصر ضد نجيب ٢٤٣
[٧] المواجهة بين الضباط والصحافة ٢٥٢
[٨] قائمة أخرى باسم الضباط الأحرار ٢٦٢
[٩] وثائق ٢٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٩٧٨ / ٢٠٠٠

I . S . B . N 977 - 01 - 6818 - 1





هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيمانًا منا بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى الكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة فى زمن الإبهارات التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء العام السابع من عُمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠) عنوانًا فى أكثر من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية فى عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لايبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة 2000

مهرجان القراءة للجميع



٢٠٠
قرش